تاريخ العلامة

ابن خلدون

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر
في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم
من ذوي السلطان الأكبر
وهو تاريخ وحيد عصره
العلامة عبد الرحمن
ابن خلدون المغربي

المجلد السادس

من تاريخ العلامة ابن خلدون

القسم الأول

١١

دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة

دار الكتاب اللبناني
ومكتبة المدرسة
بيروت - لبنان
ص.ب ٣١٧٦ - برقيا (كتالبان)
هاتف ٢٥٧٤٧٠ - ٢٣٧٥٣٧
TELEX No 22865 K.T.L
LE BEIRUT

١٩٨٣

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

القسم الاول

المجلد السادس

من تاريخ العلامة ابن خلدون

الطبقة الرابعة
من العرب المستعجمة

الطبقة الرابعة من العرب المستعجمة أهل الجيل الناشىء
لهذا العهد من بقية أهل الدوله الاسلامية من العرب

لما استقلَّت مُضَرُ وفرسانها وأنصارها من اليَمَن بالدولة الاسلاميَّة ، فيمن تبع دينهم من إخوانهم رَبيعةَ ومن وافقهم من الأحياء اليَمَنيَّة ، وغلبوا الملل والأمم على أمورهم وانتزعوا الامصار من أيديهم ، وانقلبت أحوالهم من خشونة البَداوة وسذاجة الخِلافة إلى عزّ الملك وتَرَفِ الحَضارة ، ففارقوا الحِلَلَ وافترقوا على الثغور البعيدة والأَقطار البائنة عن ممالك

الاسلام ، فنزلوا بها حامِيَة ومُرابطين عُصَباً وفُرادى . وتناقل المُلكُ من عنصر الى عنصر ومن بيت الى بيت ، واستفحل ملكهم في دولة بني أُميَّة وبني العباس من بعدهم بالعراق ، ثم دولة بني أُميَّة الأخرى بالاندلس ، وبلغوا من التَرَفِ والبذخ ما لم تبلغه دولة من دول العرب والعجم من قبلهم . فانقسموا في الدنيا ونبتت أجيالهم في ماء النعيم ، واستأثروا مهاد الدِعة واستطابوا خفض العيش ، وطال نومهم في ظِلِّ الغرف والسلم ، حتى أَلِفوا الحضَارة ونسوا عهد البادية وانفلتت من أيديهم المَلَكَةُ التي نالوا بها الملك ، وغلبوا الأمم ؛ من خشونة الدين ، وبداوة الأخلاق ، ومضاء المضرِب .

فاستوت الحاميـة والرعيَّة لولا الثقافة ، وتشابهَ الجند والحضر الا في الشارة . وأنف السلطان من المساهمة في المجد والمشاركة في النسب فجدعوا أنوف المتطاولين اليه من أعياصهم وعشائرهم ووجوه قبائلهم ، وغضوا من عنان طموحهم ، واتخذوا البِطانة مقرَّهم من موالي الأعجام وصنائع الدولة ، حتى كثروا بهم قبيلتهم من العرب الذين أقاموا الدولة ، ونصروا الملة ، ودعموا الخِلافة ، وأذاقوهم وبال الخِلابة من القهر ، وساموهم خطة الخسف والذل ، فأنسوهم ذكر المجد وحَلاوة العز ، وسلبوهم نُصرَةَ العَصَبيَّةِ حتى صاروا أجراء على الحامية ، وخُوَلاً لمن استعبدهم من الخاصة وأوزاعاً متفرِّقين بين الأُمة ،

وصيّروا لغيرهم الحل والعقد والابرام والنقض ، من الموالي والصنائع فداخلتهم أريحية العز ، وحدّثوا أنفسهم بالملك ، فجحدوا الخُلفاء وقعدوا بدَسْتِ الأمر والنهي . واندرج العرب أهل الحماية في القهر ، واختلطوا بالهمج ، ولم يراجعوا أحوال البَداوة لبعدها ، ولا تذكروا عهد الأنساب لدروسها . فدُثِروا وتلاشوا شأن من قبلهم وبعدهم . سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلًا .

وكان المولدون لتمهيد قواعد الأمر ، وبناء أساسه من أول الاسلام والدين والخلافة من بعده ، والملك ، قبائل من العرب موفورة العدد ، عزيزة الأحياء . فنصروا الإيمان والملّة ، ووطدوا أكناف الخلافة ، وفتحوا الأمصار والاقاليم ، وغلبوا عليها الأمم والدول . أمّا من مُضَرَ : فقُريشٌ وكِنانَةُ وخُزاعَةُ وبنو أَسَدٍ وهُذيلٌ و تَميمٌ وغَطَفانُ وسُلَيْمٌ وهوَازِنُ ، وبطونها من ثقيفٍ وسعد بن بكرٍ وعامر ابن صَعْصَعَةَ ومن اليهم من الشُعوب والبُطون والأفخاذ والعَشائر والحُلفاء والموالي . وأمّا من ربيعَةَ فبنو تَغْلِبَ بن وائلٍ وبنو بكرِ بن وائل وكافة شعوبهم من بني شُكْرٍ وبني حَنيفَةَ وبني عِجْلٍ وبني ذُهْل وبني شِيْبانَ وتيم الله . ثم بنو النمر من قاسط ، ثم عبدُ القيس ومن اليهم . وأمّا من اليمَنيَّة ثم من كَهْلانَ بن سبأ منهم : فأنصارُ الله الخَزرَج والأَوْسُ ابناء قِيلَةَ من شعوب غسَّان وسائر قبائل الأَزْد . ثم

هَمَدانُ وخَثْعَم وبُجَيْلةُ ثم مُذْحِجُ وكافة بطونها من عبسٍ ومُرادَ وزُبَيْـد والنَخَعَ والأشعَريينَ وبني الحرث بن كَعْبٍ . ثم لَخى وبطونُها ولَخمْ وبُطونُها ثم كِنْدَةُ وملوكها .

وأمّا من حِمْيَرَ بن سبأ فقُضاعَةُ وجميع بطونها ومن الى هذه القبائِل والأفخـاذ والعشائر والأحلاف . هؤلاء كلهم أنفقتهم الدولة الإسلاميَّة العربيَّة ، فنبا منهم الثغور القصِيَّة ، وأكلتهم الأقطار المتباعدة ، واستلحمتهم الوقـائع المذكورة ، فلم يبقَ منهم حيّ يُطْرق ولا حِلّة تنُجع ولا عشير يُعرَفُ ، ولا قليل يُذْكَر ولا عاقلة تَحمِل جناية ، ولا عصـابة لصريخ الا سمع من ذكر أسمائهم ، في أنساب أعقاب متفرّقين في الامصـار ألوى الخمول بجملتهم ، فتقطَّعوا في البلاد ؛ ودخلوا بين الناس فامْتُهِنوا واستُهينوا وأصبحوا خِوَلاً للأمراء ، ونُهماً للذائـد وعالةً على الحِرف . وقام بالاسلام والملة غيرهم ، وصـار الملك والأمر في أيدي سواهم، وجلبت بضائع العلوم والصنائع الى غير سوقهم، فغلب أعـاجم المشرق من الديلَم والسُلجوقيـة والأكراد والغُزّ والترك على ملكه ودولته ، فلم يزل مناقلة فيهم الى هذا العهد . وغلب أعاجم المغرب من زَناتَةَ والبَرْبَر على أمره أيضـاً ، فلم تزل الدول تتناقل فيهم على ما نذكره بعد الى هـذا العهد . وغلب أعاجم المغرب والبَرْبَر على أمره ، وانقرض أكثر الشعوب الذين كان لهم الملك من هؤلاء فلم يبق لهم ذكر . وانتبذ بقية هذه

الشعوب من هذه الطبقة بالقفار وأقاموا أحياء بادين لم يفارقوا الحِلَل ولا تركوا البداوة والخشونة فلم يتورّطوا في مَهْلَكَةِ التَّرَف ولا غرقوا في بحر النعيم، ولا فقدوا في غَيابَاتِ الأَمصار والحضارة ولهذا أنشد شاعرهم :

فمن تَرَكَ الحضَارَةَ أَعْجَبَتْهُ بأيّ رِجالٍ بادِيَةٍ تَرانا [1]

وقال المتنبي يمدح سيف الدولة ويعرّض بذكر العرب الذين أوقع بهم لما كثر عيثهم وفسادهم :

وكانوا يروعون الملوك بأن بدوا وأن نبتت في الماء نبت الغلافق [2]

فهاجوك أهدى في الفلا من نجومه وأبدى بيوتاً من أداحي النقانق [3]

وأقامت هذه الاحياء في صحارى الجنوب من المغرب والمشرق بافريقية ومصر والشام والحجاز والعراق وكرمان، كما كان سلفهم من ربيعَةَ ومُضَرَ وكهلان في الجاهلية، وعتوا وكثروا وانقرض الملك العَربي الاسلامي . وطرق الدول الهرم الذي هو شأنها، واعتزّ بعض أهل هذا الجيل غرباً وشرقاً فاستعملتهم الدول وولوهم الامارة على أحيائهم وأقطعوهم في الضاحية والأمصار والتلول وأصبحوا جيلاً في العالم ناشئاً،

(١) ورد هذا البيت في النسخة التونسية هكذا :

فمن تكن الحضارة أعجبته فأي رجال بادية تراني

(٢) الغلفق كجعفر الطحلب أو نبت في الماء ورقه عراض قاله المجد .

(٣) وقال النقنق كزبرج الظلم اﻫ

وقد ورد هذا البيت في النسخة التونسية هكذا :

فهاجوك اهدى في الفلاة من القطا وابدى بيوتا من بيوت النقانق

كثروا سائر أهله من العجم . ولهم في تلك الامارة دول فاستحقوا أن تذكر أخبارهم ، وتلحق بالاجيال من العرب سلفهم . ثم ان اللسان المضري الذي وقع به الاعجاز ونزل به القرآن فثوى فيهم وتبدّل اعرابه فالوا الى العجمة . وان كانت الأوضاع في أصلها صحيحة واستحقوا أن يوصفوا بالعجمة من أجل الاعراب فلذلك قلنا فيهم العرب المستعجمة .

فلنذكر الآن بقية هؤلاء الشعوب من هذه الطبقة في المغرب والمشرق ، ونخص منهم أهل الاحياء الناجعة والاقدار النابهة ، ونلغي المندرجين في غيرهم . ثم نرجع الى ذكر المنتقلين من هذه الطبقة الى افريقية والمغرب ، فنستوعب أخبارهم ، لان العرب لم يكن المغرب لهم في الايام السابقة بوطن ، وانما انتقل اليه في أواسط المائة الخامسة أفاريق من بني هِلال وسُلَيم اختلطوا في الدول هنالك فكانت أخبارهم من أخبارها ، فلذلك استوعبناها . وأمّا آخر مواطن العرب فكانت بَرْقَة ، وكان فيها بنو قُرَّةَ بن هلال بن عامر . وكان لهم في دول العُبَيْدِيّين أخبار ، وحكايتهم في الثورة أيام الحاكم والبيعة لأبي رَكْوَة من بني أمية في الاندلس معروفة ، وقد أشرنا اليها في دولة العُبيديين .

ولما أجاز بنو هلال وسُلَيم الى المغرب خالطوهم في تلك المواطن ، ثم ارتحلوا معهم . الى المغرب كما نذكره في دخول العرب

الى افريقية والمغرب . وبقيَ في مواطنهم ببَرْقَة لهذا العهد أحياء بني جعفر ، وكان شيخهم أوسط هذه المائة الثامنة أبو ذئب وأخوه حامدِ بن حميد [١] وهم ينسبون في المغرب [٢] تارة في العِزّة ويزعمون انهم من بني كعب سُليم وتارة في الهيب كذلك ، وتارة في فزارة ، والصحيح في نسبهم أنهم من مسراتة احدى بطون هُوارَة . سمعته من كثير من نسابتهم ، وبعدهم فيما بين بَرْقَة والعَقَبة الكبيرة أولاد سلام . وما بين العَقَبة الكبيرة والاسكندريّة أولاد مقدّم ، وهم بطنان أولاد التركية واولاد قائد . ومقدّم وسلام معاً ينسبون الى لبيد . فبعضهم يقول لبيد بن لعتة [٣] بن جعفر بن كلاب بن رَبيعة بن عامِر وبعضهم يقول في مقدّم : مقدّم بن عزاز بن كعب بن سُلَيم .

وذكر لي سلام شيخ أولاد التركية : أن أولاد مقدم من ربيعة بن نزار ، ومع هؤلاء الاحياء حيّ محارب ينتمون بآل جعفر . ويقال إنهم من جعفر بن كلاب ، وهي رُواحة ينتمون بآل زُبَيد ، ويقال مِن جعفر أيضاً . والناجعة من هؤلاء الأحياء كلّهم ينتمون في شأنهم الى الواحات من بلاد القبلة . وقال ابن سعيد : ومن غطفان في برْقة هيب ورُواحة وفِزارَة ، فجعل

(١) قوله حميد ، في نسخة : كميد ، وفي نسخة : كميل ، بضم الكاف وفتح الميم .
(٢) كذا ، وفي نسخة : وهم ينتسبون في العرب .
(٣) كذا ، وفي نسخة : هيئة

هؤلاء من غَطَفَان والله أعلم بصحة ذلك .

وفيما بين الاسكندريّة ومِصر قبائل رحّالة ينتقلون في نواحي البحيرة هنالك ، ويعمرون أرضها بالسكنى والفلح ، ويخرجون في المشاتي الى نواحي العَقَبة وبَرْقة من مزانت وهوارة وزنارة احدى بطون لواته ، وعليهم مغارم الفلح . ويندرج فيهم أخلاط من العرب والبربر لا يحصون كثرة . وبنواحي الصعيد قبائل من العرب من بني هلال وبني كِلاب من رَبيعَة . وهؤلاء أحياء كثيرة يركبون الخيل ، ويحملون السلاح ويعمرون الأرض بالفلاحة ، ويقومون بالخراج للسلطان . وبينهم مع ذلك من الحروب والفتن ما ليس يكون بين أحياء القفر .

وبالصعيد الاعلى من أَسْوَان وما وراءها إلى أرض النَوبَة الى بلاد الَحبَشَة قبائل متعدّدة وأحياء متفرقة ؛ كلهم من جُهَيْنَة إحدى بطون قُضاعَة ، ملاءوا تلك القفار ؛ وغلبوا النَوْبَة على مواطنهم وملكهم ، وزاحموا الَحبَشَة في بلادهم وشاركوهم في أطرافها . والذين يلون أَسْوَان هم يعرفون بأولاد الكنز ، كان جدّهم كنز الدولة ، وله مقامات مع الدول مذكورة ، ونزل معهم في تلك المواطن من أَسْوَان الى قوص بنو جعفر بن أبي طالب حين غلبهم بنو الحسن على نواحي المدينة ، وأخرجوهم منها . فهم يعرفون بينهم بالشرفاء الجعافِرة ، ويحترفون في غالب أحوالهم بالتجارة .

وبنواحي مصر من جهة القبلة الى عَقَبة أيلة أحياء من جذام جمهورهم من العائد[١] وعليهم درك السابلة بتلك الناحية. ولهم على ذلك الاقطاع والعوائد من السلطان. ويليهم من جهة الشرق بالكرك ونواحيها أحياء بني عُقْبَة من جُذام أيضاً، رحالة ناجعة تنتهي رحلتهم إلى المدينة النبوية. وعليهم درك السابلة فيما يليهم. وفيما وراء عَقَبة أيلة الى القُلْزُم قبائل من قُضاعَة ومن القُلزُم الى اليَنْبُع، قبائل من جُهَيْنَة. ومن اليَنْبُع إلى بدر ونواحيه من زُبَيد احدى بطون مَذحِج. ولهم مع الامراء بمكة من بني حسن حلف ومواخاة. وفيما بين مكة والمهجم مما يلي اليمن قبائل بني شُعبَة من كِنانَة. وفيما بين الكرك وغزة شرقاً قبائل جُذام من قضاعة في جموع وافرة، ولهم أمراء أعزة يقطعهم السلطان على العسكر وحفظ السابلة، وينجعون في المشاتي الى معان وما يليها من أسافل نجد، مما يلي تيماء، وبعدهم في أرض الشام بنو حارثة بن سُنبُس وآل مراء من رَبيعة أخوة آل فضل الملوك على العرب في برية الشام والعراق ونجد. وأخبرني بعض أمراء حارثة بن سُنبُس عن بطون. فلنذكر الآن خبر أولاد فضل أمراء الشام والعراق من طيء فنبين[٢] أعراب الشام جميعاً.

---

(١) كذا، وفي نسخة: العابد.

(٢) كذا، وفي نسخة: فبهم يتبين حال أعراب الشام جميعاً.

خبر آل فضل وبني مهنا منهم ودولتهم بالشام والعراق

هذا الحيّ من العرب يعرفون بآل فضل ، وهم رحّالة ما بين الشام والجزيرة وبرية نجد من أرض الحجاز ، ينتقلون هكذا بينها في الرحلتين [1] وينتهون في طيء ومعهم أحياء من زُبَيْد وكَلْب وهُزَيْم ومَذْحج أحلاف لهم باين بعضهم [2] في الغلب والعدد آل مراء . ويزعمون أنّ فضلًا ومراء آل ربيعة ، ويزعمون أيضاً أنّ فضلًا ينقسم ولده بين آل مهنا وآل علي ، وأن آل فضل كلهم كانوا بأرض حوران فغلبهم عليها آل مراء واخرجوهم منها فنزلوا حِمصَ ونواحيها . وأقامت زُبَيْد من أحلافهم بحوران فهم بها حتى الآن لا يفارقونها . قالوا : ثم اتصل آل فضل بالدد [3] من السلطنة ، وولوهم على أحياء العرب ، وأقطعوهم على اصلاح السابلة بين الشام والعراق فاستظهروا برئاستهم على آل مراء ، وغلبوهم على المشاتي فصار عامّة رحلتهم في حدود الشام قريباً من التلول والقرى ، لا ينجعون إلى البريّة إلاّ في الأقل .

وكانت معهم أحياء من أفاريق الاعراب يندرجون في لفيفهم وحلفهم من مَذْحج وعامر وزُبَيْد كما كان لآل فضل . إلاّ أنّ أكثر من كان من آل مراء أولئك الأحياء وأوفرهم عدداً بنو

(١) أي : رحلة الشتاء والصيف .
(٢) كذا ، وفي النسخة التونسية : ويناهضهم في الغلب .
(٣) كذا بياض بالأصل ، وفي النسخة التونسية : ثم اتصل آل فضل بالدول السلطانية .

حارِثة من احدى بطون طيء . [١] هكذا ذكر الثقة عنهم من رجالاتهم . وحارثة هؤلاء متغلبون لهذا العهد في تلول الشام لا يجاوزونها الى القِفار . ومواطن طيء بنجد قد اتسعت ، وكانوا أوّل خروجهم من اليمن نزلوا جبلي أجأ وسلمى ، وغلبوا عليهما بني أسد وجاوروهم . وكان لهم من المواطن سميراء وفيد من منازل الحاج . ثم انقرض بنو أسد وورثت طيىء بلادهم فيما وراء الكرخ من أرض غفرو [٢] وكذلك ورثوا منازل تميم بأرض نجد فيما بين البصرة والكوفة واليمامة . وكذلك ورثوا غطفان ببطن مما يلي وادي القرى .

هكذا قال ابن سعيد . وقال : أشهر الحجازيين منهم الآن بنو لام وبنو نبهان والصَّوْلة بالحجاز لبني لام بين المدينة والعراق ولهم حلف مع بني الحسين أمراء المدينة . قال : وبنو صخر منهم في جهة تيماء بين الشام وخيبر . قال : وغربة [٣] من طيىء بنو غربة بن أفلت بن معبد بن معن بن عمرو بن عنبس بن سلامان ومن بعد بلادهم حي الانمر والاساور [٤] ورثوها من عِنِزَة . ومنازلهم لهذا العهد في مصايفهم بالكيبات [٥] وفي

---

(١) كذا ، وفي ت : «بنو حارثة بن عنبس احدى شعوب طيىء . » ونعني بحرف (ت) : النسخة التونسية .

(٢) كذا وفي ت : من أرض نجد .

(٣) كذا ، وفي ت : وعزية من طيىء بنو عزية .

(٤) كذا وفي ت : سلامات بن بعل ، بلادهم عين التمر والانبار .

(٥) كذا وفي ت : بالكبيسات .

مشاتيهم مع بني لام من طيئ . وهم أهل غارة وصولة بين الشام والعراق .

ومن بطونهم الأجود والبطنين واخوانهم زُبَيد نازلون بالموصل ، فقد جعل ابن سعيد : زبيد هؤلاء من بطون طيئ ، ولم يجعلهم من مذحج . ورياسة آل فضل في هذا العهد في بني مهنا ، وينسبونه هكذا : كنا بن مايع بن مدسة بن عصية [(١)] ابن فضل بن بدر بن علي بن مفرج بن بدر بن سالم بن قصية بن بدر ابن سَميع . ويقفون عند سَميع .

ويقول زعماؤهم ان سميعاً هذا هو الذي ولدته العبَّاسَة أخت الرشيد من جعفر بن يحيى البرمكي . وحاشا لله من هذه المقالة في الرشيد وأخته ، وفي بنات كبراء العرب من طيئ إلى موالي العجم من بني برمك وأمثالهم .

ثم ان الوجود يحيل رياسة مثل هؤلاء على هذا الحي اذا لم يكونوا من نسبهم . وقد تقدم مثل ذلك في مقدّمات الكتاب .

وكان مبدأ رياستهم من أول دولة بني يعقوب . قال العماد الأصفهاني نزل العادل بمرج دمشق ، ومعه عيسى بن محمد بن ربيعة شيخ الاعراب في جموع كثيرة . وكانت الرئاسة فيهم لعهد الفاطميين لبني جراح من طيئ . وكان كبيرهم مُفَرّج بن

(١) كذا ، وفي ت : مهنا بن مانع بن حديثة بن غضية .

دُغْفُل بن جراح . وكان من أقطاعه التي معه وهو الذي قبض على اسكى [١] مولى بني بُويه لمّا انهزم مع مولاه بختيار بالعراق . وجاء الى الشام سنة أربع وستين وثلثمائة وملك دمشق وزحف مع القرامطه لقتال العزيز بن المعزّ لدين الله صاحب مصر فهزمهم العزيز ، وهرب أفتكين فلقيه مفرِج بن دغْفُل ، وجاء به الى العزيز فأكرمه ورقاه في دولته .

ولم يزل شأن مُفرّج هكذا وتوفي سنة أربع وأربعمائة . وكان من ولده حسّان ومحمود وعلي وجرار . وولي حسّان بعده وعظم صيته . وكان بينه وبين خلفاء الفاطميين معزة واستقامة ، وهو الذي هزم الرملة وهزم قائدهم باروق التركي وقتله وسبى نساءه ، وهو الذي مدحه التهامي . ويذكر المسمى وغيره أن موطىء دولة العُبَيديين [٢] في قرابة حسّان بن مُفَرّج هذا فضل ابن ربيعة بن حازم ، وأخوه بدر بن ربيعة ، وابنا بدر . ولعل فضلًا هذا هو جدّ آل فضل .

قال ابن الاثير : ان فضل بن ربيعة بن حازم كان آباؤه أصحاب البلقاء والبيت المقدس . وكان الفضل تارة مع الفرنج وتارة مع خلفاء مصر . ونكره لذلك طُغْرَكين أتابك دمشق

(١) كذا ، وفي ت : وكان من اقطاعه الرملة ، وهو الذي قبض على أفتكين مولى بني بويه .

(٢) كذا ، وفي ت : ويذكر المسبحي وغيره من مؤرخي دولة العبيديين .

وكافل بني تُتُش فطرده من الشام فنزل على صَدَقَة بن مَزيَد بالحِلّة وحالفه . ووصله صَدَقَة بتسعة آلاف دينـار . فلما خالف صَدَقَة بن مَزيَد على السلطان محمد بن ملكشاه سنة خمسمائة وما بعدها ، ووقعت بينهما الفتنة اجتمع له فضل هذا وقرواش بن شرف الدولة ومسلم بن قريش صاحب الموصل وبعض أمراء التُرْكُمان ، كانوا كلهم أولياء صدقة فصار في الطلائع بين يدي الحرب . وهربوا الى السلطـان فأكرمهم وخلع عليهم ، وأنزل فضل بن ربيعـة بدار صَدَقَة بن مَزيَد ببغداد ، حتى اذا سار السلطان لقتال صَدَقَة واستأذنه فضل في الخروج الى البرية ليأخذ بحجرَة صَدَقَة فأذن له وعبر الى الانبـار ، فلم يراجع السلطـان بعدها اهـ كلام ابن الاثير .

ويظهر من كلامه وكلام المسبحي أن فضلًا هـذا وبدراً من آل جرّاح بلا شك . ويظهر من سيـاقة هؤلاء نسبهم أن فضلًا هذا هو جدّهم لانهم ينسبونه : فضل بن ربيعـة بن الجرّاح . فلعل هؤلاء نسبوا ربيعـة مُفرّج الذي هو كبير بني الجراح لبعد العهد وقلة المحافظة على مثل هذا من البادية القفر[1] .

وأمّا نسبة هذا الحي من آل فضل بن ربيعة بن فلاح من مُفرّج في طيىء : فبعضهم يقول ان الرئاسة في طيىء كانت لأياس بن قُبيصَة من بني سبـا بن عمرو بن الغوث من طيىء ،

(١) كذا ، وفي ت : من البادية الغفل .

وأَياس هو الذي ملكه كسرى على الحيرة بعد آل المنذر لما قتل النعمان بن المنذر وهو الذي صالح خالد بن الوليد عن الحيرة على الجزية . ولم تزل الرئاسة على طيىء الى بني قُبيصَة هؤلاء صدراً من دولة الاسلام . فلعل بني الجرّاح وآل فضل هؤلاء من أعقابهم ، وان كان انقرض أعقابهم فهم من أقرب الحي اليهم ، لأن الرئاسة على الأحياء والشعوب انما تتصل في أهل العصبيّة والنسب كما مر أوّل الكتاب .

وقال ابن حزم عندما ذكر أنساب طيىء وأنهم لما خرجوا من اليمن مع بني أَسَد نزلوا جبلي أجأ وسلمى ، وأوطنوهما وما بينهما ونزل بنو أَسَد ما بينهم وبين العراق . وفضل كثير منهم وهم : بنو حارِثَة نسبة الى أمهم [1] ، وتيم الله وحُبيش والأسعد اخوتهم رحلوا عن الجبلين في حرب الفساد فلحقوا بحلب ، وحاضر طيىء وأوطنوا تلك البلاد إلاّ بني رومان بن جُندُب بن خارِجة ابن سعد فانهم أقاموا بالجبلين فكانوا جبليين [2] ولاهل حلب وحاضر طيئ من بني خارجة السُهيليون اﻫ .

فلعل هذه الاحياء الذين بالشام من بني الجرّاح وآل فضل

(١) كذا ، وفي ت : وهم بنو خارجة بن سعد بن قطرة ، ويقال لهم جديلة نسبة إلى أمهم .

(٢) كذا ، وهنا عبارة ناقصة ، وفي ت : فانهم أقاموا بالجبلين ، فكان يقال لأهل الجبلين الجبليون ، ولأهل حلب وحاضر طيىء من بني خارجة : السهليون .

من بني خارجة هؤلاء الذين ذكر ابن حزم انهم انتقلوا الى حلب وحاضر طيىء ، لان هذا الموطن أقرب الى مواطنهم لهذا العهد من مواطن بني الجرّاح بفلسطين من جبلي أجأ وسلمى الذي هو موضع الآخرين . فالله أعلم أي ذلك يصح من انسابهم . وتحت خفارتهم بنواحي الفرات ابن كلاب [1] بن رَبِيعَة بن عامِر دخلوا مع قبائل عامر بن صَعصَعة من نجد الى الجزيرة .

ولما افترق بنو عامِر على الممالك الاسلاميّة اختصّ هؤلاء بنواحي حلب وملكها منهم بنو صالح بن مِرداس من بني عمرو ابن كِلاب. ثم تلاشى ملكهم ورجعوا عنها الى الاحياء وأقاموا بالفُرات تحت خفارة هؤلاء الامراء من طيىء .

وأمّا ترتيب رئاستهم على العرب بالشام والعراق منذ دولة بني أيوب العادل والى هذا العهد ، وهو آخر ست وتسعين وسبعمائة فقد ذكرنا ذلك في دولة الترك ملوك مصر والشام ، وذكرناهم واحداً بعد واحد على ترتيبهم . وسنذكرهم ههنا على ذلك الترتيب فنقول : كان الأمير لعهد بني أيوب عيسى بن محمد بن ربيعة أيام العادل كما كان بعده حسام الدين مانع بن حارثة بمصر والشام .

وفي سنة ثلاثين وستمائة وليَ عليهم بعده ابنه مهنّا . ولما ارتجع قُطُز بن عصيّة بن فضل أحد ملوك الترك بمصر والشام من

(١) كذا ، وفي ت : من كلاب بن ربيعة . ومقتضى السياق : قوم من كلاب

أيدي التَتَر ، وهزمهم بعين جالوت ، أقطع سَلمِيَّة لمهنا بن مـانع وانتزعها من عمل المنصور بن مظفر بن شاهنشاه صاحب حماة ، ولم أقف على تاريخ وفاة مهنا . ثم ولي الظاهر عـلى احياء العرب بالشام عندما استفحـل ملك الـترك . وسار الى دمشق لتشييع الخليفة الحاكم عم المستعصم الى بغداد عيسى بن مهنـا بن مانع ، وجرّ له الاقطاعات على حفظ السابلة ، وحبس ابن عمه زامل بن عليّ بن ربيعة من آل فضل على سعايته وإغرامه . ولم يزل يغـير على أحياء العرب وصلحوا في أيامه لانـه خالف أباه في الشدّة عليهم ، وهـرب اليه سُنقُر الأشقر سنة تسع وسبعين وكاتبوا أبغا واستحثوه لملك الشام .

وتوفي عيسى بن مهنا سنة اربع وثمانين فولّى المنصور قلاوون من بعده ابنه مهنا . ثم سار الأشرف بن قـلاوون الى الشام ، ونزل حمص ووفد عليه مهنا بن عيسى في جماعة من قومه ، فقبض عليه وعلى ابنه موسى واخوته محمد وفضل ابني مهنا . وبعث بهم الى مصر فحبسوا بها حتى أفرج عنهم العادل كتبغا عندما جلس على التخت سنة أربع وتسعين ، ورجع الى امارته . وكان له في أيام الناصر نصرة واستقامة وميلة الى ملوك التَتَر بالعراق ، ولم يحضر شيئاً من وقائع غازان . ولمـا انتقض قَراسُنقُر وأقوش الأفرم وأصحابهما سنة عشر وسبعمائة لحقوا به ، وساروا من عنـده الى خربندا ، واستوحش هو من السلطان وأقام في أحيائه منقبضاً

عن الوفادة .

ووفد أخوه فضل سنة اثنتي عشرة فرعى له حق وفـادته ، وولاّه على العرب مكان أخيه مهنا وبقي مهنا مشرّداً .

ثم لحق سنة ستّ عشرة بخربندا ملك التتَر فأكرمه وأقطعه بالعراق . وهلك خربندا في تلك السنة فرجع مهنا الى أحيائه . ووفد ابنه أحمد وموسى وأخوه محمـد بن عيسى مستعتبين عـلى الناصر ومتطارحين عليه فاكرم وفادتهم وأنزلهم بالقصر الأبلق ، وشملهم بالاحسان ، وأعتب مهنا وردّه الى امارته واقطاعه ، وذلك سنة سبع عشرة . وحج هـذه السنة ابنه عيسى واخوه محمـد وجماعة من آل فضل في اثني عشر ألف راحـلة . ثم رجع مهنا الى دينه في ممالأة التتَر والاجلاب عـلى الشام . واتصل ذلك منه فنقم السلطان عليه ، وسخط عليه قومـه أجمع . وتقدّم إلى نوّاب الشام سنة عشرين بعد مرجعه من الحج فطرد آل فضل عن البلاد وأدال منهم مالكاً على عدالته بينهم [1] وولّى منهم على أحياء العرب محمد بن أبي بكر ، وصرف أقطاع مهنا وولده الى محمـد وولده فاقام مهنا على ذلك مدّة .

ثم وفد سنة احدى وثلاثين مع الافضل بن المؤيد صاحب حماة متوسلاً به ومتطارحاً على السلطان فأقبل عليه وردّ عليـه

(١) كذا ، وفي ت : وأدال منهم بال علي عديلة نسبهم .

أقطاعه وامارته . وذكر لي بعض امراء الكبراء [(١)] بمصر ممن أدرك وفادته أو حُدّث بها : انه تجافى في هذه الوفادة من قبول شيء من السلطان ، حتى انه ساق عنده النياق الحلوبة والعراب ، وانه لم يغش باب احد من أرباب الدولة ولا سأل منهم شيئاً من حاجاته ، ثم رجع الى أحيائه ، وتوفي في سنة أربع وثلاثين فولي ابنه مظفّر الدين موسى ، وتوفي سنة اثنتين وأربعين عقب مهلك الناصر وولي مكانه اخوه سليمان .

ثم هلك سليمان سنة ثلاث وأربعين فولي مكانه شرف الدين عيسى ابن عمه فضل بن عيسى . ثم توفي سنة اربع وأربعين بالقريتين ودفن عند قبر خالد بن الوليد . وولي مكانه اخوه سيف بن فضل ، ثم عزله السلطان بمصر الكامل ابن الناصر سنة ست وأربعين ، وولي مكانه احمد بن مهنا بن عيسى . ثم جمع سيف بن فضل ولقيه فياض بن مهنا بن عيسى وانهزم سيف . ثم ولي السلطان حسن الناصر في دولته الاولى وهو في كفالة بيبغاروس أحمد بن مهنا فسكنت الفتنة بينهم .

ثم توفي سنة سبع وأربعين فولي مكانه أخوه فياض وهلك سنة تسع وأربعين وولي مكانه أخوه خيار بن مهنا ، ولاه حسن الناصر في دولته الثانية . ثم انتقض سنة خمس وستين وأقام سنتين بالقصر عاصياً إلى أن شفع فيه نائب حماة فأعيد الى

(١) كذا ، وفي نسخة ت : بعض كبار الامراء .

امارته . ثم انتقض سنة سبعين فولّى السلطان الاشرف مكـانه ابن عمه زامِل بن موسى بن عيسى ، وجاء الى نواحي حلب ، واجتمع اليه بنو كِلاب وغيرهم وعاثوا في البـلاد وعلى حلب يومئذ قُشتُمُر المنصوري فـبرز اليهم وانتهى الى خيمهم واستاق نعمهم وتخطّى الى الخيام فاستجاشوا بها [1] وهزموا عساكره وقتل قُشتُمُر ابنه في المعركة تولّى هو قتله بيـده ، وذهب الى القفر منتقضاً . فولى الأشرف مكانه ابن عمه مُعَيقِـل بن فضل بن عيسى [2] .

ثم بعث مُعَيقِل صاحبه سنة احدى وسبعـين يستأمن لخيار فأمّنه . ثم وفـد خِيار بن مهنـا سنة خمس وسبعين فرضي عنه السلطان وأعاده الى امارته. ثم توفي سنة سبع وسبعين فولي أخوه مالك الى ان هلك سنة احدى وثمـانين فولي مكانه مُعَيقِل بن موسى بن عيسى وابن مهنا شريكين في امارتها . ثم عزلا لسنة وولّى نعير بن خيار بن مهنا واسمه محمد ، وهو لهـذا العهد أمير على آل فضل وجميع أحيـاء طيىء بالشام . والسلطـان الظاهر لعهده يزاحمه بمحمد ابن عمه قاري . ثم وصل انتقاضه على السلطان وخلافه ، وظاهر السلطـان على موالاة محمد بن قاري فسخطه ،

(١) كذا ، وفي ت : فاستماتوا دونها .

(٢) كذا ، وفي ت : فولي بعده معيقل بن فضـل بن عيسى وزامل بن موسى ابن عيسى بن مهنا .

وولي مكانهما ابن عمهما محمد بن كُوكَتِين ابن عمه موسى ابن عساف بن مهنا فقام بأمر العرب وبقي نعير منتبذاً بالقفر وعجز عن الميرة لقلة ما بيده [1] واختلّت أحواله ، وهو على ذلك لهذا العهد ، والله ولي الامور ولا رب سواه .

موسى بن عساف بن مهنا بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن عصية بن فضل بن ر

ولنرجع الى من بقي من شعوب هذه الطبقة فنقول : كان بنو عامر بن صَعْصَعَة كلهم بنجد ، وبنو كِلاب في خناصرة [2] والرَّبذَة من جهات المدينة ، وكعب بن ربيعة فيما بين تُهامة والمدينة وأرض الشام . وبنو هِلال بن عامر في بسائط الطائف ما بينه وبين جبل غُزوان . ونُمَير بن حامد [3] معهم . وجشم محسوبون منهم بنجد . وانتقلوا كلهم في الاسلام الى الجزيرة الفُراتية فملك نُمَير حَرّان ونواحيها . وأقام بنو هلال بالشام الى

(١) كذا ، وفي ت : فقل تابعه .
(٢) كذا ، وفي ت : خناصرية .
(٣) كذا ، وفي ت : عامر .

أن ظعنوا الى المغرب كما نذكر في أخبارهم . وبقي منهم بقية بجبل بني هِلال المشهور بهم الذي فيه قلعة صَرخَد . وأكثرهم اليوم يتعاطون الفلح . وبنو كلاب بن رَبِيعَة ملكوا أرض حلب ومدينتها كما ذكرناه . وبنو كعب بن ربيعة دخلت الى الشام منهم قبائل عُقَيل وقشير وَجَرِيش وجُعْدَة فانقرض الثلاثة في دولة الاسلام ، ولم يبق الا بنو عقيل .

وذكر ابن حزم : أن عددهم يفي عدد جميع مُضَر . فملك منهم الموصل بنو مالك [1] بعد بني حمدان وتغلب . واستولوا عليها وعلى نواحيها وعلى حلب معها . ثم انقرض ملكهم ورجعوا للبادية وورثوا مواطن العرب في كل جهة . فمنهم بنو المُنتفِق بن عامر بن عقيل ، وكان بنو مالك بن عقيل في أرض تيماء من نجد ، وهم الآن بجهات البصرة في الآجام التي بينها وبين الكوفة المعروفة بالبطائح ، والامارة منهم في بني معروف . وبالمغرب من بني المنتفِقْ أحياء دخلوا مع هلال بن عامر يعرفون بالخلط ، ومواطنهم بالمغرب الاقصى ما بين فاس ومُرّاكِش .

وقال الجِرْجاني : ان بني المنتفق كلهم يعرفون بالخلط ، ويليهم في جنوب البصرة اخوتهم بنو عامر بن عوف بن مالك ابن عوف بن عامر ، وعوف أخو المنتفق قد غلبوا على

(١) كذا ، وفي ت : بنو المقلد .

البحرين وغمارة [١] وملكوها من يدي أبي الحسين الأصغر بن تغلب . وكانت هذه المواطن للأزد ، وبني تميم وعبد القيس فورث هؤلاء أرضهم فيها وديارهم .

قال ابن سعيد : وملكوا أيضاً أرض اليمامة من بني كلاب وكان ملوكهم فيها لعهد الخمسين والستمائة بنو عصفور . وكان من بني عقيل خُفَاجَة بن عمرو بن عُقَيل ، كان انتقالهم الى العراق فأقاموا به وملكوا ضواحيه ، وكانت لهم مقامات وذكر ، وهم أصحاب صولة وكثرة ، وهم الآن ما بين دجلة والفرات . ومن عقيل هؤلاء بنو عُبَادَة بن عقيل ومنهم الاجافل [٢] لان عبادة كان يعرف بالأجْفَل . وهم لهذا العهد بالعراق مع بني المُنْتَفِق . وفي البطائح التي بين البصرة والكوفة وواسط الامارة فيهم على ما يبلغنا لرجل اسمه قيان بن صالح ، وهو في عدد ومنعة . وما أدري أهو من بني معروف أمراء البطائح بني المنتفق أو من عبادة الأخائل . هذه أحوال بني عامِر بن صَعْصَعَة واستيلاؤهم على مواطن العرب من كِهْلَان وربيعة ومضر .

فأمّا بنو كِهْلَان فلم يبق لهم أحياء فيما يسمع . وأما ربيعة

(١) كذا ، وفي ت : وعمان .

(٢) كذا ، وفي ت : « وهم الأخائل ، لأن عبادة كان يعرف بالأخيل » وهو الاصح .

فأجازوا بلاد فارس وكِرْمان فهم ينتجعون هنالك ما بين كرمان وخُراسان . وبقيت بالعراق منهم طائفة ينزلون البطائح وانتسب الى الكوفة منهم بنو صباح [١] ومعهم لفائف من الأوس والخَزْرَج . فأمير ربيعــة اسمــه الشيخ ولي ، وعلى الأوس والخزرج طاهر بن خضر منهم هذه شعوب الطبقة الثـالثة من العرب لهذا العهد في ديار المشرق بما أدى اليه الامكان .

ونحن الآن نذكر شعوبهم الذين انتقلوا الى المغرب : فان أمة العرب لم يكن لهم إلمام قط بالمغرب لا في الجاهليّة ولا في الإسـلام ، لان أمــة البَرْبَرَ الذين كانوا به كانوا يمانعون عليــه الأمم . وقــد غزاه افريقِش بن صُبَيع [٢] الذي سميت بــه افريقية ، من ملوك التبابعــة وملكها . ثم رجع عنها وترك كتامَة وصِنْهاَجة من قبــائل حِمْير ، فاستحالت طبيعتهم [٣] الى البربَرَ واندرجوا في عــدادهم ، وذهب ملك العرب منهم . ثم جاءت الملة الاسلاميّة وظهر العرب على سائر الامم بظهور الدين فسارت عساكرهم في المغرب وافتتحوا سائر أمصــاره ومدنه وعانوا من حروب البربر شدّة . وقد تقدم لنا ما ذكره ابن أبي زيــد [٤] من أنهم ارتــدّوا اثنتي عشرة مرة . ثم رسخ فيهم

(١) كذا ، وفي ت : بنو مياح .
(٢) كذا ، وفي ت : افريقس بن صيفي .
(٣) كذا ، وفي ت : صبغتهم .
(٤) كذا ، وفي نسخة : أبي يزيد .

الاسلام ولم يسكنوا بأجيالهم في الخيام ولا نزلوا أحياء لان الملك الذي حصل لهم يمنعهم من سكنى الضاحية ، ويعدل بهم الى المدن والأمصار . فلهذا قلنا ان العرب لم يوطنوا بلاد المغرب . ثم انهم دخلوا اليه في منتصف المائة الخامسة ، وأوطنوه وافترقوا بأحيائهم وحللهم في جهاته كما نذكر الآن ونستوعب أسبابه .

دخول العرب المغرب

الخبر عن دخول العرب من بني هلال وسليم المغرب من الطبقة الرابعة وأخبارهم هنالك

كانت بطون هلال وسُليم من مُضَر لم يزالوا بأدين منذ الدولة العباسية ، وكانوا أحياء ناجعة بمجالاتهم من قفر الحجاز بنجد . فبنو سُليم مما يلي المدينة ، وبنو هِلال في جبل غُزوان عند الطائف . وربما كانوا يطوفون [1] رحلة الصيف والشتاء اطراف العراق والشام ، فيغيرون على الضواحي ويفسدون السابلة ، ويقطعون على الرفاق وربما أغار بنو سُليم على الحاج أيام الموسم بمكة وأيام الزيارة بالمدينة . وما زالت البعوث تُجهَّز والكتائب

(١) كذا وفي ت : يطرقون

تكتب من باب الخلافة ببغداد للإيقاع بهم وصون الحاج من معرّات هجومهم . ثم تحيز بنو سُليم والكثير من ربيعة بن عامر الى القرامطة عند ظهورهم ، وصاروا جنداً لهم بالبحرين وعُمان .

ولما تغلّب شيعة ابن عبيد الله المهدي على مصر والشام ، وكان القرامطة قد تغلبوا على أمصار الشام فانتزعها العزيز منهم وغلبهم عليها وردّهم على أعقابهم الى قرارهم بالبحرين ونقل أشياعهم من العرب من بني هلال وسُلَيم فانزلهم بالصعيد ، وفي العدوة الشرقية من بحر النيل فاقاموا هنالك ، وكان لهم اضرار بالبلاد . ولما انساق ملك صنهاجة بالقيروان الى المعزّ بن باديس بن المنصور سنة ثمان وأربعمائة قلّده الظاهر لدين الله عليّ بن الحاكم بأمر الله منصور بن العزيز بالله نزار بن المعزّ لدين الله معدّ أمر افريقية على عادة آبائه كما نذكره لك بعد ، وكان لعهد ولايته غلاماً يفعة ابن ثمان سنين ، فلم يكن مجرّباً للامور ولا بصيراً بالسياسة ، ولا كانت فيه عزة وأنفة .

ثم هلك الظاهر سنة سبع وعشرين وولي المستنصر بالله معد الطويل أمر الخلافة بما لم ينله أحد من خلفاء الاسلام . يقال ولي خمساً وسبعين وقيل خمساً وتسعين ، والصحيح ثلاث وسبعون لان مهلكه كان على رأس المائة الخامسة ، وكانت أذن المعز بن باديس صاغية الى مذاهب أهل السنة ، وربما كانت شواهدها تظهر عليه ، وكبا به فرسه في أوّل ولايته لبعض مذاهبه . فنادى

مستغيثاً بالشيخين أبي بكر وعمر ، وسمعته العامّة فثاروا بالرافضة وقتلوهم وأعلنوا بالمعتقد الحق ، ونادوا بشعار الايمان وقطعوا من الأذان حيّ على خير العمل . وأغضى عنه الظاهر من ذلك وابنه معد المستنصر من بعده . واعتذر بالعامة فقبل واستمر على اقامة الدعوة والمهاداة ، وفي اثناء ذلك يكاتب وزيرهما وحاجب دولتهما المضطلع بأمورهما أبا القاسم أحمد بن علي الجرجاني [1] ويستميله ويعرّض ببني عُبَيْد وشيعتهم . وكان الجرجاني يلقب بالاقطع ، بما كان أقطعه الحاكم بجناية ظهرت عليه في الاعمال ، وانتهضته السيدة بنت الملك [2] عمة المستنصر .

فلما ماتت استبد بالدولة سنة أربع عشرة وأربعمائة الى أن هلك سنة ست وثلاثين ، وولي الوزارة بعده أبو محمد الحسن بن علي اليازوري أصله من قرى فلسطين وكان أبوه ملاحاً بها . فلما ولي الوزارة خاطبه أهل الجهات ، ولم يولوه فأنف من ذلك فعظم عليه وحنق عليه ثمال بن صالح صاحب حلب والمعز بن باديس صاحب افريقية ، وانحرفوا عنه ، وحلف المعزّ لينقضن طاعتهم ، وليحوّلنّ الدعوة الى بني عباس ويمحونّ اسم بني عُبَيد من منابره ولج في ذلك وقطع أسماءهم من الطراز والرايات ، وبايع القائم أبا جعفر بن القادر من خلفاء بني العباس ، وخاطبه ودعا له على

(١) كذا ، وفي ت : الجرجرائي

(٢) كذا ، وفي ت : وانهضته السيدة ست الملك .

منابره سنة سبع وثلاثين ، وبعث بالبيعة الى بغداد .

ووصله أبو الفضل البغدادي وحظي من الخليفة بالتقليد والخلع ، وقرىء كتابه بجامع القيروان ، ونشرت الرايات السود وهُدمت دار الاسماعيليّة . وبلغ الخبر الى المستنصر معدّ الخليفة بالقاهرة ، والى الشيعة الرافِضة من كُتامَة وصنائع الدولة فوجموا وطلع عليهم المقيم المقعد من ذلك وارتبكوا في أمرهم . وكان أحياء هلال ، هؤلاء الاحياء من جشم والأثبج وزغبَة ورياح ورَبيعَة وعُدي في محلاتهم بالصعيد كما قدمناه . وقد عمّ ضررهم وأحرق البلاد والدولة شررهم ، فأشار الوزير أبو محمد الحسن بن علي اليازوري باصطناعهم والتقدم لشايخهم[1] وتوليتهم أعمال افريقية وتقليدهم أمرها ودفعهم الى حرب صِنهاجَة ليكونوا عند نصر الشيعة والسبب في الدفاع عن الدولة . فان صدقت المخيلة في ظفرهم بالمعز وصنهاجَة كانوا أولياء للدعوة وعمالاً بتلك القاصية . وارتفع عدوانهم من ساحة الخلافة ؛ وان كانت الاخرى فلها ما بعدها .

وأمر العرب البادية أسهل من أمر صنهاجة الملوك فتغلبوا على هديه وشورانه[2] . وقيل انّ الذي أشار بذلك وفعله وأدخل العرب الى أفريقية انما هو أبو القاسم الجرجانيّ ، وليس ذلك

(١) كذا ، وفي ت : واستقدام مشايخهم .
(٢) كذا ، وفي ت : فتقبلوا رأيه وشكروا هدايته .

بصحيح ، فبعث المستنصر وزيره على هؤلاء الاحياء سنة احدى وأربعين ، وأرضخ لامرائهم في العطاء ووصل عامتهم بعير ودينار لكلّ واحد منهم ، وأباح لهم اجازة النيل . وقال لهم : قد اعطيتكم المغرب ، ومُلْكَ المعز بن بلكين [1] الصنهاجي العبد الآبق فلا تفتقرون ، وكتب اليازوري الى المغرب : أمّا بعد فقد أنفذنا إليكم خيولاً فحولا ، وارسلنا عليها رجالاً كهولاً ، ليقضي الله أمراً كان مفعولا ، فطمعت العرب إذ ذاك وأجازوا النيل الى بَرْقة ، ونزلوا بها وافتتحوا أمصارها واستباحوها ، وكتبوا لاخوانهم بشرقيّ النيل يرغّبونهم في البلاد ، فأجازوا اليهم بعد أن أعطوا لكل رأس دينارين [2] فأخذ منهم أضعاف ما اخذوه ، وتقارعوا على البلاد : فحصل لسُليم الشرق ولهلال الغرب وخرّبوا المدينة الحمراء وأوجدابية واسمرا وسرت .

وأقامت هيب من سُليم واحلافها رُواحة وناصرة وغمرة بأرض بَرْقة . وسارت قبائل دياب وعوف وزُغب وجميع بطون هِلال الى افريقية كالجراد المنتشر ، لا يمرّون بشيء إلّا أتوا عليه ، حتى وصلوا الى افريقية سنة ثلاث وأربعين . وكان أوّل من وصل اليهم أمير رياح مؤنس بن يحيى الصنبري فاستماله المعز واستدعاه واستخلصه لنفسه وأصهر اليه . وفاوضه في استدعاء

(١) كذا ، وفي ت : بن باديس .

(٢) كذا ، وفي ت : بعد ان اعطوا ديناراً عن كل رأس .

العرب من قاصية وطنه للاستغلاظ على نواحي بني عمه . فاستنفر القرى وأتى عليهم فاستدعاهم فعاثوا في البلاد وأظهروا الفساد في الارض ، ونادوا بشعار الخليفة المُستَنصِر . وسرّح اليهم من صِنْهاجَة الاولياء فاوقعوا بها فتمخط [١] المعزّ لكبره وأشاط بغضبه ، وتقبض على أخي مؤنس وعسكر بظاهر القيروان . وبعث بالصَريخ الى ابن عمه صاحب القلعة القائد بن حامد [٢] بن بُلُكّين ، فكتّب اليه كتيبة من ألف فارس سرّحهم اليه واستنفروا زَناتَة فوصل اليه المستنصر بن خزرون المغراوي في ألف فارس من قومه .

وكان بالبدو من افريقية مع الناجمة من زَناتَة وهو من أعظم ساداتهم . وارتحل المعزّ في اولئك النفر ومن لفّ لفهم من الاتباع والحشم والأولياء ومن في ايالتهم من بقايا عرب الفتح وحشد زَناتَة ، والبَربَر ، وصمد نحوهم في أمم لا تحصى يناهز عددهم فيما يذكر ثلاثين الفاً . وكانت رياح وزِغْبَة وعُدَيّ حيدران من جهة فاس [٣] . ولما تراحف الفريقان انخذل بقية عرب الفَتح وتحيزوا إلى الهلاليين للعصبيه القديمة ، وخانته زناتة وصنهاجة ، وكانت الهزيمة على المعزّ ، وفر بنفسه وخاصته الى القيروان . وانتهبت العرب جميع مخلفه من المال والمتاع والذخيرة والفساطيط

(١) كذا ، وفي ت : فتخمط .

(٢) كذا ، وفي ت : حماد .

(٣) كذا وفي ت : وعدي بقبلي حيدران من جهة قابس .

والرايات وقتلوا فيها من البشر ما لا يحصى . يقال ان القتلى من صِنْهاَجة بلغوا ثلاثة آلاف وثلثمائة . وفي ذلك يقول علي بن رزق الرياحيّ كاتبه . ويقال انها لابن شداد وأولها :

لقد زار وهنـاً من أُمَيمَ خَيالُ وَأَيدي المطايا بالزَّمِيـل عجالُ
وانَّ ابن باديسٍ لأَفضَل مالِكٍ لعمري ، ولـكن ما لديه رجالُ
ثلاثون ألفا منهم قـد هزمتهم ثلاثـة آلاف وذاك ضـلال

ثم نازلوه بالقيروان وطال عليـه أمر الحصـار ، وهلكت الضواحي والقرى بافساد العرب وعيثهم ، وانتقام السلطان منهم بانتمائهم في ولاية العرب . ولجأ الناس الى القيروان وكـثر النهب واشتد الحصار ، وفرّ أهل القيروان الى تونس وسوسه وعم النهب والعيث في البلاد [1] . ودخلت تلـك الارض [2] سنـة خمس وأربعين وأحاطت زغبة ورياح بالقيروان . ونزل مؤنس قريباً من ساحة البلد . وفر القرابة والأعياص من آل زير فولّاهم موسى قابُس وغيرها . ثم ملكوا بلاد قسطنطينة [3] كلهـا وغزا عامل ابن أبي الغيث منهم : زناتة ومغراوة فاستباحهم ورجع .

واقتسمت العرب بلاد افريقيـة سنة ست وأربعين : وكان لزِغْبَة طرابلس وما يليها ، ولمرداس بن رياح باَجة وما يليها . ثم

(١) كذا ، وفي ت : وعم النهب والعيث بلاد افريقية .
(٢) كذا ، وفي ت : ودخلت بلد الاربض وأبة .
(٣) كذا ، وفي ت : قسطيلية ، وغزا عابد بن ابي الغيث .

اقتسموا البلاد ثانية فكان لهلال من تونس [١] الى الغرب وهم: رياح وزغبة والمعقل وجشم وقرّة والأثبج والخلط وسفيان. وتصرّم الملك من يد المعز، وتغلب عائذ بن أبي [٢] الغيث على مدينة تونس وسباها. وملك أبو مسعود من شيوخهم بونة صلحاً. وعامل المعز على خلاص نفسه، وصاهر ببناته ثلاثة من أمراء العرب: فارس بن أبي الغيث وأخاه عائذاً، والفضل ابن أبي علي المرادي [٣].

وقدم ابنه تميم الى المهديّة سنة ثمان وأربعين ولسنة تسع بعدها بعث إلى أصهاره من العرب وترّحم [٤] بهم ولحق بهم بالقيروان، واتبعوه فركب البحر من الساحل، وأصلح أهل القيروان فأخبرهم ابنه المنصور بخبر أبيه فساروا بالسودان والمنصور. وجاء العرب فدخلوا البلد واستباحوه، واكتسحوا المكاسب وخرّبوا المباني وعاثوا في محاسنها، وطمسوا من الحسن والرونق معالمها. واستصفوا ما كان لآل بُلكّين في قصورها، وشملوا بالعيث والنهب سائر من فيها وتفرّق اهلها في الاقطار فعظمت الرزيّة، وانتشر [٥] الداء وأعضل الخطب. ثم ارتحلوا

(١) كذا وفي ت: من قابس.
(٢) كذا، وفي ت: عابد.
(٣) كذا، وفي ت: المرداسي.
(٤) كذا، وفي ت: وتذمم بهم.
(٥) كذا، وفي ت: واستشرى.

الى المهدية فنزلوها وضيقوا عليها بمنع المرافق وافساد السابلة .

ثم حاربوا زناتة بعد صنهاجة وغلبوهم على الضواحي ، واتصلتِ الفتنة بينهم ، وأغزاهم صاحب تِلِمْسان من أعقاب محمد بن خزر جيوشه مع وزيره أبي سعدى خليفة اليفرني فهزموه ، وقتلوه بعد حروب طويلة . واضطرب أمر افريقيَّة وخرب عمرانها وفسدت سابلتها . وكانت رياسة الضواحي من زناتة والبَرْبَر لبني يفرن ومِغْرَاوَة وبني يمانوا وبني يلومان . ولم يزل هذا دأْب العرب وزناتة حتى غلبوا صنهاجة وزناتة على ضواحي افريقية والزاب ، وغلبوا عليها صنهاجة وقهروا من بها من البربر ، وأصاروهم عبيداً وخدماً بباجة[1] . وكان في هؤلاء العرب لعهد دخولهم افريقية رجالات مذكورون .

وكان من أشرفهم حسن بن سرحان وأخوه بدر وفضل بن ناهض ، وينسبون هؤلاء في دريد بن الأُثْبُج وماضي بن مُقرِّب وينسبونه في قرة ، وسلامة بن رزق في بني كُثِّير من بطون كرفة بن الأُثْبُج وشبان بن الأَحْيِمر وأخوه صُلَيْصِل ، وينسبونهم في بني عطية من كرفة ، وذياب ابن غانم وينسبونه في بني ثور ، وموسى بن يحيى وينسبونه في مِرْداس رياح لا مرداس سُلَيم ، فاحذر من الغلط في هذا . وهو من بني صنبر بطن من بطون مرداس رياح ، وزيد بن زيدان وينسبونه في الضحَّاك ، ومليحان بن

(١) كذا ، وفي ت : عبيداً وخولا للجباية .

عبّاس وينسبونه في حِمْيَر ، وزيد العِجَاج بن فاضل ويزعمون انه مات بالحجاز قبيل دخولهم الى افريقية ، وفارس بن أَبي الغيث وعامر أَخوه ، والفضل بن أَبي عليّ ونسبهم أَهل الاخبار منهم في مِرْدَاس كل هؤلاء يذكرون في أَشمارهم .

وكان زياد بن عامر رائدهم في دخول افريقية [١] ويسمونه لذلك ابا مخيبر وشعوبهم لذلك العهد كما قلناة زغبة ورياح الأُثْبُجْ وقرّة وكلهم من هلال بن عامر . وربما ذكر فيهم بنوعُدَيّ ، ولم نقف على اخبارهم ، وليس لهم لهذا العهد حيّ معروف . فلعلهم دثروا وتلاشوا وافترقوا في القبائل . وكذلك ذكر فيهم ربيعة ، ولم نعرفهم لهـذا العهد الا أَن يكونوا هم المعقـل كما تراه في نسبهم . وكان فيهم من غير هلال كثير من فِزَارَة وأَشجع من بطون غَطَفَان وجَشَم بن معاوية بن بكر بن هوازِن وسلول بن مرّة تن صَعْصَعَة بن معاوية ، والمعقل من بطون اليمنيَّة ، وعمرة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، وبني ثور بن معاوية بن عبادة بن ربيعة البـكَّاء بن عامر بن صعصعة ، وعـدوان بن عمرو بن قيس ابن عِيـلَان . وطرود بطن من فهم بن قيس ، إلّا أنهم كلهم مندرجون في هِلال وفي الاثبج منهم خصوصاً ، لانّ الرياسة كانت عند دخولهم للأثبج وهلال فأدخلوا فيهم وصاروا مندرجين في جملتهم . وفرقة من هؤلاء الهلاليين لم يكونوا من

«١» كذا ، وفي ت : وكان ذياب بن غانم رائدهم في دخول افريقية .

الذين أجازوا الفيل لعهد اليازوري أو الجرجاني . وإنّما كانوا من قبل ذلك بِبَرقَة أيام الحاكم العُبَيْدِي ، ولهم فيها اخبار مع الصِنهاجيين ببرقة والشيعة بمصر خطوب ، ونسبهم الى عبد مناف ابن هلال كما ذكر شاعرهم في قوله :

طلبنا القرب منهم وجزيل منهم　　بلا عيبٍ من عرب سحاح جمودها
وبيت عرت أمره منا وبينها　　طرود انكاد اللي يكودها
ماتت ثلاث آلاف مرّة واربعه　　بحرمه منا تداوي كبودها

وقال الآخر منهم :

أيا رب جير الخلق من نائح البلا　　الا القليل انجار ما لا يجيرها
وخص بها قرة مناف وعينها　　ديما لارياد البوادي تشيرها[1]

فذكر نسبهم في مناف ، وليس في هلال . مناف هكذا منفرداً إنّما هو عبد مناف والله تعالى أعلم . وكان شيخهم أيام الحاكم مختار بن القاسم . ولما بعث الحاكم يحيى بن علي الأندلسي لصريخ فلفول بن سعيد بن خزروك بطرابلس على صِنهاجة كما نذكره في اخبار بني خزروك ، أوعز لهم في السير معه فوصلوا

---

(١) كذا وردت هذه الابيات في الأصل ، وفي النسخة التونسية :

طلبنا الغفر منهم وجدناه عندهم　　فلا عيب من عرب سجاح جهودها
وبت عن ذا قرة مناف وشبهها　　طراد كدانا نحن من لا يكودها
ماتت ثلاثة آلاف قرة ومن بقي　　بجرحة منا تداوي كبودها

وقال آخر :

أيا رب جير الخلق من نابح البلا　　إلا القبيل الخارسا لا تجيرها
وخص بها قرة مناف ونسبها　　ديما لأرياء البوادي تشيرها

الى طرابلس وجرّوا الهزيمة على يحيى بن علي ، ورجعوا الى برقة . وبعث عنهم فامتنعوا ، ثم بعث لهم بالامان ، ووصل وفدهم الى الاسكندرية فقتلوا عن آخرهم سنة أربع وتسعين وثلثمائة . وكان عندهم معلم للقرآن اسمه الوليد بن هشام ينسب الى المغيرة بن عبد الرحمن من بني أمية وكان يزعم ان لديه اثارة من علم في احتياز ملك آبائه ، وقبل ذلك منه البرابرة من مَزاتَة وزَناتَة ولِواتَة . وتحدثوا بشأنه فنصبه بنو قرّة وبايعوه بالخلافة سنة خمس وتسعين ، وتغلبوا على مدينة بَرْقَة . وزحف اليهم جيوش الحاكم فهزموها ، وقتل الوليد بن هشام قائدها من الترك .

ثم زحفوا به الى مصر فانهزموا ولحق الوليد بأرض النجاء من بلاد السودان . ثم أخفرت ذمّته وسيق الى مصر وقتل ، وهدرت لبني قرّة جنايتهم هذه وعفا عنهم . ولما كانت سنة اثنتين وأربعمائة اعترضوا هدية بادِيس بن المنصور ملك صنهاجة من افريقية الى مصر فأخذوها ، وزحفوا الى برقة فغلبوا العامل عليها ، وفرّ في البحر ، واستولوا على برقة . ولم يزل هذا شأنهم ببرقة . فلمّا زحف اخوانهم الهلاليُّون من زغبَةَ ورياح والأُثْبُج واتباعهم الى افريقية ، كانوا ممن زحف معهم . وكان من شيوخهم ماضي بن مُقَرِّب المذكور في اخبار هلال .

ولهؤلاء الهلاليين في الحكاية عن دخولهم الى افريقية طرق

في الخبر غريبة : يزعمون ان الشريف بن هاشم كان صاحب الحجاز ويسمونه شكر بن أبي الفتوح ، وأنه أصهر الى الحسن ابن سرحان في أخته الجازية فانكحه اياها ، وولدت منه ولداً اسمه محمد . وأنه حدث بينهم وبين الشريف مغاضبة وفتنة ، وأجمعوا الرحلة عن نجد الى افريقية . وتحيّلوا عليه في استرجاع هذه الجازية فطلبته في زيارة أبويها فأزارها إياهم ، وخرج بها الى حللهم فارتحلوا به وبها . وكتموا رحلتها عنه ، وموّهوا عليه بانهم يباكرون به للصيد والقنص ويروحون به الى بيوتهم بعد بنائها فلم يشعر بالرحلة الى أن فارق موضع ملكه ، وصار الى حيث لا يملك أمرها عليهم ففارقوه ، فرجع الى مكانه من مكة ، وبين جوانحه من حبها داء دخيل ، وانها من بعد ذلك كلفت به مثل كلفه الى ان ماتت من حبه .

ويتناقلون من اخبارها في ذلك ما يعفى عن خبر قيس وكثير [1] ، ويروون كثيراً من اشعارها محكمة المباني متفقة الاطراف ، وفيها المطبوع والمنتحل والمصنوع ، لم يفقد فيها من البلاغة شيء وانما أخلوا فيها بالاعراب فقط ، ولا مدخل له في البلاغة كما قررناه لك في الكتاب الاول من كتابنا هذا .

(١) بهامش نسخة ما نصه : قصة أبي زيد التي تحكى في قهاوي مصر أصلها هذه الواقعة ، كما أشار لذلك المؤلف . وكثيراً ما كنت أتطلب لها أصلا في التواريخ فلم أجده الا في هذا المحل ، فرحم الله المؤلف فلقد بين أصولا كثيرة يحتاج اليها كل ناظر في فن التاريخ . كتبه حسن العطار اهـ .

إلا انّ الخاصة من أهل العلم بالمدن يزهدون في روايتها ويستنكفون عنها لما فيها من خلل الاعراب ، ويحسبون ان الاعراب هو أصل البلاغة ؛ وليس كذلك . وفي هذه الاشعار كثير دخلته الصنعة ، وفقدت فيه صحة الرواية فلذلك لا يوثق به . ولو صحّت روايته لكانت فيه شواهد بأيّامهم ووقائعهم مع زَنَاتَة وحروبهم ؛ وضبط لاسماء رجالاتهم وكثير من أحوالهم . لكننا لا نثق بروايتها . وربما يشعر البصير بالبلاغة بالمصنوع منها ويتهمه ، وهذا قصارى الامر فيه . وهم متفقون على الخبر عن حال هذه الجازية والشريف خلفاً عن سلف وجيلًا عن جيل . ويكاد القادح فيها والمستريب في أمرها أن يرمى عندهم بالجنون والخلل المفرط لتواترها بينهم . وهذا الشريف الذي يشيرون إليه هو من الهواشم ، وهو شكر بن أبي الفتوح الحسن بن أبي جعفر بن هاشم محمد بن موسى بن عبد الله أبي الكرام بن موسى الجون بن عبد الله بن ادريس وأبوه أبو الفتوح هو الذي خطب لنفسه بمكة أيام الحاكم العُبَيدي ، وبايع له بنو الجرّاح امراء طيىء بالشام وبعثوا عنه فوصل الى احيائهم ، وبايع له كافة العرب . ثم غلبتهم عساكر الحاكم العُبَيدي ورجع الى مكة ، وهلك سنة ثلاثين وأربعمائة فولي بعده ابنه شكر هذا ، وهلك سنة ثلاث وخمسين ، وولي ابنه محمد الذي يزعم هؤلاء الهلاليّون أنه من الجازية هذه . وتقدم ذلك في اخبار العلوية هكذا نسبه

ابن حزم .

وقال ابن سعيد : هو من السُلَيْمانِيّين من ولد محمد بن سليمان ابن داود بن حسن بن الحسين السبط الذي بايع له أبو الزاب [١] الشيباني بعد ابن طباطبا ، ويسمى الناهض . ولحق بالمدينة فاستولى على الحجاز واستقرّت امارة مكة في بيته الى ان غلبهم عليها هؤلاء الهواشم . جداً قريباً من الحسن والحسين [٢] . واما هاشم الأعلى فشترك بين سائر الشرفاء ، فلا يكون مميزاً لبعضهم عن بعض . وأخبرني من أثق به من الهلاليين لهذا العهد انه وقف على بلاد الشريف شكر ، وانها بقعة من أرض نجد مما يلي الفُرات ، وانّ ولده بها لهذا العهد والله أعلم .

ومن مزاعمهم انّ الجازية لما صارت الى افريقية وفارقت الشريف خلفه عليها منهم ماضي بن مقرِّب [٣] من رجالات دُرَيْد وكان المُستَنصِر لما بعثهم الى افريقية عقد لرجالاتهم على أمصارها وثغورها وقلّدهم أعمالها ، فعقد لموسى بن يحيى المرداسي على القيروان وباجة ، وعقد لزِغْبَة على طرابلس وقابس ، وعقد لحسن

(١) كذا ، وفي ت : أبو السرايا

(٢) كذا ، وهنا عبارة ناقصة ، وفي ت : وما ذكره ابن حزم أصح ، لانهم جميعاً يقولون فيه الشريف ابن هاشم يميزونه بذلك عن سائر الشرفاء . ولا يصح ذلك إلا أن يكون هاشم أو ابو هاشم جداً قريباً من الحسن والحسين .

(٣) في نسخة : مغرب

ابن سرحان على قُسَطَنْطِينَة . فلما غلبوا صنهاجة على الأمصار، وملك كل ما عقد له سيمت الرعايا بالامصار عسفهم وعيثهم باختلاف الأيدي ، إذ الوازع مفقود من أهل هذا الجيل العربي مذ كانوا فثاروا بهم وأخرجوهم من الأمصار ، وصاروا الى ملك الضواحي والتغلب عليها ، وسيم الرعايا بالخسف في النهب والعيث وافساد السابلة ، هكذا الى هلمّ .

ولما غلبوا صِنْهَاجة اجتهد زَنَاتة في مدافعتهم بما كانوا أملك للبأس والنجدة بالبداوة فحاربوهم وزحفوا اليهم من افريقية والمغرب الأوسط . وجهَّز صاحب تِلِمْسان من بني خزر قائده أبا سعدى اليفرني فكانت بينهم وبينه حروب الى ان قتلوه بنواحي الزاب ، وتغلبوا على الضواحي في كل وجه . وعجزت زناتة عن مدافعتهم بافريقية والزاب . وصار الملتحم بينهم في الضواحي بجبل راشد ، ومصاب من بلاد المغرب الأوسط . فلما استقر لهم الغلب وضعت الحرب أوزارها ، وصالحهم الصِنهاجِيُّون على خطة خسف في انفرادهم بملك الضواحي دونهم ، وصاروا الى التفريق بينهم ، وظاهروا الأثْبُج على رياح وزِغْبَة ، وحشد الناصر بن علناس صاحب القلعة لمظاهرتهم وجمع زناتة .

وكان فيهم المعزُّ بن زيري صاحب فاس من مِغْرَاوَة ونزلوا الأربس جميعاً . ولقيهم رياح وزغبة بسببه .

ومكر المعز بن زيري المغراوي بالناصر وصنهاجة بدسيسة

زعموا من تميم بن المعز بن باديس صاحب القيروان ، فجر عليهم الهزيمة واستباحت العرب وزناتة خزائن الناصر ومضاربه . وقتل اخوه القاسم ونجا الى قسطنطينة ورياح في اتباعه . ثم لحق بالقلعة فنازلوها وخربوا جنباتها واحبطوا عروشها ، وعاجوا على ما هنالك من الأمصار مثل طبنة والمسيلة فخربوها وازعجوا ساكنيها ، وعطفوا على المنازل والقرى والضياع والمدن فتركوها قاعاً صفصفاً أقفر من بلاد الجنّ ، وأوحش من جوف العير وغوّروا المياه واحتطبوا الشجر ، وأظهروا في الارض الفساد ، وهجروا ملوك افريقية والمغرب من صنهاجة وولاة أعمالهم في الأمصار ، وملكوا عليهم الضواحي يتحيّفون جوانبهم ويقعدون لهم بالمراصد ، ويأخذون لهم الاتاوة على التصرف في أوطانهم .

ولم يزل هذا دأبهم حتى لقد هجر الناصر بن عِلْنَاس سكنى القلعة ، واختطّ بالساحل مدينة بجاية ، ونقل اليها ذخيرته وأعدها لنزله . ونزلها المنصور ابنه من بعده فراراً من ضيم هذا الجيل وفسادهم بالضواحي الى منعة الجبال وتوعر مسالكها على رواحلهم . واستقروا بها بعد ، وتركوا القلعة . وكانوا يختصون الأثْبُج من هؤلاء الاحياء بالرئاسة سائر أيامهم . ثم افترق جمع الأثبج وذهبت بذهاب صِنْهَاجة دولتهم . ولما غلب الموحدون سائر الدول بالمغرب في سني احدى وأربعين وخمسمائة ، وزحف شيخ الموحدين عبد المؤمن الى افريقية وفد عليه بالجزائر أميران منهم لذلك

العهد أبو الجليل بن شاكر أمير الاثبج وحبّاس بن مُشَيفِر من رجالات جَشْم فتلقاهما بالمبرة ، وعقد لهما على قومهما ومضى لوجهه . وفتح بجاية سنة تسع وخمسين .

ثم انتقض العرب الهلاليون واعصوصبوا على دعوة صنهاجة وكان أمير رياح فيهم مِحْرز بن زَنَادَ بن باذخ [١] احدى بطون بني علي بن رياح ، فلقيتهم جيوش الموَحّدين بسطيف ، وعليهم عبد الله بن المؤمن فتواقفوا ثلاثاً علقوا فيها رواحلهم ، وأثبتوا في مستنقع الموت أقدامهم ، ثم انتقض في الرابعة جمعهم واستلحمهم الموحدون وغلبوا عليهم ، وغنموا أموالهم وأسروا رجالهم وسبوا نساءهم واتبعوا أدبارهم الى فحص سبتة ثم راجعوا من بعد ذلك بصائرهم واستكانوا لعز الموحدين وغلبهم فدخلوا في دعوتهم وتمسكوا بطاعتهم ، وأطلق عبد المؤمن اسراهم ولم يزالوا على استقامتهم ، ولم يزل الموحدون يستنفرونهم في جهادهم بالاندلس وربما بعثوا اليهم في ذلك المخاطبات الشعرية فأجازوا مع عبد المؤمن ويوسف ابنه كما هو في اخبار دولتهم . ولم يزالوا في استقامتهم الى أن خرج عن الدولة بنو غانية المسوّفيون أمراء ميورقة ، أجازوا البحر في أساطيلهم الى بجاية فكبسوها سنة احدى وثمانين وخمسمائة لاوّل دولة المنصور ، وكشفوا القناع في نقض طاعة الموحدين ودعوا العرب بها فعادت هيف إلى أديانها .

(١) كذا ، وفي ت : محرز بن زياد بن فادغ

وكانت قبائل جَشم ورياح وجمهور الأثبجُ من هؤلاء الهلاليين أسرع اجابة اليها . ولما تحركت جيوش الموحدين الى افريقية لكف عدوانهم تحيزت قبائل زغبة اليهم وكانوا في جملتهم ولحق بنو غانية بفاس ومعهم كافة جشم ورياح ، ولحق بهم جل قومهم من مسوفة واخوانهم لمتونة من اطراف البقاع ، واستمسكوا بالدعوة العباسية التي كان أمراؤهم بنو تاشفين بالمغرب يتمسكون بها فاقاموها فيمن اليهم من القبائل والمسالك ونزلوا بفاس .

وطلبوا من الخليفة ببغداد المُستَنصِر تجديد العهد لهم بذلك وأوفدوا عليه كاتبهم عبد البرن فرسان ، فعقد لابن غانية وأذن له في حرب الموحدين . واجتمعت اليه قبائل بني سُلَيم بن منصور ، وكانوا جاؤا على اثر الهلاليين عند اجازتهم الى افريقية . وظاهره على أمره ذلك قراقوش الأرمني . ونذكر أخباره في أخبار الميورقي . فاجتمع لعلي بن غانيـة من الملثمين والعرب والعجم عساكر جمة ، وغلب الضواحي وافتتح بلاد الجريد ، وملك قفصَة وتوزر ونَفطَة . ونهض اليه المنصور من مراكش يجرّ أمم المغرب من زَناتَة والمصامدة وزغبة من الهلاليّين وجمهور الأثبُج ، فأوقعوا بمقدّمته بفحص عمرة من جهات قفصَة . ثم زحف اليهم من تونس فكانت الكرة عليهم وفلّ جمعهم واتبع آثارهم الى ان شرّدهم الى صحاري بَرقَة ، وانتزع بلاد قسطيلية وقابس

وقفصة من أيديهم . وراجعت قبائل جَشْم ورياح من الهلاليين طاعته ولاذوا بدعوته فنفاهم الى المغرب الاقصى . وأنزل جشم ببلاد تامستا ، ورياحاً ببلاد الهبط ، وأزغار مما يلي سواحل طَنجَة الى سلا .

وكانت تخوم بلاد زناتة منذ غلبهم الهلاليُّون على افريقية وضواحيها أرض مصاب ما بين صحراء افريقية وصحراء المغرب الأوسط ، وبها قصور اتخذوها فسميت باسم من ولي خطتها من شعوبهم . وكان بنو بادين وزناتة وهم بنو عبد الواد وتوجين ومصاب وبنو زردال وبنو راشد شيعة للموحدين منذ اول دولتهم ، فكانوا أقرب اليهم من أمثالهم بنو مرين وأنظارهم كما يأتي . وكانوا يتولون من ارياف المغرب الأوسط وتلوله ما ليس يليه أحد من زناتة ، ويجوسون خلاله في رحلة الصيف بما لم يؤذن لأحد ممن سواهم في مثله ، حتى كأنهم من جملة عساكر الموحدين وحاميتهم . وأمرهم إذ ذاك راجع الى صاحب تلمسان من سادة القرابة ونزل هذا الحي من زغبَة مع بني بادين هؤلاء لما اعتزلوا اخوانهم الهلاليين وتحيّزوا الى فئتهم ، وصاروا جميعاً قبلة المغرب الأوسط من مصاب الى جبل راشد ، بعد ان كانت قسمتهم الأولى بقابُس وطرابلس .

وكانت لهم حروب مع أولاد خزرون أصحاب طرابلس . وقتلوا سعيد بن خزرون فصاروا الى هذا الوطن الآخر لفتنة ابن

غانية ، وانحرافهم عنه الى الموحدين . وانعقد ما بينهم وبين بني بادين حلف على الجوار والذب عن الاوطـان وحمايتها من معرة العدّو في اهتبال غرّتها وانتهاز الفرصة فيها . فتعاقدوا على ذلك واجتوروا وأقامت زِغْبَة في القفار وبنو بادين بالتلول والضواحي . ثم فرّ مسعود بن سلطان بن زِمام أمير الرِياحِيّين من بلاد الهبط ، ولحق ببلاد طرابلس ونزل على زغبة وذياب من قبائل بني سُليم . ووصل الى قرَاقِش بن رياح وحصر معه طرابلس حين افتتحها ، وهلك هنالك . وقام الى الميروني ولحق ولقيه بالحمة فهزمـه (١) وقتل الكثير من قومه .

وانهزمت طائفة من قوم محمد بن مسعود منهم : ابنه عبد الله وابن عمه حركات بن أبي الشيخ بن عساكر بن سلطـان ، وشيخ من شيوخ قرة فضرب أعناقهم . وفر يحيى بن غانية الى مسقطه من الصحراء . واستمرت على ذلك أحوال هذه القبائل من هلال وسُلَيم واتباعها . ونحن الآن نذكر أخبارهم ومصائر أمورهم ونعدّدهم فرقة فرقة . ونخص منهم بالذكر من كان لهذا العهد بحيه وناجعته ، ونطوي ذكر من انقرض منهم . ونبدأ بذكر الأثْبج لتقدّم رياستهم أيام صنهاجـة كما ذكرناه . ثم نقفي

(١) كذا بالأصل ، عبارة ناقصة ، وكلمات محرفة . وفي النسخة التونسيه : وهلك هنالك . وقـام بأمره في قومه ابنه محمد ، ولما استبد ابو محمد عبد الواحد بن أبي حفص بولايه افريقية زحف إلى الميورقي ولقية بالحمة فهزمه

بذكر جشم لانهم معدودون فيهم . ثم نذكر رياحاً وزغبة ، ثم المعقل لانهم من عداد هلال . ثم نأتي بعدهم بذكر سُلَيم لانهم جاؤا من بعدهم والله الخلاق العليم .

الخبر عن الاثبج وبطونهم من هلال بن عامر من هذه الطبقة الرابعة

كان هؤلاء الاثبج من الهلاليّين أوفر عدداً وأكثر بطوناً ، وكان التقدم لهم في جملتهم . وكان منهم : الضَحَّاك وعِياض ومُقَدّم والعاصِم ولطيف ودُرَيد وكَرْفة وغيرهم حسبما يظهر في نسبهم . وفي دريد بطنان : توبة وعنز . ويقولون بزعمهم ان أثبج هو ابن أبي ربيعة بن نُهَيك بن هِلال . فكرفة هو ابن الأثُبج . وكان لهم جمع وقوة وكانوا أحياء غزيرة [1] من جملة الهلاليّين الداخلين لافريقية . وكانت مواطنهم حيال جبل أوراس من شرقية . ولما استقر أمر الاثبج بافريقية على غلب صنهاجة على الضواحي ووقعت الفتنة بينهم ، وذلك ان حسن بن سرحان وهو من دريد قتل شُبَّانَة بن الأُحَيمِر من كرفة غيلة ، فطوت كرفة على الهائم [2] .

ثم ان أخته الجازية غاضبت زوجها ماضي بن مقرب بن قرة ، ولحقت بأخيها فمنعها منه فاجتمعت قرة وكرفة على فتنة

(١) كذا ، وفي ت : عزيزة .
(٢) كذا ، وفي ت : على النث .

حسن وقومه ، وظاهرتهم عياض . ولم تزل الفتنة الى ان قتل حسن بن سرحان . قتله أولاد شبَّانة بن الاحيمر ، وثأروا منه بأبيهم . ثم كان الغلب بعده لدُرَيد على كرفة وعياض وقرة . واستمرت الفتنة بين هؤلاء الاثابج ، وافترق أمرهم . وجاءت دولة الموحّدين وهم على ذلك الشتات والفتنة ، وكانت لبطونهم ولاية لصِنهاجة . فلما ملك الموحدون افريقية نقلوا منهم الى المغرب العاصم ومقدماً وقرة وتوابع لهم من جشم ، وأنزلوا جميعهم بالمغرب كما نذكر .

واعتزت رياح بعهدهم بافريقية وملكوا ضواحي قُسطنطينة ورجع اليهم شيخهم مسعود بن زمام من المغرب فاعتز الدواودة على الأمراء والدول . وساء أثرهم فيها وغلبوا بقايا الأثابج فنزلوا قرى الزاب ، وقعدوا عن الطعن وأوطنوا بالقرى والآطام . ولما نبذ بنو أبي حفص العهد للدواودة كما يأتي في أخبارهم ، واستجاش عليهم بنو سُليم وأزلوهم القيروان اصطنعوا كرفة من بطون الاثابج ، فكانوا حرباً لرياح وشيعة للسلطان . وأقطعتهم الدولة لذلك جباية الجانب الشرقي من جبل أوراس وكثيراً من بلاد الزاب الشرقية ، حيث كانت محلاتهم الشتوية . حتى اذا اختل ريح الدولة ، وأخلقت جدتها واعتزت رياح عليها ، وملكوا المجالات على من يظعن فيها نزل كرفة هؤلاء

بجبل أوراس حيث اقطاعاتهم وسكنوه حللاً متفرقة واتخذوه وطناً .

وربما يظعن بعضهم الى تخوم الزاب كما نذكر عن بطونهم ، وهم بطون كثيرة ، فأولهم : بنو محمد بن كرفة ويعرفون بالكابية ، وأولاد سُهيب بن محمد بن كُلَيب ويعرفون بالشبه ، وأولاد صَبيح ابن فاضل بن محمد بن كُلَيب ويعرفون بالصبحة ، وأولاد سرحان ابن فاضل أيضاً ويعرفون بالسرحانيّة . وهؤلاء هم المودعات وهم موطنون بجبل أوراس مما يلي زاب تهود[1] . ثم اولاد ثابت بن فاضل ، وهم أهل الرياسة في كرفه . ولهم اقطاعات السلطان التي ذكرناها ، وهم ثلاثة أفخاذ : أولاد مساعد وأولاد ظافر وأولاد قطيفة . والرياسة أخص بأولاد مساعد في أولاد علي بن جابر بن فتاح بن مساعد بن ثابت .

وأمّا بنو محمد والمراونة فهم ظواعن جائلة في القفار تلقاء مواطن أولاد ثابت . ويكتالون الحبوب لأقواتهم من زروع أهل الجبل ، وأولاد ثابت . وربما يستعملهم صاحب الزاب في تصاريف أمره من عسكر وإخفار ، وغير ذلك من أغراضه . وأمّا دريد فكانوا أعزّ الأثبج وأعلاهم كعباً بما كانت الرئاسة

(١) كذا بالاصل ، عبارة ناقصة واسماء محرفة ، وفي النسخة التونسية ، واولاد شبيب ابن محمد بن كليب ويعرفون بالشبية ، واولاد صبح بن فاضل بن محمد بن كليب ويعرفون بالصبحة ، واولاد سرحان بن فاضل ايضاً ويعرفون بالسراحنه . هؤلاء هم الحدلجة رهم موطنون بجبل اوراس مما يلي زاب تهودا .

على الاثبج كلهم عند دخولهم الى افريقية لحسن بن سرحان بن وبرة احدى بطونهم ، وكانت مواطنهم ما بين بلد العناب الى قسطنطينة الى طارف مصقلة ، وما يحاذيها من القفر . وكانت بينهم وبين كرفة الفتنة التي هلك فيها حسن بن سرحان كما ذكرناه ، وقبره هنالك . وكانوا بطوناً كثيرة منهم : أولاد عطية ابن دريد وأولاد سرور بن دريد وأولاد جار الله من ولد عبد الله بن دريد . وتوبة من ولد عبد الله أيضاً ، وهو توبة بن عطاف بن جبر بن عطاف بن عبدالله ، وكانت لهم بين هلال رياسة كبيرة ، ومدحهم شعراؤهم بشعر كثير ، فمن ذلك قول بعض شعرائهم :

دريد ذات سراة البدو للجود منقع	كما كل أرض منقع الماء خيارها
تحن الى أوطان مرة ناقتي لكن معها	جملة دريد كان موارها
وهم عربوا الاعراب حتى تعربت	بنوف المعالي ما ينفي قصارها
وتركوا طريق النار برهة وقد	كان ما تقوى المطايا حجارها [1]

فأما أولا عطيّة فكانت رئاستهم في أولاد بني مبارك بن حبّاس ، وكانت لهم تلة بن حلوف من أرض قسطنطينة . ثم

(١) وردت هذه الاشعار في النسخة التونسية كما يلي :

تحن الى أوطان صبرة ناقتي	لكن ما جملة دريد حوارها
دريد سراة البدو للجود منقع	كما كل أرض منقع الما خيارها
وهم عربوا الأعراب حتى تعرفت	بطرق المعالى ما ينوفي قصارها
وتركوا طريق البارمين ثنية	وقد كان ما يقوي المطايا حجارها

دثروا وتلاشوا وغلبتهم توبة على على تلة بن حلوف زحفوا اليها من مواطنهم بطارف مصقلة فملكوها وما اليها . ثم عجزوا عن رحلة القفر وتركوا الابل واتخذوا الشاة والبقر وصاروا في عداد القبائل الغارمة ، وربما طالبهم السلطان بالمسكرة معه فيعينون له جنداً منهم ، ورياستهم في أولاد وشاح بن عطوة بن عطيّة بن كمون بن فرج بن توبة ، وفي أولاد مبارك بن عابد بن عطيّة بن عطوة ، وهم على ذلك لهذا العهد . ويجاورهم أولاد سرور وأولاد جار الله على سننهم في ذلك .

فأما أولاد وشاح فرئاستهم لهذا العهد منقسمة بين سجم بن كثير بن جماعة بن وشاح وبين أحمد بن خليفة بن رشاش بن وشاح . وأما أولاد مبارك بن عابد فرئاستهم أيضاً منقسمة بين نجاح بن محمد بن منصور بن عبيد بن مبارك ، وعبدالله بن احمد ابن عنان بن منصور ورثها عن عمه راجح بن عثمان بن منصور وأما أولاد جار الله فرئاستهم في ولد عِنان بن سلام منهم . وأما العاصم ومقدم والضحّاك وعياض فهم أولاد مشرف بن أُثْبج ، ولطيف وهو ابن سرح بن مشرف ، وكان لهم عدد وقوة بين الأثابج .

وكان العاصم ومقدم انحرفوا عن طاعة الموحدين الى ابن غانية ، فأشخصهم يعقوب المنصور الى المغرب وأنزلهم تامستا مع جشم ويأتي خبرهم ، وبقيت عياض والضحّاك بمواطنهم

بافريقية : فعياض نزلوا بجبل القلعة ، قلعة بني حمّاد ، وملكوا قبائله وغلبوهم على أمرهم ، وصاروا يتولون جبايتهم . ولما غلبت عليهم الدولة بمظاهرة رياح صاروا الى المدافعة عن تلك الرعايا وجبايتهم للسلطان . وسكنوا ذلك الجبل بطوله من المشرق الى المغرب ما بين ثنية غنية والقصّاب الى وطن بني يزيد بن زغبة . فأولهم مما يلي غنية للمهاية ، ورئاستهم في أولاد ديفل ، ومعهم بطن منهم يقال لهم الزير ، وبعدهم المرتفع والخراج من بطونهم .

فأما المرتفع فثلاثة بطون : أولاد تبان ، ورياستهم في أولاد محمد بن موسى ، وأولاد حناش ، ورياستهم في بني عبد السلام . وأولاد عبدوس ورياستهم في بني صالح . ويدعى أولاد حناش وأولاد تبان جميعاً أولاد حنّاش . وأما الخراج فرياستهم لاولاد زائدة بني عباس ابن خفير ، ويجاور الخراج من جانب الغرب أولاد صخر ، وأولاد رحمة من بطون عياض ، وهم مجاورون لبني يزيد بن زغبة في آخر وطن الأثابج من الهلاليّين .

وأمّا الضحاك فكانوا بطوناً كثيرة ، وكانت رياستهم مفترقة بين أميرين منهم وهما أبو عطيّة وكلب بن مَنيع وغلب كلب أبا عطيّة على رئاسة قبيلتها لاوّل دولة الموحدين فارتحل فيا زعموا الى المغرب ، وسكن صحراء سجلماسة ، وكانت له فيها آثار حتى قتله الموحدون أو غرّبوه الى الاندلس ، هكذا ينقل أصحاب أخبارهم . وبقي تجمعهم بالزاب حتى غلب مسعود بن زمام

والدواودة عليهم وأصاروهم في جملتهم .

ثم عجزوا عن الطعن ونزلوا بلاد الزاب واتخذوا بهـا المدن فهم على ذلك لهذا العهد . وأمّا لطيف فهم بطون كثيرة منهم ، اليتامى وهم أولاد كسلان بن خليفة بن لطيف بني ذوي مطرف وذوي أبي الخليل وذوي جـلال بن معافى . ومنهم اللقامنـة ، أولاد لقمان بن خليفة بن لطيف ومنهم : أولاد جرير بن علوان ابن محمد بن لقمان ، ونزار بن معن بن محيا بن جرى بن عـلوان، وجرير يزعمون أنهم من محيا بن جرى ، ومزنة من ديفل بن محيا ؛ واليه يرجع نسب بني مزنى الولاة بالزاب لهذا العهد .

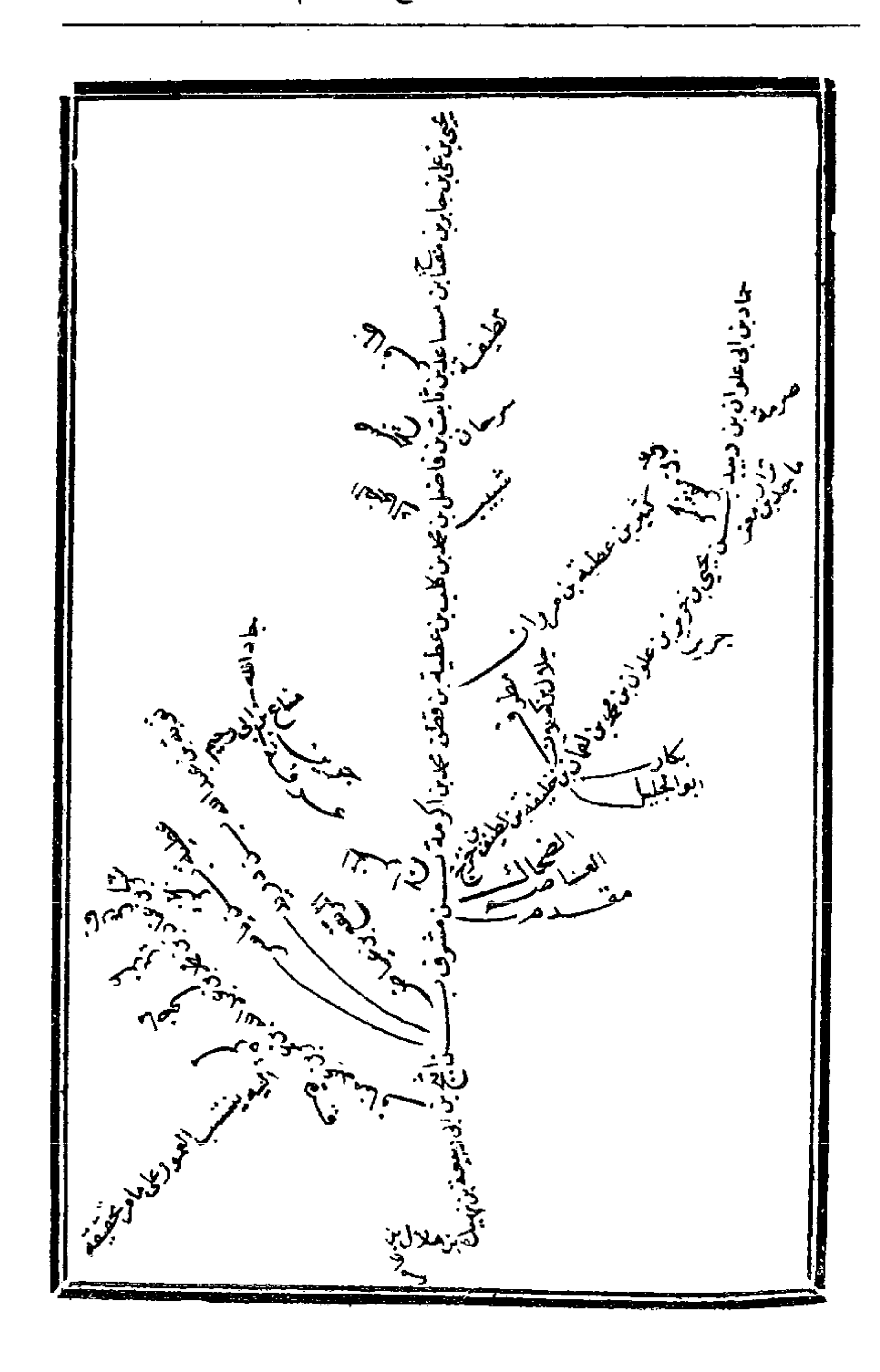
وكانت للطيف هؤلاء كثرة ونجعـة . ثم عجزوا عن الظعن وغلبهم على الضواحي الدواودة من بعدهم لما قل جمعهم وافترق ملوكهم ، وصار الي المغرب من صـار منهم من جمهـور الأثبج فاهتضموا ، وغلبهم رياح والدواودة فـنزلوا بـلاد الزاب ، واتخـذوا بها الآطـام والمدن مثل الدوسن وغربيوا وتهودة وتـومـة وبادِس . وهم لهـذا العهـد من جمـلة الرعايا الغارمة لأمير الزاب . ولهم عنجهيّـة منذ رياستهم القديمـة لم يفارقوها ، وهم على ذلك لهذا العهـد . وبينهم في قصورهم بالزاب فتن متصلة بين المتجاورين منهم وحروب وقتل . وعامل الزاب يدرأ بعضاً ببعض ، ويستوفي جبايته منهم جميعـاً والله خير الوارثين .

ويلحق بهؤلاء الاثبج العمور ، ويغلب على الظنّ أنهم من ولد عمرو بن عبد مناف بن هلال أخوة قرة بن عبد منـاف ، وليسوا من ولد عمر بن ابي ربيعة بن نَهيك بن هـلال ، لان رياحاً وزِغْبَة والأثْبُج من أَبي ربيعة ، ولا نجد بينهم انتماء بالجملة. ونجد بينهم وبين قرة وغيرهم من بطون هـلال الانتماء ، فدلّ على أنهم لعمرو بن عبد مناف ، أو يكونون من عمرو بن رويبَة ابن عبد الله بن هلال وكلهم معروف . ذكره ابن الكلبي والله أعلم بذلك . وهم بطنان : قرة وعبد الله ، وليس لهم رئاسـة على أحد من هلال ، ولا ناجمـة تظعن لقلتهم وافتراق ملتهم . انما هم ساكنون بالضواحي والجبال ، وفيهم الفرسان وأكثرهم رجالة . وموطنهم ما بين جبل أوراس شرقاً الى جبل راشد . وكان كل ذلك من ناحية الحضنة والصحراء . وأمّا التلول فهم مدفوعون عنهـا بقلتهم وخوفهم من حاميـة الدول ، فتجدهم أقرب الى موطن القفر والجدب .

فأمّا بنو قرة منهم فبطن متسع إلّا أنهم مفترقون في القبائل والمدن وحدانا . وبنو عبد الله منهم على رئاسـة فيهم وهم : عبد الله بن علي وبنوه محمد وماضي بطنان ، وولد محمد : عنان وعزيز بطنان ، وولد عنان شكر وفارس بطنان . من ولد شكر أولاد يحيى بن سعيد بن بسيط بن شكر بطن أيضاً . فأمّا أولاد فارس وأولاد عزيز وأولاد ماضي فوطنهم بسفح جبل أوراس

المطل على بسكرة قاعدة الزاب متصلين كذلك غرباً الى مواطن غمرة ، وهم في جوار رياح وتحت أيديهم ، وخول لاولاده وخصوصاً من الدواودة المتولين موطنهم بالمجال . ولصاحب الزاب عليهم طاعة لقرب جواره وحاجتهم الى سلطانه ، فيصرفهم لذلك في حاجته متى عنت من إخفار العير ومقارفة مدن الزاب مع رجله وغير ذلك .

وأما أولاد شكر وهم أكبر رياسة فيهم فنزلوا جبل راشد ، وكانوا فريقين فنزلوا واحتربوا وغلب أولاد محيا بن سعيد منهم أولاد زكرير ودفعوهم عن جبل راشد فصاروا الى جبل كسال محاذيه من ناحية الغرب وأوطنوه ، واتصلت فتنتهم معهم على طول الايام وافتتحهم رجال زغبة باقتسام المواطن : فصار أولاد يحيى أهل جبل راشد في ايالة سويد بن زغبة واحلافاً لهم ، وأولاد زكرير أهل جبل كسال في ايالة بني عامر واحلافاً لهم . وربما يقتحمون بادية زغبة مع النضر احلافاً لهم في فتنتهم كما نذكر في أخبار زغبة . وكان شيخهم من أولاد محيا فيما قرب من عهدنا عامر بن أبي يحيى بن محيا . وكان له فيهم ذكر وشهرة . وكان ينتحل العبادة وحجَّ ، ولقي بمصر شيخ الصوفيَّة لعصره يوسف الكوراني ، وأخذ عنه ولقن طرق هدايته ورجع الى قومه وعاهدهم على طريقته ونحلته فاتبعه الكثير منهم ، وغزا المفسدون من بادية النضر في جواره ، وجاهدهم إلى



أن اغتالوه بعض الأيام في الصيد فقتلوه . وكان شيخ أولاد زكرير يغمور بن موسى بن بوزير بن زكرير ، وكان يسامي عامراً ويناهضه في شرفه ، إلا ان عامراً كان أسود منه بنحلة العبادة ، والله مصرّف الامور والخلق اهـ .

الخبر عن جشم الموطنين بسائط المغرب وبطونهم من هذه الطبقة

هؤلاء الاحياء بالمغرب لهذا العهد فيهم بطون من قرة والعاصم ، ومقدم والاثبج وجَشم والخلط . وغلب عليهم جميعاً اسم جشم فعرفوا به . وهم : جشم بن معاوية بن بكر بن هوازِن . وكان أصل دخولهم الى المغرب : ان الموحدين لما غلبوا على افريقية أذعنت لهم هؤلاء القبائل من العرب طوعاً وكراهية . ثم كانت فتنة ابن غانية فاجلبوا فيها وانحرفوا عن الموحدين ، وراجعوا الطاعة لعهد المنصور فنقل جمهور هؤلاء القبائل إلى المغرب ممن له كثرة وشوكة وظواعن ناجعة . فنقل العاصم ومقدم من بطون الاثبج ، ومعهم بطون ونقل جشم هؤلاء الذين غلب اسمهم على من معهم من الأحياء ، وأنزلهم تامستا . ونقل رياحاً وأنزلهم الهبط فنزل جشم بتامستا البسيط الافيح ما بين سلا ومراكش أوسط بلاد المغرب الاقصى ، وأبعدها عن الثنايا المفضية الى القفار لاحاطة جبل درن بها

وشموخه بأنفه حذاءها، ووشوج أعراقه حجراً عليها فلم ينتجعوا بعدها قفراً ولا أبعدوا رحلة ، وأقاموا بها أحياء حلولا ، وافترقت شعوبهم بالمغرب الى الخلط وسفيان وبني جابر .

وكانت الرئاسة لسفيان من بينهم في أولاد جرمون سائر أيام الموحدين . ولما وهن أمر بني عبد المؤمن وفشلوا وذهبت ريحهم استكثروا بجموعهم ، فكانت لهم سورة غلب واعتزاز على الدولة بكثرتهم وقرب عهدهم بالبداوة وضربوا بين الأعياص ، وظاهروا الخلافة وأكثروا الفساد وساءت آثارهم في البغي .

ولما اقتحم بنو مرين بلاد المغرب على الموحدين وملكوا فاس وقريتها لم تكن فيه حامية أشد منهم بأساً ومن رياح لقرب العهد بالبداوة ، فكانت لهم معهم وقائع وحروب استلحمهم فيها بنو مَرين الى ان حق الغلب واستكانوا لعزّ بني مرين وصولتهم ، وأعطوهم صفقة الطاعة وأصهر بنو مرين منهم الى الخلط في بيت بني مُهلهِل ، فكان في جملة بني مرين ، وكانت لهم الجولة الملك . واستقرت رياسة جشم وأكثرهم في الخلط منهم ، في بيت مُهلهِل ، بعد ان كانت على عهد الموحدين في سفيان .

ثم ضربت الايام ضرباتها وأخلقت جدتهم وفشلوا وذهبت ريحهم ، ونسوا عهد البداوة والناجعة وصاروا في عداد القبائل الغارمة للجباية والعسكرة مع السلطان ولنذكر الآن فرقهم

الاربع ، واحياء كل واحدة منها ونحقق الكلام في أنسابهم : فليست راجعة الى جشم على ما يتبين . ولكن الشهرة بهذا النسب متصلة والله أعلم بحقائق الامور .

هذه القبائل معدودة في جشم ، وجشم المعهود هو جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن أو لعله جشم آخر من غيرها . وكان شيخهم المشهور لعهد المأمون وبنيه جرمون بن عيسى . ونسبه فيما يزعم بعض المؤرخين أيام الموحدين في بني قرة ، وكانت بينهم وبين الخلط فتن طويلة وكان الخلط شيعة للمأمون وبنيه فصار سفيان لذلك شيعة ليحيى بن الناصر منازعه في الخلافة بمراكش.

ثم قتل الرشيد مسعود بن حميدان شيخ الخلط كما نذكر بعد ، فصاروا الى يحيى بن الناصر . وصار سفيان الى الرشيد . ثم ظهر بنو مرين بالمغرب واتصلت حروبهم مع الموحدين . ونزع جرمون سنة ثمان وثلاثين عن الرشيد ولحق بمحمد بن عبد الحق أمير بني مرين حياء مما وقع له معه ، وذلك سنة ثمان وثلاثين . وذلك انه نادمه ذات ليلة حتى سكر ، وحمل عليه وهو سكران يرقص فرقص طرباً . ثم أفاق فندم وفرّ الى محمد بن عبد الحق ، وذلك سنة ثمان وثلاثين وستمائة ، وهلك سنة تسع وثلاثين بعدها . وعلا كعب كانون ابنه من بعده عند السعيد ، وخالف عليه عند نهوضه الى بني مرين سنة ثلاث وأربعين . ورجع الى أَزَمّور فملكها .

وفت ذلك في عضد السعيد فرجع عن حركته ، وقصد كانون بن جرمون ففر أمامه وحضر حركته الى تامزردكت ، وقتل قبل مهلكه بيوم قتله الخلط في فتنة وقعت بينهم في محلة السعيد ، وهي التي جرت عليها تلك الواقعة . وقام بأمر سفيان من بعده أخوه يعقوب بن جرمون ، وقتل محمد ابن أخيه كانون . وقام بأمر سفيان ، وحضر مع المرتضى حركة أمان ايملولين سنة تسع وأربعين فرحل عن السلطان واختل عسكره ورجع فاتبعه بنو مرين وكانت الهزيمة .

ثم رجع المرتضى وعفا له عنها ، ثم قتله سنة تسع وخمسين مسعود وعلي ابنا أخيه كانون بثأر ابيهما ، ولحقا بيعقوب بن عبد الحق سلطان بني مرين وقدم المرتضى ابنه عبد الرحمن فعجز عن القيام بأمره ، فقدم عمه عبيد الله بن جرمون فعجز ، فقدم مسعود بن كانون ، ولحق عبد الرحمن ببني مرين . ثم تقبض المرتضى علي يعقوب بن قيطون شيخ بني جابر وقدم عوضاً منه يعقوب بن كانون السفياني . ثم راجع عبد الرحمن بن يعقوب سنة أربع وخمسين فتقبض عليه واعتقل . وأقام مسعود بن كانون شيخاً على سفيان . وكان لابني عمه معه ظهور وهما : حطوش وعيسى ابنا يعقوب بن جرمون . ونزع مسعود عن يعقوب مقامه الى ان هلك سنة سبع وستين بن عبد الحق ولحق بسكورة وشب نار الفتنة والحرب وأقيم حطوش بن يعقوب

مقامه الى ان هلك سنة تسع وستين ، فولي مكانه أخوه عيسى . وهلك مسعود بسكورة سنة ثمانين ، ولحق ابنه منصور بن مسعود بالسكسيوي الى أن راجع الخدمة أيام يوسف بن يعقوب . ووفد عليه بمعسكره من حصار تلمسان سنة ست وسبعمائة فتقبله .

واتصلت الرئاسة على سفيان في بني جرمون هؤلاء الى عهدنا . وأدركت شيخاً عليهم لعهد السلطان أبي عنّان يعقوب ابن علي بن منصور بن عيسى بن يعقوب بن جرمون بن عيسى . وكان سفيان هؤلاء حياً حلولا باطراف تامستا مما يلي أسفى ، وملك بسائطها الفسيحة عليهم الخلط . وبقي من أحيائهم الحرث والكلابية ينتجعون أرض السوس وقفاره ، ويطلبون ضواحي بلاد جاجة [(١)] من المصامدة ، فبقيت فيهم لذلك شده وبأس ، ورياستهم في أولاد مطاوع من الحرث . وطال عيثهم في ضواحي مراكش وافسادهم . فلما استبد سلطان مراكش الامير عبد الرحمن بن أبي يَفلُوسن علي ابن السلطان أبي علي سنة ست وسبعين وسبعمائة كما نذكر استخلصهم ورفع منزلتهم . واستقدمهم بعض أيامه للعرض بفرسانهم ورجلهم على العادة ، وشيخهم منصور بن يعيش من أولاد مطاع . وتقبض عليهم أجمعين ، وقتل من قتل منهم ، وأودع الآخرين سجونه فذهبوا مثلًا في الايام وخضدت شوكتهم والله قادر على ما يشاء .

(١) كذا ، وفي ت : حاحة .

الخلط من جشم

هذا القبيل يعرف بالخلط وهم في عداد جَشم هؤلاء ، لكن المعروف أنّ الخلط بنو المنتفق من بني عامر بن عُقَيل بن كعب ، كلهم شيعة للقرامطة بالبحرين . ولما ضعف أمر القرامطة استولى بنو سُلَيم على البحرين بدعوة الشيعة . ثم غلبهم عليها بنو أبي الحسين من بطون تغلب بالدعوة العباسيّة ، فارتحل بنو سُلَيم وبنو المنتفق من هؤلاء المسمون بالخلط إلى افريقية ، وبقي سائر بني عُقَيل بنواحي البحرين الى أن غلب منهم على التغلبيين بنو عامر ابن عوف بن مالك بن عوف بن مالك بن عوف بن عامر بن عقيل اخوة الخلط هؤلاء . لانهم في المغرب منسوبون الى جَشْم تخليطاً في النسب ممن يحققه العوام .

ولما أدخلهم المنصور الى المغرب كما قلناه استقروا ببسائط تامستا فكانوا أولي عدد وقوة ، وكان شيخهم هلال بن حميدان ابن مقدم بن محمد بن هُبَيرة بن عواج لا نعرف من نسبه أكثر من هذا . فلما ولي العادل بن منصور خالفوا عليه وهزموا عساكره ، وبعث هلال ببيعته الى المأمون سنة خمس وعشرين ، واتبعه الموحّدون في ذلك . وجاء المأمون وظاهروه على أمره ، وتحيز اعداؤهم سفيان الى يحيى بن الناصر منازعه . ولم يزل هلال مع المأمون الى أن هلك في حركة سبتة ، وبايع بعده لابنه

الرشيد وجاء به الى مراكش ، وهزم سفيان واستباحهم .

ثم هلك هلال وولي اخوه مسعود ، وخالف على الرشيد عمر بن أوقاريط شيخ الهساكرة من الموحدين ، وكان صديقاً لمسعود بن حميدان فأغراه بالخلاف على اكسز السلطان فخالف . وحاول عليه الرشيد حتى قدم عليه بمراكش. وقتله في جماعة من قومه سنة اثنتين وثلاثين . وولي أمر الخلط بعده يحيى بن أخيه هلال وتحيز بقومه الى يحيى بن القاص ، وحصروا مراكش ومعهم ابن أوقاريط . وخرج الرشيد الى سِجِلْمَاسَة واستولوا على مراكش وعاثوا فيها . ثم جاء الرشيد سنة ثلاث وثلاثين ، وغلبهم عليها ولحق بن اوقاريط بالاندلس .

وابدى علي بن هود بيعة الخلط ، وعلموا انها حيلة من ابن أوقاريط وأنه تخلص من الورطة ، فطردوا عنهم يحيى بن الناصر الى معقل . وراجعوا الرشيد فتقبض على علي ووشاح ابني هلال وسجنهم بأزمّور سنة خمس وثلاثين . ثم أطلقهم ، ثم غدر بعد ذلك بمشيختهم بعد الاستدعاء والتأنيس وقتلهم جميعاً مع عمر بن أوقاريط ، كان أهل اشبيلِيَة بعثوا به اليه ، ثم حضروا مع السعيد في حركته الى بني عبد الواد ، وجرّوا عليه الواقعة حتى قتل فيها بفتنتهم مع سفيان يومئذ . فلم يزل المرتضى يعمل الحيلة فيهم الى ان تقبض على أشياخهم سنة اثنتين وخمسين وقتلهم ولحق عواج بن هلال ببني مرين ، وقدم المرتضى عليهم علي بن أبي علي من بيت

الرئاسة فيهم . ثم رجع عواج سنة أربع وخمسين ، وأغزاه علي ابن أبي علي فقتل في غزاته .

ثم كانت واقعة أم الرجلين على المرتضى سنة ستين ، فرجع علي ابن أبي علي إلى بني مرين . ثم صار الخلط كلهم الى بني مرين . وكانت الرئاسة فيهم لأوّل سلطان لبني مرين لمُهَلهِل بن يحيى بن مقدم . وأصهر اليه يعقوب بن عبد الحق فأنكحه ابنته التي كان منها ابنه السلطان أبو سعيد . ولم يزل مُهَلهِل عليهم الى ان هلك سنة خمس وتسعين ، ثم ابنه عطية . وكان لعهد السلطان أبي سعيد وابنه أبو الحسن ، وبعثه سفيراً الى سلطان مصر الملك الناصر .

ولما هلك قام بأمره أخوه عيسى بن عطيّة ثم ابن اخيهما زمام ابن ابراهيم بن عطيّة ، وبلغ الى المبـالغ من العز والترف والدالة على السلطان والقرب من مجلسه الى ان هلك ، فولي أمره ابنه احمد بن ابراهيم ، ثم اخوه سليمان بن ابراهيم ، ثم اخوهما مبارك على مثل حالهم أيام السلطان أبي عنان ومن بعـده الى ان كانت الفتنة بالمغرب بعد مهلك السلطان أبي سالم واستولى عـلى المغرب أخوه عبد العزيز ، وأقطع ابنه أبا الفضل ناحية مراكش ، فـكان مبارك هذا معه .

ولما تقبض على أبي الفضل تقبض على مبارك وأودع السجن الى ان غلب السلطان عبد العزيز على عامر بن محمد وقتله ، فقتـل

معه مبارك هذا لما كان يعرف به من صحابته ومداخلته في الفتن كما يذكر في أخبار بني مَرين وولي ابنه محمد على قبيل الخلط ، إلّا انّ الخلط اليوم دثرت كان لم تكن بما أصابهم من الخصب والترف منذ مائتين من السنين بذلك البسيط الأَفْيَح زيادة للعز والدعة ، فأكلتهم السنون وذهب بهم الترف ، والله غالب على أمره .

بنو جابر بن جشم

بنو جابر هؤلاء من عداد جشم بالمغرب ، وربما يقال انهم من سِدْراتة احدى فرق زناتة أو لُواتة والله أعلم بذلك . وكان لهم أثر في فتنة يحيى بن الناصر بما كانوا معه من احزابه ولما هلك يحيى بن الناصر سنة ثلاث وثلاثين وستمائة بعث الرشيد بقتل شيخهم فائد بن عامر ، وأخيه قائد ، وولي بعده يعقوب بن محمد ابن قيطون . ثم اعتقله يعْلو قائد الموحدين ، بعثة المرتضى لذلك . وقدم يعقوب بن جرموق ، وولي مشيخة بني جابر اسمعيل بن يعقوب بن قيطون . ثم تحيز بنو جابر هؤلاء من أحياء جشم الى سفح الجبل بتادلّا وما اليها يجاورون هنالك صناكة الساكنين بقشّته وهضابه من البربر ، فيسهلون الى البسيط تارة ، ويأوون الى الجبل في حلف البربر وجوارهم أخرى اذا دهمتهم مخافة

من السلطان ، أو ذي غلبة .

والرئاسة فيهم لهذه العصور في ورديقــة [(١)] من بطونهم ، أدركت شيخاً عليهم لعهد السلطــان أبي عنــان حسين بن علي الورديقي . ثم هلك وأقيم مقامه الناصر ابنه . ولحق بهم الوزير الحسن بن عمر عند نزوعــه عن السلطــان أبي ســالم سنة ستين وسبعمائة . ونهضت إليهم عساكر السلطان فأمكنوا منــه . ثم لحق بهم أبو الفضل بن السلطان أبي سالم عند فراره عن مراكش سنة ثمان وستين . ونازله السلطان عبد العزيز وأحيط به فلحق برابرة صناكة من قومه . ثم أمكنوا منه على مال حمل اليهم ، ولحق بهم اثناء هذه الفتن الامير عبــد الرحمن يغلوسن [(٢)] على عهد الوزير عمر بن عبد الله المتغلب على المغرب .

وطلبه عمر فأخرجوه عنهم وطال بذلك مِراس الناصر هــذا للفتنة فنكرته الدولة ، وتقبض عليه وأودع السجن فكث فيه سنين ، وتجافت الدول عنه من بعد ذلك وأطلق عقــالهم . ثم رجع من المشرق فتقبض عليه الوزير أبو بكر بن غازي المستبدّ بالمغرب على ابن السلطان عبد العزيز وأودعه السجن ، ونقــلوا الرئاسة عن بني علي هؤلاء ، والله يقلب الليل والنهار . وقــد يزعم كثير من الناس ان ورديقة من بني جابر ليسوا من جَشْم ،

(١) كذا ، وفي ت : ورديغة .
(٢) كذا ، وفي ت : أبو يفلوسن .

وانهم بطن من بطون سِدرّاتة احدى شعوب لُواتَـة من البَرْبَر ، ويستدلون على ذلك بمواطنهـم وجوارهم للبربر ، والله أعـلم بحقيـقة ذلك .

العاصم ومقدم من الاثبج

هؤلاء الاحياء من الأُثْبُج كما ذكرنا في أنسـابهم ، ونزلوا تامستا معهم ، وكانت لهم عزة وعليـاء إلا ان جشم أعزّ منهم لمـكان الكثرة . وكان موطنهم بسيط تامستا ، وكانت للسلطان عليهم عسكرة وجباية شأن اخوانهم من جشم . وكان شيخ العاصم لعهد الموحّدين ، ثم عهد المأمون منهم حسن بن زيـد ، وكان له أثر في فتنة يحيى بن الناصر . ولمـا هلك سنة ثلاث وثلاثين أمر الرشيد بقتل حسن بن زيد مع قائـد وفائد ابني عامر شيوخ بني جابر فقتلوا جميعاً . ثم صـارت الرئاسة لأبي عياد وبنيه ، وكان بينهم لعهد بني مَرين عيـاد بن أبي عياد ، وكان له تغلب في النفرة والاستقامة . فرّ الى تِلمِسَان ورجع منها أعوام تسعين وستمائة . وفرّ الى السوس ورجع منـه سنة سبع وسبعمائة ، ولم يزل دأبه هذا . وكانت له ولاية مع يعقوب ابن عبد الحق من قبل ذلك ، ومقاماته في الجهاد مذكورة . وبقيت رئاسته في بنيـه الى ان انقرض أمرهم وأمر مقـدم ودثروا وتلاشوا ، والله خير الوارثين .

الخبر عن رياح وبطونهم من هلال ابن عامر من هذه الطبقة الرابعة

كان هذا القبيل من أعزّ قبائل هلال وأكثرهم جمعاً عند دخولهم افريقية وهم فيما ذكره ابن الكَلبي : رِياح بن أبي رَبيعَة بن نُهيك بن هِلال بن عامِر ، وكانت رئاستهم حينئذٍ لمؤنس بن يحيى الصَّنبري من بطون مِردَاس بن رِياح . وكان من رجالاتهم لذلك العهد الفضل بن علي مذكور في حروبهم مع صِنْهاَجة ، وكانت بطونهم عمرو ومرداس ، وعلي كلهم بنو رياح وسعيد بن رياح ، وخضر بن عامر بن رياح وهم الاخضر . ولمِرْداس بطون كثيرة : داود [1] بن مِردَاس وصنبر بن حَواز ابن عُقَيل بن مرداس ، واخوتهم : مُسلِم بن عقيل . ومن أولاد عامر بن يزيد بن مرداس بطون أخرى منهم : بنو موسى بن عامِر وجابِر بن عامِر . وقد يقال انهم من لطيف كما قدّمناه ، وسودان ومشهور ومعاوية بنو محمد بن عامر بطون ثلاثة . واسم سودان علي بن محمد . وقد يقال أيضاً ان المشاهرة وهم بنو مشهور بن هلال بن عامر من غُير رياح والله أعلم .

والرئاسة على رياح في هذه البطون كلها لِمرداس ، وكانت عند دخولهم افريقية في صُنبُر منهم . ثم صارت للدواودة أبناء

(١) كذا ، وفي ت : دؤاد .

داود بن مرداس بن رياح . ويزعم بنو عمرو بن رياح ان أباهم كفله ورباه . وكان رئيسهم لعهد الموحدين مسعود بن سلطان ابن زمام بن رديني بن داود ، وكان يلقب البلط لشدّته وصلابته . ولما نقل المنصور رياحاً الى المغرب تخلف عساكر أخو مسعود في جماعات منهم لما بلاه السلطان من طاعته وانحياشه ، وأنزل مسعوداً وقومه لبلاد الهبط ما بين قصور كُتامَة المعروف بالقصر الكبير ، الى إزْغار البسيط الفسيح هناك الى ساحل البحر الأخضر ، واستقروا هنالك

وفرّ مسعود بن زمام من بينهم في لمة من قومه سني تسعين وخمسمائة ، ولحق بافريقية ، واجتمع اليه بنو عساكر أخيه ، ولحقوا بطرابلس ، ونزلوا على زغب وذيَاب يتقلبون بينهم . ثم نزع الى خدمة قُراقش وحضر معه بقومه فتح طرابلس كما نذكره في أخبار قُراقش . ثم رجع الى ابن غانية الميورقي ، ولم يزل في خلافة ذلك الى ان هلك ، وقام بأمره من بعده ابنه محمد . وكانت له رئاسة وغَناء في فتنة الميورقي مع الموحدين . ولما غلب أبو محمد بن أبي حَفْص يحيى الميورقي مع الموحدين سنة ثماني عشرة على الحمة من بلاد الجُرَيْد ، وقتل من العرب من قتل ، كان فيمن قتله ذلك اليوم عبد الله بن محمد هذا وابن عمه أبو الشيخ بن حركات بن عساكر .

ولما هلك الشيخ أبو محمد رجع محمد بن مسعود الى افريقية

وغلب عليها ، واجتمع اليه حلف الأثبُج ظواعن من الضحَّاك ولطيف فكاثروه واعتزوا به على أقتالهم من دُريد وكرفة إلى ان عجزت ظواعن الضحَّاك ولطيف عن الرحلة ، وافترقوا في قرى الزاب وصدرة . وبقي محمد بن مسعود يتغلَّب في رحلته . وصارت رئاسة البدو في ضواحي افريقية ما بين قسطيليه والزاب والقيروان والمسيلة له ولقومه . ولما هلك يحيى بن غانية من العرب من بني سُليم والرياح سنة احدى وثلاثين كما نذكره انقطع ملكهم ، واستغلظ سلطان أبي حَفْص .

واستقل منهم الامير يحيى بن عبد الواحد بخطبة الخلافة عندما فسد كرسيها بمراكش ، وافترق اتباع يحيى بن غانية من العرب من بني سُلَيم والرياح فنكر آل أبي حَفْص هؤلاء الدواودة ، ومكانهم من الوطن مما سلف من عنادهم ومشايعتهم لابن غانية عدوّهم فجاجأ الامير أبو زكريا في بني سليم من مواطنهم لذلك العهد بقابس ، طرابلس وما إليها . والتقدم فيهم يومئذ لمرداس والكعوب كما نذكره في أخبارهم ، واصطنعوهم لمشايعة الدولة . وضربوا بينهم وبين قبائل رياح وأنزلوهم بالقيروان وبلاد قسطيلية ، وكانت أبّة لمحمد بن مسعود . ووفد عليه في بعض السنين وفد مرداس يطلبون المكيل وينزلون عليهم فشرهوا الى نعمتهم وقاتلوهم عليها ، وقتلوا رزق بن سلطان عمّ محمد بن مسعود فكانت بينهم وبين رياح أيام وحروب ، حتى رحّلوهم عن جانب المشرق من

افريقية وأصاروهم الى جانبها الغربي .

وملك الكعوب ومِرداس من بني سُليم ضواحي الجانب الشرقي كلها من قابُس الى بونَة ونفطة . وامتاز الدواودة بملك ضواحي قسطنطينة وبجاية من التلول ومجالات الزاب وريغ ووارِكلا وما وراءها من القفار في بلاد القبلة . وهلك محمد بن مسعود فولى رئاسته موسى بن محمد ، وكان له صيت وغناء في قومه واعتزاز على الدولة .

ولما هلك يحيى بن عبد الواحد بويع ابنه محمد المستنصر الطائر الذكر المشهود له في الشهرة . وخرج عليه أخوه ابراهيم فلحق بالدواودة هؤلاء فبايعوه بجهات قسطنطينة واتفقوا على تقديمه ، ونهض اليه المستنصر سنة ست وستين وستمائة فقرّوا أمامه وافترق جمعهم وتحيَّز اليه بنو عساكر ابن سلطان منهم ، ورئاستهم يومئذ لولد مهدي بن عساكر . ونبذوا العهد الى ابراهيم ابن يحيى ولحقوا بتلمِسان . وأجاز البحر الى الاندلس ، وأقام بها في جوار الشيخ ابن الأحمر .

ثم هلك موسى بن محمد وولي رياسته ابنه شبل بن موسى ، واستطال على الدولة وكثر عيثهم فنبذ المستنصر عهدهم ، ونهض اليه بعساكره وجموعه من الموحّدين والعرب من بني سُليم ، وأولاد عساكر اخوانهم ، وعلى مقدمته الشيخ أبو هلال عياد ابن محمد الهنتاني ، وكان يومئذ أميراً ببجاية . وحاول عليهم

فاستقدم رؤساءهم شبل بن موسى بن محمد بن مسعود وأخاه يحيى ، وسباع بن يحيى بن دريد بن مسعود . وحداد بن مولاهم ابن خنفر بن مسعود وفضل بن ميمون بن دريد بن مسعود ، ومعهم دريد بن تازير شيخ أولاد ثابت ، من كرفة ، فتقبض عليهم لحين قدومهم وضرب أعناقهم في مصرع واحد ابن راية ، حيث بايعوا أبا اسحق أخاه والقاسم بن أبي زيد بن أبي حفص النازع اليهم لطلب الخروج على الدولة .

وافترقت ظواعنهم وفرّوا امامه واتبعهم الى آخر الزاب . وترك شبل بن موسى سباعاً ابنه طفلًا صغيراً فكفله عمه مولاهم ابن موسي ، ولم تزل الرئاسة بهم وترك سباع ابنه يحيى ايضاً طفلًا فكفله عمه طلحة بن يحيى ، ولحق فلّهم بملوك زَنَاتَة بالمغرب ، فأولاد محمد لحقوا بيعقوب بن عبد الحق بفاس ، وأولاد سباع ابن يحيى لحقوا بيغمراسن بن زيان بتلمسان فكسوهم وحملوهم فارتاشوا وقاتلوا واحتالوا وزحفوا الى مواطنهم فتغلبوا على اطراف الزاب من واركلان وقصور ريغ وصيروها سهاماً بينهم ، وانتزعوها للموحدين فكان آخر عهدهم بملكها .

ثم تقدموا الى بلاد الزاب ، وجمع لهم عاملها أبو سعيد عثمان ابن محمد بن عثمان ويعرف بابن عتوا من رؤساء الموحدين . وكان منزله بمقرة فزحف اليهم بمكانهم من الزاب ، وأوقعوا به وقتلوه بِقلطاوَة وغلبوا على الزاب وضواحيه لهذا العهد . ثم تقدموا الى

جبل أوراس فغلبوا على من به من القبائل . ثم تقدموا الى التل وجمع لهم من كان به من أولاد عساكر ، وعليهم موسى ابن ماضي بن مهدي بن عساكر فجمع قومه ومن في حلفهم من عياض وغيرهم .

وتزاحفوا فغلبهم أولاد مسعود وقتلوا شيخهم موسى بن ماضي وتولوا الوطن بما فيه . ثم تلافت الدولة أمرهم بالاصطناع والاستمالة وأقطعوهم ما غلبوا عليه من البلاد بجبل أوراس والزاب ، ثم الامصار التي بالبسيط الغربي من جبل أوراس المسمى عندهم بالحِضْنة وهي نَقاوس ومقرة والمَسيلة واختصّ أقطاع المسيلة بسبّاع بن شبل بن يحيى من بعد ذلك ، فهي في قسم بنيه وسهامهم .

واختص أقطاع مقرة بأحمد بن عمر بن محمد ، وهو ابن عم شبل ابن موسى بن سبّاع ، ونقاوس بأولاد عساكر . ثم هلك سباع بن شبل وقام بأمرهم ابنه عثمان ويعرف بالعاكر فنازعه الرئاسة بنو عمه علي بن احمد بن عمر بن محمد بن مسعود بن دريد بن مسعود وفرقوا جماعة بني مسعود هؤلاء ، بعد أن كانوا جميعاً وصاروا فريقين : اولاد محمد بن مسعود ، واولاد سباع بن يحيى وسليمان بن علي بن سباع بن يحيى . ولم يزالوا كذلك لهذا العهد ، ولهم تغلب على ضواحي بجاية وقسطنطينة ومن بها من سدويكش وعياض وأمثالهم . ورئاسة أولاد محمد الآن ليعقوب بن علي بن

احمد وهو كبير الدواودة بمكانه وسنه وله شهرة وذكر ومحل من السلطان متوارث .

ورياسة أولاد سباع في أولاد علي بن سباع وأولاد عثمان بن سبّاع . وأولاد علي أشرف منهم وأعزّ بالكثرة والعدد . ورئاستهم في ولد يوسف بن سليمان بن علي بن سباع ويرادفهم أولاد يحيى ابن علي بن سباع . واختص اولاد محمد بنواحي قسطنطينة وأقطعتهم الدول كثيراً من أريافها . واختص أولاد سباع بنواحي بجاية واقطاعهم فيها قليل لمنعة بجاية وضواحيها عن ضيم العرب ، ولغلبهم بالجبال المطيفة بها وتوعر مسالكها على رواحل الناجعة . وأما ريع ووارگلا فقسمت بينهم منذ عهد سلفهم كما قلناه .

وأما الزاب فالجانب الغربي منه ، وقاعدته طولقة . لأولاد محمد وأولاد سباع بن يحيى ، وكانت لأبي بكر بن مسعود ، فلما ضعف بنوه ودثروا اشتراها منهم علي بن أحمد شيخ أولاد محمد وسليمان بن علي شيخ أولاد سباع . واتصلت بينهم بسببها الفتنة وصارت في مجالات أولاد سبّاع بن يحيى فصار غلب سليمان وبنيه عليها أكثر . والجانب الوسط ، وقاعدته بسكرة لاولاد محمد ، وفي مجالاتهم . وليعقوب بن علي على عامله بسبب ذلك سلطان وعزة ، وله به تمسك واليه انحياش في منعته من الدولة واستبداده بوطنه ، وحماية ضواحيه من عيث الاعراب وفسادهم غالب الأوقات .

وأما الجانب الشرقي من الزاب وقاعدته بادِس وتنُّومة فهو لأولاد ثابت رؤساء كرفة بما هو من مجالاتهم ، وليس هو من مجالات رياح . إلّا أنَّ عمال الزاب تأخذ منه في الاكثر جباية غير مستوفاة بعسكر لها إلاّ في بعض الأحايين ببادية رياح باذن من كبيرهم يعقوب واشراكه في الامر . وبطون رياح كلها تبع لهؤلاء الدواودة ومقتسمون عليهم وملتمسون مما في أيديهم ، وليس لهم في البلاد ملك يستولون عليه . وأشدّهم قوّة وأكثرهم جمعاً بطون سعيد ومسلم والأخضر ، يبعدون النجعة في القفار والرمال ، ويسخرون الدواودة في فتنة بعضهم مع بعض ، ويختصون بالحلف فريقاً دون آخر . فسعيد ، احلاف لأولاد محمد سائر أيامهم إلّا قليلًا من الأحيان ينابذونهم ثم يراجعونهم ومسلم والأخضر احلاف لاولاد سبّاع كذلك إلاّ في بعض الأحايين .

فأمّا سعيد فرئاستهم لأولاد يوسف ابن زيد منهم في ولد ميمون بن يعقوب بن عريف بن يعقوب بن يوسف ، وأردافهم أولاد عيسى بن رِحاب بن يوسف وهم ينتسبون بزعمهم الى بني سُليم في أولاد القوس من سُليم . والصحيح من نسبهم أنهم من رياح بالحلف والموطن . ومع أولاد يوسف هؤلاء لفائف من العرب يعرفون بالمخادمة والغيوث والفجور فأمّا المخادمة والغيوث من ابناء مخدم فن ولد مشرف بن أثْبج ، وأمّا الفُجور فنهم من البرابر لَواتَة وزَنَاتَة احدى بطونهم ، وفيهم من نفاث . فأمـا

نفاث فمن بطون جزام وسيأتي ذكرهم وأمّا زناتة فهم من بطون لواتة كما ذكرناه في بني جابر وتادلاً كثير منهم وأجاز منهم الى العدوة لعهد بني الاحمر سلطان الزناري ، وكانت له في الجهاد آثار . وذكروا أن منهم بأرض مصر والصعيد كثيراً . وأمّا احلاف أولاد محمد من الدواودة فبطن من رباب بن سودات ابن عامر صَعصَعة ، اندرجوا في أعداد رياح ، ولهم معهم ظعن ونجعة ، ولهم مكان من حلفهم ومظاهرتهم . وأمّا أحلاف أولاد سبّاع من مسلم والاخضر فقد قدّمنا انّ مسلما من أولاد عُقَيل ابن مِرداس بن رِياح أخو حوّاز بن رياح بعضهم ينتسب الى الزُبيَر ابن العوام وهو غلط . ويقول بعض من ينكر عليهم انما هو نسب الى الزبير بن المهاية الذين هم من بطون عِياض كما ذكرناه . ورئاسته في أولاد جماعة بن مسلم بن حماد بن مسلم بين أولاد تساكر [1] بن حامد بن كسلان بن غيث بن وحّال بن جماعة . وبين أولاد زرارة بن موسى بن قطران بن جماعة .

وأمّا الاخضر فيقولون انهم من ولد خضر بن عامر ، وليس عامر بن صَعصَعة . فان أبناء عامر بن صعصعة معروفون كلهم عند النسّابين . وانما هو والله أعلم عامر آخر من أولاد رياح . ولعله عامر بن زيد بن مِرداس المذكور في بطونهم : أولهم من الخضر الذين هم ولد مالك بن طريف بن مالك بن حَفصَة بن قيس

(١) كذا ، وفي ت : جماعة من سالم بن حماد بن سالم بين أولاد شكر .

عيلان . ذكرهم صاحب الاغاني وقال : انما سموا الخضر لسوادهم ، والعرب تسمي الأسود أخضر . قال : وكان مالك شديد السمرة فأشبهه ولده . ورياستهم في اولاد تامر بن علي بن تمام بن عمّار بن خضر بن عامر بن رياح واختصت مُرَيْن بأولاد تامر ولد عامر بن صالح بن عامر بن عطيّة بن تامر . وفيهم بطن آخر لزائدة بن تمّام بن عمّار . وفي رياح ايضاً بطن من عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار ، ويظعنون مع باديتهم

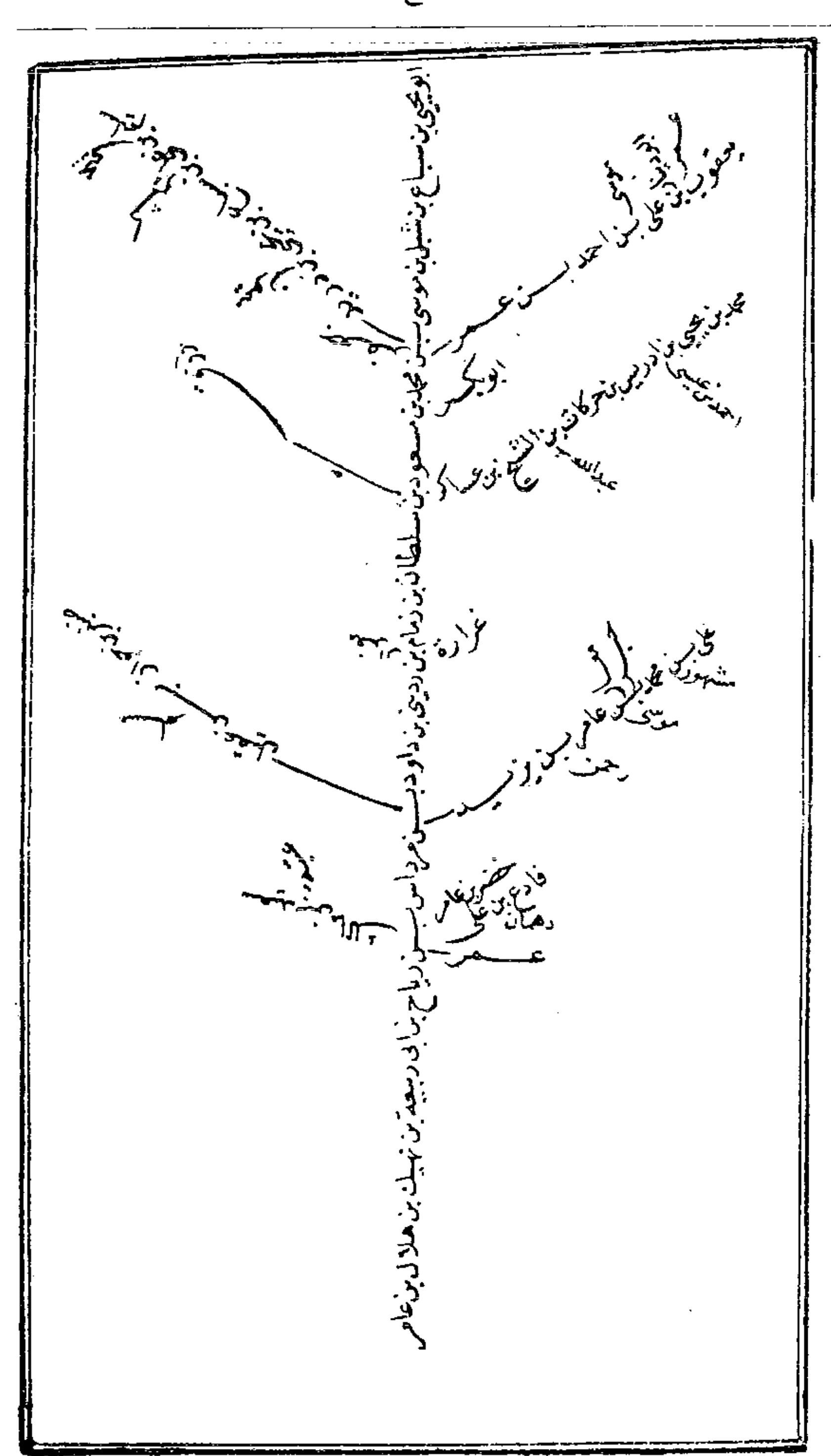
وأمّا من نزل من رياح ببلاد الهبط حيث أنزلهم المنصور فأقاموا هنالك بعد رحلة رئيسهم مسعود بن زنان بتلك المواطن الى ان انقرضت دولة الموحدين وكان عثمان بن نصر رئيسهم أيام المأمون ، وقتله سنة ثلاثين وستمائة . ولما تغلّب بنو مرين على ضواحي المغرب ضرب الموحدون على رياح هؤلاء البعث مع عساكرهم ، فقاموا بحماية ضواحيهم وتحيّز لهم بنو عسكر بن محمد ابن محمد من بني مرين حين كانوا حرباً لاخوانهم بني حمامة بن محمد ، سلف الملوك منهم لهذا العهد ، فكانت بين الفريقين جولة قتل فيها عبد الحق بن محيو بن أبي بكر بن جماعة أبو الملك وابنه ادريس ، فأوجدوا السبيل لبني مرين على أنفسهم في طلب الترة والدماء فأثخنوا فيهم واستلحموهم قتلاً وسبياً مرة بعد أخرى .

وكان آخر من أوقع بهم السلطان أبو ثابت حافد يوسف بن

يعقوب سنة سبع وسبعمائة تتبعهم بالقتل الى ان لحقوا برؤس الهضاب وأسنمة الربى المتوسطة في المرج المستبحر بازغار فصاروا الى عدد قليل ، ولحقوا بالقبائل الغارمة . ثم دثروا وتلاشوا شأن كل أمة والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين لا رب غيره ولا معبود سواه ، وهو نعم المولى ونعم النصير ، عليه توكلنا واليه أنبنا واليه المصير .

نسأله سبحانه وتعالى من فيض فضله العميم ، ونتوسل اليه بجاه نبيه الكريم أن يرزقنا ايماناً دائماً وقلباً خاشعاً وعلماً نافعاً ويقيناً صادقاً وديناً قيماً ، والعافية من كل بلية ، وتمام العافية ودوام العافية والشكر على العافية ، والغنى عن الناس ، وان يحسن عاقبتنا في الامور كلها ، وان يجيرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة ، وان يرزقنا من فضله وكرمه ايماناً لا يرتد ونعيماً لا ينفد ، وقرّة عين لا تنقطع . ومرافقة نبينا وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في أعلى جنان الخلد ، بمنه وكرمه انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين [1]

(١) لم يذكر هذا الدعاء في النسخة التونسية ، والظاهر ان بعض النساخ أو الناشرين حذفوا قسماً من محتويات هذا الكتاب ، إما عمداً او سهواً . وأما نحن : فقد تعمدنا اثبات محتويات هذا السفر النفيس بحذافيره ، عملا بالامانة في النقل ، وحرصاً على فائدة القراء . والله ولي التوفيق .



الخبر عن سعادة القائم بالسنة في رياح ومآل أمره وتصاريف أحواله

كان هذا الرجل من مسلم احدى شعوب رياح ، ثم من رحمان منهم . وكانت أمّه تدعى حُضَيْبَة وكانت في أعلى مقامات العبادة والورع . ونشأ هو منتحلاً للعبادة والزهد ، وارتحل الى المغرب ولقي شيخ الصالحين والفقهاء لذلك العهد بنواحي تازَة أبا اسحق التسولي ، وأخذ عنه ، ولزمه وتفقه عليه . ورجع الى وطن رياح بفقه صحيح وورع وافر ، ونزل طولقة من بلاد الزاب ، واخذ بنفسه في تغيير المنكر على أقاربه وعشيرته ومن عرفه أو صحبه ، فاشتهر بذلك وكثرت غاشيته لذلك من قومه وغيرهم .

ولزم صحابته منهم اعلام عاهدوه على التزام طريقته كان من أشهرهم : أبو يحيى بن أحمد بن عمر شيخ بني محمد بن مسعود من الدواودة ، وعطية بن سليمان بن سبّاع شيخ أولاد سبّاع ابن يحيى منهم ، وعيسى بن يحيى بن ادريس شيخ أولاد ادريس من أولاد عساكر منهم ، وحسن بن سلامة شيخ أولاد طلحة بن يحيى بن دُرَيد بن مسعود منهم ، وهَجْرَس بن علي من أولاد يزيد بن زغبة ، ورجالات من المطاف من زِغبَة في كثير من اتباعهم والمستضعفين من قومهم .

فكثر بذلك تابعه واستظهر بهم على شأنه في اقامة السنة وتغيير المنكر على من جاء به . واشتدّ على قاطع الطريق من شرار البوادي . ثم تخطّى ذلك، الى العمار ، فطلب عامل الزاب يومئذ ، منصور بن فضل بن مزني باعفاء الرعايا من المكوس والظلامات فامتنع من ذلك ، واعتزم على الإيقاع به فحال دونه عشائر أصحابه ، وبايعوه على اقامة السنة والموت دونه في ذلك .

وآذنهم ابن مزني في الحرب ودعا لذلك امثالهم ونظراءهم من قومهم . وكان لذلك العهد علي بن أحمد بن عمر بن محمد قد قام برئاسة أولاد محمد ، وسليان بن علي بن سبّاع قد قام برئاسة أولاد يحيى . واقتسموا رئاسة الدواودة فظاهروا ابن مزني على مدافعة سعادة وأصحابه المرابطين من اخوانهم . وكان أمر ابن مزني والزاب يومئذ راجعاً الى صاحب بجاية من بني أبي حفص ، وهو الامير خالد ابن الامير أبي زكريا ، والقائم بدولته أبو عبد الرحمن بن عمر وبعث اليه ابن مزني في المدد فأمده بالعساكر والجيوش ، وأوعز الى أهل طولقة بالقبض على سعادة فخرج منها وابتنى بأنحائها زاوية ، ونزل بها هو وأصحابه .

ثم جمع أصحابه المرابطين ، وكان يسميهم السُّنّية . وزحفوا الى بسكره وحاصروا ابن مزني سنة ثلاث وسبعمائة وقطعوا نخيلها ، وامتنعت عليهم فرحلوا عنها . ثم أعادوا حصارها سنة

أربع وسبعمائة وامتنعت . ثم انحدر أصحاب سعادة من الدواودة الى مشاتيهم سنة خمس وسبعمائة . وأقام المرابط سعادة بزاويته من زاب طولقة ، وجمع من كان إليه من المرابطين المتخلفين عن الناجعة وغزا مليلي وحاصرها أياماً . وبعثوا بالصريخ الى ابن مزني ، والعسكر السلطاني مقيم عندهم بِبَسْكَرَة ، فأركبهم ليلاً مع أولاد حرب من الدواودة . وصبحوا سعادة وأصحابه على مليلي فكانت بينهم جولة قتل فيها سعادة واستلحم الكثير من أصحابه ، وحمل رأسه الى ابن مَزني .

وبلغ الخبر الى أصحابه بمشاتيهم فظهروا الى الزاب ، ورؤساؤهم أبو يحيى بن أحمد بن عمر شيخ أولاد محرز ، وعطية ابن سليمان شيخ أولاد سباع ، وعيسى بن يحيى شيخ أولاد عساكر ، ومحمد ابن حسن شيخ أولاد عطية ، ورئاستهم جميعاً راجعة لأبي يحيى ابن أحمد . ونازلوا بِسَكْرَة وقطعوا نخيلها وتقبضوا على عمال ابن مَزني فأحرقوهم في النار ، واتسع الخرق بينهم وبينه . ونادى ابن مزني في أوليائه من الدواودة . واجتمع اليه علي بن أحمد شيخ أولاد محمد ، وسليمان بن علي شيخ أولاد سبّاع وهما يومئذ اجلاء الدواودة . وخرج ابنه علي بينهم بعساكر السلطان ، وتزاحفوا بالصحراء سنة ثلاث عشرة فغلبهم المرابطون ، وقتل علي ابن مَزْني . وتقبض على عليّ بن أحمد فقادوه أسيراً . ثم أطلقه عيسى بن أحمد رعياً لاخيه أبي يحيى بن أحمد .

واستفحل أمر هؤلاء السُنّيّة ما شاء الله أن يستفحل . ثم هلك أبو يحيى بن أحمد وعيسى بن يحيى ، وخلت أحياء أولاد محرز من هؤلاء السنّيّة . وتفاوض السنّيّة فيمن يقيمونه بينهم في الفتيا في الاحكام والعبادات ، فوقع نظرهم على الفقيه أبي عبدالله محمد بن الأزرق من فقهاء مقرة . وكان أخذ العلم ببجاية على أبي محمد الزواوي من كبار مشيختها فقصدوه بذلك وأجابهم وارتحل معهم . ونزل على حسن بن سلامة شيخ أولاد طلحة . واجتمع اليه السنية واستفحل بهم جانب أولاد سباع ، واجتمعوا على الزاب وحاربوا علي بن أحمد طويلاً .

وكان السلطان ابو تاشفين حين كان يجلب على أوطان الموحدين ، يخيب عليهم أولياءهم من العرب ، يبعث الى هؤلاء السنية بالجوائز يستدعي بذلك ولايتهم . ويبعث معهم للفقيه أبي الازرق بجائزة معلومة في كل سنة . ولم يزل ابن الازرق مقيماً لرسمهم الى ان غلبهم على أمرهم ذلك علي بن أحمد شيخ أولاد محمد . وهلك حسن بن سلامة ، وانقرض أمر السنية من رياح . ونزل ابن الازرق بسكرة فاستدعاه يوسف بن مزني لقضائها تفريقاً لامر السنّيّة فأجابه ونزل عنده فولّاه القضاء ببسكرة الى أن هالك سنة [1]

---

(١) كذا بياض بالأصل ، في جميع النسخ . ولم نهتد إلى سنه هلاكه في المراجع التي بين ايدينا .

ثم قام علي بن أحمد بهذه السنية بعد حين ، ودعا إليها وجمع لابن مزني سنة أربعين وسبعمائة ، ونزل بسكرة وجاءه مدد أهل ريغ ، وأقام محاصراً لها أشهراً . وامتنعت عليه فأقلع عنها وراجع يوسف بن مزني ، وصاروا إلى الولاية إلى ان هلك علي ابن أحمد . وبقي من عقب سعادة في زاويته بنون وحفدة يوجب لهم ابن مزني الرعاية ، وتعرّف لهم أعراب الفلاة من رياح حقاً في اجازة من يجيزونه من أهل السابلة . وبقي هؤلاء الدواودة ينزع بعضهم أحياناً الى اقامة هذه الدعوة فيأخذون بها أنفسهم غير متصفين من الدين والتعمق في الوزع بما يناسبها ويقضي حقها ، بل يجعلونها ذريعة لاخذ الزكوات من الرعايا ، ويتظاهرون بتغيير المنكر يسرون بذلك حسواً في ارتقاه فينحل أمرهم بذلك وتخفق مساعيهم ويتنازعون على ما تحصل بأيديهم ويفترقون على غير شيء ، والله متولي الامور لا إله إلا هو سبحانه يحيي ويميت .

الخبر عن زغبة وبطونهم من هلال بن عامر من هذه الطبقة الرابعة

هذه القبيلة اخوة رياح . ذكر ابن الكلبي : ان زِغبَة ورياحاً أبناء أبي ربيعة بن نهيك بن هلال ابن عامر ، هكذا نسبهم ، وهم لهذا العهد مما يزعمون انّ عبد الله يجمعهم ، بكسر دال عبد ، ولم يذكر ابن الكلبي ذلك ، وذكر عبد الله في ولد هلال ،

فلعل انتسابهم اليه بما كفلهم واشتهر دونهم ، وكثيراً ما يقع مثل هذا في انساب العرب أعني انتساب الابناء لعمهم أو كافلهم والله أعلم .

وكانت لهم عزة وكثرة عند دخولهم إفريقية ، وتغلبوا على نواحي طرابلس وقابس ، وقتلوا سعيد بن خزرون من ملوك مغراوة بطرابلس . ولم يزالوا بتلك الحال الى ان غلب الموحدون على افريقية ، وثار بها ابن غانية ، وتحيزت اليه أفاريق هلال ابن رياح وجشم ، فنزعت زغبة الى الموحدين . انحرفوا عن ابن غانية فرعوا لهم حق نزوعهم وصاروا يداً واحدة مع بني بادين من زناتة في حماية المغرب الأوسط من ابن غانية واتباعه واتصلت مجالاتهم ما بين المسيلة وقبلة تلمسان في القفار وملك بنو بادين وزناتة عليهم التلول .

ولما ملكت زناتة بلاد المغرب الأوسط ونزلوا بأمصاره ، دخل زغبة هؤلاء التلول وتغلبوا فيها ووضعوا الأتاوة على الكثير من أهلها بما جمعهم وزناتة من البداوة وعصبية الحلف ، وخلا قفرهم من ظعونهم وحاميتهم فطرقته عرب المعقل المجاورون لهم من جانب المغرب ، وغلبوا على من وجدوا من مخلف زغبة هؤلاء بتلك القفار ، وجعلوا عليهم خفارة يأخذونها من إبلهم ، ويختارون عليهم البكرات منها .

وأنفوا لذلك وتآمروا وتعاقدوا على دفع هذه الهضمة ،

وتولى كبرهـا من بطونهم ثوابة بن جَوثَة من سديد كما نذكره بعـد فدفعوهم عن اوطانهم من ذلك القفر . ثم استفحلت دولة زَنانة وكفحوا العرب عن وطىء تلولهم لما انتشأ عنهم من العيث والفساد فرجعوا الى صحرائهم ، وملكت الدولة عليهم التـلول والحبوب ، واستصعبت الميرة وهزل الكراع ، وتلاشت احوالهم وضربت عليهم البعوث واعطوا الاتاوة والصدقة حتى اذا فشل ريح زَنَاتة وداخل الهرم دولتهم ، وانتزى الخوارج من قرابـة الملك بالقاصية وجدوا السبيل بالفتن الى طروق التلول ، ثم الى الغلب فيها ، ثم غالبوا زَنَاتَةَ عليها فغلبوهم في أكثر الأحايين وأقطعتهم الدولة الكثير من نواحي المغرب الأوسط وأمصاره في سبيل الاستظهار بهم ، تمشت ظعونهم فيه وملكوه من كل جانب كما نذكره . وبطون زِغْبَة هؤلاء يتعدّدون من يزيد وحصين ومالك وعامر وعروة ، وقد اقتسموا بلاد المغرب الأوسط كما نذكر في أخبارهم .

بنو يزيد بن زغبة

كان لبني يزيد هؤلاء محل من زِغْبَة بالكثرة والشرف ؛ وكان للدّول به عناية فكانوا لذلك أول من أقطعتـه الدول من العرب التلول والضواحي . أقطعهم الموحدون في أرض حمزة من أوطان بجاية مما يلي بلاد رِياح والأثابج فنزلوا هنـالك ، وولجوا

تلك الثنايا المفضية الى تلول حمزة والدهوس وأرض بني حسن ونزلوها ريفاً وصحراء . وصار للدّولة استظهار بهم على جباية تلك الرعايا من صِنْهاجة وزوَاوة . فلما عجزت عساكر بجاية من جبايتهم دفعوهم لها فأحسنوا في اقتضائها وزادت الدول بهم تكرمة وعناية لذلك واقتطعهم الكثير من تلك الاوطان . ثم غلب زَنَاتَة الموحدين على تلك الاوطان فاقتطعوها عن أوطان بجاية وأصاروها عن ممالكهم .

فلما فشل ريح زناتة وجاش بحر فتنتهم مع العرب استبد بنو يزيد هؤلاء بملكة تلك الاوطان ، وغلبوا عليها من جميع جوانبها وفرّغوا لجبايتها واقتضاء مغارمها ، وهم على ذلك لهذا العهد . وهم بطون كثيرة فمنهم : حميان بن عَقَبة بن يزيد ، وجواب وبنو كرز وبنو موسى والمرابعة والخشنة . وهم جميعاً بنو يزيد بن عبس بن زِغبَة واخوانهم عَكْرَمَة بن عبس من ظعونهم وكانت الرئاسة في بني يزيد لأولاد لاحق ، ثم لاولاد معافى . ثم صارت في بيت سعد بن مالك بن عبد القوي بن عبد الله ابن سعيد بن محمد بن عبد الله بن مهدي بن يزيد بن عيسى بن زغبة ، وهم يزعمون أنه مهدي بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، نسب تأباه رئاستهم على غير عصبتهم ، وقد مر ذلك قبل .

وربما نسبهم آخرون الى سلول ، وهم بنو مَرّة بن صَعْصَعَة

أخي عامر بن صعصعة وليس بصحيح كما قلنـاه . وقد يقال ان سلولا وبني يزيد اخوة ، ويقال لهم جميعـاً أولاد فاطمة . وبنو سعد هؤلاء ثلاثة بطون : بنو ماضي بن رزق بن سعد ، وبنو منصور بن سعـد ، وبنو زغلي بن رزق بن سعد . واختصت الرئاسة على الظعون والحلول ببني زغلي . وكانت لريان بن زغلي فيما علمناه ، ثم من بعده لاخيه ديفل ، ثم لأخيهما أبي بكر ، ثم لابنه ساسي بن أبي بكر ثم لاخيه معتوق بن أبي بكر ، ثم لموسى ابن عمهم أبي الفضل بن زغلي ، ثم لاخيه أحمد بن أبي الفضل ، ثم لاخيهما علي بن أبي الفضل . ثم لأبي الليل بن أبي موسى ابن أبي الفضل ، وهو رئيسهم لهذا العهد . وتوفي سنة احدى وتسعين ، وخلفه في قومه ابنه .

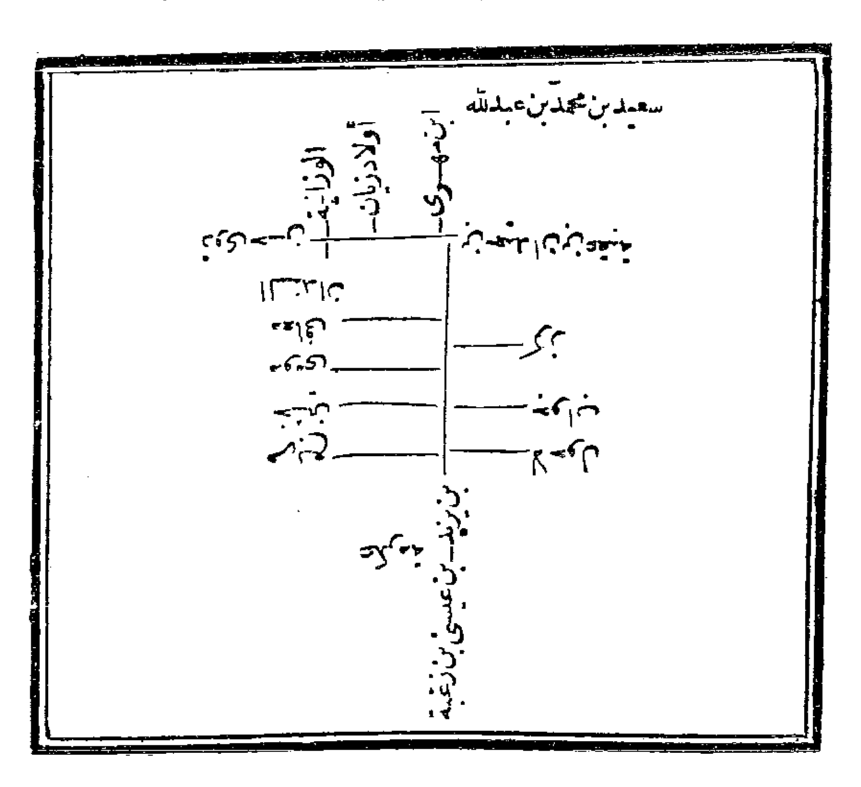
وكان من أحلافهم فيما تقدم بنو عامر بن زِغْبَة يظعنون معهم في مجالاتهم ويظاهرونهم في حروبهم . وكانت بين رياح وزِغْبَـة فتنة طويلة لعهد موسى بن محمـد بن مسعود وابنه شبل أيام المستنصر بن أبي حفص . فكان بنو يزيد هؤلاء يتولون كبرها لمكان الجوار . وكان بنو عامر أحلافهم فيها وظهراؤهم . وكان لهم على مظاهرتهم وضيعة من الزرع تسمى الغرارة ، وهي ألف غرارة من الزرع . وكان سببها فيما يزعمون : ان أبا بكر بن زغلي غلبته رياح على الدهوس من وطن حمزة ازمان فتنته معهم ، فاستصرخ لبني عامر فجاءه أولاد شافع وعليهم صالح بن بالغ ،

وبنو يعقوب ، وعليهم داود بن عطاف ، وحميد وعليهم يعقوب ابن معروف . واسترجع وطنه ، وفرض لهم على وطنه ألف غرارة من الزرع ، واستمرت لبني عامر .

فلما ملك يُغْمُراسن بن زيان تِلمسَان ونواحيها ودخلت زَنَاتَة الى التلول والارياف ، كثر عيث المعقل وفسادهم في وطنها فجاء يغمراسن ببني عامر هؤلاء من مجالاتهم بصحراء بني يزيد ، وأنزلهم في جواره بصحراء تلمسان كياداً للمعقل ، ومزاحمةً لهم بأقيالهم فنزلوا هنالك . وتبعتهم حُمَيَّان من بطون بني يزيد بما كانوا بطوناً وناجعة ، ولم يكونوا حلولاً فصاروا في عداد بني عامر لهذا العهد . وتولت بنو يزيد بلاد الريف وخصبه فأوطن فيه أكثرهم . وقلّ أهل الناجعة منهم إلا افاريق من عَكْرَمَة وبعض بطون عبس يظعنون مع أولاد زُغلي في قفرهم .

وأقصروا عن الظعن في القفر إلّا في القليل ، ومع احلافهم من ظعون رياح أو زغبة ، وهم على ذلك لهذا العهد . ومن بطون بني يزيد بن عبس زغبة هؤلاء بنو خَشين وبنو موسى وبنو مُعافى وبنو لاحق . وكانت الرئاسه لهم ولبني معافى قبل بني سعد بن مالك ، وبنو جواب وبنو كرز وبنو مربع وهم المرابعة ، وهؤلاء كلهم بطن حمزة لهذا العهد . ومن المُرابعة حيّ ينجعون بضواحي تونس لهذا العهد وغلب عليهم بسبب زغبة والله الخلاق العليم .

أبو الفضل بن موسى بن زغلي بن رزق بن سعد بن مالك بن عبد القوي بن عبد الله بن سعيد بن محمد بن عبد الله .



حصين بن زغبة

وأمّا أولاد حَصين بن زِغْبَة فكانت مواطنهم بجوار بني يزيد الى المغرب عنهم . كانوا حيّاً حلّوا هنالك ، وكان الريف المحاذي من تَيطَري ونواحي المريّه ، مواطن للثعالبة من بطون البعوث ويأخذون منهم الاتاوات والصدقات . حتى اذا ذهب سلطان

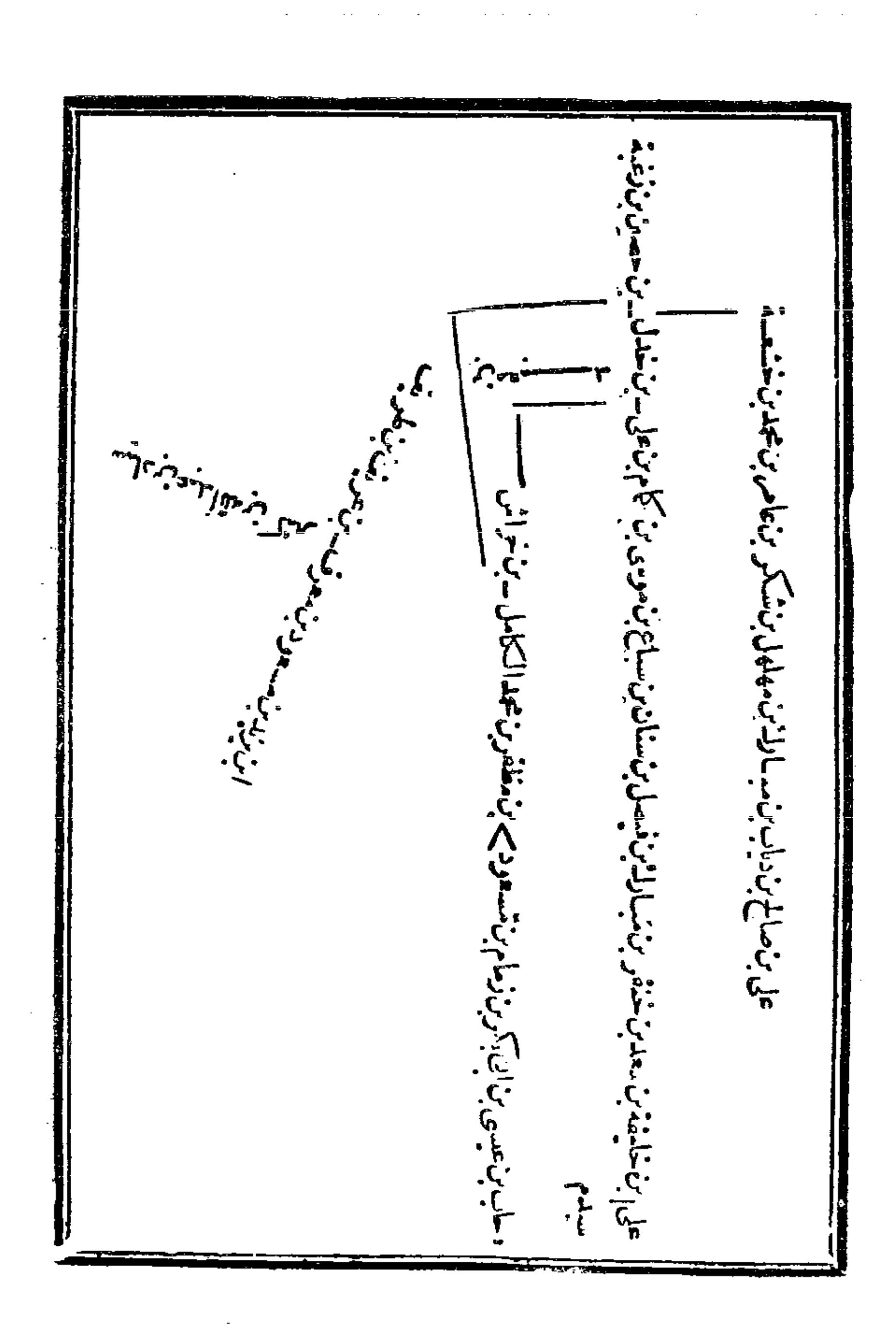
بني توجين من أرض المريّة وغلبهم عليهم بنو عبد الواد ساموا حَصِيناً هؤلاء خطة الخسف والذل ، وألزموهم الوضائع والمغارم واستلحموهم بالقتل وهضموهم بالتكاليف ، وصيّروهم في عداد القبائل الغارمة . وبأثر ذالك كان تغلب بني مَرين على جميع زَناتَة كما نذكره فكانوا لهم أطوع ولدولتهم أذل . فلما عاد بنو عبد الواد الى ملكهم لعهد أبي حَمُّو موسى بن يوسف بعد مهلك السلطان أبي عنَّان هبت ريح العزّ للعرب ، وفشل ريح زناتة ولحق دولتهم ما يلحق الدول من الهرم ونزل حصين بتيطّري وهو جبل أشير وملكوه وتحصنوا به .

وكان أبو زيّان ابن عم السلطان أبي حمو لما ملك من قبله لحق بتونس مفلتاً من حُبالة بني مرين ، وخرج طالباً لملك أبيه ومنازلاً لابن عمه هذا ونزل في خبر طويل نذكره بقبائل حَصين هؤلاء أحوج ما كانوا لمثلها لما راموه من خلع ما كان بأعناقهم من الذل وطرق الاهتضام والعسف فتلقوه بما يجب له ؛ ونزل منهم بأكرم نزل وأحسن مثوى . وبايعوه وارسلوا اخوانهم وكبراءهم من رؤساء زِغبة بني سويد وبني عامر فاصفقوا عليه . وتردّدت عساكر السلطان أبي حمو وبني عبد الواد اليهم فتحصّنوا بجبل تيطرى وأوقعوا بهم .

ونهض اليهم السلطان أبو حمو بعساكره فقتلوه ونالوا منه ، ونالت زغبة بذلك ما أرادوه من الاعتزاز على الدولة آخر

الايام ، وتملّكوا البـلاد اقطاعات وسهاناً ورجـع أبو زيان الى رياح فنزل بهم عـلى سلم عقد مع ابن عمـه وبقي لحصـين أثر الاعتزاز من جرائه . واقطعتهم الدولة ما ولوه من نواحي المريّة وبلاد صنهاجة . ولحصين هؤلاء بطنان عظيان جنَـدَل وخِراش . فمن جندل أولاد خُنفُر بن مبارك بن فيصل بن سنان بن سبّاع ابن موسى بن كمام بن علي بن جندل ورئاستهم في بني خليفـة بن سعد ليلي ، وسيدهم أولاد خَشعَة بن جندل .

وكانت رئاستهم على جندل قبل أولاد خليفـة ، ورئيسهم الآن علي بن صالح بن دياب بن مبارك بن يحيى بن مُهَلهِل بن شكر بن عامر بن محمد بن خَشْعَة . ومن خراش أولاد مسعود ابن مظفَّر بن محمد الكامل ، بن خراش . ورئاستهم لهذا العهـد في ولد رِحاب بن عيسى بن أبي بكر بن زِمـام بن مسعود . وأولاد فرج بـن مُظفَّر ، ورئاستهم في بني خليفة بن عثمان بن موسى بن فرج . وأولاد طُرَيف بن مِعبَد بن خراش ، ويعرفون بالمعابدة ، ورئاستهم في أولاد عريف بن طريف ازيّان بن بـدر ابن مسعود بن معرّف بن عريف . ولمصباح بن عبـد الله بن كثير بن عريف . وربما انتسب أولاد مظفر من خراش الى بني سُلَيم ، ويزعمون ان مظفر بن محمد الكامل جاء بني سليم ونزل بهم والله اعلم بحقيقة ذلك .



بنو مالك بن زغبة

وأمّا بنو مالك بن زغبَة فهم بطون ثلاثـة : سويد بن عامر بن مالك والحرث بن مالك وهم بطنـان للعطاف من ولد عطاف بن رومي بن حارث . والديالم من ولد ديلم بن حسن بن ابراهيم بن رومي فأما سويد فكانوا احلافاً لبني بادين قبل الدولة. وكان لهم اختصاص ببني عبد الواد . وكانت لهم لهذا العهـد اتاوات على بلد سيرات والبطحاء وهوّارة . ولـما ملك بنو بادين تـلول المغرب الأوسط وأمصاره كان قسم بني توجين منه سياجَ التلول القبْلية ما بين قلعة سعيدة في الغرب الى المريّه في الشرق . فـكان لهم قلعـة بن سَلاَمة ومندَاس وأنشَريس ورينة [1] وما بينهما ، فاتصل جوارهم لبني مالك هؤلاء في القفر والتل .

ولما ملك بنو عبد الواد تلمْسان ونزلوا بساحتها وضواحيها ، كان بنو سُوَيد هؤلاء أخص بحلفهم وولايتهم منَ سـائر زغبَة . وكانت لسويد هؤلاء بطون مذكورون من فليتة وشبانة ومجاهر وجُوثَة ، كلهم من بني سويد . والحساسنة بطن من شُبّـانَة الى حسّان بن شبانة وغفير وشافِع ومـا لفّ . كلهم بنو سُليمَان بن مجاهر وبو رَحْمة وبو كامل وحمدان بنو مقدّر بن مجاهر . ويزعم

(١) كذا ، وفي النسخة التونسية : ووزينة ، وفي نسخة باريسية : وورتـه . وفي نسخة اخرى : ووزلنة .

بعض نسابتهم انّ مقدّرا ليس بجدّ لهم ، وإنما وضع ذلك أولاد بو كامل .

وكانت رئاستهم لعهدهم في يُغمُراسن وما قبله في أولاد عيسى بن عبد القوي بن حمدان ، وكانوا ثلاثة : عمر بن مهدي وعطية وطراد . واختصّ مهدي بالرئاسة عليهم ثم ابنه سيف بن مهدي ثم أخوه عمر بن مهدي واقطع يُغْمُراسن يوسف بن مهدي ببلاد البطحاء وسيرات ، وأقطع عنتر بن طرّاد بن عبسي قرارة البطحاء وكانوا يقتضون اتاواتهم على الرعايا ولا يناكرهم فيها . وربما خرج في بعض خروجه واستخلف عمر بن مهدي على تلمسان وما اليها من ناحية المشرق .

وفي خلال ذلك خلت مجالاتهم بالقفر من ظعونهم وناجعتهم ، إلّا أحياء من بطونهم قليلي العدد من الجُوثة وفليتة ومالف وغفير وشاقع وأمثالهم فغلب عليهم هنالك المعقل ، وفرضوا عليهم اتاوةً من الابل يعطونها ويختارونها عليهم من البكرات . وكان المتولي لأخذها منهم من شيوخ المعقل أبو الريش بن نهار بن عثمان بن عبيد الله ، وقيل عليّ بن عثمان أخو نهار . وقيل ان البكرات انما فرضها المعقل على قومه بن عامر جميل لاجل مظاهرة له على عدوة ، وبقيت للمعقل عادة الى ان تمشّت رجالات من زِغبة في نقض ذلك ، وغدروا برجال المعقل ومنعوا تلك البكرات

اخبرني يوسف بن علي ثم غانم عن شيوخ قومه من المعقل ان سبب البكرات وفرضها على زغبة كما ذكرناه . وأما سبب رفعها فهو أنّ المعقل كانوا يقولون غرامتها ادالة بينهم. فلما دالت لعبيد الله الدولة في غرامتها جمع ثوابه بن جوثة قومه وحرضهم على منعها فاختلفوا واحتربوا مع عبيد الله ودفعوهم الى جانب الشرق وحالوا بينهم وبين أحيائهم وبلادهم . وطالت الحرب ومات فيها بنو جوثة وابن مرمح من رجالاتهم . وكتب بنو عبد الله الى قومهم من قصيدة :

بني معقل ان لم تصرخونا على العدو فلا بدّ لكم تذكر ما طرا لنا
قتلنا بن جُوثَة والهمام بن مرهج على الوجه مكبوب وذا من فعالنا

فاجتمعوا وجاؤا الى قومهم وفرّت احياء زِغْبة ، واجتمع بنو عبيد الله واخوانهم من ذوي منصور وذوي حسان ، وارتفع أمر البكرات من زغبة لهذا العهد . ثم حدث بين يُغْمُراسن وبينهم فتنة هلك فيها عمر بن مهدي وارتحلوا عن التلول والارياف من بلاد عبد الواد الى القفر المحاذي لأوطان بني توجين على المهادنة والمصاهرة ، فصاروا لهم حلفاء على بني عبد الواد . ومن عجز منهم من الظعن نزل ببسائط البطحاء . وسارت بطونهم كلها من شبابة ومُجاهِر وغفير وشافِع ومالف وبورحمة وبوكامل ونزل مُحيسن ابن عُمَارة وأخوة سُويد بضواحي وَهْرَان فوضعت عليهم الأتاوات

والمغارم ، وصاروا من عداد الرعايا أهل الجباية ، وولي عثمان بن عمر أمر الظعون من سويد . ثم هلك وقام بأمره ابنه ميمون وغلب عليه اخوه سعيد واستبد .

وكان بين سُوَيد وبين بني عامر بن زُغْبَة فتنة اتصلت على الأيام ، وثقلت وطأة الدولة الزيانيّة عليهم . وزحف يوسف بن يعقوب الى منازلة تِلمسان ، وطال مقامه عليها فوفد عليه سعيد ابن عثمان بن عمر بن مهدي شيخهم لعهده فأتى مجلسه وأكرم وفادته . ثم أجمع قتله ففرّ ولحق بقومه ، وأجلب على اطراف التلول وملك السَّرسُو قبلة بلاد توجين ، ونزعت اليه طائفة من عَكْرَمة بني يزيد وعجزوا عن الظعن ، وأنزلهم بجبل كريكرة قبلة السرسو ووضع عليهم الاتاوة . ولم يزل كذلك الى ان هلك يوسف بن يعقوب واتصل سلطان آل يغمراسن .

ولما ولي أبو تاشفين بن موسى بن عثمان بن يغمراسن استخلص عريف بن يحيى لديه صحابة كانت له معه قبل الملك . ثم آسفه ببعض النزعات الملوكية . وكان هِلال مولاه المستولي عليه يغص بما كان عريف منه ، فنزع عريف بن يحيى الى بني مَرين ملوك المغرب الأقصى ، ونزل على السلطان أبي سعيد منهم سنة عشرين وسبعمائة ، واعتقل أبو تاشفين عمه سعيد بن عثمان الى ان هلك في محبسه قبيل فتح تِلَمسان. ولحق اخوه ميمون بن عثمان وولده بملك المغرب ، وأنزل عريف بن يحيى من سلطان بني مَرين

أكرم نزل وأدنى مجلسه وأكرم مثواه . ثم اتخذه ابنه السلطان أبو الحسن من بعده بطانة لشوراه ونجيًّا لخلواته . ولم يزل يحرّضهم على آل زيّان بتلمسان . ونفس ميمون بن عثمان وولده عريف رتبته عند السلطان أبو الحسن فنزعوا إلى أخيه أبي علي بتافيلالت فلم يزالوا بها الى ان هلك ميمون .

ثم تغلّب السلطان أبو الحسن على أخيه أبي علي ، وصار أولاد ميمون في جملته . وزحف السلطان أبو الحسن الى تلمسان بجر أمم المغرب ، وأحجر على زيّان بتلمسان ، ثم اقتحمها عليهم عَنْوَةً وابتزّهم ملكهم ، وقتل السلطان أبا تاشفين عند شَدونة ، وبعث كلمته في أقطار المغرب الأقصى والأدنى الى تخوم الموحدين من أندلس ، وجمع كلمة زَنَاتَة واستتبعهم تحت لوائه . وفر بنو عامر من زِغْبَة أولياء بني عبد الواد الى القفر كما نذكره . ورفع السلطان أبو الحسن قوم عَريف بن يحيى بمحلته على كل عربيّ في اياله من زغبة والمعقل . وكان عقد سمعون بن سعيد على الناجِعَة من سُوَيد . وهلك أيام نزول السلطان بتاسالة سنة اثنتين وثلاثين قبل فتح تِلْمسَان .

وولي من بعده أخوه عطية وهلك لاشهر من ولايته بعد فتح تلمسان فعقد السلطان لونزمار بن عَريف على سويد وسائر بني مالك ، وجعل له رئاسة البدو حيث كانوا من أعماله ، وأخذ الصدقات منهم والاتاوات فعكفت على بيته أمم البدو واقتدى

بشوراه رؤساؤهم . وفرّ ابن عمه المسعود بن سعيد ولحق ببني عامر ، وأجلبوا على السلطان بدعاء جزارشبة ابنه أبي عبد الرحمن ، فجمع لهم ونزمار وهزمهم كما نذكره . وسفر عريف بين السلطان أبي الحسن وبين الملوك لعهده من الموحدين بافريقية وبني الاحمر بالأندلس والترك بالقاهرة . ولم يزل على ذلك الى ان هلك السلطان أبو الحسن .

ولما تغلّب السلطان أبو عنان على تلمسان كما سنذكره رعى لسُويد ذمّة الانقطاع اليه ، فرفع ونزمار بن عريف على سائر رؤساء البدو من زغبة وأقطعه السرّمو وقلعة ابن سَلاَمَة وكثيراً من بلاد توجين . وهلك أبو عريف بن يحيى ، فاستقدمه من البدو وأجلسه بمكان أبيه من مجلسه جوار أريكته ولم يزل على ذلك . وعقد لاخيه عيسى على البدو من قومه ، ثم بني عبد الواد بعد ملك السلطان أبي عنان عادت لهم الدولة بأبي حمو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن أبي يُغمُراسن من أعياص ملوكهم .

وتولى كبر ذلك صغير بن عامر وقومه لما لهم مع آل زيأن من الولاية ، وما كان لبني مرين فيهم من النقمات ، فملكوا تلمسان ونواحيها ، وعقدوا على سُويد لميمون ابن سعيد بن عثمان . وتاب لونزمار بن عريف ، ورأى الترهبّ والخروج عن الرئاسة ، فبنى حِصناً بوادي ملويّة من تخوم بني مرين ونزل به

وأقام هنالك لهذا العهد . وملوك بني مرين يرعون له ذمّة اختصاصه سلفهم فيؤثرونه بالشورى والمداخلة في الاحوال الخاصة مع الملوك والرؤساء من بسائر النواحي ، فتوجهت اليه بسبب ذلك وجوه أهل الجهات من الملوك وشيوخ العرب ورؤساء الاقطار .

ولحق أخواه أبو بكر ومحمد بقومهم فمكروا بالميمون ودسوا عليه من قتله غِيلة من ذويهم وحاشيتهم واستبدّوا برئاسة البدو . ثم لما نصب بنو حصِين بن زيّان ابن عم السلطان أبي حمو للملك كما نذكره ورشحوه للمنازعة سنة سبع وستين وسبعمائة هبّت من يومئذ ريح العرب ، وجاش مرجلهم على زناتة ووطئوا من تلول بلادهم بالمغرب الأوسط ما عجزوا عن حمايته ، وولجوا من فروجها ما قصروا عن سدّه ، ودبوا فيها دبيب الظلال في الفيوء ، فتملّكت زغبة سائر البلاد بالاقطاع عن السلطان طوعاً وكرهاً رعياً لخدمته ، وترغيباً فيها وعدّة وتمكيناً لقوّته حتى أفرجت لهم زَنَاتة عن كثيرها ، ولجأوا الى سيف البحر .

وحصل كل منهم في الفلول على ما يلي موطنه من بلاد القفر . فاستولى بنو يزيد على بلاد حمزة وبني حسن كما كانوا من قبل ، ومنعوا المغارم ، واستولى بنو حسين على ضواحي المدينة اقطاعاً والعطاف على نواحي مُلْيانَة ، والديالِم على وزَيْنَة ، وسُوَيد على بلاد بني توجين كلها ما عدا جبل وَنْشريس لتوعرّه

بقيت فيه لمة من توجين رئاستهم لأولاد عمر بن عثمان من الجشم بني تَيغرين كما نذكره ، وبني عامر على تاسالة وميلانَة الى ميدور [1] الى كيدزَة الجبل المشرف على وُهران .

وتماسك السلطان بالامصار وأقطع منها كايتو لابي بكر بن عريف ، ومازونة لمحمد بن عريف ونزلوا لهم عن سائر الضواحي فاستولوا عليها كافة . وأوشك بهم أن يستولوا على الامصار . وكل أول فالى آخر ، ولكل أجل كتاب ، وهم على ذلك لهذا العهد .

ومن بطون سُوَيد هؤلاء بطن بنواحي البطحاء يعرفون بَبهرة ينسبهم الناس الى مجاهد بن سويد ، وهم يزعمون انهم من قوم المقداد بن الاسود ، وهم بهذا من قُضَاعة . ومنهم من يزعم أنهم من تجيب احدى بطون كِنْدَة والله أعلم . ومن ظواعن سُوَيد هؤلاء ناجعة يعرفون بصَبِيح ، ونسبهم الى صَبِيح بن عِلاج بن مَالِك ولهم عدد وقوة وهم يظعنون بظعن سويد ويقيمون بمقامهم .

وأمّا الحرث بن مالك وهم العِطَاف والديالم فوطن العطاف قبلة مِليانَة ، ورئاسة ظعونهم لولد يعقوب بن نصر بن عروة من منصور بن أبي الذئب بن حسن بن عياض بن عطاف بن زيان ابن يعقوب وابن أخيه علي بن أحمد وبنيهم ، ومعهم طائفة من

(١) كـذا وفي احدى النسخ : هيدور

براز احدى بطون الاثبج . وأقطعهم السلطان مغارم جبل دِرّاك وما إليه من وادي شَلَب . وحال بينهم وبين موطن سُوَيد ونشريس ولهم بلاد وزينة في قبلة الجبل رئاستهم في ولد ابراهيم ابن رزق بن رِعاية من مزروع بن صالح بن ديلم ، والسعد بن العباس بن ابراهيم منهم لهذا العهد . وكانت من قبل لعمه أبي يحيى بن ابراهيم . وتقبض عليه السلطان أبو عثمان باشارة عريف ابن يحيى واغرى به وهلك في محبسه .

وفيهم بطون كثيرة منهم بنو زيادة بن ابراهيم بن رومي والدهاقنة أولاد هلال بن حسن وبنو نوال بن حسن أيضاً ، وكلهم اخوة ديلم بن حسن وابن عَكْرَمة من مزروع بن صالح ، ويعرفون بالعكارمة . وهؤلاء العطاف والديالم أقل عدداً من سويد وأولياؤهم في فتنتهم مع بني عامر لمكان العصبية من نسب مالك ، ولسُوَيد عليهم اعتزاز بالكثرة . والديالم أبعد مجالاً منهم في القفر ، ويحاذيهم في مواطنهم من جانب التلول بطن من بطون الحرث يعرفون بغريب نسبهم الى غريب بن حارث ، حيّ حلول بتلك المواطن يطلبهم السلطان في العسكرة ، ويأخذ منهم المغارم ، وهم أهل شاة وبقر . ورئاستهم في أبناء مزروع بن خليفة بن خلوف بن يوسف بن بكرة بن مِنْهاب بن مكتوب بن مَنيع ابن مُغيث بن محمد الغريب ، وهو جدّهم بن حارث . وترادفهم في رئاستهم على غريب أولاد يوسف ، وهم جميعاً أولاد بني منيع

سعد بن العباس > بن ابراهيم بن زروق بن ريحاية | بن حسن | بن ابراهيم

دمهنان

بنو احمد بن يعقوب بن موسى بن يعقوب بن نصر بن عروة بن منصور بن أبي الذئب بن حسن بن عياض بن عطاف > بن ادى > بن الحارث

اولان

بنو مزاع بن مخلوف بن يوسف بن بركة بن مناهب بن مكفوت > بن منيع بن مغيث بن محمد بن الغريب

بنو عامر

صبح بن علاج

عطية — مسعود بن مسعود — يوسف — عطية — اولاد يوسف — عفير — نابع بن سليمة — سالف

وندار بن عريف بن يحيى > بن عثمان بن عمر > بن مهدى بن عيسى > بن عبد القوى بن حمدان ـ بن معرز > بن مجاهد ـ بن سويد بن عمار | بن مبارك بن زغبة

سعيد — المسعودى — الميمون — عنتر بن طراد — موسى — بديل — بورجة — حسان بن سماية — بلبنة — بعيس

وسائر غريب من الأحلاف شيوخهم أولاد كامل ، والله مالك الخلق والامر .

بنو عامر بن زغبة

وأما بنو عامر بن زِغْبَة ، فمواطنهم في آخر مواطن زغبة من المغرب الاوسط قبلة تلمسَان مما يلي المعقل وكانت مواطنهم من قبل ذلك في آخرها مما يلي المشرق ، وكانوا مع بني يَزيد حياً جميعاً ، وكانوا يغلبون غيرهم في مواطن حمزة والدهوس وبني حسن لميرة اقواتهم في المصْيف . ولهم على وطن بني يزيد ضِريبة من الزرع متعارفة بين أهله لهذا العهد . يقال انها كانت لهم أزمان تغلبهم في ذلك الوطن ، وقيل ان أبا بكر بن زغبي في فتنته مع رياح غلبوه على الدهوس من وطنه فاستصرخ بني عامر فجاؤا لصَريخه ، وعلى بني يعقوب داود بن عطاف ، وعلى بني حميد يعقوب بن معروف ، وعلى شافِع صالح بن بالغ وغلبوا رياحاً بعزلان . وفرض لهم على وطن بني يزيد ألف غرارة ، واستمرّت لهم عادة عليهم .

ولما نقلهم يُغْمُراسن الى مواطنهم هذه لمحاذاة تلمسان ليكونوا حجزاً بين المعقل وبين وطنها استقروا هنالك يتقلبون في قفارها في المشاتي ، ويظهرون الى التلول في المرابع والمصايف . وكان

فيهم ثلاثة بطون : بنو يعقوب بن عامر وبنو حميد ابن عامر وبنو شافع بن عامر ، وهم بنو شَقارَة وبنو مَطرِف . ولكل واحد من البطنين الآخرين أفخاذ وعمائر . ولبني حَميد فصائل أخرى فنهم : بنو حميد . ومن عُبَيْد الحُجز ، وهم بنو حجاز ابن عُبيد . وكان له من الولد جحرش وهَجِيش ابني حجاز . ولجحرش حامد ومحمد ورباب .

ومن محمد الولالدة بنو ولاد بن محمد . ومن رَبَاب بنو رباب وهم معروفون لهذا العهد . ومن عُبيد أيضاً المُقلة بنو عُقيل بن عبيد والمحارزة بنو محرز بن حمزة بن عبيد . وكانت الرئاسة على حميد لعلاق من هؤلاء المحارزة وهم الذين قبل جحرش جذبني رباب . وكانت الرئاسة على بني عامر كافة لبني يعقوب على عهد يغمراسن وابنه ، لداود بن هِلال بن عِطاف بن رداد بن رَكِيش بن عياد بن منيع بن يعقوب منهم . وكان بنو حميد أيضاً برئيسهم وشيخهم ـ إلّا انه رَدِيف لشيخ بني يعقوب ـ منهم .

وكانت رئاسة حميد لأولاد رباب بن حامد بن جحوش بن حجاز بن عبيد بن حميد ، ويسمون الحجز . وعلى عهد يغمراسن لمعرف بن سعيد بن رباب منهم ، وهو رديف لداود كما قلناه . ووقعت بين عثمان وبين داود بن عطاف مغاضبة ، وسخطه عثمان لما أجاز الامير أبا زكريا ابن السلطان أبي اسحق من آل أبي حفص حين فر من تلمسان طالباً الخروج على الخليفة بتونس ،

وكان عثمان بن يغمراسن في بيعته فاعتزم على رجعه فأبى داود من اخفار ذمته في ذلك . ورحل معه حتى لحق بعطيّة بن سليمان من شيوخ الدواودة، وتغلب على بجاية وقسطنطينة كما يذكر في أخباره .

وأقطع داود بن هلال رعياً لفعلته وطناً من بلاد حمزة يسمى كدارة، وأقام داود هنالك في مجالاتهم الأولى إلى ان نازل يوسف بن يعقوب تلمسان وطال حصاره لها، فوفد عليه داود مؤمّلاً صلاح حاله لديه، وحمّله صاحب بجاية رسالة الى يوسف بن يعقوب فاستراب به من أجلها . فلما قفل من وفادته بعث في اثره خيالة من زناتة بيّتوه ببني يبقى [1] في سدّ وقتلوه . وقام بأمره في قومه ابنه سعيد، ونفس مخنق الحصار على تلمسان . وكان قِبَل بني مَرين لأبيه وسيلة رعاها لهم بنو عثمان بن يغمراسن فرجعوهم الى مواطنهم ومع قومهم . وقد اغتر أولاد مُعرِّف بن سعيد في غيبتهم تلك يساجلونهم في رئاسة بني عامر، وغص كل واحد بمكان صاحبه؛ واختص بنو مُعَرِّف باقبال الدولة عليهم لسلامتهم من الحزازة والخلاف . ونزع سعيد بن داود لاجل هذه الغيرة الى بني مرين .

ووفد على السلطان أبي ثابت من ملوكهم يؤمّل به الكرة فلم يصادف لها محلاً ورجع الى قومه . وكانوا مع ذلك حياً جميعاً

(١) كذا ، وفي احدى النسخ : ليقي

ولم تزل السعاية بينهم تدب حتى عدا ابراهيم بن يعقوب بن معرف على سعيد بن داود فقتله وتناول قتله ماضي بن ردان من أولاد معرف بن عامر بمجالاته ، وتعصب عليه أولاد رباب كافة فافترق أمر بني عامر وصاروا حيين : بنو يعقوب وبنو حَميد . وذلك لعهد أبي حمو موسى بن عثمان من آل زيّان ، وقام بأمر بني يعقوب بعد سعيد ابنه عثمان . ثم هلك بعد حين ابراهيم ابن يعقوب شيخ بني حميد ، وقام مقامه من بني قومه ابنه عامر بن ابراهيم ، وكان شهماً حازماً وله ذكر ، ونزل المغرب قبل عريف بن يحيى ونزل على السلطان أبي سعيد وأصهر اليه ابنته فأنكحه عامر اياها وزفّها اليه ، ووصله بمال له خطر فلم يزل عثمان يحاول أن يثأر منه بأبيه ، بالفتنة تارة والصلح والاجتماع اخرى حتى غدره في بيته وقتله وارتكب فيه الشنعاء التي تنكرها العرب ، فتقاطع الفريقان لذلك آخر الدهر .

وصارت بنو يعقوب احلافاً لسويد في فتنتهم مع بني حميد هؤلاء . ثم تلاحقت ظواعن سُوَيد بعَريف بن يحيى في مكانه عند بني مَرين واستطال ولد عامر بن ابراهيم بقومهم على بني يعقوب فلحقوا بالمغرب ، ولم يزالوا به الى ان جاؤا في عساكر السلطان أبي الحسن ، وهلك شيخهم عثمان . قتله أولاد عريف بن سعيد بثار عامر بن ابراهيم ، وولي بعده ابن عمه هجرس بن غانم بن هلال ، فكان رديفاً له في حياته . ثم هلك وقام بأمره عمه سليمان ابن داود .

ولما تغلب السلطان أبو الحسن على تلمسان فر بنو عـامر بن ابراهيم الى الصحراء ، وكان شيخهم لذلك العهـد صغير ابنه . واستألف السلطان عـلى يد عريف بن يحيى سـائر بطون حَميد وأولاد رباب فخالفوا صغيراً واخوانه الى السلطان . وولّى عليهم شيخاً من بني عمهم عريف بن سعيد ، وهو يعقوب بن العبـاس بن ميمون بن عريف . ووفد بعد ذلـك عمر بن ابراهيم عم صغـير فولاه عليهم واستخدمهم ، ولحق بنو عـامر بن ابراهيم بالدواودة ونزلوا على يعقوب بن عـلي ، ولم يزالوا هنـالك حتى شبوا نار الفتنة بالدعي بن هيدور المهيمن بشعبه أبي عبـد الرحمن ابن السلطـان أبي الحسن . وأعـانه على ذلـك أهل الحقود على الدولة والاضغان من الديالم ، وأولاد ميمون بن غنم بن سويد نقموا على الدولة مكان عريف وابنه ونزمار منهـا فاجتمعوا وبايعوا لهذا الدعي .

وأوعز السلطان الى ونزمار بحربهم فنهض اليهم بالعرب كافة ، وأوقع بهم وفضهم ومزق جموعهم . وطـال مفر صغير بن عامر واخوته في القفار ، وأبعدوا في الهرب ، قطعوا العرق الرمل الذي هو سياج على مجالات العرب ، ونزل قليعة والد [1] وأوطنها . ووفد من بعد ذلك على السلطان أبي الحسن متذممـاً به فقبل وفادته واسترهن أخاه أبا بكر ، وصحب السلطان الى افريقية

(١) كذا ، وفي النسخة التونسية : والر ، وفي النسخة البأريسية : والن .

وحضر معه واقعة القيروان . ثم رجع الى قومه وعادوا جميعاً لولاية بني يغمراسن ، واستخدموا قبائلهم لأبي سعيد عثمان ابن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن الدائل بتلمسان بعد واقعة القيروان أعوام خمسين وسبعمائة ، فكان له ولقومه فيها مكان . ولحق سويد وبنو يعقوب بالمغرب حتى جاؤا في مقدمة السلطان أبي عنان .

ولما هلك بنو عبد الواد ، وافترق جمعهم فرّ صغير الى الصحراء على عادته ، وأقام بالقفر يترقب الخوارج ، ولحق به أكثر قومه من بني معرف بن سعيد فأجلب بهم على كل ناحية . وخالف أولاد حسين بالمعقل على السلطان أبي عنَّان أعوام خمسة وخمسين وما بعدها ، ونازلوا سِجِلْمَاسَة فكاثرهم وكان معهم ، وأوقعت بهم عساكر بني مرين في بعض سني خلائهم وهم بنكور يتارون فاكتسحوا عامة أموالهم وأثخنوا فيهم قتلاً وأسراً . ولم يزالوا كذلك شريداً في الصحراء ، وسويد وبنو يعقوب بمكانهم من المجالات ، وفي حظهم عند السلطان ، حتى هلك السلطان أبو عنان وجاء أبو حمو موسى بن يوسف اخو السلطان أبي سعيد عثمان بن عبد الرحمن لطلب ملك قومه بتلمسان ، وكان مستقراً بتونس منذ غلبهم أبو علي على أمرهم فرحل صغير الى وطن الدواودة ، ونزل على يعقوب بن علي أزمان خلافه على السلطان أبي عنان ، وداخله في استخلاص أبي حمو

هذا من ايالة الموحدين للاجلاب على وطن تلمسان وبني مرين الذين به ، فأرسلوه معه وأعطوه الآلة . ومضى به مقير وصولة ابن يعقوب بن علي وزيان بن عثمان ابن سبّاع وشبل بن أخيه ملوك بني عثمان . ومن بادية رياح دغار بن عيسى بن رحاب بقومه من سعيد ، وبلغوا معهم الى تخوم بلادهم فرجع عنهم رياح إلا دغار بن عيسى وشبل بن ملّوك ومضوا لوجههم . ولقيتهم جموع سويد ، وكان الغلب لبني عامر . وقتل يومئذ شيخ سويد بن عيسى عريف ، وأسر اخوه أبو بكر . ثم منّ عليه علي بن عمر بن ابراهيم وأطلقه . ولم يتصل الخبر بفاس إلّا والناس منصرفون من جنازة السلطان أبي عنان . ثم أجلب أبو حمو بالمغرب على تلمسان فأخذها وغلب عساكر بني مرين عليها ، واستوسق ملكه بها . ثم هلك مقير لسنتين أو نحوهما حمل نفسه في جولة فتنة في الحي يروم تسكينها على بعض الفرسان فاعترضه سِنَان رمح على غير قصد فأنفذه وهلك لوقته . وولي رئاستهم من بعده أخوه خالد بن عامر يرادفه عبد الله ابن أخيه مقير . وخلصت زغبة كلها للسلطان أبي حمو فأساء بني مرين لما كان بينهم من الفتنة واستخدمهم جميعاً على مضاربهم وعوائدهم من سويد وبني يعقوب والديالم والعِطاف ، حتى اذا كانت فتنة أبي زيان بن السلطان أبي سعيد عم أبي حمو كما نذكره في خبرهم ، جاش مِرجَل الفتنة من زغبة ، واختلفوا

على أبي حمو ، وتقبّض على محمد بن عريف أمير سويد لاتهامه اياه بالادهان في أمره ، فنزع أخوه أبو بكر وقومه الى صاحب المغرب عبد العزيز ابن السلطان أبي الحسن سنة سبعين وسبعمائة وجاؤا في مقدمته واستولى على مواطنهم .

ولحق بنو عامر وأبو حمو بالصحراء ، وطال ترددهم فيها ، وسعى عند أبي حمو في خالد من عمومته وأقاربه عبد الله بن عسكر بن معرف بن يعقوب ، ومعرّف هو أخو ابراهيم بن يعقوب . وكان عبد الله هذا بطانة للسلطان وعيناً ، فاستفسد بذلك قلب خالد وتغيّر ونبذ إليه عهده ، ونزع عنه الى السلطان عبد العزيز . وجاءت به عساكر بني مرين فأوقع بالسلطان أبي حمو ومن معه من العرب .

وهلك عبد العزيز سنة أربع وسبعين فارتحل الى المغرب هو وعبد الله ابن أخيه مقير ولحقهم ساسي بن سليم بن داود شيخ بني يعقوب . كان قومه بني يعقوب قتلوا أبناء محمد بن عريف فحدثت بينهم فتنة ، ولحق ساسي هذا وقومه بالمغرب ، وصحب خالداً يؤمل به الكرّة ويئسوا من صريخ بني مرين لما بينهم من الفتنة فرجعوا إلى أوطانهم سنة سبع وسبعين ، وأضرموا نار الفتنة . وخرجت اليهم عساكر السلطان أبي حمو مع ابنه أبي تاشفين وزحف معه سويد والديالم والعطاف فأوقعوا بهم على وادي مينا قبلة القلعة .

٧

وقتل عبد الله بن مقير وأخوه ملوك في قرابة لهم آخرين ، وسار فلّهم شريداً الى الصحراء ، ولحقوا بالديالم والمطاف واجتمعوا جميعاً الى سالم بن ابراهيم كبير الثَعالِبَة ، وصاحب وطن متيجه وكان يتوجّس من أبي حمو الخيفة فاتفقوا على الخلاف وبعثوا إلى الأمير أبي زيان بمكانه من وطن رياح فجاءهم وتابعوه ، وأمكنه سالم من الجزائر . ثم هلك خالد في بعض تلك الايام فافترق أمرهم ، وولي على بني عامر المسعود بن مقير ، وزحف اليهم أبو حمو في سُوَيْد وأوليائه من بني عامر . واستخدم سالم بن ابراهيم ، وخرج أبو زيان الى مكانه من وطن رياح ، ولحق المسعود بن عامر وقومه بالقفر . ولحق ساسي بن سليم بيعقوب ابن علي وقومه من الدواودة .

ثم راجعوا جميعاً خدمة السلطان وأوفدوا عليه فأمنهم وقدموا عليه وأظهروا البر والرحب بالمسعود وساسي ، وطوى لهم على السوء . ثم داخل بطانة من بني عامر وسُوَيْد في نكبتهم فأجابوه ومكر بهم ، وبعث ابنه أبا تاشفين لقبض الصدقات من قومهم حتى اجتمع له ما أراد من الجموع ، فتقبض على المسعود وعشرة من اخوانه بني عامر بن ابراهيم . ونهض أبو تاشفين والعرب جميعاً إلى أحياء بني يعقوب وكانوا بسيرات ، وقد أرصد لهم سُوَيْد بوادي مينا فصبحهم بنو عامر بمكانهم واكتسحوهم . وصار

فلّهم الى الصحراء فاعترضهم أبو تاشفين ببني راشد فلم يبق لهم باقية ، ونجا ساسي بن سليم الى الصحراء في فلّ قليل من قومه ، ونزل على النَضر بن عُروَة واستبدّ برئاسة بني عامر سليمان بن ابراهيم بن يعقوب عم مَقير ورديفه عبد الله بن عسكر بن معرِف بن يعقوب ، وهو أقرب مكاناً من السلطان وخلمه .

ثم بعث صاحب المغرب السلطان أبو العباس أحمد بن الولي أبا سالم بالشفاعة في المسعود واخوانه بوسيلة من وِنزمار بن عَريف بعد ان كان مداخلًا لأبي حمو ولاخوانه في نكبتهم ، فأطلقهم أبو حمو بتلك الشفاعة فعادوا الى الخلاف وخرجوا الى الصحراء ، واجتمع اليهم الكثير من أولاد ابراهيم بن يعقوب . واجتمع أيضاً فلّ بني يعقوب من مطارحهم الى شيخهم ساسي بن سَلِيم ونزلوا جميعاً مع عروة . وأوفد اخوانه على السلطان أبي العباس صاحب افريقية لهذا العهد متذمماً به وصريخاً على عدوّه فتلقاه من البرّ والاحسان ما يناسبه ، وأفاض في وفده العطاء وصرفه بالوعد الجميل .

وشعر بذلك أبو حمو فبعث من عيونه من اغتاله ووفد بعدها على السلطان أبي العباس صاحب افريقية عليّ بن عمر بن ابراهيم ، وهو ابن عم خالد بن محمد وكبير النفر المخالفين من بني عامر على أبي حمو . ووفد معه سليمان بن شُعَيب بن عامر فوفدوا عليه بتونس يطلبون صريخه فأجابهم ووعدهم واحسب

معقل بن عامر بن إبراهيم بن يعقوب بن معرف بن سعد بن زياد بن حامد بن محرش بن عطاء بن عبد بن جعد بن عامر

خالد

سليمان

عريف بن زيان

علي بن عثمان بن سلطان بن داود بن عبد الله

عمر بن زيان بن مسعود بن شداد بن محمد

أحمد

جيش

علاق بن الحاوزة بن حمزة

بني الفقال

الدوقه

ذوي عيسى

شفارة بن شافع

سامي بن سليم بن داود بن هلال بن عطاف بن رداد بن عسكر بن بشر بن عباد بن ضيع بن يعقوب

عنان بن سعيد

يعقوب بن العطاس

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

بالاحسان والمبرة أمامهم ، ورجعوا الى قومهم . ثم راجع عليّ بن عمر خدمة أبي حمو وقدّمه على بني عـامر ، وأدال به من سليمان ابن ابراهيم بن عامر فخرج سليمان الى أهل بيته من ولد عـامر بن ابراهيم الذين بالصحراء ، ونزلوا مع بني يعقوب بأحيـاء أبى بكر بن عريف ، وهو على ذلك لهذا العهد والله مقدّر الليـل والنهار ا هـ .

عروة بن زغبة

وأما عُروة بن زغْبَة فهم بطنان : النَضَر بن عروة . وبطون خِمَيس ثلاثة : عبيد الله وفرغ ويقظـان . ومن بطون فرغ بنو قائل أحلاف أولاد يحيى من المعمور القاطنين بجبل راشد . وبنو يقظـان وعُبيد الله احـلاف لسُوَيد يظعنون لظعنهم ويقيمون لاقامتهم ، ورئاستهم لاولاد عابد من بطن راشد . وأمّا النَضر بن عروة فمنتبذون بالقفر ينتجعون في رماله ويصعدون إلى اطراف التلول في ايالة الديالم والعطاف وحصين وتخوم أوطانهم ، وليس لهم ملك ولا اقطاع لعجزهم عن دخول التلول بلغتهم وممانعـة بطون زغبة الآخرين عنها ، إلّا ما تغلبوا عليه في أذناب الوطن بجبل المستند ممايلي وطن رياح يسكنه قوم من غِمرَة وزَنَاتة استمرّ عليهم غلب العرب منـذ سنين . فوضـع النضر هؤلاء

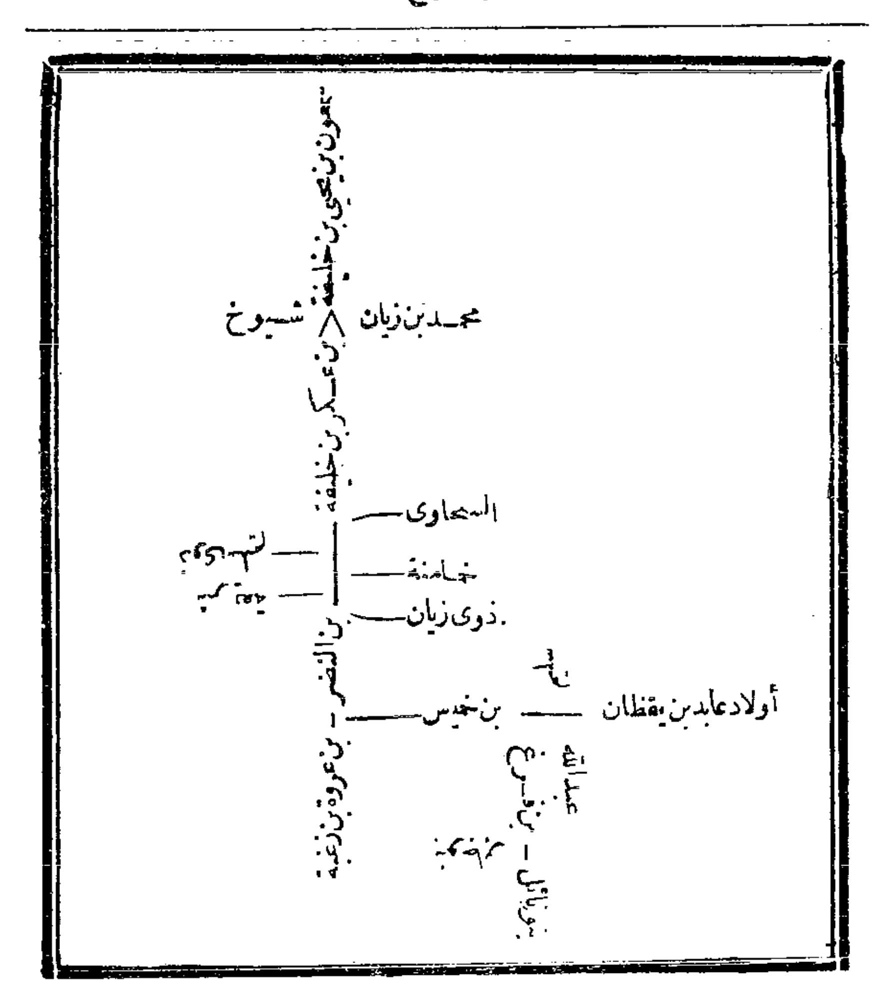
عليهم الاتاوة وأصاروهم خولاً ورعية .

وربما نزل منهم مع هؤلاء البرابر من عجز عن الظعن في بيوتهم ولهم بطون مذكورة أولاد خليفة والخانئة وشريعة والسحاوى [١] وذوي زيان وأولاد سليمان . ورئاستهم جميعاً في أولاد خليفة بن النَضر بن عروة ، وهي لهذا العهد لمحمد بن زيّان ابن عسكر بن خليفة ورديفه سمعون بن أبي يحيى بن خليفة بن عسكر ، وأكثر السحارى موطنون بجبل المشنتل الذي ذكرناه ، ورئاستهم في أولاد [٢] وناجعة . هؤلاء النضر أحلاف لزغْبَة دائماً فتارة للحرب وحصين جيرانهم في المواطن ، وتارة لبني عامر في فتنتهم مع سُوَيد ونديتهم مع بني عامر فيما يزعمون بآل قحافة وسمعت من مشايخهم انه ليس بأب لهم ، وانما هو اسم وادٍ كان به حلفهم قديماً وربما يظاهرون سويداً على ابن عامر إلّا أنه في الاقل والندرة . وهم الى حلف بني عامر أقرب وأسرع لما ذكرناه . وربما ظاهروا رياحاً بعض المرات في فتنتهم لجوار الوطن إلا أنه قليل أيضاً وفي النادر . ويتناولون في الاكثر مع البادية من رياح مثل مسلم وسعيد ، وربما وقعت بينهم حروب في القفر يصيب فيها بعض من دماء بعض ، هذه بطون زغبة وما تأدّى الينا من أخبارهم . ولله الخلق والامر وهو رب العالمين .

---

(١) كذا ، وفي ت : اولاد خليفة والحاقنة وشريفة والسحارى .

(٢) كذا بياض بالأصل في جميع النسخ ولم نهتد الى التصويب في المراجع التي لدينا .



المعقل من بطون الطبقة الرابعة

الخبر عن المعقل من بطون هذه الطبقة الرابعة وانسابهم وتصاريف أحوالهم

هذا القبيل لهذا العهد من أوفر قبائل العرب ومواطنهم بقفار المغرب الاقصى مجاورون لبني عامر من زِغْبَة في مواطنهم

بقبلة تِلِمسَان ، وينتهون الى البحر المحيط من جانب الغرب وهم ثلاثة بطون : ذوي عبيد الله ، وذوي منصور ، وذوي حسّان. فذوي عبيد الله منهم هم المجاورون لبني عامِر ، ومواطنهم بين تلمسان وتاوريرت في التل وما يواجهها من القبلة . ومواطن ذوي منصور من تاوريرت الى بلاد دَرْعَة فيستولون على ملوية كلها الى سِجِلْمَاسَة ، وعلى درعة وعلى ما يحاذيها من التل مثل تازي وغسَّاسة ومِكناسَة وفاس وبلاد تادلا والمقدر . ومواطن ذوي حسَّان من دَرْعَة الى البحر المحيط ، وينزل شيوخهم في بلد نول قاعدة السوس فيستولون على السوس الاقصى وما اليه ، وينتجعون كلهم في الرمال الى مواطن الملثَّمين من كدالة ومستوفة ولمتونة .

وكان دخولهم الى المغرب مع الهلاليّين في عدد قليل ، يقال انهم لم يبلغوا المائتين . واعترضهم بنو سُلَيم فاعجزوهم وتحيَّزوا الى الهلاليين منذ عهد قديم ونزلوا بآخر مواطنهم مما يلي ملوية ورمال تافيلالت ، وجاوروا زَنَاتَة في القفار والغربية فعفوا وكثروا وأنبتوا في صحارى المغرب الاقصى ، فعمروا رماله وتغلبوا في فيافيه . وكانوا هناك أحلافاً لزناتة سائر أيامهم . وبقي منهم بافريقية جمع قليل اندرجوا في جملة بني كعب بن سُلَيم وداخلوهم حتى كانوا وزراء لهم في الاستخدام للسلطان واستئلاف العرب .

فلما ملكت زناتة بلاد المغرب ودخلوا الى الامصار والمدن . قام هؤلاء المعقل في القفار وتفردوا في البيداء فنموا نمواً لا كفاء له ، وملكوا قصور الصحراء التي اختطها زناتة بالقفر مثل قصور السوس غرباً ، ثم توات ثم بودة ثم تامنطيت ، ثم واركلان ثم تاسبيت ثم تيكورارين شرقاً . وكل واحد من هذه وطن منفرد يشتمل على قصور عديدة ذات نخيل وأنهار وأكثر سكانها من زناتة ، وبينهم فتن وحروب على رياستها . فحاز عرب المعقل هؤلاء الاوطان في مجالاتهم ووضعوا عليها الاتاوات والضرائب ، وصارت لهم جباية يعتدون فيها ملكاً . وكانوا من تلك السالفة يعطون الصدقات لملوك زناتة ويأخذونهم بالدماء والطوائل ويسمونها حمل الرحيل . وكان لهم الخيار في تعيينها .

ولم يكن هؤلاء العرب يستبيحون من أطراف المغرب وتلوله حمى ، ولا يعرضون لسابلة سجلماسة ولا غيرها من بلاد السودان بأذية ولا مكروه ، لما كان بالمغرب من اعتزاز الدول وسدّ الثغور وكثرة الحامية أيام الموحدين وزَنَاتَة بعدهم . وكان لهم بازاء ذلك أقطاع من الدول يمدّون الى أخذه اليد السفلى ، وفيهم : من مسلم سعيد بن رياح ، والعمور من الأثْبُج ، وعددهم كما قلنا قليل . وانما كثروا بمن اجتمع اليهم من القبائل من غير نسبهم . فانّ فيهم من فِزَارَة ومن أشجع أحياء كبيرة ، وفيهم الشظة من كرفة والمهاية من عياض ، والشعراء من حَصِين ،

والصبّاح من الأخضر ومن بني سُلَيم وغيرهم .

وأما انسابهم عند الجمهور فخفية ومجهولة ، ونسّابة العرب من هلال يعدونهم من بطون هلال وهو غير صحيح ، وهم يزعمون أن نسبهم في أهل البيت الى جعفر بن أبي طالب وليس ذلك أيضاً بصحيح . لانّ الطالبيين والهاشميين لم يكونوا أهل بادية ونجعة . والصحيح والله أعلم من أمرهم انهم من عرب اليمن ، فانّ فيهم بطنين يسمى كل واحد منهما بالمِعْقَل . ذكرهما ابن الكلبيّ وغيره فأحدهما من قُضاعَةَ بن مالك بن حِمْيَر ، وهو مِعقَل ابن كعب بن عَلِيم بن جَنَّابِ بن هُبَل بن عبدالله بن كِنانة بن بكر بن عوف بن عَذْرَة بن زيد بن اللات بن رَفيدَة بن ثور ابن كعب بن وبرة بن ثعلب بن حلوان بن عِمْران بن الحاف بن قضاعة . والآخر من بني الحرث بن كعب بن عمرو بن علة بن جلد بن مُذحَج واسمه مالك بن أدَدَ بن زيد بن يَشْجُب بن عَرِيب بن زير بن كِهلان ، وهو معقل ، واسمه رَبيعة بن كعب ابن ربيعة بن كعب بن الحرث .

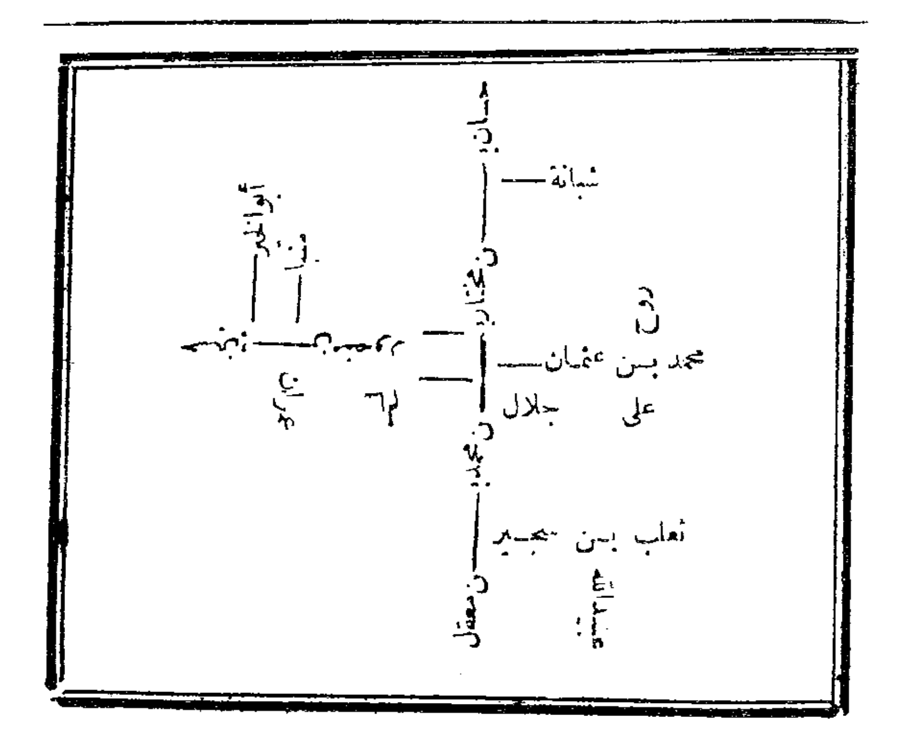
والانسب أن يكونوا من هذا البطن الآخر الذي من مُذحِج ، كان اسمه ربيعة ، وقد عدّه الاخباريّون في بطون هلال الداخلين الى افريقية لان مواطن بني الحرث بن كعب قريب من البحرين حيث كان هؤلاء العرب مع القرامطة قبل دخولهم الى افريقية . ويؤيده انّ ابن سعيد لما ذكر مذحج وأنهم بجهات

الجبال من اليمن ، وذكر من بطونهم زُبَيد ومُراد ثم قال : وبافريقية منهم فرقة وبرّية ترحل وتنزل، وهؤلاء الذين ذكر انما هم المعقل الذين هم بافريقية ، وهم فرقة من هؤلاء الذين بالمغرب الاقصى .

ومن املاء نسابتهم : أنّ مِعْقَل جدهم له من الولد سَحِير ومحمد فولد سحير [(١)] عُبيد الله وثعلب . فمن عبيد الله ذوي عبيد الله البطن الكبير منهم . ومن ثعلب الثعالب الذين كانوا بِبَسيط متيجة من نواحي الجزائر . وولد محمد : مختارَ ومنصور وجلال وسالم وعثمان . فولد مختار بن محمد : حسّان وشُبّانَة . فمن حسّان: ذوي حسّان البطن المذكور، أهل السوس الاقصى . ومن شبانة الشبّانات جيرانهم هنالك . ومنهم بطنان : بنو ثابت وموطنهم تحت جبل السكسيوي من جبال أدرن وشيخهم لهذا العهد او ما قبله يعيش بن طلحة .

والبطن الآخر آل علي ، وموطنهم في برية هنكيسة تحت جبل كزولة ، وشيخهم لهذا العهد او ما قرب منه حريز بن علي . ومن جلال وسالم وعثمان الرقيطات بادية لذوي حسّان ينتجعون معهم . وولد منصور بن محمد حسين وأبو الحسين وعِمْران ونسباً يقال لهم جميعاً ذوي منصور وهو أحد بطونهم الثلاثة المذكورة ، والله سبحانه وتعالى اعلم بغيبه وأحكم .

(١) كذا ، وفي ت : صقيل .



ذوي عبيد الله

فأمّا ذوي عُبيد الله فهم المجاورون لبني عامر بن زِغْبَة وفي سلطان بني عبد الواد من زَنَاتَة ، فمواطنهم مـا بين تِلمسَان الى وجـدة الى مصب وادي ملوِّيـة في البحر ومنبعث وادي صا من القبلة . وتنتهي رحلتهم في القفار الى قصور توات وتمنطيت وربما عاجوا ذات الشمال الى تاسابيت وتوكرارين . وهذه كلها رقاب السفر الى بـلاد السودان . وبينهم وبين بني عـامر فتن وحروب موصولة . وكان لهم مع بني عبـد الواد مثلهـا قبل السلطان والدولة ، فما كانوا أحلافاً لبني مَرين . وكان المنبـات

من ذوي منصور أحلافاً لبني عبد الواد فكان يُغمُراسِن يوقع بهم أكثر اوقاته وينال منهم الى أن صحبوا بسبب الجوار ، واعتزت عليهم الدولة فأعطوا الصدقة والطوائل وعسكروا مع السلطان في حروبه .

ولم يزل ذلك الى ان لحق الدولة الهرم الذي يلحق مثلها فوطنوا التلول ، وتملّكوا وجدة وندرومة وبني يزناسن ومديونة وبني سَنوس اقطاعاً من السلطان ، الى ما كان لهم عليها قبل من الاتاوات والوضائع فصار معظم جبايتها لهم ، وضربوا على بلاد هنين بالساحل ضريبة الاجازة منها الى تلمسان ، فلا يسير ما بينهما مسافر أيام حلولهم بساحتها الا باجازتهم ، وعلى ضريبة يؤديها اليهم . وهم بطنان : الهِرَاج والخِراج ، فالخِراج من ولد فزّاج بن مُطرف بن عبيد الله ، ورئاستهم في أولاد عبد الملك وفرج بن علي بن أبي الريش بن نهار بن عثمان بن خِراج ، لأولاد عيسى بن عبد الملك ويعقوب بن عبد الملك ويغمور بن عبد الملك .

وكان يعقوب بن يغمور شيخهم لعهد السلطان أبي الحسن . ولما تغلب على تلمسان استخدم له عُبيدَ الله هؤلاء . وكان يحيى ابن العزّ من رجالة بني يزناسن أهل الجبل المطل على وَجْدَة . وكان له قدم في خدمة الدول فاتصل بالسلطان أبي الحسن ورغّبه في ملك قصور هذه الصحراء ، فبعثه مع هؤلاء العرب في

عسكر ، ودخل معهم الى الصحراء وملك تلك القصور واستولى عليها . وأسف عُبيد الله بانتزاع املاكهم وسوء المعاملة لهم ، فوثبوا به وقتلوه في خبائه ، وانتهبوا عسكر السلطان الذين معه ونقضوا الطاعة . وفر يعقوب بن يَغْمُور فلم يزل شريداً بالصحراء سائر أيامه ، ورجع بعد ذلك .

ثم عادت دولة بني عبد الواد فصدّوا في ولايتها فلم يزل على ذلك ، وخلفه ابنه طلحة ، وكان أيام خلاف يعقوب وانتقاضه رأس على الخراج من أهل بيته منصور بن يعقوب بن عبد الملك وابنه رحّو من بعده . وجاء أبو حمو فكان له في خدمته ومخالطته قدم فقدمه شيخاً عليهم . فرئاستهم لهذا العهد منقسمة بين رجو بن منصور بن يعقوب بن عبد الملك وبين طلحة بن يعقوب المذكور آنفاً وربما نازعه . ولهم بطون كثيرة فمنهم : الجماونة من جعوان بن خِراج ، والغسل من غاسل بن خِراج ، والمطارفة من مَطرَف بن خِراج والعثامنة من عثمان بن خراج . وفيهم رياستهم كما قلناه ومعهم ناجعة يسمون بالمهاية ينسبون تارة الى المهاية بن عياض ، وقدمنا ذكرهم . وتارة الى مهيّا بن مَطرَف .

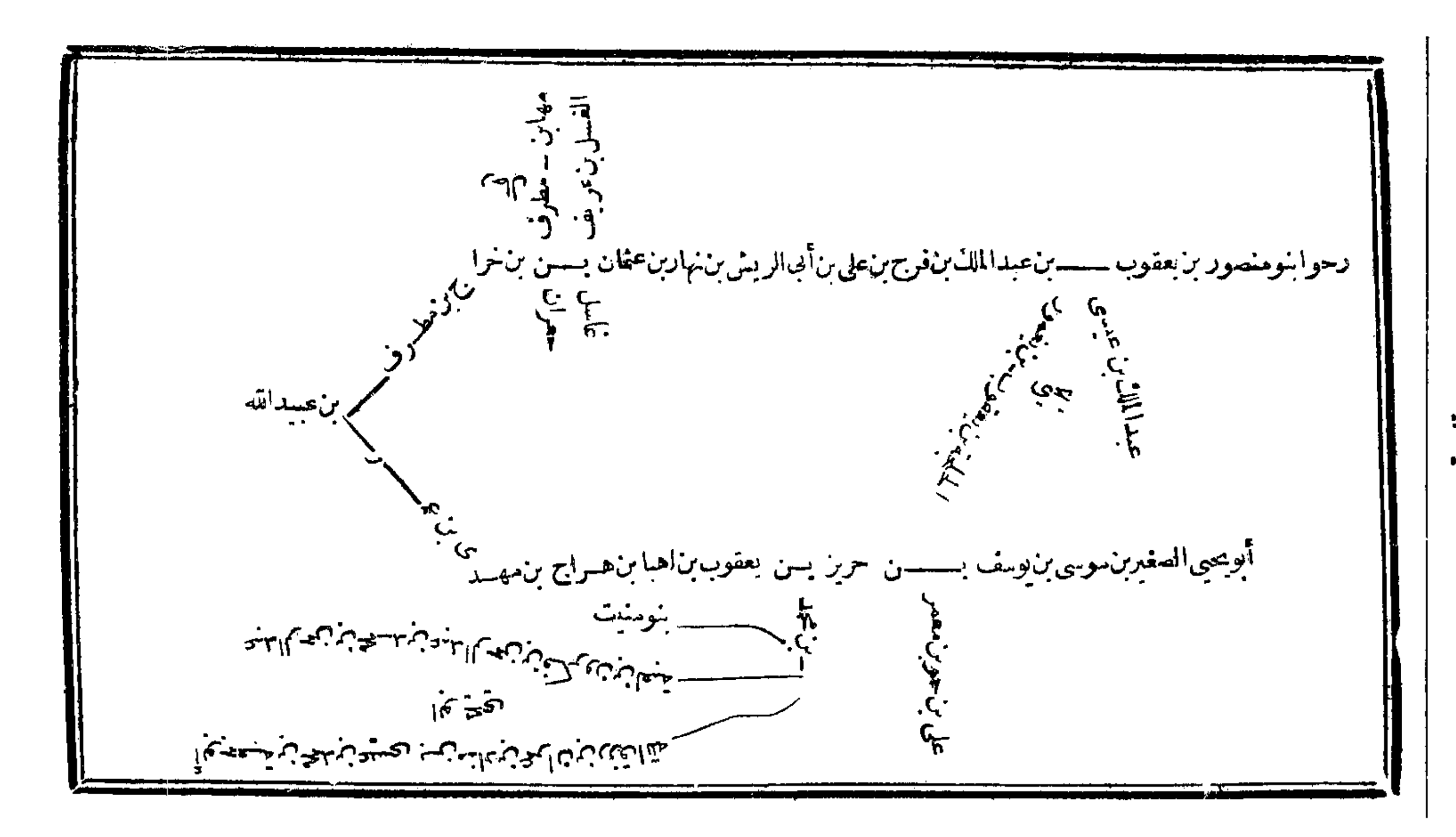
وأمّا الهِراج فمن ولد الهِراج بن مهدي بن محمد بن عُبيد الله ، ومواطنهم في ناحية المغرب عن الخراج فيجاورون بني منصور ولهم تاوريرت وما إليها . وخدمتهم في الغالب لبني مرين واقطاعاتهم من أيديهم ، ومواطنهم تحتهم ، ورجوعهم الى عبد

الواد في الأقل . وفي بعض الأحايين ورئاستهم في ولد يعقوب ابن هبا بن هراج لأولاد مرين بن يعقوب ، وأولاد منـاد بن رزق الله بن يعقوب ، وأولاد فكرون بن محمد بن عبد الرحمن ابن يعقوب من ولد حريز بن يحيى الصغير بن موسى بن يوسف ابن حَريز ، كان شيخاً عليهم أيام السلطان عبد العزيز وهلك عقبه ، ورأس عليهم ابنه . ومن ولد مُنَاد أبو يحيى الكبير بن مُناد ، كان شيخاً قبل أبي يحيي الصغير ، وبالاضافة اليـه وصف بالصغير . ومنهم أبو حميدة محمد بن عيسى بن مناد وهو لهذا العصر رديف لشيخهم من ولد أبي يحيى الصغير ، وهو كثير التقلب في القفار والغزو للقاصية ولاهل الرمال والملثمين . والله مالك الأمور لا رب غيره ولا معبود سواه .وهو نعم المولى ونعم النصير .

الثعالبة

وأما الثعالِبَة اخوتهم من ولد ثعلب بن عـلي بن بكر بن صغير [١] أخي عبيد الله بن صغير فوطنهم لهذا العهد بمتيجة من بسيط الجزائر ، وكانوا قبلها بقطيري وطن حَصين لهذا العهد نزلوها منذ عصور قديمة ، وأقاموا بها حياً حلولا . ويظهر أن نزولهم لها حين كان ذوي عُبيد الله في مواطن بني عامر لهذا العهد ، وكان

(١) كذا ، وفي ت : ثعلب بن علي بن مكن صقيل أخي عبيد الله بن صقيل.


رحوا بنو منصور بن يعقوب — بن عبد الملك بن فرج بن علي بن أبي الريش بن نهار بن عثمان بن بن خرا
غاسل
عبد الملك بن عيسى
بن عبيد الله
أبو يحيى الصغير بن موسى بن يوسف بـ ن حريز بن يعقوب بن اهبا بن هراج بن مهد
علي بن حو بن معمر
بنو منيت

بنو عامر في مواطن بني سُوَيد فكانت مواطنهم لذلك العهد متصلة بالتلول الشرقية ، فدخلوا من ناحية كزول وتدرجوا في المواطن الى ضواحي المدينة ، ونزلوا جبل تيطري وهو جبل أشير الذي كانت فيه المدينة الكبيرة . فلما تغلب بنو توجين على التلول وملكوا ونشريش زحف محمد بن عبد القوي الى المدينة فلكها ، وكانت بينه وبينهم حرب وسلم ، إلى أن وفدت عليه مشيختهم فتقبض عليهم وأغزى من وراءهم من بقية الثعالبة واستلحمهم واكتسح أموالهم .

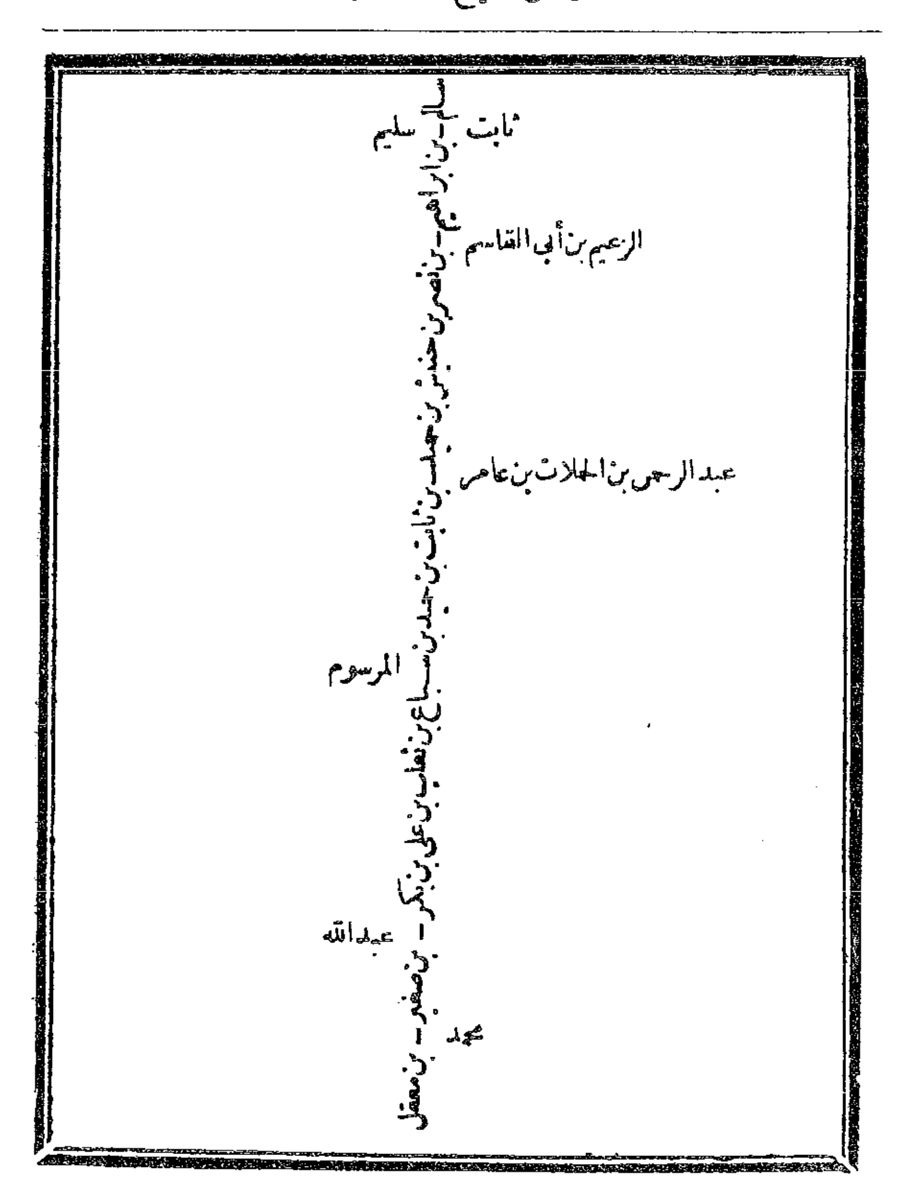
وغلبهم بعدها على تيطري وأزاحهم عنها الى متيجة ، وأنزل قبائل حَصِين بتيطري ، وكانوا معه في عداد الرعايا يؤدون اليه المغارم والوظائف ، ويأخذهم بالعسكرة معه . ودخل الثعالبة هؤلاء في ايالة ملكيش من صِنهاَجة ببسيط متيجة ، وأوطنوا تحت ملكتهم . وكان لهم عليهم سلطان كما نذكره . حتى اذا غلب بنو مَرين على المغرب الأوسط ، واذهبوا ملك ملكيش[1] منها استبد الثعالبة هؤلاء بذلك البسيط وملكوه . وكانت رياستهم في ولد سبَّاع بن ثعلب بن علي بن مكن بن صغير . ويزعمون ان سبَّاعاً هذا كان اذا وفد على الموحدين يحملون من فوق عمامته ديناراً يزن عدداً من الدنانير سابقة في تكرمته وترفيهه .

(١) كذا ، وفي ت : مليكش .

وسمعت من بعض مشيختنا ان ذلك لما كان من كرامته للامام المهدي حين أجاز بهم فانه مرّ بهم ساعياً فحملوه . واستقرت الرئاسة في ولد سبّاع هذا في بني يعقوب بن سباع أولا فكانت لهم مدداً ، ثم في عقب حَنِيش منهم . ثم غلب السلطان أبو الحسن على ممالك بني عبد الواد ونقلهم الى المغرب ، وصارت الولاية لهم لأبي الحملات ابن عائذ بن ثابت ، وهو ابن عم حنيش . وهلك في الطاعون الجارف أواسط هذه المائة الثامنة لعهد نزول السلطان أبي الحسن بالجزائر من تونس ، فولي عليهم ابراهيم بن نصر .

ولم تزل رئاستهم اليه الى أن هلك بعد استيلاء السلطان أبي عنان على المغربين كما نذكره في أخباره . وقام برئاستهم ابنه سالم . وكانوا أهل مغارم ووضيعة للميكش ، ومن بعدهم من ولاة الجزائر ، حتى اذا هبّت ريح العرب أيام خروج أبي زيّان وحصين على أبي حمو أعوام ستين وسبعمائة كما ذكرناه . وكان شيخهم لذلك العهد سالم بن ابراهيم بن نصر بن حَنيش بن أبي حميد ابن ثابت بن محمد بن سِباع فأخبّ في تلك الفتنة وأوضع ، وعاقد أبو حمو وانتقض عليه مراراً . وغلب بنو مَرين على تِلمسان فتحيز اليهم . وكانت رسله ووفده تقدموا اليهم بالمغرب .

ثم هلك السلطان عبد العزيز ورجع أبو حمو الى ملكه ، ونزلت الغوائل فخشيه سالم . واستدعى أبا زيّان ونصبه بالجزائر ،



وزحف اليه أبو حمو سنة تسع وسبعين ففضّ جمعه ، وراجع سالم خدمته . وفارق أبا زيان كما نذكره في أخباره . ثم زحف اليه أبو حمو وحاصره بجبال متيجة أياماً قلائل واستنزله على عهده .

ثم أخفره وتقبض عليه وقاده الى تلمسان أسيراً وقتله قعصاً بالرماح . وذهب أثره وما كان له من الرئاسة التي لم تكن الثعالبة لها بأهل . ثم تتبع اخوانه وعشيره وقبيله بالقتل والسبي والنهب الى ان دثروا ، والله يخلق ما يشاء .

ذوي منصور

وأما أولاد منصور بن محمد فهم معظم هؤلاء المعقل ، وجمهورهم ومواطنهم تخوم المغرب الأقصى من قبلته ما بين ملوية ودَرَعة . وبطونهم أربعة : أولاد حسين وأولاد أبي الحسين ، وهما شقيقان ، والعمارنة أولاد عِمران ، والمنبات أولاد مِنبا وهما شقيقان أيضاً . ويقال لهذين البطنين جميعاً الأحلاف . فأما أولاد أبي الحسن فعجزوا عن الظعن ، ونزلوا قصوراً اتخذوها بالقفر ما بين تافيلالت وتيكورارين . وأما أولاد حسين فهم جمهور ذوي منصور ، ولهم العزة عليهم ورئاستهم أيام بني مَرين في أولاد خالد بن جرمون ابن جرار بن عَرَفة بن فارس بن علي بن فارس بن حسين بن منصور ، كانت أيام السلطان أبي الحسن لعلي بن غانم . وهلك اثر كائنة طريف . وصارت لأخيه يحيى ، ثم لابنه عبد الواحد ابن يحيى ، ثم لاخيه زكريا ، ثم لابن عمه أحمد بن رحو بن غانم ، ثم لاخيه يعيش ، ثم لابن عمه يوسف بن علي بن غانم

لهذا العهد .

وكانت لبني مرين فيهم وقائع أيام يعقوب بن عبد الحق ابنه يوسف . وسيأتي في أخبار بني مرين غزوة يوسف بن يعقوب من مراكش اليهم ، وكيف أوقع بهم بصحراء درعة . ولما أقام بالشرق على تِلمسَان محاصراً لها أحلف هؤلاء العرب من المعقل على أطراف المغرب ما بين درعة وملوية الى تاوريرت . وكان العامل يومئذ بدَرعَة عبد الوهاب بن صاعد من صنائع الدولة وكبار ولاتها ، فكانت بينه وبينهم حروب قتل في بعضها . ثم هلك يوسف بن يعقوب ، ورجع بنو مَرين الى المغرب فأخذوا منهم بالثأر حتى استقاموا على الطاعة . وكانوا يعطون الصدقة أطوع ما يكون الى أن فشل ريح الدولة ، واعتزت العرب فصاروا يمنعون الصدقة إلّا في الأقل يغلبهم السلطان على اعطائها .

ولما استولى السلطان أبو عنّان على تِلمسَان أعوام خمسين وسبعمائة وفرّ صغير بن عامر الى الصحراء ، ونزل عليهم واستجار بهم فأجاروه . ونكر السلطان عليهم ذلك فأجمعوا نقض طاعته ، وأقاموا معه بالصحراء وصغير متولي كبر ذلك الخلاف ، حتى اذا هلك أبو عنّان وكان من سلطان أبي حمو بتِلمسَان ما نحن ذاكروه ، وزحف بنو مرين الى تلمسان ففر منها أبو حمو وصغير ، ونزلوا عليهم فأوقعوا بعسكر بني مرين بنواحي تلمسان ،

واتسّع الخرق بينهم وبين بني مرين فانحازوا إلى أبي حمو وسلطانه واقطعهم بضواحيه . ثم رجعوا الى أوطانهم بعد مهلك السلطان أبي سالم أعوام ثلاث وستين على حين اضطراب المغرب بفتنة أولاد السلطان أبي علي ونزولهم بسِجِلماسَة ، فكان لهم في تلك الفتنة آثار الى أن انقشعت .

ثم كان لأحمد بن رحو مع أبي حمو جولة وأجلب عليه بأبي زيّان حافد أبي تاشفين فقتل في تلك الفتنة كما نذكره ، ثم اعتزوا على الدولة من بعد ذلك وأكثر مغارم دَرْعَة لهذا العهد وأقطع لهم ببلاد تادلا والمعدن من تلك الثنايا التي منها دخولهم الى المغرب للمربع والمصيف ولميرات الاقوات . وسجلماسة من مواطن اخوانهم الأحلاف كما نذكره ، وليست من مواطنهم فأمّا دَرعَة فهي من بلاد القبلة موضوعة حقاً في الوادي الأعظم المنحدر من جبل درن من فوهة يخرج منها وادي أم ربيع ، ويتساهل الى البسائط والتلول ووادي دَريعَة ينحدر الى القبلة مغرباً الى أن يصب في الرمل ببلاد السوس وعليه قصور دَرعَة ، وواد آخر كبير أيضاً ينحدر الى القبلة مشرقاً بعض الشيء الى ان يصب في الرمل دون تيكورارين ، وفي قبلتها .

وعليه من جهة المغرب قصور توات ، ثم بعدها تمنطيت ، ثم بعدها وركلان . وعندها يصب في الرمل . وفي الشمال عن ركان قصور تسابيت . وفي الشمال عنها الى الشرق قصور

تيكورارين ، والكل وراء عرق الرمل . وجبال درن هي الجبال العظيمة الجاثمة سياجاً على المغرب الاقصى من آسفي الى تازي ، وفي قبلتها جبل نكيسة لصِنهاجَة ، وآخره جبل ابن حميدي من طرف هَسْكُورة . ثم ينعطف من هنالك جبال أخرى متوازية حتى تنتهي الى ساحل بادِس من البحر الرومي . وصار المغرب لذلك كالجزيرة أحاطت الجبال به من القبلة والشرق والبحر ومن المغرب والجوف .

واعتمر هذه الجبال والبسائط التي بينها أمم من البربر لا يحصيهم إلاّ خالقهم ، والمسالك بين هذه الجبال الى المغرب منحصرة ثم معدودة . وبزحام القبائل المعتمرين لها كاظة . ومصب وادي دَرْعَة هذا الى الصحراء والرمالي ما بين سِجِلمَاسَة وبلاد السوس ، ويمتد الى أن يصب في البحر ما بين نون ووادان ، وحفافيه قصور لا تحصى شجرتها النخل ، وقاعدتها بلد تادنست [1] بلد كبير يقصده التجر للسلم في النيلج وانتظار خروجه بالصناعة . ولاولاد حسين هؤلاء استيلاء على هذا الوطن ومن بازائه في فسيح جُبْلَة من قبائل البربر صناكة وغيرهم ، ولهم عليهم ضرائب وخفرات ووضائع . ولهم في مجابي السلطان اقطاعات ، ويجاورهم الشُبانَات من أولاد حسَّان من ناحية الغرب ، فلهم بسبب ذلك على درْعَة بعض الاتاوات .

(١) كذا ، وفي النسخة البارسية : تيديسي

وأما الاحلاف من ذوي منصور وهم العمارنة والمنبّات فمواطنهم مجاورة لأولاد حسين من ناحية الشرق . وفي مجالاتهم بالقفر تافيلالت ، وصحراؤها . وبالتل ملويّة وقصور وطاط وتازي وبطوية وغسّاسة ، لهم على ذلك كله الاتاوات والوضائع ، وفيها الاقطاعات السلطانيّة . وبينهم وبين أولاد حسين فتنة ، ويجمعهم العصبيّة في فتنة من سواهم . ورئاسة العمارنة في أولاد مُظفَّر ابن ثابت بن مُخلِف بن عمران ، وكان شيخهم لعهد السلطان أبي عنّان طَلحة بن مُظفَّر وابنه الزُبَير . ولهذا العهد محمد بن الزُبَير وأخوه موسى ، ويرادفهم في رئاستهم أولاد عُمارة بن قِلان بن مُخلِف فكان منهم محمد العائد . ومنهم لهذا العهد سليمان بن ناجي ابن عمارَة ينتجع في القفر ويكثر الغزو الى اعتراض المير وقصور الصحراء .

ورئاسة المنبّات لهذا العهد لمحمد بن عبد بن حسين بن يوسف ابن فرج بن منبا ، وكانت أيام السلطان أبي عنّان لاخيه عليّ من قبله وترادفهم في رئاستهم ابن عمهم عبد الله بن الحاج عامر ابن أبي البركات بن منبّا . والمنبّات والعمارنة اليوم اذا اجتمعوا جميعاً يكثر أولاد حسين . وكان للمنبات كثرة لاوّل دولة بني مَرين . وكان خلفهم مع بني عبد الواد . وكان مقدّمه يُغْمُراسِن ابن زيّان في افتتاح سِجلماسَة ، وتملكها من أيدي الموحدين . ثم تغلب بنو مرين عليها وقتلوا من حاربها من مشيختهم مع بني

عبد الواد ، ثم أوقعوا بالمنبات من بعد ذلك في مجالاتهم بالقفر واستلحموهم فنقص عددهم لذلك آخر الايام ، والله مالك الامور

عبد الله بن عامر

محمد بن عبد بن حسين > بن أبي البركات بن سنان بن منصور

زكريا

عبد الواحد بن يحيى

يوسف > بن علي > بن خالد بن جرمون بن حرار بن عزفة بن فارس > بن حسن > بن محمد بن عبد بن حسين بن يوسف بن فرج بن منا

الزبير بن طلحة بن مظفر بن ثابت > بن مخلف بن عمران

سليمان بن ناجي بن عثمان

لا رب سواه .

مواطن الثامنة تلي مواطن بني منصور من جانب الغرب ، ويليهم اولاد سالم . وفي حيز مواطنهم درعة ، ولهم عليها القفر . ويليهم اولاد جلال عند منتهى عمارة درعة مما يلي المغرب والقبلة . ويليهم غرباً الى البحر الشبانات وهم أولاد عليّ وأولاد بو ثابت وأولاد حسان وراءهم من ناحية القبلة والغرب وينزلون مواطنهم بالغلب الذى لهم عليهم .

ذوي حسان عرب السوس

وأما بنو مختار بن محمد فهم كما قدمناه : ذوي حسّان والشُبانَات والرَقِيطَات . ومنهم أيضاً الجياهِنَة وأولاد بريّة ، وكانت مواطنهم بنواحي ملوية الى مصبه في البحر مع اخوانهم ذوي منصور وعُبيد الله الي أن استصرخهم علي بن يدر الزُكُندري صاحب السوس من بعد الموحدين . ونسبه بزعمه في عرب الفتح . وكانت بينه و بين كزولة الظواعِن ببسائط السوس . وجباله فتنة طويلة استصرخ لها بني مختار هؤلاء فصارخوه وارتحلوا اليه بظعونهم ، وحمدوا مواطن السوس لعدم المزاحم من الظواعن فيها فأوطنوها . وصارت مجالاتهم بقفرها وغلبوا كزولة وأصاروهم في جملتهم ، ومن ظعونهم وغلبوا على

القصور التي بتلك المواطن في سوس ونول . ووضعوا عليها الأتاوات مثل تارودانت من سوس ، وهي ضفة واديَ سوس حيث يهبط من الجبل ، وبين مصبه ومصب وادي ماسة حيث الرباط المشهور مرحلة الى القبلة .

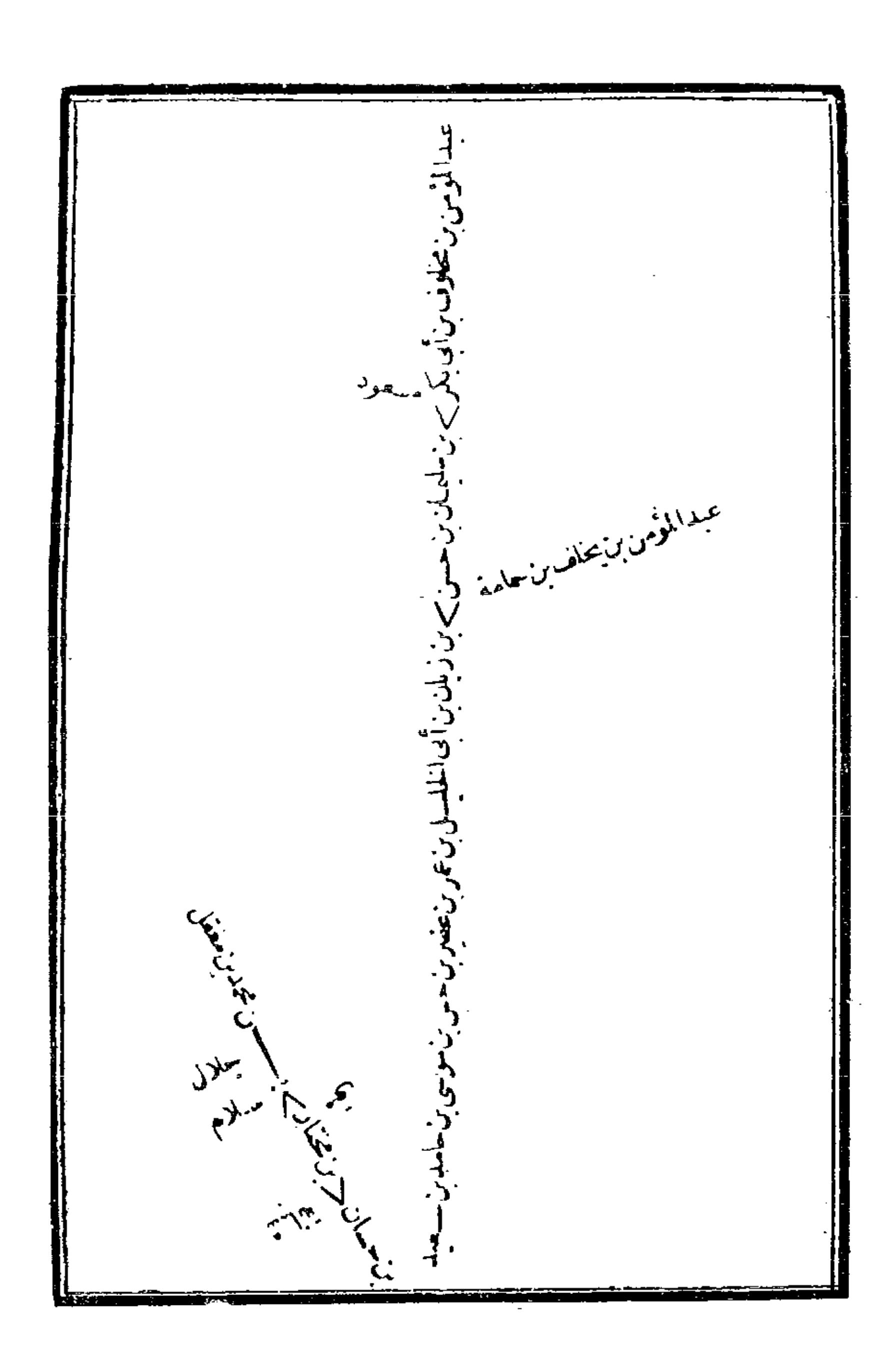
ومن هنالك الى زوايا أولاد بني نُعمان مرحلة أخرى في القبلة على ساحل البحر ، وتواصت على وادي نول حيث يدفع من جبل نكيسة غرباً ، وبينها وبين ايفري مرحلة ، والعرب لا يغلبونها وانما يغلبون على البسائط في نواحيها . وكانت هذه المواطن لعهد الموحدين من جملة ممالكهم، وأوسع عمالاتهم . فلما انقرض أمر الموحدين حجبت عن ظل الدولة وخرجت عن ايالة السلطان إلّا ما كان بها لبني يدر هؤلاء الذين قدمنا ذكرهم . وكان علي بن يدر مالكاً لقصورها ، وكان له من الجند نحو ألف فارس ، وولي من بعده عبد الرحمن بن الحسن بن يدر ، وبعده أخوه علي بن الحسن .

وكان لعبد الرحمن معهم حروب وفتن بعد استظهاره بهم ، وهزموه مرات متتابعة أعوام خمس وسبعمائة وما بعده ، وغدر هو بمشيختهم وقتلهم بتارودانت سنة ثمان من بعد ذلك . وكان لبني ... بن علي هؤلاء المعقل بالسوس وقائع وأيام ، وظهر يعقوب ابن عبد الحق ببني مرين في بعضها الشبّانات على بني حسّان . واستلحم منهم عدداً ، وحاصرهم يوسف بن يعقوب بعدها

فأمسكوها وأغرمهم ثمانية عشر ألفاً ، وأثخن فيهم يوسف بن يعقوب ثانية سنة ست وثمانين وحاربتهم جيوشه أيضاً أياماً لحق بهم بنو كَمي من بني عبد الواد ، وخالفوا على السلطان فترددت اليهم العساكر واتصلت الحروب كما نذكر في أخباره .

ولما استفحل أمر زَنَاتة بالمغرب . وملك أبو علي ابن السلطان أبي سعيد سَجِلْمَاسَة واقتطعها عن ملك أبيه بصلح وقع على ذلك انضوى اليــه هؤلاء الأعراب أهل السوس من الشبانات وبني حسَّان ، ورغَّبوه في ملك هذه القصور فأغزاها من تخوم وطنه بدَرْعَة ودخل القرى عنوة . وفر علي بن الحسن وأمه الى جبال نَكِيسَة عند صِنْهَاجَــة ثم رجع . ثم غلب السلطــان أبو الحسن واستولى على المغرب كله . ورغَّبه العرب في مثلهــا من قصور السوس فبعث معهم عساكره ، وقائده حسون بن ابراهيم بن عيسى من بني يرنيان فلكها ، وجبى بــلاد السوس وأقطع فيه للحرب ، وساسهم في الجباية فاستقامت حاله مدة .

ثم انقرض أمر السلطان أبي الحسن فانقرض ذلك ، ورجع السوس الى حــاله وهو اليوم ضاح من ظل الدولة ، والعرب يقتسمون جبايته ورعاياه من قبائل المصامدة وصنهاجة قبــائل الجِبَاية . والظواعن منهم يقتسمونهم خولاً للعسكرة مثل كَزولة مع بني حسَّان وَزَكْزِ ولخس من لمطة مع الشُبَّانَات هــذه حالهم لهذا العهد . ورئاسة ذوي حسَّان في أولاد أبي الخليــل بن عمر



ابن عفير بن حسن بن موسى بن حامد بن سعيد بن حسان بن مختار لمخلوف بن أبي بكر بن سليمان بن الحسن بن زيّان بن الخليل ولاخواته . ولا أدري رئاسة الشبانات لمن هي منهم ، إلا أنهم حرب لبني حسّان آخر الايام . والرَقيطات في غالب أحوالهم أحلاف للشُبانَات وهم أقرب الي بلاد المصامدة وجبال درن وذوي حسان أبعد في القفر ، والله تعالى يخلق ما يشاء لا إله إلّا هو .

بني سُلَيم
مِنَ الطبقة الرابعة

الخبر عن بني سليم بن منصور من هذه الطبقة الرابعة وتعديد بطونهم وذكر أنسابهم وأولية أمرهم وتصاريف أحوالهم

ونبدأ أولا بذكر بني كعب وأخبارهم . وأما بني سُليم هؤلاء فبطن متسع من اوسع بطون مُضَر وأكثرهم جموعاً ، وكانت منازلهم بنجد . وهم بنو سُلَيم بن منصور بن عكرَمة ابن خَصفَة بن قيس ، وفيهم شعوب كثيرة . ورئاستهم في الجاهليّة لبني الشريد بن رياح بن ثعلبَة بن عَطيّة بن خِفاف بن امرىء القيس بن بُهثَة بن سُليم ، وعمرو بن الشريد عظيم مضر وأبناؤه

صخر ومعاوية . فصخر أبو الخنساء وزوجها العباس بن مرداس صحابيّ حضرت معه القادسيّة .

ومن بطون سُليم : عُصَيّة ورِعْل وذكوان الذين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتكوا باصحابه فحمد ذكرهم . وكان بنو سُليم لعهد الخلافة العبّاسيّة شوكة بغي وفتنة ، حتى لقد أوصى بعض خلفائهم ابنه أن لا يتزوّج فيهم . وكانوا يغيرون على المدينة وتخرج الكتائب من بغداد اليهم وتوقع بهم ، وهم منتبذون بالقفر ولما كانت فتنة القرامطة صاروا حلفاء لأبي الطاهر وبنيه ، أمراء البحرين من القرامطة مع بني عَقيل بن كعب .

ثم لما انقرض أمر القرامطة غلب بنو سُليم على البحرين بدعوة الشيعة لما أنّ القرامطة كانوا على دعوتهم . ثم غلب بنو الأصفر بن تَغْلِب على البحرين بدعوة العباسية أيام بني بُوَيه ، وطردوا عنها بني سُليم فلحقوا بصعيد مصر . وأجازهم المستنصر على يد اليازوري وزيره الى افريقية لحرب المعز بن باديس عند خلافته عليهم كما ذكرنا ذلك أولاً ، فأجازوا مع الهلاليين وأقاموا ببَرقة وجهات طرابلس زماناً . ثم صاروا الى افريقية كما يذكر في الخبر عنهم .

وبافريقية وما اليها من هذا العهد من بطونهم أربعة بطون : زُغْب وذِيَاب وهيب وعوف . فأما زغب فقال ابن الكلبي في

نسبته : زغب بن نصر بن خفاف بن امرىء القيس بن بُهثة بن سُليم. وقال أبو محمد التجاني من مشيخة التونسيين في رحلته أنه زغب بن ناصر بن خفاف بن جرير بن مَلاك بن خِفاف، وزعم أنه أبو ذياب وزَغب الأصغر الذين هم الآن من أحياء بني سُليم بافريقية . وقال أبو الحسن بن سعيد : هو زغب بن مالك بن بُهثة بن سليم، كانوا بين الحرمين، وهم الآن بافريقية مع اخوانهم، ونسب ذياب بن مالك بن بهثة فالله أعلم بالصحيح من ذلك .

ونسب بن سعيد والتجاني لهؤلاء قريب بعضه من بعض ولعله واحد . وسقط لابن سعيد جدّ . وأما هيب فهو ابن بهثة ابن سليم ومواطنهم من أول أرض برقة مما يلي افريقية الى العقبة الصغيرة من جهة الاسْكَنْدَرِيَّة ، فأقاموا هنالك بعد دخول إخوانهم الى افريقية . وأوّل ما يلي الغرب منهم بنو حَميد لهم أجْرابيَة وجهاتها . وهم عديد يرهبهم الحاج ، ويرجعون الى شَمّاخ وقبائل شمّاخ لها عدد ولهم العز في هيب لكونها حازت خصب بَرقَة الذي منه المرج . وفي شرقيهم الى العقبة الكبيرة من قبائل هيب بنو لبيد ، وهم بطون عديدة . وبين شماخ ولبيد فتن وحروب . وفي شرقيهم إلى العقبة الصغيرة شمال ومحارب والرئاسة في هاتين القبيلتين لبني عَزاز وهم المعروفون بالعزة . وجميع بطون هيب هذه استولت على اقليم طويل خربوا مدنه ، ولم يبق

فيه مملكة ولا ولاية إلا لأشياخهم ، وفي خدمتهم بربر ويهود يحترفون بالفلاحة والتجر . ومعهم من رِواحة وفزارة أمم ، واشتهر لهذا العهد ببَرَقة من شيوخ أعرابها أبو ذؤيب . ولا أدري نسبه فيمن هو ، وهو بعيد ، وهم يقولون من العزة ، وقوم يقولون من بني احمد ، وقوم يجعلونه من فَزارة لان فزارة هنالك قليل عددهم والغلب لهيب فكيف تكون الرئاسة لغيرهم ؟

وأما عوف فهو ابن بُهثة بن سُليم ومواطنهم من وادي قابس الى أرض بونة ولهم جذمان عظيمان : مِرداس وعلاق ولعلاق بطنان : بنو يحيى وحصن . وفي أشعار هؤلاء المتأخرين منهم مثل حمزة بن عمر شيخ الكعوب وغيره أن يحيى وعلاقا أخوان . ولبني يحيى ثلاثة بطون : حَمير ودلاَج ورياح ولحَمير بطنان : ترجم وكردَم . ومن ترجم : الكعوب بنو كعب بن أحمد بن ترجم . ولحصن بطنان : بنو علي وحكيم . ونحن نأتي على الحكاية عن جميعهم بطناً بطناً . وكانوا عند اجازتهم على اثر الهلاليين مقيمين ببَرقة كما ذكرناه . وهنالك نزل عليهم القاضي أبو بكر بن العربي وأبوه حين غرقت سفينتهم ونجوا الى الساحل ، فوجدوا هنالك بني كعب فنزل عليهم فاكرمه شيخهم كما ذكر في رحلته .

ولما كانت فتنة ابن غانية وقُراقِش الغزي بجهات طرابلس وقابس وضواحيها كما نذكر في أخبارهم ، كان بنو سُليم هؤلاء

فيمن تجمع اليهم من ذؤبان العرب وأوشاب القبائل فاعصوصبوا عليهم . وكان لهم معهم حروب . وقتل قراقش ثمانين من الكعوب وهربوا الى برقة واستصرخوا برياح من بطون سُلَيم ودبكل من حمير فصارخوهم الى أن تجلّت غمامة تلك الفتنة بهلك قُراقش وابن غانية من بعده . وكان رسوخ الدولة الحفصيّة بافريقيــة .

ولما هلك قُراقش واتصلت فتنة ابن غانية مع أبي محمد بن أبي حفص ورجع بنو سليم الى أبي محمد صاحبَ افريقية . وكان مع ابن غانية الدواودة من رياح ، وشيخهم مسعود البلط ، فرّ من المغرب ولحق به فكان معه هو وبنوه . وبنو عوف هؤلاء من سُلَيم مع الشيخ أبي محمد . فلما استبدّ ابنه الامير أبو زكريا بملك افريقية رجعوا جميعاً اليه ، والشفوف للدواودة . فلما انقطع دابر ابن غانيَة صرف عزمه الى إخراج رياح من افريقية لمــا كانوا عليه من العيث بها والفساد ، فجاء بمرداس وعلاق وهما بنو عوف بن سُليم هؤلاء مــن مواطنهم بنواحي السواحــل وقابس واصطنعهم .

ورئاسة مرداس يومئذ في أولاد جامع ، وبعــده لابنــه يوسف ، وبعده لغنــان بن جابر بن جامع . ورئاسة علاق في الكعوب لأولاد شيخة بن يعقوب بن كعب . وكانت رئاســة علاق عند دخولهم افريقية لعهد المعزّ وبنيــه لرافع بن حمــاد ،

وعنده راية جده التي حضر بها مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو جد بني كعب فيما يزعمون . فاستظهر بهم السلطان على شأنه ، وأنزلهم بساح القيروان ، وأجزل لهم الصلات والعوائد وزاحموا الدواودة من رياح بمنكب ، بعد أن كانت لهم استطالة على جميع بلاد افريقية . وكانت أبّة اقطاعاً لمحمد بن مسعود ابن سلطان أيام الشيخ أبي محمد بن أبي حَفص ، فأقبل اليه مرداس في بعض السنين عيرهم للكيل ونزلوا به فرأوا نعمة الدواودة في تلولهم تلك ، فشرهوا اليها وأجمعوا طلبها فحاربوهم فغلبوهم ، وقتلوا رزق بن سلطان . واتصلت الفتنة . فلما حضرهم الامير أبو زكريا صادف عندهم القبول لتحريضه فاعصوصبوا جميعاً على فتنة الدواودة وتأهبوا لها .

وتكررت بينهم وبين رياح الحروب والوقائع حتى أزاحوهم عن افريقية الى مواطنهم لهذا العهد بتلول قُسْطنطينَة وبجاية الى الزاب وما اليه . ثم وضعوا أوزار الحرب وأوطن كل حيث قسمت له قومه . وملك بنو عوف سائر ضواحي افريقية وتغلبوا عليه واصطنعهم السلطان وأثبتهم في ديوان العطاء . ولم يقطع شيئاً من البلاد . واختص بالولاية منهم أولاد جامع وقومه فكانوا له خالصة ، وتم تدبيره في غلب الدواودة ورياح في ضواحي افريقية وازعاجهم عنها الى ضواحي الزاب وبجاية وقسطنطينة ، وطال بالدولة واختلف حالهم في الاستقامة معها

والنفرة . وضرب السلطان بينهم ابن عِلاق فنشأت الفتنة وسخط عنّان بن جابر شيخ مرداس من أولاد جامع مكانه من الدولة فذهب مغاضباً عنها . وأقام بناجعته من مرداس ومن اليهم بنواحي المغرب في بلاد رياح من زاغر الى ما يقاربها ، وخاطبه أبو عبد الله بن أبي الحسن خالصة السلطان أبي زكريا صاحب افريقية يومئذ يؤنبه على فعلته في مراجعة السلطان بقصيدة منها قوله ، وهي طويلة :

قدّ المهامهَ بالمهريّة القود واطوِ الفلاة بتصويب وتصعيد

ومنها قوله :

سلوا دِمنة بين الغضا والسواجر هل استنّ فيها واكفات المواطر

فأجاب عن هذه عنّان بقوله :

خليليّ عوجا بين سلع وحاجر بهوج عناجيج نواج ضوامر

يقيم في النزوع عنهم ويستعطف السلطان بعض الشيء كما نذكره في أخبار الدولة الحفصيّة . ثم لحق بمراكش بالخليفة السعيد من بني عبد المؤمن محرضاً له على افريقية وآل أبي حفص ، وهلك في سبيله وقبر بسلا ، ولم يزل حال مرداس بين النفرة والاصحاب الى أن هلك الأمير أبو زكريا واستفحل ملك ابنه المُستنصِر من بعده ، وعلا الكعوب بذمة قوية من السلطان . وكان شيخهم لعهده عبد الله بن شيحه فسعى عند السلطان في مرداس وكان أبن جامع مبلغاً سعايته واعصوصبت

عليه سائر علاق فحاربوا المرداسيين هؤلاء وغلبوهم على الاوطان والحظ من السلطان، واخرجوهم عن افريقية وصاروا الى القفر وهم اليوم به من جهة بادية الاعراب أهل الفلاة ينزعون الى الرمل ويتاورون من أطراف التلول تحت أحكام سُليم أو رياح؛ ويختصون بالتغلب على ضواحي قسطنطينة أيام مرابع الكموب ومصائفهم بالتلول. فاذا انحدروا الى مشاتيهم بالقفر أجفلت احياء مِرداس الى القفر البَعيد، ويخالطونهم على حلف ولهم على توزَر ونفطة وبلاد قسطِيلة اتاوة يؤدّونها اليهم بما هي مواطنهم ومجالاتهم وتصرفهم، ولانها في الكثير من أعراضهم.

وصاروا لهذا العهد الى تلك القفار بها فاصطفوا منه كثيراً واصبح منه عمران قسطنطينة لهم مرتابا[1] واستقام امر بني كعب من علاق وفي رياسة عوف وسائر بطونهم من مرداس وحصين ورياح، ودلاج ومن بطون رياح حبيب، وعلا شأنهم عند الدولة. واعتزوا على سائر بني سليم بن منصور، واستقرت رياستهم في ولد يعقوب بن كعب، وهم بنو شيحة وبنو طاعن وبنو علي. وكان التقدم لبني شيحة بن يعقوب لعبد الله أولاً، ثم لابراهيم أخيه، ثم لعبد الرحمن ثالثهما على ما يأتي. وكان بنو علي يرادفونهم في الرياسة. وكان منهم بنو كثير بن يزيد بن علي.

وكان كعب هذا يعرف بينهم بالحاج لما كان قضى فرضه،

(١) كذا، وفي ت: واصبح عمران قسطيلية لهم مرتافاً.

وكانت له صحابة مع أبي سعيد العود الرطب شيخ الموحّدين لعهد السلطان المستنصر أفادته جاهاً وثروةً ، وأقطع له السلطان أربعاً من القرى أصارها لوالده . كان منها بناحية صَفاقِس وبافريقية وبناحية الجُرَيد . وكان له من الولد سبعة أربعة لأم وهم احمد وماضي وعلي ومحمد ، وثلاثة لأم وهم : بريد وبركات وعبد الغني . فنازع أحمد أولاد شيخة في رئاستهم على الكعوب ، واتصل بالسلطان أبي اسحق وأحفظهم ذلك فلحقوا بالدعي عند ظهوره ، وكان من شأنه ما قدّمنا .

وهلك أحمد واستقرت الرئاسة في ولده ، وكان له من الولد جماعة . فمن غزية احدى نساء بني يزيد من صنهاجة : قاسم ومرا وأبو الليل وأبو الفضل ، ومن الحكميّة : فائد وعبيد ومنديل وعبد الكريم ومن السرية كليب وعساكر وعبد الملك وعبد العزيز . ولما هلك أحمد قام بأمرهم بعده ابنه أبو الفضل . ثم من بعده أخوه أبو الليل بن أحمد . وعلت رئاسة بني أحمد هؤلاء على قومهم وتألفوا ولد اخوتهم جميعاً . وعرفوا ما بين أحيائهم بالاعشاش الى هذا العهد . ولما كان شأن الدعي بن أبي عُمارة . وليس بأنّه الفضل بن يحيى المخلوع ، وأوقع بالسلطان أبي اسحق وقتله وأكثر بنيه كما نذكره في موضعه . لحق أبو حفص أخوه الأصغر بقلعة سِنان من حصون افريقية . وكان لأبي الليل ابن أحمد في نجاته ثم في القيام بأمره أثره وقع منه أحسن المواقع

فاصطنعه به وشيَّد من رئاسته على قومه عندما أدال الله به من الدعيّ فاضطلع أبو الليل هذا بأمرهم .

وزاحم أولاد شيحة بمنكب قوي . ولحق آخرهم عبد الرحمن ابن شيحة ببجاية عندما اقتطعها الأمير أبو زكريا بن السلطان أبي اسحق عن ملك عمه السلطان أبي حَفْص ، فوفد عليه مستجيشاً به ومرغباً له في ملك تونس ، يرجو بذلك كثرة رئاسته فهلك دون مرامه ، وقبر ببجاية وانقرضت رئاسة أولاد شيحة بمهلكه . واستبد أبو الليل بالرئاسة في الكعوب ، ووقع بينه وبين السلطان أبي حفص وحشة ، فقدم على الكعوب مكانه محمد ابن عبد الرحمن بن شيحة ، وزاحمه به أياماً حتى استقام على الطاعة .

ولما هلك قام بأمرهم ابنه أحمد ، واتصل أمر رئاسته ونكبه السلطان أبو عصيدة فهلك في سجنه ، وولي بعده أخوه عمر ابن أبي الليل ، وزاحمه هِراج بن عبيد بن أحمد بن كعب الى أن هلك هراج كما نذكره . ولما هلك عمر قام بأمره في قومه أخوه محمد بن أبي الليل وكفل مولاهم وحمزة ابن أخيه عمر . وكان عمر مضعفاً عاجزاً فنازعه أولاد مهلهل ابن عمه قاسم وهم : محمد ومسكيانه ومرغم وطالب وعون في آخرين لم يحضرني أسماؤهم ، فترشحوا للاستبداد على قومهم ومجاذبة محمد ابن عمهم أبي الليل حبل الرئاسة فيهم. ولم يزالوا على ذلك سائر

أيامهم .

ولما ظهر هِراج بن عبيد بن أحمد بن كعب وعظم ضغـائنه وعتوه وافساد الاعراب من احيائه السابلة وساء اثره في ذلك ، وأسف السلطان بالاعتزاز عليه والاشتراط في ماله . وتوغّلت له صدور الغوغاء والعامة ، فوفد عـلى تونس عـام خمسة وسبعمائة ودخل المسجد يوم الجمعة لابساً خُفّه . ونكر الناس عليه وطأه بيت الله بخف لم ينزعه . وربما قال له في ذلك بعض المصلين الى جنبه ، فقال : اني أدخل بها بساط السلطان فكيف الجامع؟ فاستعظم الناس كلمته ، وثاروا به لحينه فقتلوه في المسجد وارضوا الدولة بفعلهم . وكان أمره مذكوراً .

وقتل السلطان بعـد ذلك أخاه كيسان وابن عمه شبل بن منديل بن احمد . وقام بأمر الكعوب من بعـد محمد بن أبي الليل وهراج بن عبيد مولاهم وحمزة أبناء عمر واستبد برئاسة البدو من سليم بافريقية على مزاحمة من بني عمهم مُهَلهِل بن قاسم وأقتالهم وفحول شولهم . وانتقض أحمد بن أبي الليـل وابن أخيه مولاهم ابن عمر على السلطان سنة سبع وسبعمائة واستدعيا عثمان بن أبي دبوس من مكانه بوطن دبّاب فجـاءهما واجلبا به عـلى تونس . ونزل كدية الصعتر بظاهرهـا . وبرز اليهم الوزير أبو عبدالله بن برزيكن [1] فهزمهم ، واستخدم أحمـد بن أبي

(١) كذا ، وفي نسخة ت : يرزيكن .

الليل .

ثم تقبض عليه واعتقل بتونس إلى أن هلك . ووفد بعد ذلك مولاهم بن عمر سنة ثمان فاعتقل معه . ولحق أخوه حمزة بالأمير أبي البقاء خالد ابن الامير زكريا صاحب الثغر الغربي من افريقية بين يدي مهلك السلطان أبي عصيدة ، ومعه أبو علي ابن كثير ، ويعقوب بن الفرس وشيوخ بني سُليم هؤلاء . ورغبوا الأمير أبا البقاء في ملك الحضرة . وجاؤا في صحبته ، وأطلق أخاه مولاهم من الاعتقال منذ دخول السلطان تونس سنة عشر وسبعمائة كما نذكره في خبره .

ثم لحق حمزة بالسلطان أبي يحيى زكريا ابن اللحياني ، واتصلت به يده فرفعه على سائر العرب حتى لقد نفس ذلك عليه أخوه مولاهم . ونزع الى السلطان أبي يحيى الطويل أمر الخلافة . وولي سبعاً ببجاية وثلاثين بعد استيلائه على الحضرة وسائر بلاد افريقية ، فاستخلصه السلطان لدولته ونابذه حمزة فأجلب عليه بالقرابة واحداً بعد واحد كما نذكره . وداهن أخوه مولاهم في مناصحة السلطان ومالأ حمزة على شأنه .

وربما نمي عنه الغدر فتقبض عليه السلطان وعلى ابنه منصور وعلى ربيبه زَغَدان ومغران بن محمد بن أبي الليل . وكان الساعي بهم الى السلطان ابن عمهم عون بن عبد الله بن أحمد ، وأحمد بن عبد الواحد أبو عبيد وأبو هلال بن محمود بن فائد

وناجي بن أبي علي بن كثير ومحمد بن مسكين وأبو زيد بن عمر ابن يعقوب ، ومن هوارة فيصل بن زعزاع فقتلوا لحينهم سنة اثنتين وعشرين وبعثت اشلاؤهم الى حمزة فاشتد حنقه ولحق صريخاً بأبي تاشفين صاحب تلمسان لعهده من آل يغمُراسن، ومعه محمد ابن السلطان اللحياني المعروف بأبي ضربة قد نصبه الملك .

وأمدّهم أبو تاشفين بعساكر زَنَاتة ، وزحفوا الى افريقية فخرج اليهم السلطان وهزمهم برغِيش . ولم يزل حمزة من بعدها مجلباً على السلطان أبي يحيى بالمرشحين من أعياص البيت الحفصي ، وأبو تاشفين صاحب تلمسان يمدهم بعساكره . وتكرّرت بينهم الوقائع والايام سجالاً كما نذكره في مواضعه .

حتى اذا استولى السلطان أبو الحسن وقومه من بني مرين على تلمسان والمغرب الأوسط سنة سبع وثلاثين وسبعمائة ، واستتبعوا بني عبد الواد وسائر زناتة أقصي حمزة عن فتنته وانقطع حبلها في يده ، ولحق بالسلطان أبي الحسن مستشفعاً به، فتقبل السلطان أبو يحيى شفاعته وعفا له عن جرائمه وأحله محل الاصفاء والخلوص . فشمّر عن نصحه واجتهاده وظاهر قائده محمد ابن الحكيم على تدويخ افريقية ، وظهر البدو من الاعراب فاستقام أمر الدولة وتوثر مهادها . وهلك حمزة سنة أربعين وسبعمائة بيد أبي عون نصر بن أبي علي عبد السلام ، من ولد كثير بن زيد المتقدم الذكر في بني علي من بطون بني كعب ،

طعنه في بعض الحروب فأشواه ، وكان فيها مهلكه .

وقام بأمرهم من بعده ابنه عمر بمظاهرة شقيقه قتيبة . ولكنّ أبا الليل تغلب على سائر الاخوة والقرابة ، واستبد برئاسة بني كعب وسائر بني يحيى ، وأقتاله بنو مُهَلهِل ينافسونه ويرتقبون الادالة منه . وكان مساهمه في أمره معن بن مُطاعِن فِزَارة وزير أبيه . وخرجوا على السلطان بعد مهلك حمزة أبيهم واتهموا ان قتل أبي عون اياهم انما كان بممالأة الدولة فنازلوا تونس ، وجمعوا لمحاصرتها أولاد مُهلهِل أمثالهم . ثم اختلفوا ورحلوا عن البلد وانخذل طالب بن مهلهل وقومه الى السلطان . ونهض في أثرهم فأوقع بهم في القيروان ووفدت مشيختهم على ابنه الأمير أبي العباس بقصره يداخلونه في الخروج على ابنه . وكان فيهم معن ابن مطاعن وزيرهم فتقبض عليه وقتله وأفلت الباقون . وراجعوا الطاعة وأعطوا الرهن .

ولما هلك السلطان أبو يحيى وقام بالامر ابنه عمر انحرفوا عنه ، وظاهروا أخاه أبا العباس صاحب الجريد وولي العهد ، وزحفوا معه بظواعنهم الى تونس فدخلها ، وقتله أخوه عمر كما نذكره في موضعه ، وقتل معه أخاهم أبا الهول بن حمزة فأسعفهم بذلك .

ووفد خالد على صاحب المغرب السلطان أبي الحسن فيمن وفد عليه من وجوه الدولة وكافة المشيخة من افريقية ، وجاء

في جملته حتى اذا استولى على البلاد قبض أيديهم عما كانت تمتد اليه من افساد السابلة وأخذ الاتاوة ، وانتزع الامصار التي كانت مقتطعة بأيديهم ، وألحقهم بأمثالهم من أعراب بلاد المغرب الاقصى من المعقل وزِغْبَة فثقلت وطأته عليهم وتنكروا له ، وساء ظنه بهم وفشت غارات المفسدين من بداويهم بالاطراف فنسب ذلك اليهم ، ووفد عليه بتونس من رجالاتهم خالد بن حمزة وأخوه أحمد وخليفة بن عبد الله بن مسكين وخليفة بن أبي زيد من شيوخ حَلِيم ، فسعى بهم عنده انهم داخلوا بعض الاعياص من أولاد اللحياني من بني أبي حَفْص كما في رحلته ، وكما نذكره في موضعه فتقبض عليهم وبلغ خبرهم الى الحي فتأشبوا بقسطيلية والجريد فظفروا بزنابي من بقية آل عبد المؤمن من عقب أبي العباس ادريس الملقب بأبي ادريس آخر خلفائهم بمراكش وقتيل يعقوب بن عبد الحق عند غلبه على الموحدين بمراكش واستيلاؤه على المغرب ، وهو أحمد بن عثمان ابن ادريس فنصبوه وبايعوه واجتمعوا عليه .

وتأشبت معهم بنو عمهم مهلهل أقتالهم وكان طالب هلك ، وقام مكانه فيهم ابنه محمد فصرخهم بقومه واتفقوا جميعاً على حرب زناتة . ونهض اليهم السلطان أبو الحسن من تونس فاتح تسع وأربعين فأجفلوا امامه حتى نزل القيروان . ثم ناجزوه ففضوا جموعه وملأوا حقائبهم بأسلابه واسلابهم ، وخضدوا من شوكة

السلطان وألانوا من حدّ الملك ، وخفضوا من أمر زناتة . وغلبهم الأمم وكان يوم له ما بعده في اعتزاز العرب على الدول آخر الايام . وهلك أبو الليل بن حمزة فعجز عمر عن مقاومة اخوته ، واستبدّ بالرئاسة عليه أخوه خالد ، ثم من بعده أخوهما منصور . واعتز على السلطان أبي اسحق ابن السلطان أبي يحيى صاحب تونس لعهده اعتزازاً لا كفاء له .

وانبسطت أيدي العرب على الضاحية وأقطعتهم الدولة حتى الامصار وألقاب الجباية ومختص الملك ، وانتقضت الأرض من اطرافها ووسطها ، وما زالوا يغالبون الدولة حتى غلبوا على الضاحية ، وقاسموهم في جبايات الأمصار بالاقطاع ريفاً وصحراء وتلولاً وجريداً . ويحرضون بين اعياص الدولة ويجلبون بهم على الحضرة لما يعطونه طعمة من الدولة . ويرميهم السلطان باقتالهم أولاد مُهَلهِل بن قاسم بن أحمد يديل به منهم حتى احفظوها . ويحرش بينهم بقضاء أوطارها حتى اذا أراد الله انقاذ الامة من هوة الخسف وتخليصهم من مكاره الجوع والخوف ، وادالتهم من ظلمات الموت بنور الاستقامة بعث همة السلطان أمير المؤمنين أبي العباس أحمد أيده الله لطلب ارثه من الخلافة . فبعث من بالحضرة فانبعث لها من مكان امارته بالثغر الغربي ، ونزل اليه أمير البدو ومنصور بن حمزة هذا ، وذلك سنة احدى وسبعين وسبعمائة على حين مهلك السلطان أبي اسحق مقتعد كرسي الحضرة وصاحب

عصا الخلافة والجماعة .

وقام ابنه خالد بالامر من بعده فنهض الى افريقية ودخل تونس عنوة ، واستولى على الحضرة سنة اثنتين بعدها ، وارهف حدّه للعرب في الاعتزاز عليهم وقبض أيديهم عن المفاسد وذويهم فحدثت لمنصور نفرة عن الدولة ، ونصب الأمير أبو يحيى زكريا ابن السلطان ابن أبي يحيى جدّهم الأكبر ، كان في أحياء العرب منذ سنتين كما نذكر ذلك كله في أخبار الدولة ، وأجلب به على تونس سنة ثلاث وسبعين فامتنعت عليهم ولم يظفروا بشيء ، وراجع منصور حاله عند السلطان ، وكشف عن وجه المناصحة . وكان عشيرته قد ملوا منه حسداً ومنافسة بسوء ملكته عليهم ، فغدا عليه محمد ابن أخيه أبي الليل وطعنه فاشواه ، وهلك ليومه سنة خمس وسبعين ، وافترق جمعهم .

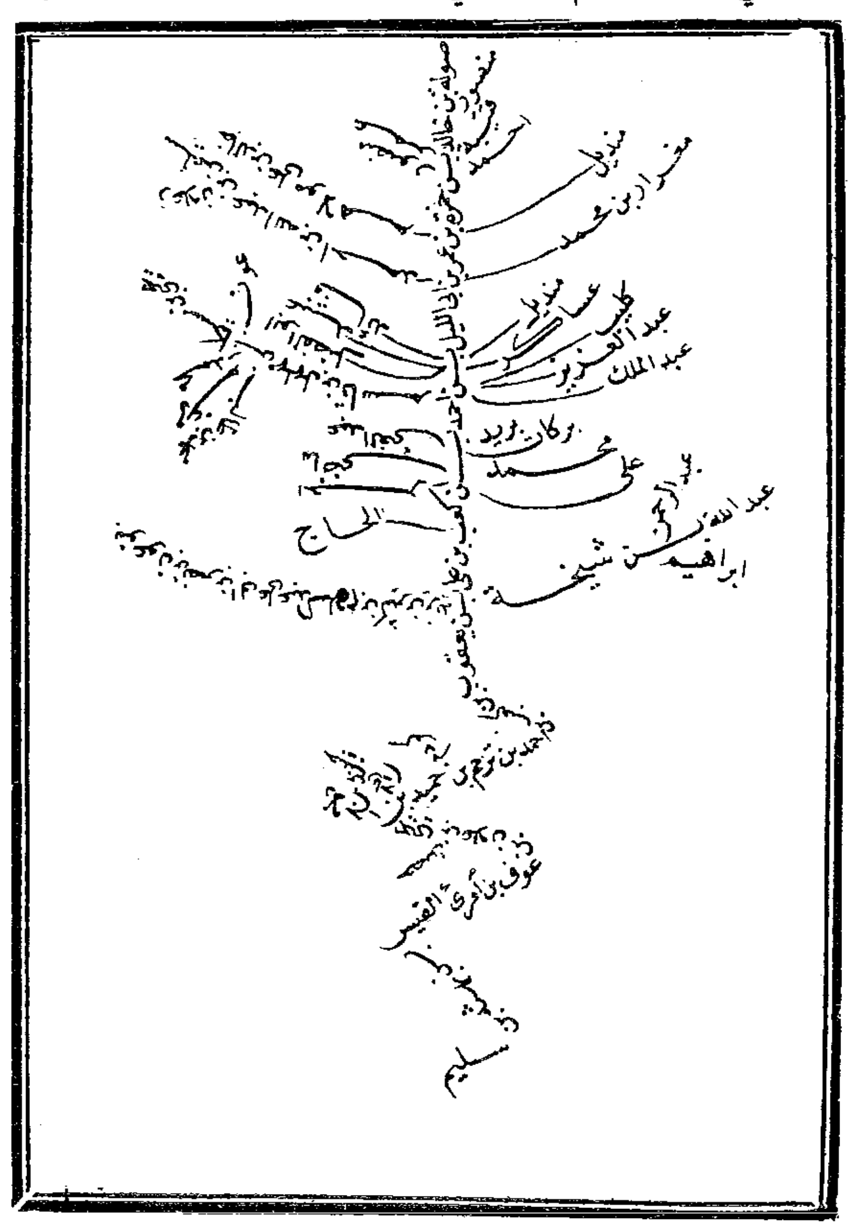
وقام بأمرهم من بعده صولة ابن أخيه خالد بن حمزة ، ويرادفه أولاد مولاهم ابن عمر فجهد بعض الشيء في خدمة السلطان ومناصحته . ثم رجع الى العصيان وكشف القناع في الخلاف . واتصل حاله على ذلك ثلاثاً وادال السلطان منه ومن قومه باقتالهم أولاد مهلهل ، ورياستهم لمحمد بن طالب فرجّع اليهم رياسة البدو وجعل لهم المنع والاعطاء فيهم ورفع رتبهم على العرب . وتحيّز اليهم مع أولاد مولاهم بن عمر بن أبي الليل ، ونقلت أولاد حمزة سائر هذه الايام في الخلاف ونهض السلطان سنة ثمانين الى

بلاد الجَرِيد لتقديم رؤسائها عن المراوغة، وحملهم على جادة الطاعة فتعرضوا لمدافعته عنها بإملاء هؤلاء الرؤساء ومشارطتهم لهم على ذلك .

وبعد أن جمعوا له الجموع من ذؤبان العرب الأعراب وذياب البدو فغلبهم عليها جميعاً وأزاحهم عن ضواحيها ، وظفر بفرائسه من أولئك الرؤساء ، وأصبحوا بين معتقل ومشرد . واستولى على قصورهم وذخائرهم ، وأبعد أولاد حمزة وأحلافهم من حكيم المفر ، وجاوزوا تخوم بلادهم من جهة المغرب ، واعتزت عليهم الدولة اعتزازاً لا كفاء له ، فنامت الرعايا في ظل الأمن وانطلقت منهم أيدي الاعتمار والمعاش وصلحت السابلة بعد الفساد ، وانفتحت أبواب الرحمة على العباد .

وقد كان اعتزاز هؤلاء العرب على السلطان والدولة لا ينتهي اليه اعتزاز ولهم عنجهية وإباية وخلق في التكبر والزهو غريزة لما انهم لم يعرفوا عهداً للذل ، ولا يساومون باعطاء الصدقات لهذا العهد الأول . أما في دولة بني أمية فللعصبية التي كانت للعرب بعضها مع بعض ، يشهد بذلك اخبار الردة والخلفاء معهم ومع أمثالهم . مع أن الصدقة كانت لذلك العهد تتحرى الحق بجانب الاعتزاز والغلظة فليس في اعطائها كثير غمط ولا مذلة . وأما أيام بني العباس حين استفحال الملك وحدوث الغلظة على أهل العصابة فلابعادهم بالقفر من بلاد نجد وتهامة وما وراءهما .

وأما أيام العُبيديين فكانت الحاجة تدعو الدولة الى استمالتهم للفتنة التي كانت بينهم وبين بني العباس . واما حين خرجوا بعد



ذلك الى فضاء برقة وافريقية فكانوا ضاحين من ظل الملك. ولما اصطنعهم بنو أبي حفص كانوا معهم بمكان[1] من الذل وسوم الخسف حتى كانت واقعتهم بالسلطان أبي الحسن وقومه من زناتة بالقيروان فنهجوا سبيل الاعتزاز كغيرهم من العرب على الدول بالمغرب ، فتحامل المعقل وزغبة على ملوك زناتة ، واستطالوا في طلابهم بعد ان كانوا مكبوحين بحكمة الغلب على التطاول الى مثلها ، والله مالك الامور .

الخبر عن قاسم بن مرا من الكعوب القائم بالسنة في سليم ومآل أمره وتصاريف احواله

كان هذا الرجل من الكعوب من أولاد أحمد بن كعب منهم ، وهو قاسم بن مرا بن أحمد . نشأ بينهم ناسكاً منتحلاً للعبادة . ولقي بالقيروان شيخ الصلحاء بعصره أبا يوسف الدهماني . وأخذ عنه ولزمه . ثم خرج الى قومه مقتفياً طريقة شيخه في التزام الورع والأخذ بالسنة ما استطاع . ورأى ما العرب عليه من افساد السابلة والخروج عن الجادّة فأخذ نفسه بتغيير المنكر فيهم واقامة السنة لهم ، ودعا الى ذلك عشيره من أولاد أحمد وان يقاتلوا معه على ذلك . فأشار عليه أولاد أبي الليل منهم وكانوا

(١) كذا ، وفي ت : بمنجاة .

عيبة له تنصح له أن ينكف عن طلب ذلك من قومه ، مخافة ان يلحوا في عداوته فيفسد أمره . ودفعوه الى مطالبة غيرهم من سُلَيم وسائر الناس بذلك وانهم منعة له ممن يرومه خاصة ، فجمع اليه أوباشاً من البادية تبعوه على شأنه والتزموا طريقته والمرابطة معه ، وكانوا يسمون بالجنادة .

وبدأ بالدعاء الى اصلاح السابلة بالقيروان وما اليها من بلاد الساحل ، وتتبع المحاربين بقتل من يعثر عليه منهم بالطرق وغزو المشاهير منهم في بيوتهم واستباحة أموالهم ودمائهم حتى شردهم كل مشرد . وعلت بذلك كلمته على آل حصن وصلحت السابلة بافريقية ما بين تونس والقيروان وبلاد الُجريد وطار له ذكر نفسه عليه قومه ، وأجمع عداوته واغتياله بنو مهلهل قاسم بن أحمد ، وتنصحوا ببعض ذلك للسلطان بتونس الامير أبي حفص ، وأنّ دعوة هذا الرجل قادحة في أمر الجماعة والدولة فأغضى لهم عن ذلك وتركهم وشأنهم فخرجوا من عنده مجمعين قتله .

ودعوه في بعض أيامهم الى المشاورة في شؤونهم معه على عادة العرب ووقفوا معه بساحة حيهم ؛ ثم خلصوا معه نجياً ، وطعنه من خلفه محمد بن مُهَلهِل الملقب بأبي عذبتين فخر صريعاً لليدين والفم . وامتعض له أولاد أبي الليل ، وطلبوا بدمه فافترقت أحياء بني كعب من يومئذ بعد ان كانت جميعاً .

وقام بامره من بعده ابنه رافع على مثل طريقته الى ان هلك في طلب الأمر على يد بعض رجالات آل حصن سنة ست وسبعمائة .

ولم يزل بنو أبي الليل على الطلب بثار قاسم بن مرا الى ان ظهر فيهم حمزة ومولاهم ابنا عمر بن أبي الليل ، وصارت اليهم الرئاسة على أحيائهم . واتفق في بعض الايام اجتماع أولاد مهلهل ابن قاسم في سيدي حمزة ومولاهم في مشاتيهم بالقفر فاجمع اغتيالهم وقتلهم عن آخرهم بثأر ابن عمهم قاسم بن مرا ، ولم يفلت منهم الا طالب بن مُهلهل لم يحضر معهم . وعظمت الفتنة من يومئذ بين هذين الحيين وانقسمت عليهم أحياء بني سُلَيم ، وصاروا يتعاقبون في الخلاف والطاعة على الدولة وهم على ذلك لهذا العهد . والرئاسة في بني مهلهل اليوم لمحمد بن طالب بن مُهَلهِل وأخيه يحيى والله وارث الارض ومن عليها ، وهو خير الوارثين .

بنو حصن بن علاق

بنو حصن هؤلاء من بطون عِلاق ، وحصن أخو يحيى بن علاق كما مر فهم بطنان أيضاً : بنو علي وحكيم . وقد يقال ان حكيماً ليس لحصن ، وإنما ربي في حجره فانتمى اليه . واما حكيم فلهم بطون منهم : بنو طَريف بن حكيم وهم أولاد جابر

والشراعبة ونعير وجُوَيْن لمقدام بن ظريف وزياد بن ظريف . ومنهم : بنو وائل بن حكيم ، ومنهم بنو طرود بن حكيم . وقد يقال ان طروداً ليس لسُليم ، وانهم من منبس احدى بطون هلال بن عامر ، ويقال ان منهم زيد العِجَاج بن فاضل المذكور في رجالات هلال والصحيح في طرود أنهم من بني فهم بن عمر بن قيس بن عيلان بن عُدوان وفي تعدادهم ، وكانت طرود أحلاف الدِلاج ثم قاطعوهم وحالفوا آل مُلاعب .

ومن بطون حكيم آل حسين ونوال ومقعد والجميعات ، ولا أدري كيف يتصل نسبهم . ومنهم بنو نُمَير بن حكيم . ولنُمير بطنان : مُلاعب وأحمد ، فمن أحمد بنو محمد والبطين . ومن مُلاعِب بنو هيكل بن ملاعب . وهم أولاد زمام والفَريّات [1] وأولاد ميّاس وأولاد فائد . ومن أولاد فائد الصرح والمدافعة . وأولاد يعقوب بن عبد الله بن كُثَير بن حرقوص بن فائد واليهم ، رئاسة حكيم وسائر بطونهم ومواطن حكيم هؤلاء لهذا العهد ما بين سوسة والأجم . والناجمة منهم أحلاف لبني كعب ، تارة لأولاد الليل ، وتارة لأقتالهم أولاد مهلهل ، ورئاستهم في بني يعقوب بن عبد السلام بن يعقوب شيخاً عليهم ، وانتقض أيام اللحياني .

ووفد على السلطان أبي يحيى بالثغر الغربي من افريقية في

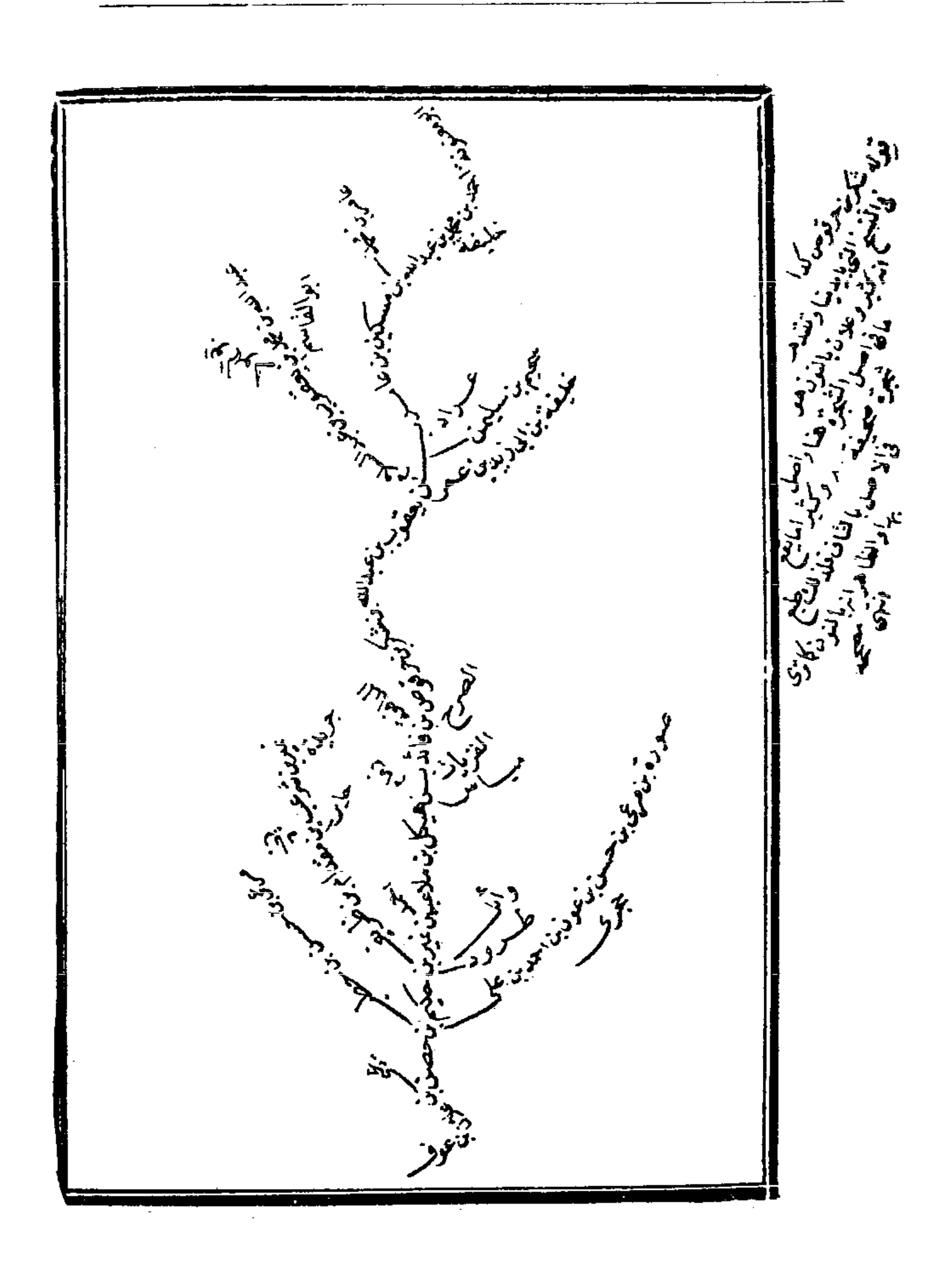
(١) كذا ، وفي النسخة الباريسية : الفرنات .

بجاية وقسنطينة وجاء في جماته فلما ملك تونس عقد له على قومه ورفعه على أنظاره. وغص به بنو كعب فحرّض عليه حمزة من الأعشاش محمد بن حامد بن يزيد فقتله في موقف شوراهم وولي الرئاسة فيهم من بعده ابن عمه محمد بن مسكين بن عامر ابن يعقوب بن القوس وانتهت اليه رياستهم. وكان يرادفه أو ينازعه جماعة من بني عمه. فنهم سُحيم بن سليمان بن يعقوب، وحضر واقعة طريف مع السلطان أبي الحسن، وكان له فيها ذكر. ومنهم أبو الهول وأبو القاسم ابنا يعقوب ابن عبد السلام، وكان لأبي الهول مناصحة للسلطان أبي الحسن حين احلف عليه بنو سليم بالقيروان، وأدخله مع أولاد مهلهل في الخروج على القيروان فخرج معهم جميعاً الى سوسة.

ومنهم بنو يزيد بن عمر بن يعقوب وابنه خليفة. ولم يزل محمد بن مسكين على رئاسته أيام السلطان أبي يحيى كلها وكان مخالطاً له، ومتهالكاً في نصيحته والانحياش اليه. ولما هلك خلفه في رئاسته ابن أخيه خليفة بن عبد الله بن مِسكين وهو أحد الأشياخ الذين تقبض عليهم السلطان ابو الحسن بتونس بين يدي واقعة القيروان. ثم أطلقه وهو محصور بالقيروان فكان له به اختصاص من بعد ذلك. ولما تغلّب العرب على النواحي بعد واقعة القيروان تغلب بنو مِسكين هؤلاء على سوسة فأقطعها السلطان خليفة هذا وبقيت في ملكته.

وهلك خليفة فقام برئاستهم في حكيم ابن عمه عامر ابن محمد ابن مسكين . ثم قتله محمد بن بثينة بن حامد من بني كعب قتله يعقوب بن عبد السلام ، ثم قتله محمد هذا غدراً بجهاد الجُرَيد سنة خمس وخمسين وسبعمائة . ثم افترق أمرهم واستقرت رئاستهم لهذا العهد بين أحمد بن محمد بن عبد الله بن مسكين ، ويُلقب أبا معنونة وهو ابن أخي خليفة المذكور . وعبد الله بن محمد ابن يعقوب وهو ابن أخي أبي الهول المذكور . ولما تغلّب السلطان أبو العباس على تونس وملكها انتزع سوس من أيديهم فامتعض أحمد لذلك ، وصار الى ولاية صَوْلَة بن خالد بن حمزة من أولاد أبي الليل وسلكوا سبيل الخلاف والفتنة وأبعدوا في شأوها ، وهم لهذا العهد مشردون عن الضواحي والأرياف متزاحون الى القفر .

واما عبد الله بن محمد ويلقب الراوي فتحيز الى السلطان وأكد حلفه مع أولاد مُهَلهِل على ولايته ومظاهرته فعظمت رئاسته في قومه ، وهو على ذلك لهذا العهد . ثم راجع أبو معنونة خدمة السلطان وانقسمت رئاسة حكيم بينهما ، وهم على ذلك لهذا العهد . واما بنو علي اخوة حكيم فلهم بطون أولاد صورة ويجمعها معاً عوف بن محمد بن علي بن حصن . ثم أولاد نمي والبدرانة وأولاد أم أحمد والحضرة أو الرجلان ، وهو مقعد والجميعات والحمر والمسابهة آل حسين وحجري ، وقد يقال ان



حجري ليسوا لسليم ، وانهم من بطون كِندَة صاروا معهم بالحلف فانتسبوا بنسبهم ورئاســة بني علي في أولاد صورة . وشيخهم لهذا العهد أبو الليل بن أحمد بن سالم بن عقبة بن شبل بن صورة ابن مرعي بن حسن بن عَوْف . ويرادفهم المراعيــة من أهل نسبهم أولاد مرعي ابن حسن بن عَوْف ، ومواطنهم مــا بين الاجم والمباركة من نواحي قابُس ، وناجعتهم أحلاف الكعوب إما لأولاد أبي الليل أو لأولاد مُهلهِل ، وغالِب أخوالهم أولاد مهلهل ، والله مقدّر الأمور لا رب سواه .

ذباب بن سليم

قد ذكرنا الخلاف في نسبهم من انهم من ذُبّاب بن رَبيعة بن زُغَب الأكبر ، وان ربيعة أخو زُغب الأصغر . وضبط هذه اللفظة لهذا العهد بضم الزاي ، وقد ضبطها الأجدابي والرشاطي بكسر الزاي . كذا نقل أبو محمد التجاني في رحلته ، ومواطنهم ما بين قابُس وطرابلس الى بَرقــة ، ولهم بطون فنهم : أولاد أحمد بن ذبّاب ومواطنهم غربي قابس وطرابلس الى برقة . عيون رجال مجاورون لحصن ، ومن عيون رجال بلاد زغب من بطون ذبّاب بنو يزيد مشاركون لأولاد أحمد في هــذه المواطن ، وليس هذا أباً لهم ، ولا اسم رجل ، وإنما هو اسم حلفهم انتسبوا

به الى مدلول الزيادة . كذا قال التجاني وهم بطون اربعة : الصهب بسكون الهاء بنو صهب بن جابر بن فائد بن رافع ابن ذُباب ، واخوتهم الحمادية بنو حمدان بن جابر ، والخرجة بسكون الراء بطن من آل سليمان منهم . أخرجهم آل سُليمان من مواطنهم بمسلاتة فحالفوا هؤلاء ونزلوا معهم . والأصابعة نسبة الى رجل ذي اصبع زائدة . ولم يذكر التجاني في أي بطن من ذباب ينتسبون . ومنهم النوائل بنو نائل بن عامر بن جابر واخوتهم أولاد سِنان بن عامر واخوتهم أولاد وشاح بن عامر ، وفيهم رئاسة هذا القبيل من ذباب كلهم .

وهم بطنان عظيمان : المحاميد بنو محمود بن طوق بن بقية ابن وشاح ، ومواطنهم ما بين قابس ونفّوسة وما الى ذلك من الضواحي والجبال . ورئاستهم لهذا العهد في بني رحاب ابن محمود لأولاد سبّاع بن يعقوب بن عَطيّة بن رحاب . والبطن الآخر الجواري بنو حَميد بن جارية بن وشاح ، ومواطنهم طرابلس وما اليها مثل تاجورا وهزاعة وزنزور وما الى ذلك . ورئاستهم لهذا العهد في بني مُرغم بن صابر بن عسكر بن علي ابن مرغم . ومن أولاد وشاح بطنان آخران صغيران مندرجان مع الجواري والمحامد ، وهما الجواربة بنو جراب بن وشاح ، والعمور بنو عمر بن وشاح. هكذا زعم التجاني في العمور هؤلاء. وفي هِلال بن عامر بطن العُمُور كما ذكرناه . وهم يزعمون انّ

عُمور ، ذباب هؤلاء منهم وانهم انما جمعهم مع ذباب الموطن خاصة وليسوا من سُليم والله أعلم بحقيقة ذلك .

وكان من أولاد وشاح بنو حَريز بن تميم بن عمر بن وشاح كان منهم فائد بن حريز من فرسان العرب المشاهير وله شعر متداول بينهم لهذا العهد سمر الحيّ وفكاهة المجالس ويقال انه من الحامِيد . فائد بن حريز بن حربي بن محمود بن طوب . وكان بنو ذباب هؤلاء شيعة لقراقش الغزي وابن غانيـةِ ، ولهما فيه أثر . وقتل قراقش مشيخة الجواري في بعض أيامه . ثم صاروا بعد مهلك ابن غانية الى خدمة الأمير أبي زكريا وأهل بيتـه من بعده ، وهم الذين أقاموا أمر الداعي بن أبي عُمَـارة وعليهم كان تلبسه لان يصير أميراً بدل المخلوع وكان فرّ اليهم بعد مهلك مولاه وبنيه ونزل عليهم . حتى اذا مرّ بهم ابن أبي عمـارة فعرفه الخبر فاتفقوا على التلبيس وزينوا ذلك لهؤلاء العرب فقبـلوه . وتولى كبر ذلك مرغم بن صابر وتبعـه قومـه ، وداخلهم في الامر أبو مروان عبد الملك بن مكي رئيس قابس فكان ما قـدر الله ما كان من تمام أمره وتلويث كرسي الخلافة بدمه حسبما يذكر في أخبار الدولة الحفصيَّة .

وكان السلطـان أبو حَفص يعتمد عليهم فغلبهم في دعوة عُمَارة فخالفوا عليه وسرّح لحربهم قائـده أبا عبد الله الفَزاري ، واستصرخوا بالأمير أبي زكريا ابن أخيه ، وهو يومئذ صاحب

بجاية والثغر الغربي من افريقية ، ووفد عليه منهم عبد الملك ابن رحاب بن محمود فنهض لصريخه سنة سبع وثمانين وستمائة . وحاربوا أهل قابُس وهزموهم وأثخنوا فيهم . ثم غلبهم الفزاري ومانعهم عن وطن افريقية . ورجع الأمير أبو زكريا الى ثغره . وكان مُرغِم بن صابر بن عسكر شيخ الجواري قد أسره أهل صِقِلّيَة من سواحل طرابلس سنة اثنتين وثمانين وباعوه لاهل بَرْشَلونَة فاشتراه ملكهم وبقي أسيراً عنده الى ان نزع اليه عثمان بن ادريس الملقب بأبي دُبّوس بقية الخلفاء من بني عبد المؤمن . وأراد الاجازة الى افريقية لطلب حقه في الدعوة الموحدية فعقد ملك برشلونة بينه وبين مرغم حلفاً وبعثهما ونزل بساحل طرابلس .

وأقام مرغم الدعوة لابن دبوس ، وحمل عليها قومه . وحاصر طرابلس سنة ثمان وثمانين أياماً . ثم تركوا عسكراً لحصارها وارتحلوا لجباية الوطن فاستفرغوه وكان ذلك غاية أمرهم ، وبقي أبو دبوس يتقلب في أوطانهم مدة . واستدعاه الكعوب لاول المائة الثامنة وأجلبوا به على تونس أيام السلطان أبي عصيدة من الحفصيين وحاصروها أياماً فلم يظفروا . ورجع الى نواحي طرابلس وقام بها مدة . ثم ارتحل الى مصر وأقام بها أن هلك كما يأتي ذكره في خبر ابنه مع السلطان أبي الحسن بالقيروان . ولم يزل هذا شأن الجواري والمحاميد الى ان تقلّص ظل الدولة

عن أوطان قابس وطرابلس فاستبد برئاسة ضواحيها . واستعبدوا سائر الرعاية المعتمرة في جبالها وبسائطها ، واستبد أهل الامصار برئاسة أمصارهم بنو مكي بقابس وبنو ثابت بطرابلس على مـا يذكر في أخبارهم .

وانقسمت رئاسة أولاد وشاح بانقسام المصرين فتولى الجواري طرابلس وضواحيها وزنزور وغريان ومغر ، وتولى المحاميد بـلد قابس وبلاد نفوسة وحرب .

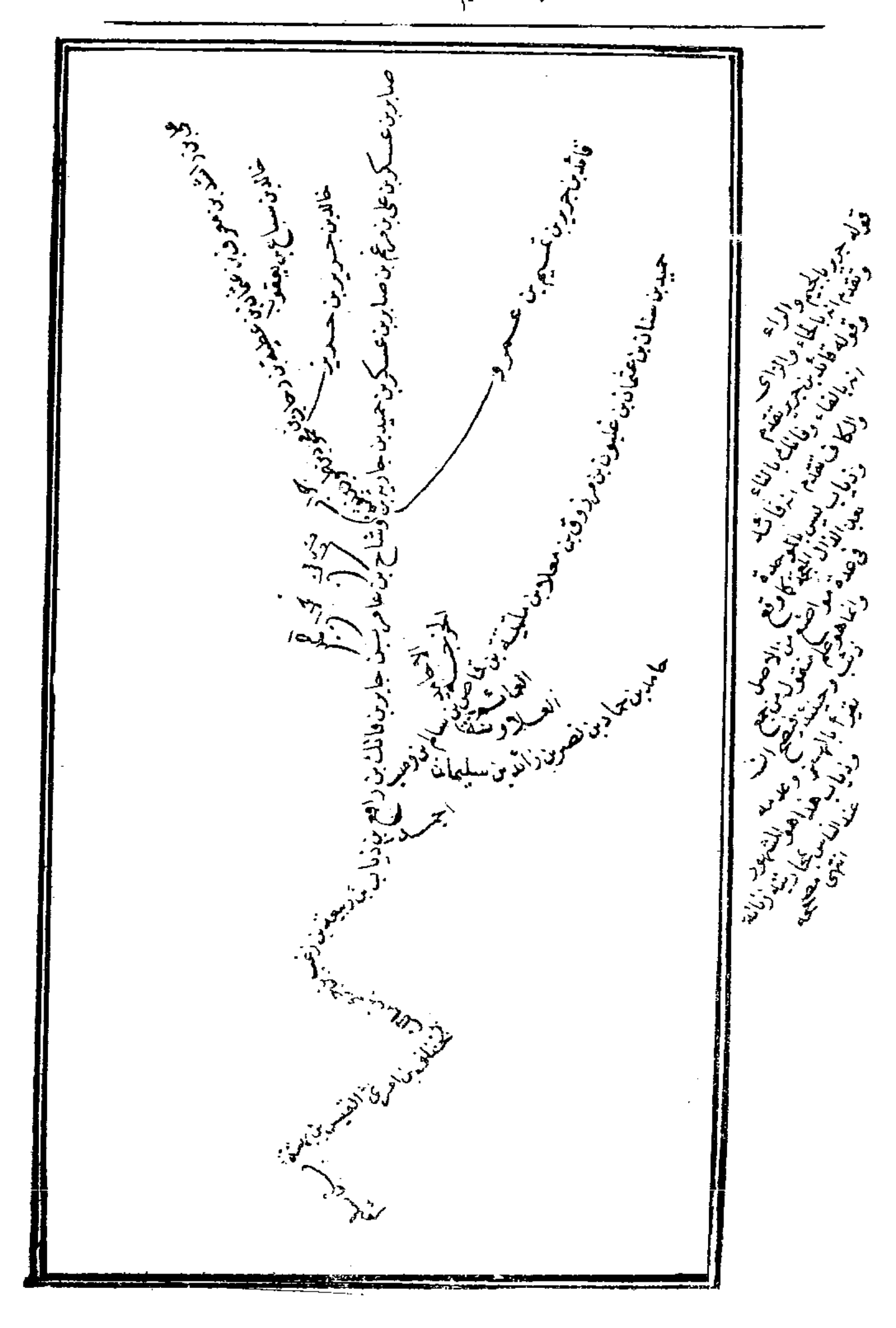
وفي ذباب هؤلاء بطون أخرى ناجمة في القفر ، ومواطنهم منزاحة الى جانب الشرق عن مواطن هؤلاء الوشاحين . فنهم آل سليمان بن هبيب بن رابع بن ذباب ، ومواطنهم قبـلة مغر ، وغريان ورئاستهم في ولد نصر بن زائد بن سليمان ، وهي لهذا العهد لهائل بن حمّاد بن نصر وبنيه والبطن الآخر آل سالم بن هيب أخي سليمان . ومواطنهم بلد مِسراتَة الى لبدة ومِسلاتَة . وشعوب آل سـالم هؤلاء الأحامـد والعمائم والعلاونَة وأولاد مرزوق ، ورئاستهم في ولد مرزوق وهو ابن معلّى بن معراني بن قلينة بن قاص بن سالم ، وكانت في اول هـذه المائة الثامنـة لغلبون بن مرزوق ، واستقرت في بنيـه وهي اليوم لحميـد بن سِنان بن عثمان بن غلبون . والعـلاونة منهم مجاورون للعزة من عرب بَرْقَـة والمشابنة من هوّارة المقيمين .

ويجاور ذباب هؤلاء في مواطنهم من جهة القبلة ناصرة ، وهم

من بطون ناصرة بن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم ، فان كان زُغَب أبو ذباب لمالك بن خَفاف كما زعم التجاني فهم اخوة ناصرة ، ويبعد أن يسمى قوم باسم اخوانهم . وان كانوا لناصرة كما زعم ابن الكلبي ، وهو أقرب ، فيكون هؤلاء اختصوا باسم ناصرة دون ذباب وغيرهم من بنيه وهذا كثير من بطون القبائل والله أعلم . ومواطنهم بلاد فزان وودان . هذه اخبار ذباب هؤلاء .

وأما العزّة جيرانهم في الشرق الذين قدمنا ذكرهم فهم موطنون من أرض برقة خلاء لاستيلاء الخراب على أمصارها وقراها من دولة صِنهَاجة . تمرست بعمرانها بادية العرب وناجعتهم فتحيّفوها غارة ونهباً الى ان فسدت فيها مذاهب المعاش ، وانتقض العمران فخربت. وصار معاش الاكثر من هؤلاء العرب الموطنين بها لهذا العهد من الفلح يثيرون له الارض بالعوامل من الجمال والحمير ، وبالنساء اذا ضاق كسبهم عن العوامل وارتكبو ضرورة المعاش .

وينتجعون الى بلاد النخل في جهة القبلة منهم من أوجلة وشنترية والواحات وما وراء ذلك من الرمال والقفر ، الى بلد السودان المجاورين لهم ، وتسمى بلادهم برنيق وشيخ هؤلاء العرب ببرقة يعرف لهذا العهد بأبي ذئب من بني جعفر . وركاب الحج من المغرب يحمدون مسالمتهم في ممرهم وحسن



نيتهم في التجافي عن حاج بيت الله ، وارفادهم بجلب الاقوات لسربهم وحسن الظن بهم . « فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره » .

وأما نسبهم فما أدري فيمن هو من العرب . وحدثني الثقة من ذباب عن خريص ابن شيخهم أبي ذيب أنهم من بقايا الكعوب ببرقة. وتزعم نسّابة الهلاليين انهم لربيعة بن عامر اخوة هلال بن عامر . وقد مرّ الكلام في ذلك في أوّل ذكر بني سُليم . ويزعم بعض النسّابة أنهم والكعوب من العزة ، وان العزة من هيث وانّ رئاسة العزة لاولاد أحمد ، وشيخهم أبو ذئب وأن المثانية [1] جيرانهم من هُوارَة . وذكر لي سلام بن التركية شيخ أولاد مقدم جيرتهم بالعَقَبة انهم من بطون مَسراتَة من بقية هُوّارة ، وهو الذي رأيت النسابة المحققين عليه ، بعد ان دخلت مصر ولقيت كثيراً من المتردّدين اليها من أهل برقة . وهذه آخر الطبقة الرابعة من العرب ، وبانقضائه انقضى الكتاب الثاني في العرب واجيالهم منذ بدء الخليقة ، فلنرجع الى أحوال البربر في الكتاب الثالث والله ولي العون اهـ.

(١) كذا ، وفي ت : المثاينة .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

الكتاب الثالث

في اخبار البربر

والامة الثانية من اهل المغرب

وذكر أوليتهم وأجيالهم منذ بدء الخليقة لهذا العهد

ونقل الخلاف الواقع بين الناس في أنسابهم

الفصل الاول

هذا الجيل من الآدميين هم سكان المغرب القديم، ملأوا البسائط والجبال من تلوله وأريافه وضواحيه وأمصاره، يتخذون البيوت من الحجارة والطين ومن الخوص والشجر ومن الشعر والوبر. ويظعن أهل العز منهم والغلبة لانتجاع المراعي فيما قرب من الرحلة، لا يجاوزون فيها الريف الى الصحراء والقفر الأملس. ومكاسبهم الشاء والبقر والخيل في الغالب للركوب والنتاج. وربما كانت الابل من مكاسب أهل النجعة منهم شأن العرب،

ومعاش المستضعفين منهم بالفلح ودواجن السائمة. ومعاش المعتزين أهل الانتجاع والاظعان في نتاج الابل وظلال الرماح وقطع السابلة. ولباسهم وأكثر أثاثهم من الصوف يشتملون الصماء بالاكسية المعلمة، ويفرغون عليها البرانس الكحل ورؤسهم في الغالب حاسرة، وربما يتعاهدونها بالحلق. ولغتهم من الرطانة الاعجمية متميزة بنوعها، وهي التي اختصوا من أجلها بهذا الاسم.

يقال انّ افريقش بن قيس بن صيفي من ملوك التبابعة لما غزا المغرب وافريقية، وقتل الملك جرجيس وبنى المدن والامصار، وباسمه زعموا سميت افريقية لما رأى هذا الجيل من الأعاجم وسمع رطانتهم ووعى اختلافها وتنوّعها تعجب من ذلك وقال: ما أكثر بربرتكم فسموا بالبَرْبَر. والبربرة بلسان العرب هي اختلاط الأصوات غير المفهومة. ومنه يقال بربر الاسد اذا زأر بأصوات غير مفهومة.

وأمّا شعوب هذا الجيل وبطونهم فان علماء النسب متفقون على أنهم يجمعهم جِذْمان عظيمان وهما برنس وماذغيس. ويُلَقَّب ماذَغِيس بالابتر فلذلك يقال لشعوبه البتر ويقال لشعوب بُرْنُس البَرانس، وهما معاً ابنا برنس. وبين النسّابين خلاف هل هما لاب واحد. فذكر ابن حزم عن أيوب بن أبي يزيد صاحب الحمار أنهما لأب واحد، على ما حدّثه عنه يوسف الورّاق. وقال سالم بن

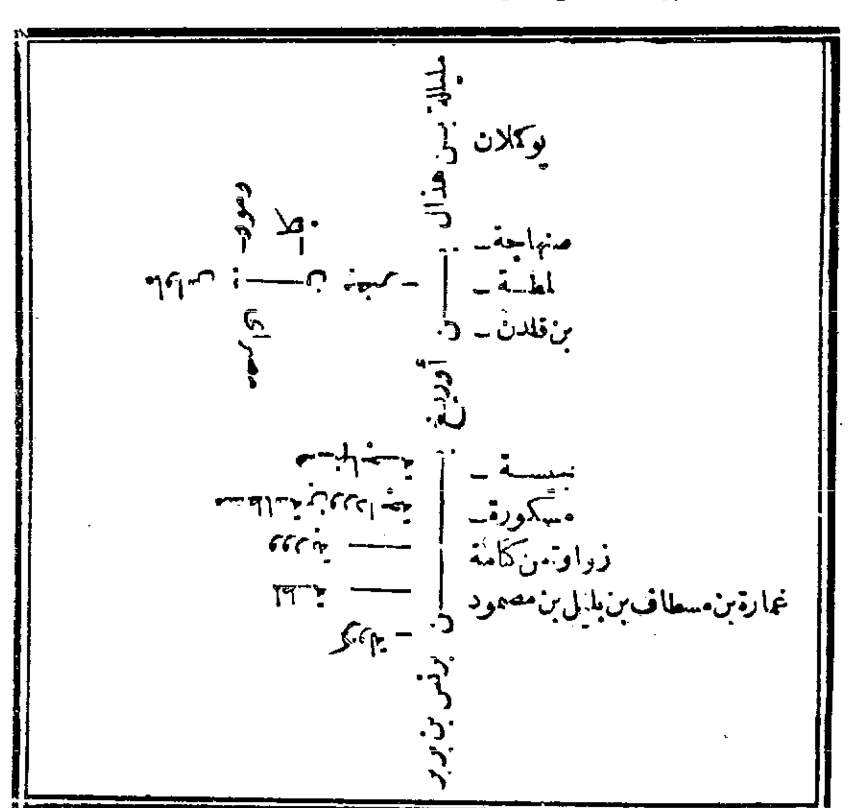
سليم المطماطي وهاني بن مسرور[١] والكومي وكهلان من أبي لوا وهم، نسّابه البربر : انّ البُرانس بتر، وهم من نسل مازيغ ابن كنعان . والبتر بنو بر بن قيس بن عيلان وربما نقل ذلك عن أيوب بن أبي يزيد، إلّا انّ رواية ابن حزم أصح لانه أوثق .

وأمّا شعوب البُرانس فعند النسّابين انهم يجمعهم سبعة أجذام وهي ازداجة ومَصمودة وأوربة وعُجيسة وكُتامة وصِنهاجة وأوريغة. وزاد سابق بن سُليم واصحابه : لمطة وهسكورة وكزولة . وقال أبو محمد بن حزم : يقال ان صنهاج ولمط انما هما ابنا امرأة يقال لها تصكي ولا يعرَف لهما أب تزوجها أوريغ فولدت له هوّار فلا يعرف لهما أكثر من انهما اخوان لهوّار من أمه . قال وزعم قوم من اوريغ أنه ابن خبوز[٢] بن المثني بن السكاسك من كندة وذلك باطل .

وقال الكلبي انّ كتَامة وصِنهاجة ليستا من قبائل البربر وانما هما من شعوب اليمانيّة، تركهما افريقش بن صيفي بافريقية مع من نزل بها من الحامية . هذه جماع مذاهب أهل التحقيق في شأنهم، فمن ازداجه مسطاطه، ومن مصمودة غمارة بنو غمار ابن مصطاف بن مليل بن مصمود، ومن أوريغه هوّارة ومَلْد

(١) كذا، وفي ت : مصدور . وفي ب (النسخة الباريسية) : يصدور .
(٢) كذا وفي ب : خبور .

ومغر وقلدن . فمن هوّار بن أوريغ مليلة وبنو كِهلان ، ومن ملس أوريغ سطط وورفل واسيل ومَسراتة . ويقال لجميعهم لهانة بنو لهان بن ملد . ويقال ان مليلة منهم . ومن مغر بن أوريغ ماواس وزمور وكبا ومَضراي ومن قـلدن بن أوريغ قمصـاتة وورسطيف وبيانة وفل مليلة .



وأما شعوب البتر[1] وهم بنو مادَغيس الأبتر فيجمعهم أربعة

(١) قوله وأما شعوب الخ من هنا الى الشجرة أسماء بعضها مخالف لما في الشجرة وهو في جميع النسخ التي بأيدينا اه

أجذام ، أدّاسة ونفوسة وضرية وبنو لوا الأكبر وكلهم بنو زحّيك ابن مادَغيس . فأما أداسة بنو أداس بن زحّيك فبطونهم كلها في هوّارة لان أم اداس تزوجها بعد زحيك أوريغ ابن عمه بُرُنس والد هوّارة ، فكان اداس أخاً لهوّارة ، ودخل نسب بنيه كلهم في هوّارة . وهم سفارة واندارة وهنزولة وضرية [1] وهداغة ، اوطيطة وترهتة . هؤلاء كلهم بنو اداس بن زُحيك ابن [2] وهم اليوم في هوّارة .

وا[illegible] كبر فمنه بطنان عظيمان وهما : نفَزاوة بنو نفزا وابن لوا الاكبر ولواتة بنو لوا الاصغر بن لوا الأكبر ، فخلفه أبوه حملا [illegible] فمن لواته أكوزة وعتروزة وبنو فاصلة بن لوا الأصغر ومنهم بنو زاير بن لوا الأصغر . ومغانة وجدانة بنو كطوف بن لوا الأصغر . ومن لواتة سرداتة بنو نيطط بن لوا الاصغر . ودخل نسب سدراتة في مِغرَاوَة . قال أبو محمد بن حزم : كان مغراوة تزوج أم سدراتة فصار سدراتة أخا بني مغراوة لامهم واختلط نسبه بهم . ومن نفزاوة أيضاً بطون كثيرة وهم ولهاصة وغسّاسة وزُهْلَة وسوماتة وورسيف ومُرنيزة وزاتِيمَة وور كول ومرنسية وودغروس وودين كلهم بنو يطوفت من نفزاوة .

(١) كذا ، وفي ت : صنبرة .
(٢) كذا في ت ، : مادغس ، وفي نسخة : مادغيس .

وزاد ابن سابق وأصحابه مجر ومكلاتة . وقال : ويقال ان مكلاتة ليس من البربر ، وانه من حمير وقع الى يطوفت صغيراً فتبناه وهو مكلا بن ريمان بن كلاع حاتم بن سعد بن حمير . ولولهاصة من نفزاوة بطون كثيرة من بزغاش [١] ودحية ابني ولهاص . فمن بزغاش بطون ورفجومة وهم : رجال وطووبورغيش وواتجز وكرطيط وما أنجدل وسينتت بنو رفجوم ابن بيزغاش بن ولهاص بن يطوفت بن نفزاو .

قال ابن سابق واصحابه : وبنو بيزغاش لواتة كلهم بجبال أوراس . ومن دحية ورترن وتريرو ورتبونت [٢] ومكراولقوس [٣] بنو دحية بن ولهاص بن تطوفت بن نفزاو . واما ضرية وهم بنو ضرى بن زحيك بن مادغيس الأبتر فيجمعهم جذمان عظيمان : بنو تمصيت بن ضرى وبنو يحيى ابن ضرى .

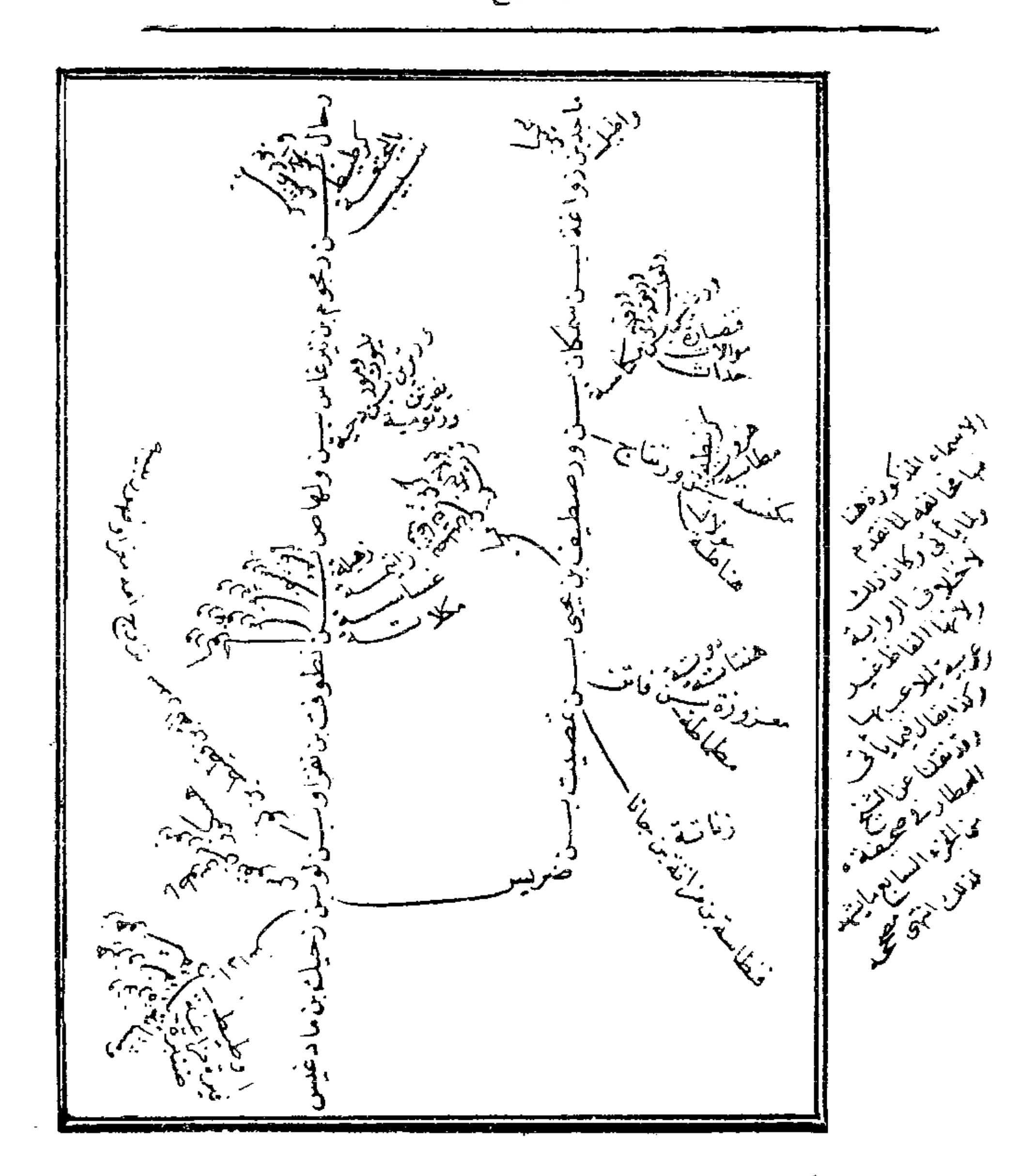
وقال سابق وأصحابه : ان بطون تمصيت كلها من فاتن بن تمصيت وانهم اختصوا بنسب ضرسية دون بطون يحيى . فمن بطون تمصيت : مطماطة وصطفورة ، وهم كومية ولماية ومطغرة ومرينة ومغيلة ومكزوزة وكشاتة ودونة ومديونة ، كلهم بنو

(١) كذا ، وفي ت : تبدغاش . وفي ب : بندغاش .
(٢) كذا ، وفي ت : ورلتونت ، وفي ب : ورسوتني وفي نسخة أخرى : ورتبونت .
(٣) كذا ، وفي ت : يفرين . وفي ب : يفرين .

فاتن بن تمصيت بن ضرى . ومن بطون يحيى : زناتــة كلهم وسمكان وورصطف . فمن ورصطف : مكناسة وأوكنة وورتناج بنو ورصطف بن يحيى . فمن مِكناســة ورتيفة وورتدوسن وتفليت ومنصــارة وموالات وحرات ورفلابس ومن مكن بولالين وتدين ويصلاتن وجرين وفوغال . ومن ورتناج : مكنسة وبطالسة وكرنيطة وسدرجة وهناطــة وفولال بنو ورتناج بن ورصطف . ومن سمكان زواغــة وزواوة بنو سمكان بن يحيى وابن حزم بعد زواوة التي بالواو في بطون كتامة وهو أظهر ، ويشهد له الوطن . فالغالب ان زواوة بنو سمكان بن يحيى . وعن ابن حزم : بعد زواوة التي بالواو في بطون كتامــة والتي تعد في سكان هي التي بالزاي وهي قبيلة معروفة . ومن زواغة بنو ماجر وبنو واطيل وسمكين . وسيأتي الكلام فيهم مستوفى عند ذكرهم ان شاء الله تعالى . هــذا آخر الكلام في شعوب هــذا الجيل مجملاً ، ولا بدّ من تفصيل فيــه عنــد تفصيل أخبارهم اهـ .

وأما الى من يرجع نسبهم من الأمم الماضيــة فقد اختلف النسّابون في ذلك اختلافاً كثيراً وبحثوا فيه طويلاً . فقال بعضهم : انهم من ولد ابراهيم عليه السلام من نقشان [1] ابنــه ، وقد تقدّم ذكره عند ذكر ابراهيم عليه السلام . وقــال آخرون :

(١) كذا ، وفي التوراة ٢٥/٢ يقشان .



البربر يَمَنِيُّون وقالوا أوزاع مـن اليمن . وقال المسعودي من غسَّان وغيرهم تفرّقوا عندما كان من سيل العرم . وقيـل : تخلفهم ابرَهة ذو المنار بالمغرب ، وقيل من لَخْم وجُذام كانت منازلهم

بفلسطين وأخرجهم منها بعض ملوك فارس . فلما وصلوا الى مصر منعتهم ملوك مصر النزول فعبروا النيل وانتشروا في البلاد . وقال أبو عمر بن عبد البر : ادعت طوائف من البَرْبَر أنهم من ولد النُّعمان بن حميد بن سبأ . قال : ورأيت في كتاب الاسفنداد الحكيم : ان النعمان بن حِمْيَر بن سبأ كان ملك زمانه في الفترة ، وانه استدعى ابناءه وقال لهم : أريد أن أبعث منكم للمغرب من يعمره ، فراجعوه في ذلك ، وعزم عليهم ، وأنه بعث منهم لمت أبا لمتونة ومسفو أبا مَسوفَة ومرطا أبا هَسكُورة وأصناك أبا صِنهاجَة ولمط أبا لمطة وايلان ابا هِيلانة ، فنزل بعضهم بجبل دون وبعضهم بالسوس وبعضهم بدَرَعة .

ونزل لمط عند كزول وتزوج ابنته ونزل أجانا وهو أبو زَنَاتَة بوادي شلف ونزل بنو ورتجين ومغراو باطراف افريقية من جهة المغرب ونزل مصمود بمقربة من طنجَة . والحكاية طويلة أنكرها أبو عمر بن عبد البر وأبو محمد بن حزم . وقال آخرون : انهم كلهم من قوم جالوت . وقال علي بن عبد العزيز الجرجاني النسَّابة في كتاب الانساب له : لا أعلم قولاً يؤدي الى الصحة إلا قول من قال انهم من ولد جالوت . ولم ينسب جالوت ممن هو وعند ابن قُتيبَة انه ونور بن هربيل [1] ابن حديلان [2] بن

(١) كذا ، وفي ت : ونور بن هرمل ، وفي ب : ثور بن هربيل .
(٢) كذا ، وفي ت : جدلان ، وفي ب : يلاد .

جالود بن رديلان [١] بن حطى بن زياد بن زجيك بن مادغيس الأبتر .

ونقل عنه أيضاً أنه جالوت بن هريال بن جالود بن دنيال [٢] ابن قحطان بن فارس . قال : وفارس مشهور وسفك أبو البربر كلهم . قالوا : والبربر قبائل كثيرة وشعوب جمة وهي هُوارة وزناتة وضريسة ومَغيلة وورفجومة ونفزة وكتامة ولُواتة وغمّارة ومصمودة وصَدينة ويَزدَران وورنجين وصنهاجة ومَجكَسة وواركلان وغيرهم . وذكر آخرون منهم الطبري وغيره : ان البربر أخلاط من كنعان والعماليق ، فلما قتل جالوت تفرقوا في البلاد وغزا أفريقش المغرب ونقلهم من سواحل الشام وأسكنهم افريقية وسماهم بربر . وقيل إنّ البربر من ولد حام بن نوح بن بَربَر بن تملا بن مازيغ بن كنعان بن حام . وقال الصولي : هم من ولد بربر بن كسلوجيم بن مصرائيم بن حام . وقيل ان العمالقة من بربر بن تملا ابن مارب بن قاران بن عمرو بن عملاق بن لاود بن إرَم بن سام ، وعلى هذا القول فهم عمالقة . وقال مالك بن المرحل [٣] . البربر قبائل شتى من حِمْيَر ومُضَر والقِبْط والعمالقة وكنعان وقريش تلاقوا [٤] بالشام ولغطوا فسمّاهم افريقش البربر لكثرة

(١) كذا ، وفي ب : رديال .
(٢) كذا ، وفي ت : دبال . وفي ب : دبال . وفي نسخة اخرى : ذبال .
(٣) كذا ، وفي ت : الموحل . وفي ب : الموصل .
(٤) كذا ، وفي ت : تألفوا .

كلامهم . وسبب خروجهم عند المسعودي والطبَري والسُهَيلي : انْ افريقش استجاشهم لفتح افريقية وسمّاهم البَرْبَر وينشدون من شعره :

بَرْبَرَتْ كَنعانُ لما سُقتُها من أراضي الضنك للعيش الخصيب

وقال ابن الكلبي : اختلف الناس فيمن أخرج البَربَر من الشام ، فقيل داود بالوحي . قيل يا داود أخرج البربر من الشام فانهم جذام الارض . وقيل يوشع بن نون وقيل افريقُش وقيل بعض الملوك التبابعة . وعند البكري انّ بني اسرائيل أخرجوهم عند قتل جالوت . وللمسعودي والبكري انهم فروا بعد موت جالوت الى المغرب ، وأرادوا مِصْرَ فأجلتهم القبط فسكنوا برقة وافريقية والمغرب على حرب مع الافرنج والافارقة وأجازوهم على صقلية وسردانية وميورقة والاندلس . ثم اصطلحوا على انّ المدن للافرنجة وسكنوا القفار عصوراً في الخيام وانتجاع الأمصار من الاسكندرية الى البحر والى طَنجَة والسوس ، حتى جاء الاسلام وكان منهم من تهوّد ومن تنصّر وآخرون مجوساً يعبدون الشمس والقمر والأصنام ، ولهم ملوك ورؤساء . وكان بينهم وبين المسلمين حروب مذكورة . وقال الصولي البكري ان الشيطان نزغ بين بني حام وبني سام ، فانجلى بنو حام الى المغرب ونسلوا به

وقال أيضاً ان حام لما اسودّ بدعوة أبيه فر الى المغرب حياء واتبعه بنوه وهلك عن أربعمائة سنة . وكان من ولده بربر بن

كسلاجيم فنسل بنوه بالمغرب . قال وانضاف الى البربر حيّان من المغرب يمنيان عند خروجهم من مارب كُتامَة وصِنهاجَة قال وهُوارَة ولمطة ولواتة بنو حِمير بن سبأ . وقال هانيء بن بكور الضريسي وسابق بن سليمان المطماطي وكهلان بن أبي لؤي وأيوب ابن أبي يزيد وغيرهم من نسّابة البربر أن البربر فرقتان كما قدّمناه وهما : البُرانِس والبتر فالبُتر من ولد بر [1] بن قيس بن عيلان والبُرانِس بنو برنس بن سفجو بن أبزج بن جناح بن واليل بن شراط بن تام بن دويم بن دام بن مازيغ بن كنعان بن حام وهذا هو الذي يعتمده نسابة البربر . قال الطبري : خرج بربر بن قيس ينشد ضالة باحياء البربر فهوي جارية وتزوّجها فولدت . وعند غيره من نسّابة البربر انه خرج فاراً من أخيه عمرو بن قيس وفي ذلك تقول تماضر وهي أخته :

لِتَبكي كلّ باكيةٍ أخاها كما أبكي على بَرِّ بن قَيْسِ
تَحَمَّل عن عَشيرَتِهِ فأَضحى ودون لقائه أنضاء عيسِ

ومما ينسب الى تماضر أيضاً :

وشَطَّتْ بِبَرّ داره عن بلادنا وطوّح بَرّ نفسه حيث يمما
وازرت ببرّ لكنة أعْجَميَّة وما كان برّ في الحجاز بأعجما
كأنّا وبرّا لم نَقِف بِجيَادِنا بنجد ولم نقسم نهابا ومغنما

وأنشد علماء البربر لعبيدة بن قيس العقيلي :

(١) كذا ، وفي ب : بربر .

ألا أيها الساعي لِفرقَةِ بيننا / توقّف هداك الله سُبْل الأطائبِ
فاقسم انا والبرابرُ اخوة / نماناوهم جدّ كريم المناصبِ
ابونا أبوهم قَيْس عيلان في الذُرى / وفي حُرْمَةٍ يسقي غليل المحاربِ
فنحن وهم ركن منيع واخوة / على رغم أعداء لئام المناقِبِ
فانّ البرّ ما بقي الناس ناصرا / وبرّ لنا ركن منيع المناكِبِ
نعدّ لمن عادى شواذه ضمرا / وبيضا تقطّ الهام يوم التضاربِ
وبرُّ بن قَيْس عُصْبَةٌ مُضَرِيَّةٌ / وفي الفرع من أحسابها والذوائبِ
وقيس قوام الدين في كل بلدة / وخير معدّ عند حفظ المناسبِ
وقيس لها المجدُ الّذي يُقْتدى به / وقيس لها سيفٌ حديدُ المضاربِ

وينشد أيضاً أبيات ليزيد بن خالد يمدح البَرْبَر :

أُيها السائلُ عنا أصلنا / قَيس عيلان بنو العزّ الأُولْ
نحن ما نحن بنو بر القوى / عرفَ المَجْدَ وفي المجد دَخلْ
وابتنى المجدَ فاورى زنده / وكفانا كل خَطب ذي جلَلْ
إن قيساً يعتزي برّ لها / ولبر يعتزي قيس الأَجلْ
ولنا الفخر بقيس انه / جدّنا الأَكبرُ فكالكُ الكبلْ
إنّ قيساً قيس عيلان هم / مَعْدِنُ الحقّ على الخير دَالْ
حسبُكَ البربر قومي إنهم / ملكو الأَرض باطراف الأَسَلْ
وببيض تضرب الهام بها / هام من كان عن الحق نكلْ
أبلغوا البَرْبَرَ عني مدحا / حيك من جوهر شِعْرٍ مُنْتَحَلْ

وعند نسابة البَرْبر ، وحكاه البكري وغيره انه كان لمضَرَ

ولدان اليـاس وعيلان [1] أمها الرباب بنت حَيْدة بن عمرو بن مَعَدّ بن عدنانٍ فولد عِيلان بن مُضَر قيساً ودهمان ، أمّا دِهمان فولده قليل وهم أهل بيت من قيس يقال لهم بنو أمامة . وكانت لهم بنت تسمَّى البهـاء بنْت دِهمان ، وأما قيس بن عيلان فولد له أربعة بنين وهم سعد وعمر وأمها مُزَنة بنْت أسد بن ربيعة بن نزار وبرّ وتماضر وأمها تمريـغ بنْت مجدل ومجـدل بن غمار بن مصمود ، وكانت قبائل البربر يومئذ يسكنون الشام ويجاورون العرب في المساكن ويشاركونهم في الميـاه والمراعي والمسارح ويصهرون اليهم ، فتزوّج برّ بن قيس بنْت عمه وهي البهاء بنْت دهمان وحسده اخوته في ذلك . وكانت أمه تمريـغ من دهاة النّساء فخشيت منهم عليه ، وبعثت بذلك الى أخوالها سرّاً ، ورحلت معهم بولدها وزوجته الى أرض البربر ، وهم اذ ذاك ساكنون بفِلَسْطين وأكناف الشام فولدت البهـاء لبر بن قيس ولدين : علوان ومادغِيس . فمات علوان صغيراً وبقي مادَغيس فكان يلقب الابتر ، وهو أبو البتر من البربر ومن ولده جميـع زَناتة .

قالوا : وتروّج مادَغِيس بن بر وهو الابتر بأملـل بنْت واطاس بن محمد بن مجدل بن عمار [2] فولدت له زحيك بن مادغِيس .

(١) كذا ، وفي ت : غيلان .
(٢) كذا ، وفي ت : غمار .

وقال ابو عمر بن عبد البرّ في كتاب التمهيد في الانساب اختلف الناس في انساب البربر اختلافاً كثيراً . وأنسب ما قيل فيهم أنهم من ولد قبط بن حام لما نزل مصر خرج ابنه يريد المغرب فسكنوا عند آخر عمالة مصر ، وذلك ما وراء برقة الى البحر الأخضر ، مع بحر الاندلس الى منقطع الرمل متصلين بالسودان . فمنهم لواتة آهلين بأرض طرابلس ، ونزل قوم بقربها وهم نفزة . ثم امتدت بهم الطرق الى القيروان وما وراءها إلى تاهرت إلى طنجة وسجلماسة الى السوس الأقصى وهم طوائف صنهاجة وكتامة وزكالة من وركلاوة وفطواكة من هسكورة ومزطاوة وذكر بعض أهل الآثار انّ الشيطان نزغ بين بني حام وبني سام فوقعت بينهم مناوشات كانت الدبرة فيها لسام وبنيه ، وخرج سام الى المغرب وقدم مصر وتفرق بنوه ومضى على وجهه يؤم المغرب حتى بلغ السوس الأقصى ، وخرج بنوه في أثره يطلبونه ، فكل طائفة من ولده بلغت موضعاً وانقطع عنهم خبره فأقاموا بذلك الموضع وتناسلوا فيه ، ووصلت اليهم طائفة فأقاموا معهم وتناسلوا هنالك .

وكان عمر حام اربعمائة وثلاثاً وأربعين سنة فيما ذكره البكري ، وقال آخرون : كان عمره خمسمائة واحدى وثلاثين سنة وقال السهيلي فيمن هو يعرب بن قحطان . قال : وهو الذي أجلى بني حام الى المغرب بعد ان كانوا الجزى من ولد قوط بن يافث

هذا آخر الخلاف في انساب البربر .

واعلم ان هذه المذاهب كلها مرجوحة وبعيدة من الصواب ، فأما القول بانهم من ولد ابراهيم فبعيد ، لأن داود الذي قتل جالوت وكان البربر معاصرين له ليس بينه وبين اسحق بن ابراهيم أخي نقشان الذي زعموا أنه أبو البربر إلّا نحو عشرة آباء ذكرناهم أوّل الكتاب . ويبعد أن يتشعب النَّسل فيهم مثل هذا التشعب .

وأما القول بأنهم من ولد جالوت أو العماليق ، وأنهم نقلوا من ديار الشام وانتقلوا فقول ساقط ، يكاد يكون من أحاديث خرافة ، إذ مثل هذه الامة المشتملة على أمم وعوالم ملأت جانب الارض لا تكون منتقلة من جانب آخر وقطر محصور ، والبربر معروفون في بلادهم وأقاليمهم متحيِّزون بشعارهم من الامم منذ الأحقاب المتطاولة قبل الاسلام . فما الذي يحوجنا الى التعلق بهذه الترهات في شأن أوليتهم . ويحتاج الى مثله في كل جيل وأمة من العجم والعرب . وافريقش الذي يزعمون أنه نقلهم قد ذكروا أنه وجدهم بها وانه تعجب من كثرتهم وعجمتهم وقال : ما أكثر بربرتكم . فكيف يكون هو الذي نقلهم ، وليس بينه وبين أبرهة ذي المنار من يتشعبون فيه الى مثل ذلك ان قالوا انه الذي نقلهم .

وأما القول أيضاً بأنهم من حِمير من وُلدِ النُّعْمان أو من مُضَرَ من ولد قيس بن عيلان فمنكر من القول ، وقد أبطله

امام النسابين والعلماء أبو محمد بن حزم. وقال في كتاب الجمهرة : ادعت طوائف من البربر أنهم من اليمن ومن حِمْيَر ، وبعضهم ينسب الى بربر بن قيس ، وهذا كله باطل لا شك فيه . وما علم النسابون لقيس بن عيلان ابناً اسمه بر أصلًا ، وما كان لحمير طريق الى بلاد البربر إلا في تكاذيب مؤرخي اليمن. وأما ما ذهب اليه ابن قُتَيْبَة أنهم من ولد جالوت ، وان جالوت من ولد قيس بن عيلان فابعد عن الصواب ، فان قيس عيلان من ولد معدّ. وقد قدمنا ان معداً كان معاصراً لِبُخْتَنَصَّر وان أرمياء النبي خاص به الى الشام حذراً عليه من بختنصر حين سلط على العرب . وبختنصر هو الذي خرب بيت المقدس بعد بناء داود وسليمان اياه بأربعمائة وخمسين سنة ونحوها ، فيكون معد بعد داود بمثل هذا الأمد ، فكيف يكون ابنه قيس أباً لجالوت المعاصر لداود . هذا في غاية البعد وأظنها غفلة من ابن قتيبة ووهما .

والحق الذي لا ينبغي التعويل على غيره في شأنهم أنهم من ولد كنعان بن حام بن نوح كما تقدم في أنساب الخليقة ، وان اسم أبيهم مازيغ واخوتهم أركيش وفلسطين [1] اخوانهم بنو كسلوحيم بن مصرايم بن حام ، وملكهم جالوت سمة معروفة له . وكانت بين فلسطين هؤلاء وبين بني اسرائيل بالشام حروب

(١) ما ذكره مخالف لما تقدم له في انساب الخليقة اه مصححه .

مذكورة . وكان بنو كنعان ووا كريكيش شيعا لفلسطين فلا يقعنّ في وهمك غير هذا ، فهو الصحيح الذي لا يعدل عنه . ولا خلاف بين نسابة العرب أن شعوب البربر الذي قدمنا ذكرهم كلهم من البربر إلّا صنهاجة وكتامة . فان بين نسابة العرب خلافاً والمشهور أنهم من اليمنية ، وان أفريقش لما غزا افريقية أنزلهم بها .

٦٢ وأما نسَّابة البربر فيزعمون في بعض شعوبهم أنهم من العرب ، مثل لواتة يزعمون أنهم من حمير ، ومثل هوارة يزعمون أنهم من كندة من السكاسك ، ومثل زَناتة تزعم نسابتهم أنهم من العمالقة فروا أمام بني اسرائيل . وربما يزعمون فيهم أنهم من بقايا التبابعة ومثل غُمارَة أيضاً وزَواوَة ومكلاتَة يزعم في هؤلاء كلهم نسابتهم أنهم من حمير حسبما نذكره عند تفصيل شعوبهم في كل فرقة منهم ، وهذه كلها مزاعم . والحق الذي شهد به المواطن والعجمة أنهم بمعزل عن العرب إلا ما تزعمه نسابة العرب في صنهاجة وكتامة . وعندي أنهم من أخوانهم والله أعلم . وقد انتهى بنا الكلام الى أنسابهم وأوليتهم فلنرجع الى تفصيل شعوبهم وذكرهم أمة بعد أمة . ونقتصر على ذكر من كانت له منهم دولة ملك أو سالف شهرة أو تشعب نسل في العالم وعدد لهذا العهد وما قبله من صنفي البُرانس . والبتر منهم وترتيبهم شعباً شعباً حسبما تأدّى الينا من ذلك واشتمل عليه محفوظنا ، والله المستعان .

الفصل الثاني

في ذكر مواطن هؤلاء البربر بأفريقية والمغرب

اعلم أن لفظ المغرب في أصل وضعه اسم اضافي يدل على مكان من الامكنة باضافته الى جهة المشرق ولفظ المشرق كذلك باضافته إلى جهة المغرب ، فكل مكان من الأرض مغرب بالاضافة إلى جهة المشرق ومشرق بالاضافة الى جهة المغرب ، إلا انّ العرب قد يخصص هذه الاسماء بجهات معينة وأقطار مخصوصة. وعرف أهل الجغرافيا المعتنين بمعرفة هيئة الارض وقسمتها ، باقاليمها ومعمورها وخرابها وجبالها وبحارها ومساكن أهلها ، مثل بطليموس ورجار صاحب صقلية المنسوب اليه الكتاب المشهور بين الناس لهذا العهد في هيئة الأرض والبلدان وأمثالهم: أن المغرب قطر واحد مميز بين الاقطار . فحدّه من جهة المغرب بحر المحيط وهو عنصر الماء ، وسمي محيطاً لاحاطته بما انكشف من الارض كما قدّمنا أول الكتاب .

ويسمى أيضاً البحر الأخضر لتلونه غالباً بالخضرة ، ويسمى بحر الظلمات لما أنه تقل فيه الاضواء من الاشعة المنعكسة على سطح الارض من الشمس لبعده عن الارض فيكون مظلماً .

ولفقدان الاضواء تقل الحرارة المحللة للأبخرة فلا تزال السحب والغيوم متكاثفة على سطحه منعقدة هنالك متراكمة ، وتسميه الاعاجم : بحر اوقيانوس يعنون به والله أعلم ما نعني نحن بالعنصر . ويسمونه أيضاً بحر البَلايَة بتفخيم اللام الثانية . وهو بحر كبير غير منحصر لا تبعد فيه السفن عن مرأى العين من السواحل للجهل بسموت الرياح هنالك ولنهايتها ، إذ لا غاية من العمران وراءه .

والبحار المنحصرة انما جرت فيها السفن بالرياح المعروفة الهوائية بكثرة تجاربهم فتبعث الريح من الاماكن ، وغاية مهبها في سمتها فكل ريح عندهم معروفة الغاية . فاذا علم ان جريته بالريح المنبعثة من مكان كذا ، وبما خرج من ريح الى ريح بحسب مقصوده وجهته . وهذا مفقود في البحر الكبير لانه منحصر ومنبعث الريح ، وان كان معروفاً فيه فغايته غير معروفة لفقدان العمران وراءه فتضل السفن اذا جرت به وتذهب فتهلك . وأيضاً فاذا أوغل فيه فربما وقع في المتكاثف من الغيوم والأبخرة كما قلناه فيهلك ، فلهذا كان راكبه على غرر وخطر .

فحد الغرب من جهة المغرب البحر المحيط كما قلناه ، وعليه كثير من مدنه مثل طنجة وسلا وأزمور وانفى واسفى ، وهي من مدن الغرب وحواضره . وعليه أيضاً مسجد ماسة وبلدتا كاوصت ونول من بلاد السوس ، وهي كلها من مساكن البربر

وحواضرهم . وتنتهي المراكب الى وراء ساحل نول ولا تجاوزه إلّا على خطر كما قلناه . وأما حده من جهة الشمال فالبحر الرومي والمتفرع من هذا البحر المحيط يخرج في خليج متضايق بين طَنجَة من بلاد المغرب وطريف من بلاد الاندلس ، ويسمى هذا الخليج الزقاق ، وعرضه ثمانية أميـال فما فوقهـا . وكانت عليه قنطرة ركبها ماء البحر .

ثم يذهب هذا البحر الرومي في سمت الشرق الى أن ينتهي إلى سواحل الشام وثغوره وما اليها مثل انطاليه وأنطاكية والعلايا وطرسوس والمصيصة وطرابلس وصور والاسكندرية . ولذلك سمي البحر الشامي . وهو اذا خرج من الخليج ينفسح في ذهابه عرضاً . وأكثر انفساحه الى جهـة الشمال ، ولا يزال انفساحه ذلك متصاعداً الى الشمال إلى أن ينتهي الى غايته . وطوله فيما يقال خمسة آلاف ميل أو ستة . وفيـه جزائر ميورقة ومنرقة ويابَسة وصِقلِيَّة واقريطِش وسردانيَة وقبرص . وأما عرضه من جهة الجنوب فانه يخرج عن سمت واحد . ثم يختلف في ذهابه فتارة يبعـد في الجنوب ، وتارة يرجع الى الشمال . واعترض ذلك بعروض البلدان التي بساحله وذلك أن عرض البـلد هو ارتفاع قطبـه الشمال على أفقـه . وهو أيضاً بعد ما بين سمت رؤس أهله ودائرة معدّل النهار .

والسبب في ذلك أن الارض كرية الشكل ، والسماء من

فوقها مثلها . وأفق البلد هو فرق بين ما يرى وبين ما لا يرى من السماء ومن الارض . والفلك ذو قطبين اذا ارتفع أحدهما على رؤوس معمور انخفض الآخر بقدره عنهم ، والعمارة في الارض كلها هي الى الجانب الشمال أكثر ، وليس في الجنوب عمران لما تقرر في موضعه . فلهذا ارتفع القطب الشمالي على أهل العمران دون الجنوبي . والمارّ على سطح الكرة كلما أبعد في جهة ظهر له من سطح الكرة ومن السماء المقابل لها ما لم يكن يظهر ، فيزيد بعد القطب على الأفق كما أبعد في الشمال ، وينقص كلما رجع الى الجنوب . فعرض سبتة وطنجة التي هي على زقاق هذا البحر وخليجه (له)[1] ودقائق . ثم يتصاعد البحر الى الجنوب فيكون عرض تلمسان (لد) ونصف فتزيد في الجنوب ، فيكون عرض وهران (لب) أبعد من فاس بيسير لان عرض فاس (لج) ودقائق .

ولهذا كان العمران في المغرب الأقصى أعرض في الشمال من عمران المغرب الأوسط بقدر ما بين فاس وسبتة . وصار ذلك القطر كالجزيرة بين البحار لانعطاف البحر الرومي الى الجنوب . ثم يرجع البحر بعد وهران عن سمته ذلك فيكون عرض تونس

(١) له في حساب الجمل (٣٦) ، أي ان سبته وطنجة تقع على خط العرض ٣٦ درجة ودقائق . وكذلك تونس وطرابلس الغرب وقابس . وعرض تلمسان ٣٥ درجة ونصف ، وعرض فاس ٣٤ درجة ودقائق ، وكذلك برقة .
وأما الاسكندرية فتقع على خط العرض ٣١ درجة .

والجزائر (له) على مثل سمته الأول عند منبعثه من الزقاق . ثم يزيد في الشمال فيكون عرض بجاية وتونس (يوم) على مثل سمت غرناطة ومُرية ومالقة . ثم يرجع الى الجنوب فيكون عرض طرابلس وقابُس (له) على مثل السمت الاول بطنجة وسبتة . ثم يزيد في الجنوب فيكون عرض برقة (لج) على مثل سمت فاس وتوزر فيكون عرض الاسكندرية (لا) على مثل مراكش واغمات . ثم يذهب في الشمال الى القطافة الى منتهى سمته بسواحل الشام .

وهكذا اختلافه في هذه العدوة الجنوبية ولسنا على علم من حاله في العدوة الشمالية . وينتهي بسواحل عرض هذا البحر في انفساحه الى سبعمائة ميل أو نحوها ما بين سواحل افريقية وجنوة من العدوة الشمالية والبلاد الساحلية من المغرب الاقصى والأوسط وافريقية من لدن الخليج حيث منبعثة كلها عليه ، مثل طَنجَة وسبتَة وبادِس وعسّاسَة وهنين ووهران والجزائر وبجَاية وبُونة وتونس وسُوسَة والمهْدِيَّة وصفاقِسْ وقابُسْ وطرابلس وسواحل بَرقَة والاسكندرية .

هذا وصف هذا البحر الرومي الذي هو حدّ المغرب من جهة الشمال . واما حدّه من جهة القبلة والجنوب فالرمال المتهيلة الماثلة حجزاً بين بلاد السودان وبلاد البربر . وتعرف عند العرب الرحالة البادية بالعرق ، وهذا العرق سياج على المغرب من جهة

الجنوب مبتدىء من البحر المحيط وذاهب في جهة الشرق على سمت واحد الى أن يعترضه النيل الهابط من الجنوب الى مصر. فهنالك ينقطع وعرضه ثلاث مراحل وأزيد . ويعترضه في جهة المغرب الاوسط أرض محجرة تسمى عند العرب الحمادة من دوين مصاب الى بلاد ريغ ، ووراءه من جهة الجنوب بعض بلاد الجريدية ذات نخيل ، وأنهار معدودة في جملة بلاد المغرب ، مثل بلاد بودة وتمنطيت في قبلة المغرب الأقصى وتسابيت وتيكورارين في قبلة المغرب الأوسط وغدامس وفزّان وودّان في قبلة طرابلس . كل واحد من هذه اقليم يشتمل على بلدان عامرة ذات قرى ونخيل وأنهار ، ينتهي عدد كل واحد منها الى المائة فأكثر .

والى هذه العدوة الجنوبية من هذا العرق ينتهي في بعض السنين مجالات أهل الشام من صنهاجة ومتقلبهم الجائلون هنالك الى بلاد السودان . وفي العدوة الشمالية منه مجالات البادية من الأعراب الظواعن بالمغرب . وكانت قبلهم مجالات للبربر كما نذكره بعد هذا حدّ المغرب من جهة الجنوب . ومن دون هذا العرق سياج آخر على المغرب مما يلي التلول منه . وهي الجبال التي هي تخوم تلك التلول ممتدة من لدن البحر المحيط في الغرب الى برنيق من بلاد برقة . وهنالك تنقطع هذه الجبال . ويسمى مبدؤها من المغرب جبال درن . وما بين هذه الجبال المحيطة

بالتلول وبين العرق الذي وصفناه آنفاً بسائط وقفار أكثر نباتها الشجر ، وفيما يلي التلول منها ويقاربها بلاد الجريد ذات نخل وأنهار .

ففي أرض السوس قبلة مراكش ترودانت والغيرى فويان[1] وغيرها ، بلاد ذات نخل وأنهار ومزارع متعددة عامرة . وفي قبلة فاس سِجِلمَاسَة وقراها بلد معروف ، ودَرَعَة أيضاً وهي معروفة وفي قبلة تِلَمسان قصور متعددة ذات نخل وأنهار . وفي قبلة تاهَرت القصور أيضاً بلاد متتالية على سطر من المشرق الى المغرب أقرب ما اليها جبل راشد ، وهي ذات نخل ومزارع وأنهار . ثم قصور معينات تناهز المائة وأكثر قبلة الجزائر ذات نخل وأنهار . ثم بلد واركلي قبلة بجاية بلد واحد مستبحر العمران كثير النخل ، وفي سمته الى جهة التلول بلاد ريغ تناهز الثلثمائة منتظمة على حفافي وادٍ ينحدر من المغرب الى المشرق يناهز مائة من البلاد فأكثر ، قاعدتها بسكرة من كبار الأمصار بالمغرب . وتشتمل كلها على النخل والأنهار والفدن والقرى والمزارع .

ثم بلاد الجَريد قبلة تونس وهي : نفطَة وتوزَر وقَفصَة وبلاد نفزاوَة وتسمَّى كلها بلاد قسطيلَة مستبحرة العمران مستحكمة الحضارة مشتملة على النخل والأنهار . ثم قابُس قبلة سُوسَة وهي

(١) كذا ، وفي ب : مويان ، وفي نسخة أخرى قوبان .

حاضرة البحر من أعظم أمصار افريقية ، وكانت دار ملك لابن غانية كما نذكره بعد . وتشتمل على النخل والأنهار والمزارع . ثم فزّان وودّان قبلة طرابلس قصور متعددة ذات نخل وأنهار ، وهي أول ما افتتح المسلمون من أرض افريقية لما غزاها عمر بن الخطاب وعمرو بن العاص . ثم الواحات قبلة برقة . ذكرها المسعودي في كتابه . وما وراء هذه كلها في جهة الجنوب فقفار ورمال لا تنبت زرعاً ولا مرعى الى ان تنتهي الى العرق الذي ذكرناه .

ومن ورائه مجالات المتلثمين كما قلناه مفاوز معطشة الى بلاد السودان . وما بين بلاد هذه والجبال التي هي سياج التلول بسائط متلوّن مزاجها تارة بمزاج التلول ، وتارة بمزاج الصحراء بهوائها ومياهها ومنابتها . وفيها القيروان ، وجبل أوراس معترض وسطها . وبلاد الحضنة حيث كانت طبنة ما بين الزاب والتل . وفيها مقرّة والمسيلة ، وفيها السرسو قبلة تلمسان حيث تاهرت فيها جبل ديرو [١] وقبلة فاس معترض في تلك البسائط . هذا حد المغرب من جهة القبلة والجنوب .

وأما من جهة الشرق فيختلف باختلاف الاصطلاحات . فعرف أهل الجغرافيا انه بحر أهل القلزم المنفجر من بحر اليمن ، هابط على سمت الشمال وبانحراف يسير الى المغرب حتى ينتهي الى القلزم

(١) كذا ، وفي ت : ديدو .

والسويس ، ويبقى بينهم من هنالك ، وبين سمته من البحر الرومي مسيرة يومين . وينقطع عند السويس والقلزم . وبعده عن مصر في جهة الشرق ثلاثة أيام . هذا آخر المغرب عندهم ، ويدخل فيه اقليم مصر وبرقة .

وكان المغرب عندهم جزيرة أحاطت بها البحار من ثلاث جهاتها كما تراه . وأما العرف الجاري لهذا العهد بين سكان هذه الاقاليم فلا يدخل فيه اقليم مصر ولا برقة ، وانما يختص بطرابلس وما وراءها الى جهة المغرب في هذا العرف لهذا العهد . وهذا الذي كان في القديم ديار البربر ومواطنهم . فأما المغرب الأقصى منه ، وهو ما بين وادي ملوية من جهة الشرق الى اسفي حاضرة البحر المحيط . وجبال درن من جهة الغرب فهي في الاغلب ديار المصامدة من أهل درن وبرغواطة وغمارة . وآخر غمارة بطوية مما يلي غساسة ، ومعهم عوالم من صنهاجة ومطغره وأوربة وغيرهم ، يحيط به البحر الكبير من غربيه ، والرومي من شماليه ، والجبال الصاعدة المتكاثفة مثل درن من جانب القبلة وجبال تازى من جهة الشرق .

لان الجبال أكثر ما هي وأكثف قرب البحار بما اقتضاه التكوين من ممازجة البحار بها . فكانت جبال المغرب لذلك أكثر ، وساكنها من المصامدة في الأغلب وقيل من صنهاجة . وبقيت البسائط من الغرب مثل ازغاو وتامستا وتادلا ودكالة . واعتمرها

الظواعن من البربر الطارئين عليه من جَشم ورياح فغصّ المغرب بساكنه من أمم لا يحصيهم إلّا خالقهم ، وصار كأنه جزيرة وبلد واحد أحاطت به الجبال والبحار وقاعدته لهذا العهد فاس ، وهي دار ملكه .

ويمر فيه النهر العظيم المعروف بوادي أم ربيع ، وهو نهر عظيم يمتنع عبوره أيام الأمطار لاتساعه ، ويعظم مده الى البحر فينتهي الى سبعين ميلًا أو ما يقاربها ومصبه في البحر الكبير عند أزبور . ومنبعه من جبال درن من فوهة كبيرة ينبع منها هذا النهر ويتساهل الى بسيط المغرب . وينبع منها أيضاً نهر آخر ، وينحدر الى القبلة . ويمر ببلاد درعة ذات النخل المخصوصة بنبات النيلج . وصناعة استخراجه من شجره ، وهي قصور ذات نخل موضوعة في سفح جبل درن من آخره وبها يسمى هذا النهر ، ويجاورها الى أن يغوص في الرمل قبلة بلاد السوس .

وأما نهر ملوية آخر المغرب الأقصى فهو نهر عظيم منبعه من فوهة في جبال قبلة تازى ، ويصب في البحر الرومي عند غساسة . وعليه كانت ديار مكناسة المعروفة بهم في القديم . ويسكنها لهذا العهد أمم أخرى من زناتة في قصور منتظمة الى أعلى النهر يعرفون بوطاط [1] ويجاورهم هنالك وفي سائر نواحيه أمم من

(١) كذا ، وفي ب : وطاطا.

البربر أشهر من فيهم بطالسة أخوة مِكناسَة . وينبع مع هـذا النهر من فوهته نهر كبير ينحدر ذاهباً الى القبـلة مشرقاً بعض الشيء، ويقطع العرق على سمته الى أن ينتهي الى بودة ثم بعدها الى تمنطيت ويسمى لهذا العهد كير، وعليه قصورها . ثم يمر الى أن يصب في القفار ويروغ في قفارهـا ويغور في رمالهـا وهو موضع مغامه قصور ذات نخل تسمى وركلان[1] . وفي شرق بوده مما وراء العرق قصور تسابيت من قصور الصحـراء . وفي شرقي تسابيت الى ما يلي الجنوب قصور تيكورارين تنتهي الى ثلثمائة أو أكثر في واد واحد فينحدر من المغرب الى المشرق، وفيها أمم من قبائل زناتة .

وأما المغرب الأوسط فهو في الاغلب ديار زناتة . كان لمغراوة وبني يفرن . وكان معهم مديونة ومَغيلة وكومية ومطغرة ومِطمَاطة . ثم صار من بعدهم لبني ومانوا وبني يلومي . ثم صار لبني عبدالواد وتوجين، من بني مادين وقاعدته لهـذا العهد تِلمسَان ، وهي دار ملكه ويجاوره من جهة المشرق بلاد صنهاجة من الجزائر ومتيجة والمرية وما يليها الى بجاية ، وقبـائله كلهم لهـذا العهد مغلوبون للعرب من زِغبَة . ويمر في وادي شلف بني واطيل النهر الأعظم منبعه من بلد راشد في بلاد الصحراء . ويدخل الى التـل من بلاد حصين لهذا العهد . ثم يمر مغرباً ويجتمع فيـه سائر أودية

(١) كذا ، وفي ت : زكان .

المغرب الأوسط مثل مينا وغيره الى أن يصب في البحر الرومي ما بين كليتوا ومستغانم . وينبع من فوهته نهر آخر يذهب مشرقاً من جبل راشد ، ويمر بالزاب الى ان يصب في سبخة ما ما بين توزر ونفزاوة معروفة هنالك ، ويسمى هذا النهر وادي شديّ .

وأما بلاد بجاية وقسطنطينة فهي دار زواوة وكُتامَة وعجيسه وهوارة ، وهي اليوم ديار للعرب إلا ممتنع الجبال ، وفيها بقاياهم . وأما افريقية كلها الى طرابلس فبسائط فيح كانت دياراً لنفزاوة وبني يفرن ونفوسة ومن لا يحصى من قبائل البربر . وكانت قاعدتها القيروان ، وهي لهذا العهد مجالات للعرب من سُلَيْم وبني يفرن وهوارّة مغلوبون تحت أيديهم . وقد تبدوا معهم ونسوا رطانة الأعاجم وتكلموا بلغات العرب وتحلوا بشعارهم في جميع أحوالهم . وقاعدتها لهذا العهد تونس ، وهي دار ملكها ، ويمرّ فيها النهر الأعظم المعروف بوادي مجردة يجتمع فيه سائر الاودية بها ، ويصب في البحر الرومي على مرحلة من غربي تونس بموضع يعرف ببنزرت . وأما برقة فدرست معالمها وخربت أمصارها وانقرض أمرها . وعادت مجالات للعرب بعد أن كانت داراً للواتة وهُوّارَة وغيرهم من البربر . وكانت بها الامصار المستبحرة مثل لبدة وزُوَيْلة وبَرقة وقصر حسّان وامثالها فعادت يباباً ومفاوز كأن لم تكن والله أعلم .

الفصل الثالث

في ذكر ما كان لهذا الجيل قديما وحديثا من الفضائل الانسانية
والخصائص الشريفة الراقية بهم الى مراقي العز ومعارج السلطان والملك

قد ذكرنا ما كان من أمر هذا الجيل من البربر ووفور عدده ، وكثرة قبائلهم وأجيالهم وما سواه من مغالبة الملوك ومزاحمة الدول عدة آلاف من السنين ، من لدن حروبهم مع بني اسرائيل بالشام وخروجهم عنه الى افريقية والمغرب ، وما كان منهم لأول الفتح في محاربة الطوالع من المسلمين أوّلا ، ثم في مشايعتهم ومظاهرتهم على عدّوهم ثانياً من المقامات الحميدة والآثار الجميلة . وما كان لِوَهْيَا الكاهنة وقومها بجبل أوراس من الملك والعز والكثرة قبل الاسلام وبعده حتى تغلب عليهم العرب ، وما كان لِمكناسَة من مشايعة المسلمين أولاً ، ثم ردتهم ثانياً ، وتحيزهم الى المغرب الاقصى وفرارهم أمام عقبة ابن نافع ، ثم غلبهم بعد ذلك طوالع هشام بأرض المغرب .

قال ابن أبي زيْد [1] : ان البربر ارتدوا بافريقية المغرب اثنتي عشرة مرة ، وزحفوا في كلها المسلمين ، ولم يثبت اسلامهم إلّا في أيام موسى بن نُصير ، وقيل بعدها . وتقدم

(١) كذا ، وفي ب : ابن أبي يزيد .

ذكر ما كان لهم في الصحراء والقفر من البلاد ، وما شيدوا من الحصون والآطام والأمصار من سجلماسة وقصور توات ، وتجورارين وفيجيج ومصاب ووارکل وبلاد ريغة والزاب ونفزاوة والحمة وغدامس . ثم ما كان لهم من الأيام والوقائع والدول والممالك . ثم ما كان بينهم وبين طوالع العرب من بني هلال في المائة الخامسة بافريقية . وما كان لهم مع دولة آل حماد بالقلعة ، ومع لمتونة بتلمسان وتاهرت من الموالاة والانحراف . وما استولى عليه بنو بادين آخراً باسهام الموحدين واقطاعهم من بلاد المغرب ، وما كان لبني مرين في الاجلاب على عير عبد المؤمن من الآثار ، وما تشهد أخباره كلها بانه جيل عزيز على الايام ، وأنهم قوم مرهوب جانبهم شديد بأسهم كثير جمعهم ، مظاهرون [1] لامم العالم واجياله من العرب والفرس ويونان والروم .

ولكنهم لما أصابهم الفناء وتلاشت عصابتهم بما حصل لهم من ترف الملك والدول التي تكررت فيهم ، قلت جموعهم وفنيت عصابتهم وعشائرهم وأصبحوا خولاً للدول وعبيداً للجباية . واستنكف كثير من الناس عن النسب فيهم لاجل ذلك ، والا فقد كانت أوربة أميرهم كسيلة عند الفتح كما سمعت ، وزناتة أيضاً حتى أسر أميرهم وزمار بن مولات ، وحمل الى المدينة الى عثمان بن عفان . ومن بعد ذلك هوارة وصنهاجة ، وبعدهم

(١) كذا ، وفي ت : مضاهون .

كتامة وما أقاموا من الدولة التي ملكوا بها المغرب والمشرق ، وزاحموا بني العباس في ديارهم وغير ذلك منهم كثير .

وأما تخلقهم بالفضائل الانسانية وتنافسهم في الخلال الحميدة ، وما جبلوا عليه من الخلق الكريم مرقاة الشرف والرفعة بين الأمم ، ومدعاة المدح والثناء من الخلق من عز الجوار وحماية النزيل ورعي الأذمة والوسائل والوفاء بالقول والعهد ، والصبر على المكاره والثبات في الشدائد . وحسن الملكة والاغضاء عن العيوب والتجافي عن الانتقام ، ورحمة المسكين وبر الكبير وتوقير أهل العلم وحمل الكل وكسب المعدوم . وقرى الضيف والاعانة على النوائب ، وعلو الهمة واباية الضيم ومشاقة الدول ومقارعة الخطوب وغلاب الملك وبيع النفوس من الله في نصر دينه . فلهم في ذلك آثار نقلها الخلف عن السلف لو كانت مسطورة لحفظ منها ما يكون اسوة لمتبعيه من الامم وحسبك ما اكتسبوه من حميدها واتصفوا به من شريفها أن قادتهم الى مراقي العز ، وأوفت بهم على ثنايا الملك حتى علت على الأيدي أيديهم ومضت في الخلق بالقبض والبسط أحكامهم .

وكان مشاهيرهم بذلك من أهل الطبقة الاولى : بلكين بن زيري الصنهاجي عامل افريقية للعبيديين ، ومحمد بن خزر والخير ابنه ، وعروبة بن يوسف الكتامي القائم بدعوة عبد الله الشيعي ، ويوسف بن تاشفين ملك لمتونة بالمغرب ، وعبد المؤمن بن علي

شيخ الموحدين وصاحب الامام المهدي . وكان عظماؤهم من أهل الطبقة الثانية السابقون الى الراية بين يدي دولهم والماهدون لملكهم بالمغرب الأقصى والاوسط ، كبيرهم يعقوب بن عبد الحق سلطان بني مرين ويغمراسن بن زيان سلطان بني عبد الواد ، ومحمد بن عبد القوي ووزمار كبير بني توجين وثابت بن منديل أمير مغراوة وأهل شلف ووزمار بن ابراهيم زعيم بني راشد المتعاصرين في ازمانهم المتناغين في تأثيل عزهم والتمهيد لقومهم كلّ على شاكلته بقوة جمعه . فكانوا من أرسخهم في تلك الخلال قدماً وأطولهم فيها يداً وأكثرهم لها جمعاً ، طارت عنهم في ذلك قبل الملك وبعده أخبار عني بنقلها الاثبات من البربر وغيرهم ، وبلغت في الصحة والشهرة منتهى التواتر .

وأما اقامتهم لمراسم الشريعة وأخذهم باحكام الملة ونصرهم لدين الله ، فقد نقل عنهم من اتخاذ المعلمين لأحكام دين الله لصبيانهم ، والاستفتاء في فروض أعيانهم ، واقتفاء الأئمة للصلوات في بواديهم ، وتدارس القرآن بين أحيائهم ، وتحكيم حملة الفقه في نوازلهم وقضاياهم ، وصياغتهم الى اهل الخير والدين من أهل مصرهم التماساً للبركة في آثارهم وسوءاً للدعاء عن صالحيهم ، واغشائهم البحر لفضل المرابطة والجهاد ، وبيعهم النفوس من الله في سبيله وجهاد عدوه ما يدل على رسوخ ايمانهم وصحة معتقداتهم ، ومتين ديانتهم التي كانت ملاكاً لعزهم ومقاداً إلى سلطانهم وملكهم . وكان المبرز

١٣٠

منهم في هذا المنتحل يوسف بن تاشفين وعبد المؤمن بن علي وبنوهم .

ثم يعقوب بن عبد الحق من بعدهم وبنوه ، فقد كان لهم في الاهتمام بالعلم والجهاد وتشييد المدارس واختطاط الزوايا والربط، وسد الثغور وبذل النفس في ذات الله ، وانفاق الاموال في سبيل الخيرات ؛ ثم مخالطة اهل العلم وترفيع مكانهم في مجالستهم ومفاوضتهم في الاقتداء بالشريعة ، والانقياد لاشاراتهم في الوقائع والأحكام ومطالعة سير الانبياء وأخبار الأولياء وقراءتها بين أيديهم من دواوين ملكهم ومجالس أحكامهم وقصور عزهم . والتعرض بالمعاقل لسماع شكوى المتظلمين وانصاف الرعايا من العمال ، والضرب على يد أهل الجور ، واتخاذ المساجد بصحن دورهم وسدة خلافتهم وملكهم ، يعمرونها بالصلوات والتسبيحات والقراء المرتلين لتلاوة كتاب الله احزاباً بالعشيّ والاشراق على الأيام ، وتحصين ثغور المسلمين بالبنيان المشيّد والكتائب المجهَّزة ، وانفاق الاموال العريضة . شهدت لهم بذلك آثار تخلفوها بعدهم .

وأما وقوع الخوارق فيهم وظهور الكاملين في النوع الانساني من أشخاصهم ، فقد كان فيهم من الأولياء المحدثين أهل النفوس القدسيَّة والعلوم الموهوبة . ومن حملة العلم عن التابعين ومن بعدهم من الائمة والكهان المفطورين على المطلع

للاسرار المغيبة . ومن الغرائب التي خرقت العـادة وأوضحت أدلة القدرة ما يدل على عظيم عناية الله بذلك الجيـل وكرامته لهم ، بما آتاهم من جماع الخير وآثرهم به من مذاهب الكمال ، وجمع لهم من متفرق خواص الانسان ، ينقـل ذلك في أخبار توهم عجائب .

فكان من مشاهير حملة العـلم فيهم سعيد بن واسول جد بني مِدرار ملوك سِجِلماسة ، أدرك التابعين وأخذ عن عكرمـة مولى العباس ذكره عريب بن حميد في تاريخه . ومنهم أبو يزيد مخلد ابن كيداد اليفرني صاحب الحمار ، الخارج على الشيعة سنة اثنتين وثلثمائة الدائن بدين الخارجية . أخذ العلم بتوزر عن مشيختهـا ، ورأس في الفتيا وقرأ مذاهب الاضافية من الخوارج وصـدق فيه . ثم لقي عمـاراً الأعمى الصفري النكار . فتلقن عنه مـن مذاهبهم ما انسلخ من آية السعادة بانتحاله . وهو مع ذلك من الشهرة في هذا الجيل بحيث لا يغفل .

ومنهم منذر بن سعيد قاضي الجماعة بقُرطُبـة من ظواعـن ولهاصة ثم من سُوماتَة منهم ، مولده عام عشرة ووفاته عام ثلاثة وثمانين وثلثمائة . كان من البتر من ولد مادغيس ، هلك على يد عبد الرحمن الناصر . ومنهم أيضاً أبو محمد بن أبي زيـد علم الملة وهو من نفزة أيضاً . ومنهم علماء بالنسب والتاريخ وغـير ذلك من فنون العلوم .

ومن مشاهير زناتة أيضاً موسى بن صالح الغمري ، معروف عند كافتهم معرفة وضوح وشهرة وقد ذكرناه عند ذكر غمرة من شعوب زناتة . وهو وان لم توقفنا الأخبار الصحيحة على الجلي من أمره في دينه ، فهو من محاسن هذا الجيل الشاهدة بوجود الخواص الانسانية فيهم : من ولاية وكهانة وعلم وسحر وكل نوع من آثار الخليقة . ولقد تحدّث أهل هذا الجيل فيما يتحدثون به ان أخت يعلى بن محمد اليفرني جاءت بولد من غير أب سموه كلمام . ويذكر له أخبار في الشجاعة خرقت العوائد ودلت على انه موهبة من الله استأثره بها لم يشاركه فيها غيره من أهل جلدته . وربما ضاقت حواصل الخواص منهم عن ملتقط هذه الكائنة ، ويجهلون ما يتسع لها ولأمثالها من نطاق القدرة وينقلون أن حملها كان اثر استحمامها في عين حامية هنالك غب ما صدر عنها بعض السباع ، كانت ترد فيها على الناس ، ويردون عليها ، ويرون أنها علقت من فضل ولوغه ، ويسمون ذلك المولود ابن الأسد لظهور خاصة الشجاعة فيه . وكثير من أمثال هذه الاخبار التي لو انصرفت اليها عناية الناقلين لملأت الدواوين . ولم يزل هذا دأبهم وحالهم الى أن مهّدوا من الدول وأثلوا من الملك ما نحن في سبيل ذكره .

الفصل الرابع

في ذكر اخبارهم على الجملة
من قبل الفتح الاسلامي ومن بعده الى ولاية بني الاغلب

هؤلاء البربر جيل ذو شعوب وقبائل أكثر من أن تحصى حسبما هو معروف في تاريخ الفتح بافريقية والمغرب ، وفي أخبار ردتهم وحروبهم فيها . نقل ابن أبي الرقيق : أن موسى بن نُصَير لما فتح سقوما [1] كتب الى الوليد بن عبد الملك انه صار لك من سَبيّ سقوما مائة الف رأس . فكتب اليه الوليد بن عبد الملك : ويحك اني أظنها من بعض كذباتك ، فان كنت صادقاً فهذا محشر الأمة ، ولم تزل بلاد المغرب الى طرابلس بل والى الاسكندرية عامرة بهذا الجيل ما بين البحر الرومي وبلاد السودان منذ أزمنة لا يعرف أولها ولا ما قبلها . وكان دينهم دين المجوسيّة شأن الأعاجم كلهم بالمشرق والمغرب إلّا في بعض الأحايين يدينون بدين من غلب عليهم من الامم . فان الامم أهل الدول العظيمة كانوا يتغلبون عليهم فقد غزتهم ملوك اليمن من قرارهم مراراً على ما ذكر مؤرخوهم ، فاستكانوا لغلبهم

(١) كذا ، وفي ت : سقيوما .

ودانوا بدينهم .

ذكر ابن الكلبي : أن حِمْيَر بالقبائل اليمانية ملك المغرب مائة سنة وانه الذي ابتنى مدائنه مثل افريقية وصقلية . واتفق المؤرخون على غزو افريقش بن صيفي من التبابعة الى المغرب كما ذكرنا في أخبار الروم ، واختطوا بسيف البحر وما يليه من الارياف مدناً عظيمة الخطة وثيقة المباني شهيرة الذكر ، باقية المعالم والآثار لهذا العهد ، مثل : سُبَيْطَلَة وجَلولاء ومِرْناق ووطاقة وزانة وغيرها من المدن التي خربها المسلمون من العرب لاول الفتح عند استيلائهم عليها . وقد كانوا دانوا لعهدهم بما تعبدوهم به من دين النصرانية ، وأعطوهم المهادنة وأدوا اليهم الجباية طواعية .

وكان للبربر في الضواحي وراء ملك الأمصار المرهوبة الحامية ما شاء من قوّة وعدّة وعدد وملوك ورؤساء واقيال . وأمراؤها لا يرامون بذل ، ولا ينالهم الروم والافرنج في ضواحيهم تلك بسخطة الاساءة ، وقد صبحهم الاسلام وهم في مملكة قد استولوا على رومة . وكانوا يؤدون الجباية لهرقل ملك القُسْطَنْطِينِيَّة كما كان المُقَوْقِس صاحب الاسكندرية وبَرْقَة ومصر يؤدون الجباية له ، وكما كان صاحب طرابلس ولُبدَة وصَبرَة وصاحب صقلّيّة ، وصاحب الاندلس من الغوط لما كان الروم غلبوا على هؤلاء الأمم أجمع . وعنهم كلهم أخذوا دين النصرانية ،

فكان الفرنجة هم الذين ولوا أمر افريقية ولم يكن للروم فيها شيء من ولاية . وانما كان كل من كان منهم بها جنداً للافرنج ومن حشودهم . وما يسمع في كتب الفتح من ذكر الروم في فتح افريقية فمن باب التغليب لان العرب يومئذ لم يكونوا يعرفون الفرنج ، وما قاتلوا في الشام إلا الروم فظنوا أنهم هم الغالبون على أمم النصرانية . فان هرقل هو ملك النصرانية كلها فغلبوا اسم الروم على جميع أمم النصرانية .

ونقلت الأخبار عن العرب كما هي : فجرجير المقتول عند الفتح من الفرنج وليس من الروم ، وكذا الامة الذين كانوا بافريقية غالبين على البربر ونازلين بمدنها وحصونها إنما كانوا من الفرنجة . وكذلك ربما كان بعض هؤلاء البربر دانوا بدين اليهودية أخذوه عن بني اسرائيل عند استفحال ملكهم ، لقرب الشام وسلطانه منهم كما كان جراوة أهل جبل أوراس قبيلة الكاهنة مقتولة العرب لأول الفتح ، وكما كانت نفوسة من برابر افريقية وقندلاوة ومديونة وبهلولة وغياثة وبنو فازان من برابرة المغرب الأقصى حتى محا ادريس الاكبر الناجم بالمغرب من بني حسن بن الحسن جميع ما كان في نواحيه من بقايا الاديان والملل ، فكان البربر بافريقية والمغرب قبل الاسلام تحت ملك الفرنج وعلى دين النصرانية [١] الذي اجتمعوا عليه مع الروم كما

(١) كذا ، وقد ذكر في الصفحة السابقة : أن دين البربر المجوسية .

ذكرناه . حتى اذا كان الفتح وزحف المسلمون الى افريقية زمان عمر رضي الله عنه سنة تسع وعشرين ، وغلبهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح من بني عامر بن لؤي فجمع لهم جرير ملك الفرنجة يومئذ بافريقية من كان بامصارها من الفرنج والروم ، ومن بضواحيها من جموع البربر وملوكهم .

وكان ملك ما بين طرابلس وطنجة ، وكانت دار ملكه سُبَيطلة فلقوا المسلمين في زهاء مائة وعشرين ألفاً . والمسلمون يومئذ في عشرين ألفاً فكان من هزيمة العرب لهم ، وفتحهم اسُبَيطَلة وتخريبهم اياها وقتلهم جرجير ملكهم ، وما نفلهم الله من أموالهم وبناتهم التي اختصت منهنّ ابنته بقاتله عبد الله بن الزبير لعهد المسلمين له بذلك بعد الهزيمة ، وخلوصه بخبر الفتح الى الخليفة والملأ من المسلمين بالمدينة ما هو كله مذكور مشهور . ثم أرزىء [1] الفرنجة ومن معهم من الروم بعد الهزيمة ، وخلوصه بخبر الفتح الى حصون افريقية . وانساح المسلمون في البسائط بالغارات ، ووقع بينهم وبين البربر أهل الضواحي زحوف وقتل وسبي . حتى لقد حصل في أسرهم يومئذ من ملوكهم وزمار بن صِقلاب [2] جد بني خَزَر ، وهو يومئذ أمير مِغوارَة وسائر زناتة ورفعوه الى عثمان بن عفان فأسلم على يده ، ومنّ عليه وأطلقه

(١) كذا ، وفي ت : أرز .
(٢) كذا ، وفي ب : صولات بن وزمار .

وعقد له على قومه.

ويقال انما وصله وافداً ، وحصن المسلمين عليهم ولاذ الفرنج بالسلم ، وشرطوا لابن أبي سرح ثلثمائة قنطار من الذهب على أن يرحل عنهم بالعرب ، ويخرج بهم من بلادهم ففعل . ورجع المسلمون الى المشرق وشغلوا بما كان من الفتن الاسلامية . ثم كان الاجتماع والاتفاق على معاوية بن أبي سفيان ، وبعث معاوية بن حَديج السكوني من مصر لافتتاح افريقية سنة خمس وأربعين . وبعث ملك الروم من القسطنطينيّة عساكره لمدافعتهم في البحر فلم تغن شيئاً وهزمهم العرب بساحل أجم . وحاصروا جلولاء وفتحوها . وقفل معاوية بن خديج الى مصر فولّى معاوية ابن أبي سفيان على افريقية بعده عُقبة بن نافع ، فاختط القيروان وافترق أمر الفرنجة ، وصاروا الى الحصون وبقي البربر بضواحيهم الى أن ولي يزيد بن معاوية وولّى على افريقية أبا المهاجر مولى[1]

وكانت رئاسة البربر يومئذ في أوربة لكسيلة بن لَمزِم ، وهو رأس البُرانِس ، ومرادفة سَكَرديد بن رومي بن مازرت من أوربة ، وكان على دين النصرانيّة فأسلما لاول الفتح . ثم ارتدا عند ولاية أبي المهاجر واجتمع اليهما البرانس ، وزحف اليهم أبو المهاجر حتى نزل عيون تلمسان فهزمهم ، وظفر بكسيلة فأسلم واستبقاه . ثم جاء عُقبة بعد أبي المهاجر فنكبه غيظاً على صحابته

(١) كذا ، وفي ت : مولى (فلان) .

لأبي المهاجر . ثم استفتح حصون الفرنجة مثل باغاية ولميس ولقيه ملوك البربر بالزاب وتاهرت ففضهم جمعاً بعد جمع . ودخل المغرب الاقصى واطاعته غمارة ، وأميرهم يومئذ بليان . ثم أجاز الى وليلي ثم الى جبال درن وقاتل المصامدة ، وكانت بينهم وبينه حروب ، وحاصروه بجبال درن . ونهضت اليهم جموع زناتة ، وكانوا خالصة للمسلمين منذ اسلام مِغْرَاوة فافرجت المصامدة عن عُقبة وأثخن فيهم حتى حملهم على طاعة الاسلام ودوّخ بلادهم .

ثم أجاز الى بلاد السوس لقتال من بها من صنهاجة أهل اللثام ، وهم يومئذ على دين المجوسيّة ، ولم يدينوا بالنصرانية فاثخن فيهم ، وانتهى الى تارودانت وهزم جموع البربر ، وقاتل مسوفة من وراء السوس وسبى منهم وقفل راجعاً . وكَسِيلَة اثناء هذا كله في اعتقاله يحمله معه في عسكره سائر غزواته . فلما قفل من السوس سرّح العساكر الى القيروان حتى بقي في خف من الجنود . وتراسل كَسِيلَة وقومه فأرسلوا له شهوداً وانتهزوا الفرصة فيه وقتلوه ومن معه ، وملك كسيلة افريقية خمس سنين ونزل القيروان ، وأعطى الامان لمن بقي بها ممن تخلف من العرب أهل الذراري والاثقال ، وعظم سلطانه على البربر .

وزحف قيس بن زهير البلوي في ولاية عبد الملك للثأر بدم عُقبَة سنه سبع وستين ، وجمع له كَسِيلَة سائر البربر ، ولقيه بجيش من نواحي القيروان فاشتد القتال بين الفريقين ثم انهزم

البربر وقتل كسيلة ومن لا يحصى منهم ، وأتبعهم العرب الى مرمجنة [١] ثم الى ملوية : وفي هذه الواقعة ذلّ البربر وفنيت فرسانهم ورجالهم وخضدت شوكتهم واضمحلّ أمر الفرنجة فلم يعد ، وخاف البربر من زهير ومن العرب خوفاً شديداً فلجأوا الى القلاع والحصون . ثم ترهب زهير بعدها وقفل الى المشرق فاستشهد ببرقة كما ذكرناه . واضطرمت افريقية ناراً وافترق أمر البربر وتعدد سلطانهم في رؤسائهم . وكان من أعظمهم شأناً يومئذ الكاهنة دُهيا بنت ماتيَة [٢] بن تيفان ملكة جبل أوراس وقومها من جراوة ملوك البتر وزعماؤهم فبعث عبد الملك الى حسَّان بن النُعمان الغسَّاني عامله على مصر أن يخرج الى جهاد افريقية ، وبعث اليه بالمدد فزحف اليها سنة تسع وسبعين ، ودخل القيروان وغزا قرطاجنة وافتتحها عنوة ، وذهب من كان بقي بها من الافرنجة الى صقِلِّيَة والى الاندلس .

ثم سأل عن أعظم ملوك البربر فدلوه على الكاهنة وقومها جراوه فمضى اليها حتى نزل وادي مسكيانة . وزحفت إليه فاقتتلوا قتالاً شديداً . ثم انهزم المسلمون وقتل منهم خلق كثير ، وأسر خالد بن يزيد القيسي . ولم تزل الكاهنة والبربر في اتباع حسَّان والعرب حتى أخرجوهم من عمل قابُس ، ولحق حسَّان بعمل

(١) كذا ، وفي ت : مرمجنة .
(٢) كذا ، وفي ت : تابتة .

طرابلس. ولقيه كتاب عبد الملك بالمقام فأقام وبنى قصوره وتعرف لهذا العهد به. ثم رجعت الكاهنة الى مكانها، واتخذت عهداً عند أسيرها خالد بالرضاع مع ابنيها. وأقامت في سلطان افريقية والبربر خمس سنين. ثم بعث عبد الملك الى حسّان بالمدد فرجع الى افريقية سنة أربع وسبعين، وخربت الكاهنة جميع المدن والضياع. وكانت من طرابلس الى طنجة ظلّا واحداً في قرى متصلة.

وشق ذلك على البربر فاستأمنوا لحسّان فأمنهم، ووجد السبيل الى تفريق أمرها وزحف اليها وهي في جموعها من البربر فانهزموا وقتلت الكاهنة بمكان البير المعروف بها لهذا العهد بجبل أوراس. واستأمن اليه البربر على الاسلام والطاعة، وعلى أن يكون منهم اثنا عشر الفاً مجاهدين معه فأجابوا واسلموا وحسن اسلامهم، وعقد للاكبر من ولد الكاهنة على قومهم من جَراوَة [1] وعلى جبل أوراس فقالوا: لزمنا الطاعة له سبقناها اليها وبايعناه عليها [2]. وأشارت عليهم بذلك لاثارة من علم كانت لديها بذلك من شياطينها. وانصرف حسّان الى القيروان فدوّن الدواوين وصالح من ألقى بيده من البربر على الخراج. وكتب الخراج على عجم افريقية ومن أقام معهم على النصرانية

(١) ورد هذا الاسم في ت: تارة جراوة كما هو هنا وأحياناً: هوارة.
(٢) كذا. وفي ت: لطاعة سبقنا بها اليه بايعاز امها واشارتها عليهما.

من البربر والبُرانس .

واختلفت أيدي البربر فيما بينهم على افريقية والمغرب فخلت أكثر البلاد ، وقدم موسى بن نصير الى القيروان والياً على افريقية . ورأى ما فيها من الخلاف وكان ينقل العجم من الأقاصي الى الأداني وأثخن في البربر ودوّخ المغرب وأدّى اليه البربر الطاعة . وولي على طنجة طارق بن زياد ، وأنزل معه سبعة وعشرين ألفاً من العرب ، واثني عشر الفاً من البربر ، وأمرهم أن يعلموا البربر القرآن والفقه . ثم أسلم بقية البربر على يد اسمعيل بن عبدالله بن أبي المهاجر سنة احدى ومائة .

وذكر أبو محمد بن أبي زيد : ان البربر ارتدوا اثنتي عشرة مرة من طرابلس الى طنجة ، ولم يستقرّ اسلامهم حتى أجاز طارق وموسى بن نُصير الى الاندلس ، بعد ان دوّخ المغرب وأجاز معه كثير من رجالات البربر وأمرائهم برسم الجهاد . فاستقروا هنالك من لدن الفتح ، فحينئذ استقر الاسلام بالمغرب وأذعن البربر لحكمه . ورسخت فيهم كلمة الاسلام وتناسوا الردة . ثم نبضت فيهم عروق الخارجية فدانوا بها ولقنوها من العرب الناقليها من منبعها بالعراق . وتعددت طوائفهم وتشعبت طرقها من الأباضيّة والصُفريّة كما ذكرنا في أخبار الخوارج .

وفشت هذه البدعة واعتقدها رؤوس النفاق من العرب

وجرائيم الفتنة من البربر ذريعة إلى الانتزاء على الامر فاختلوا[1] في كل جهة، ودعوا الى قائدهم طغام البربر تتلون عليهم مذاهب كفرها، ويلبسون الحق بالباطل فيها الى ان رسخت فيهم كلمات منها، ووشجت بينهم عروق من غرائسها . ثم تطاول البربر الى الفتك بأمراء العرب، فقتلوا يزيد بن أبي مسلم سنة اثنتين ومائة لما نقموا عليه في بعض الفعلات . ثم انتقض البربر بعد ذلك سنة اثنتين وعشرين ومائة في ولاية عبد الله بن الحبحاب أيام هشام ابن عبد الملك لما أوطأ عساكره بلاد السوس، وأثخن في البربر وسبى وغنم . وانتهى الى مسوفة فقتل وسبى وداخل البربر منه رعب . وبلغه أن البربر أحسوا بأنهم فيء للمسلمين فانتقضوا عليه . وثار ميسرة المطغري بطنجة على عمرو بن عبد الله فقتله وبايع لعبد الأعلى بن جُرَيج الافريقي روميّ الاصل ومولى العرب، كان مقدّم الصُفرِيّة من الخوارج في انتحال مذهبهم، فقام بأمرهم مدة وبايع ميسرة لنفسه بالخلافة داعياً الى نحلته من الخارجية على مذهب الصفرية . ثم ساءت سيرته فنقم عليه البربر ما جاء به فقتلوه وقدموا على أنفسهم خالد بن حميد الزناتي .

قال ابن عبد الحكم : هو من هتورة احدى بطون زناتة فقام بامرهم، وزحف الى العرب وسرح اليهم عبد الله بن الحبحاب العساكر في مقدّمته ومعهم خالد بن أبي حبيب فالتقوا بوادي

(١) كذا، وفي ت : فأجلبوا .

شلف ، وانهزم العرب وقتل خالد بن أبي حبيب ومن معه ، وسميت وقعة الأشراف وانتقضت البلاد ومرج أمر الناس ، وبلغ الخبر هشام بن عبد الملك فعزل بن الحبحاب وولى كلثوم ابن عياض القشيري سنة ثلاث وعشرين وسرّحه في اثني عشر ألفاً من أهل الشام . وكتب الى ثغور مصر وبَرْقة وطرابلس أن يمدوه فخرج الى افريقية والمغرب ، حتى بلغ وادي طنجة وهو وادي سبس فزحف اليه خالد بن حميد الزناتي فيمن معه من البربر ، وكانوا خلقاً لا يُحصى . ولقوا كلثوم بن عياض من بعد أن هزموا مقدّمته فاشتد القتال بينهم ، وقتل كلثوم وانهزمت العساكر فمضى أهل الشام الى الأندلس مع بلج بن بشر القُشيري . ومضى أهل مصر وافريقية الى القيروان .

وبلغ الخبر الى هشام بن عبد الملك فبعث حنظلة بن سفيان الكلبي فقدم القيروان سنة أربع وعشرين وأربعمائة [1] وهوارة يومئذ خوارج على الدولة ، منهم : عكّاشة بن أيوب وعبد الواحد بن يزيد في قومها . فثارت هوارة ومن تبعهم من البربر فهزمهم حنظلة بن المنز بظاهر القيروان بعد قتال شديد . وقتل عبد الواحد الهواري وأخذ عكاشة أسيراً ، وأحصيت القتلى في هذه الوقيعة فكانوا مائة وثمانين الفاً . وكتب بذلك حنظلة

(١) كذا بالأصل ، وكذا في نسخة ب ، وهو خطأ . وفي ت : سنة أربع وعشرين ومائة وهو الصحيح .

الى هشام وسمعها الليث بن سعد فقال : ما غزوة كنت احب ان أشهدها بعد غزوة بدر أحب إليّ من غزوة القرن والاصنام.

ثم خفت صوت الخلافة بالمشرق والتاث أمرها لما كان بين بني أمية من الفتنة ، وما كان من أمر الشيعة والخوارج مع مروان . وأفضى الأمر الى الادالة ببني العباس من بني أمية . وأجاز البحر عبد الرحمن بن حبيب من الأندلس الى افريقيا فملكها ، وغلب حنظلة عليها سنة ست وعشرين ومائة فعادت هيف الى أديانها . واستشرى داء البربر ، وأعضل أمر الخارجية ورؤسها فانتفضوا من أطراف البقاع ، وتواثبوا على الأمر بكل ما كان داعين الى بدعتهم . وتولّى كبر ذلك يومئذ صِنهاجة . وتغلب أميرهم ثابت بن وزيدون وقومه على باجة ، وثار معه عبد الله بن سَكَرديد من أمرائهم فيمن تبعه .

وثار بطرابلس عبد الجبار والحرث[1] من هوارة وكانا يدينان برأي الأباضيّة فقتلوا عامل طرابلس بكر بن عبس القيسي لما خرج اليهم يدعوهم الى الصلح ، وبقي الأمر على ذلك مدّة . وثار اسمعيل بن زياد فيمن معه من نفوسة . وتغلب على قابس . ثم زحف إليهم عبد الرحمن بن حبيب سنة احدى وثلاثين فقتل عبد الجبار والحارث وأوعب في قتل البربر. وأثخن فيهم وزحف الى تلمسان سنة خمس وثلاثين فظفر بها ودوّخ المغرب ، واذل من

(١) كذا ، وفي ت : الحارث .

كان فيه من البربر . ثم كانت بعد ذلك فتنة وربجومة [1] وسائر قبائل نفزاوة سنة أربعين ومائة ، وذلك لما انحرف عبد الرحمن بن حبيب عن طاعة أبي جعفر ، وقتله أخواه الياس وعبد الوارث فولي مكانه ابنه حبيب وطالبهما بثأر أبيه ، فقتل الياس ولحق عبد الوارث بوربجومة فأجاره أميرهم عاصم ابن جميل ، وتبعه على شأنه يزيد بن سكوم أمير ولهاصة واجتمعت لهم كلمة نفزاوة ، ودعوا لأبي جعفر المنصور ، وزحفوا الى القيروان ودخلوها عنوةً . وفر حبيب بن قابُس فأتبعه عاصم في نفزاوة وقبائلهم .

وولي على القيروان عبد الملك بن أبي الجعد النفزي ، ثم انهزم حبيب إلى أوراس ، واتبعه عاصم ، فاعترضه عبد الملك ابن أبي الجعد وجموع نفزاوة الذين كانوا بالقيروان وقتلوه . واستولت وربجومة على القيروان وسائر افريقية ، وقتلوا من كان بها من قريش ، وربطوا دوابهم بالمسجد الجامع . واشتدّ البلاء على أهل القيروان ، وأنكرت ذلك من فعل وربجومة ومن اليهم من نفزاوة برابرة طرابلس الأباضية من هوارة وزناتة ، فخرجوا واجتمعوا الى أبي الخطّاب عبد الأعلى بن الشيخ المعافري وقصدوا طرابلس وأخرجوا عمر بن عثمان القرشي ، واستولى ابو الخطاب عليها . واجتمع اليه سائر البربر الذين كانوا

(١) كذا ، وفي ت : ورفجومة ـ.

هنالك من زناتة وهوارة ، وزحف بهم الى القيروان فقتل عبد الملك بن أبي الجعد وسائر ورفجومة ونفزاوة ، واستولى على القيروان سنة احدى وأربعين .

ثم ولي على القيروان عبد الرحمن بن رستم ، وهو من أبناء رستم أمير فارس بالقادسيَّة . كان من موالي العرب ومن رؤس هذه البدعة . ورجع أبو الخطَّاب الى طرابلس ، واضطرم المغرب ناراً . وانتزى خوارج البربر على الجهات فملكوها . واجتمعت الصفرية من مِكناسة بناحية المغرب سنة أربعين ومائة ، وقدموا عليهم عيسى بن يزيد الأسود ، واسسوا مدينة سجلماسة ونزلوها. وقدم محمد بن الاشعث والياً على افريقية من قبل أبي جعفر المنصور فزحف إليه أبو الخطاب ولقيه بسرت ، فهزمه ابن الأشعث ، وقتل البربر قتلاً ذريعاً . وفرّ عبد الرحمن بن رستم من القيروان الى تاهُرت بالمغرب الأوسط ، واجتمعت اليه طوائف البربر الأباضية من لماية ولواتة ورجالة من نفزاوة فنزل بها واختطّ مدينتها سنة أربع وأربعين . وضبط ابن الأشعث افريقية وخافه البربر .

ثم انتقض بنو يفرن من زناتة ومَغِيلة من البربر بنواحي تلمسان ، وقدّموا على أنفسهم أبا قرّة من بني يفرن ، ويقال انه من مغيلة وهو الأصح في شأنه ، وبويع له بالخلافة سنة ثمان

وأربعين ومائة . وزحف اليه الأغلب بن سود التميمي عامل طبنة ، فلما قرب منه هرب أبو قرّة فنزل الاغلب الزاب ثم اعتزم على تلمسان ثم طنجة ورجع اليه الجند فرجع . ثم انتقض البربر من بعد ذلك أيام عمر بن حفص من ولد قَبِيصَة بن أبي صُفْرة أخي المهلب . وكان يلقب هزار مرد سنة احدى وخمسين .

واجتمعوا بطرابلس وقدموا عليهم أبا حاتم يعقوب بن حبيب ابن مُدين بن يطوفت من أمراء مُغيلة ويسمى أبا قادم . وزحفت إليهم جنود عمر بن حفص فهزموها وملكوا طرابلس ، وزحفوا إلى القيروان فحاصروها . ثم زحف البرابرة من الجانب الآخر بجنود عمر بطبنة في اثني عشر معسكراً . وكان منهم أبو قرة في أربعين ألفاً من الصُفْرِيّة وعبد الرحمن بن رستم في ستة آلاف من الاباضيَّة ، والمسور بن هانيء في عشرة آلاف كذلك ، وجرير بن مسعود فيمن تبعه من مديونة ، وعبد الملك بن سكرديد الصنهاجي في ألفين منهم من الصفرية . واشتد الحصار على عمر بن حفص فأعمل الحيلة في الخلاف بين جماعتهم . وكان بنو يفرن من زناتة أكثر البرابرة يومئذ جمعاً ، واشدهم قوة فصالح أبو قرة زعيمهم على أربعين الفاً ، وأعطى ابنه في اتمام ذلك أربعة آلاف ، وافترقوا وارتحلوا عن طَبِنَة . ثم بعث بعثاً الى ابن رستم فهزمه ، ودخل تاهرت مفلولا . وزحف عمر بن حفص الى أبي حاتم ، والبربر الاباضيَّة الذين معه . ونهضوا اليه فخالفهم الى القيروان ،

وشحنها بالاقوات والرجال .

ثم لقي أبا حاتم والبربر وهزموه ، ورجع الى القيروان وحاصروه . وكانوا في ثلثمائة وخمسين ألفاً الخيل منها خمسة وثلاثون ألفاً ، وكانوا كلهم أباضيّة . وطال الحصار وقتل عمر بن حفص في بعض أيامه سنة أربع وخمسين ومائة . وصالح أهل القيروان أبا حاتم على ما أحب ، وارتحل . وقدم يزيد بن قبيصة ابن المهلّب سنة أربع وخمسين ومائة والياً على افريقية ، فزحف اليه أبو حاتم بعد أن خالف عليه عمر بن عثمان الفهري ، وافترق أمرهم فلقيه يزيد بن حاتم بطرابلس فقتل أبو حاتم ، وانهزم البربر . ولحق عبد الرحمن بن حبيب بن عبد الرحمن من أصحاب أبي حاتم بكُتامَة . وبعث المخارق بن غفار الطائي فحاصره ثمانية أشهر . ثم غلب عليه فقتله ومن كان معه من البربر ، وهربوا الى كل ناحية . وكانت حروبهم مع الجند من لدن قتل عمر بن حفص بطبنة إلى انقضاء ثلثمائة وخمسة وسبعين حرباً .

وقدم يزيد افريقية فزال فسادها ورتب القيروان ، ولم تزل البلاد هادئة . وانتقض ورفجومة سنة سبع وخمسين وولوا عليهم رجلاً منهم اسمه أبو زرجونة ، فسرح اليهم يزيد من عشيرة ابن محراة المهلبي فهزموه . واستأذنه ابنه المهلّب وكان على الزاب وطبنة وكتامة في الزحف الى ورفجومة فأذن له ، وأمدّه بالعلاء بن سعيد بن مروان المهلبي من عشيرتهم أيضاً فأوقع بهم

وقتلهم أبرح قتل . وانتقض نفزاوة من بعد ذلك في سلطنة ابنه داود من بعد مهلكه سنة احدى وستين ومائة ، وولوا عليهم صالح بن نصير النفزي ، ودعوا الى رأيهم رأي الاباضيَّة ، فسرح اليهم ابن عمه سليمان بن الصمَّة في عشرة آلاف فهزمهم وقتل البربر أبرح قتل . ثم تحيَّز الى صالح بن نُصير ولم يشهد الاولى من البربر الأباضيَّة واجتمعوا بشقبنارية فهزمهم اليها سليمان ثانية وانصرف الى القيروان .

وركدت ريح الخوارج من البربر من افريقيـة وتـداعت بدعتهم الى الاضمحلال ، ورغب عبد الرحمن بن رستم صاحب تاهرت سنة احدى وسبعين في موادعة صاحب القيروان روح بن حاتم بن قُبَيْصَة بن المهلّب ، فوادعـه وانحصـدت شوكة البربر واستكانوا للغلب وأطـاعوا للدين ، فضرب الاسـلام بجرانه ، وألقت الدولة الضريبـة على البربر بكلكلهـا . وتقلد ابراهيم بن الاغلب التميمي أمر افريقية والمغرب من قبل الرشيد هرون سنة خمس وثمانين ومائـة فاضطلع بأمر هـذه الولاية ، وأحسن السيرة وقوّم المنآد ورأب الصدع وجمع الكلمة . ورضيت الكافة . واستقل بولايتها غير منازع ولا متشوّه . وتوارثها بنوه خالفاً عن سالف .

وكانت لهم بافريقية والمغرب الدولة التي ذكرناها من قبل ، الى ان انقرض أمر العرب بافريقية على زيادة الله عاقبتهم الفارّ

الى المشرق أمام كتامة سنة ست وتسعين ومائتين كما نذكره . وخروج كتامة على بني الاغلب بدعوة الرافضيّة . قام بها فيهم أبو عبد الله المحتسب الشيعي داعية عُبيدَ الله المهدي فكان ذلك آخر عهد العرب بالملك والدولة بافريقية . واستقل كتامة بالأمر من يومئذ ، ثم من بعدهم من برابرة المغرب . وذهبت ريح العرب ودولتهم عن المغرب وافريقية فلم يكن لهم بعد دولة إلى هذا العهد ، وصار الملك للبربر وقبائلهم يتداولونه طائفة بعد أخرى وجيلًا بعد آخر ، تارة يدعون الى الأمويين الخلفاء بالاندلس ، وتارة الى الهاشميين من بني العباس وبني الحسن . ثم استقلوا بالدعوة لانفسهم آخراً حسبما نذكر ذلك كله مفصلًا عند ما يعرض لنا من ذكر دول زناتة والبربر الذين نحن في سياقة أخبارهم .

البَرابِرَة البُتْر

الخبر عن البرابرة البتر وشعوبهم ونبدأ منهم أولا بذكر نفوسة وبطونهم وتصاريف أحوالهم

كان مادَغيس الأبتر جدّ البرابرة البتر ، وكان ابنه زَجِيك ومنه تشعبّت بطونهم . فكان له من الولد فيما يذكر نسّابة البربر أربعة : نفوس واداس وضرا ولوا فأما اداس فصار في هوّارة

لما يقال ان هوارة خلف أباه زحيك على أمه قبل فصاله فانتسب اليه واختلط بولده . واندرجت بطون اداس في هُوارة كما ذكرناه . وأما ضرا ولوا فسنأتي بذكر بطونهم واحداً واحداً . وأما نفوس فهم بطن واحد تنسب اليه نفوسة كلها . وكانوا من أوسع قبائل البربر فيهم شعوب كثيرة مثل بني زمور وبني مكسور [1] وماطوسة .

وكانت مواطن جمهورهم بجهات طرابلس وما اليها ، وهنالك الجبل المعروف بهم . وهم على ثلاثة مراحل من قبلة طرابلس يسكنه اليوم بقاياهم . وكانت مدينة صبرة قبل الفتح في مواطنهم وتعزى اليهم ، وهي كانت باكورة الفتح لاول الاسلام وخربها العرب بعد استيلائهم عليها فلم يبق منهم إلّا الأطلال ورسوم خافية . وكان من رجالاتهم اسمعيل بن زياد المتغلب على قابس سنة اثنتين وثلاثين ومائة لاول الدولة العباسيّة . ومنهم لهذا العهد أوزاع متفرقون في الاقطار بعمالات مصر والمغرب ، والله وارث الارض ومن عليها ، وأما لوا فمن ولده نفزاوة ولواتة كما نذكر .

---

(١) كذا ، وفي ت : مسكور .

الخبر عن نفزاوة وبطونهم وتصاريف أحوالهم

وهم بنو يطوفت بن نفزاو بن لوا الاكبر بن زحيك ، وبطونهم كثيرة مثل غُسَاسَة ومرنيسَة وزُهيلَة وسوماتة وزاتيمة وولهاصة ومجرة . وورسيف ومن بطونهم مِكلاتة ، ويقال ان مكلاتة من عرب اليمن وقع الى يطوفت صغيراً فتبناه ، وليس من البربر . ولمكلاتة بطون متعددة مثل بني ورياغل وكزناية وبني يصلتن وبني ديمار وريحون وبني سراين . ويقال ان غُسَاسَة منهم هكذا عند نسَّابة البربر مثل : سابق المطاطي وغيره . ومن بطون ولهاصة وَرتدين بن داحية بن ولهاصة وورفجومة بن نيدغاس بن ولهاص . ومن بطون ورفجومة زكوله رجالة لذكاك ابن ورفجوم الى بطون اخرى كثيرة .

وكان ورفجومة هؤلاء أوسع بطون نفزاوة وأشدّهم بأساً وقوة . ولما انحرف عبد الرحمن بن حبيب عن طاعة أبي جعفر المنصور ، وقتله أخواه عبد الوارث والياس وطالبهما ابنه حبيب بالثار فلحق عبد الوارث بورفجومة ، ونزل على أميرهم عاصم بن جميل بأوراس ، وكان كاهناً فأجاره وقام بدعوة أبي جعفر المنصور ، واجتمعت اليه نفزاوة . وكان من رجالاتهم عبد الملك بن أبي الجعد ويزيد بن سكوم وكانوا يدينون بدين الأباضيَّة من الخوارج ، وزحفوا الى القيروان سنة أربعين ومائة . وفرّ عنها

حبيب بن عبد الرحمن ، ودخلها عبد الملك بن أبي الجعد وقتل حبيباً . واستولت نفزاوة على القيروان وقتلوا من كان بها من قُريش وسائر العرب ، وربطوا دوابهم بالمسجد وعظمت حوادثهم .

ونكر ذلك عليهم الاباضيّة من برابرة طرابلس وتولّى كبرها زناتة وهُوارة فاجتمعوا الى الخطّاب بن السمح ورجالات العرب ، واستولوا على طرابلس ثم على القيروان سنة احدى وأربعين ، وقتلوا عبد الملك بن أبي الجعد وأثخنوا في قومه من نفزاوة وورفجومة . ثم رجعوا الى طرابلس بعد ان استعمل أبو الخطّاب على القيروان عبد الرحمن بن رُستم . واضطرم المغرب ناراً وعظمت فتنة ورفجومة هؤلاء الى ان قدم محمد بن الاشعث سنة ست وأربعين من قبل المنصور فأثخن في البربر وأطفأ نار هذه الفتنة كما قدمناه . ولما اختطّ عمر بن حفص مدينة طَبنَة سنة احدى وخمسين أنزل ورفجومة هؤلاء بها بما كانوا شيعاً له ، وعظم غناؤهم فيها عندما حاصره بها ابن رستم وبنو يفرن .

ثم انتقضوا بعد مهلك عمر على يزيد بن حاتم عند قدومه على افريقية سنة سبع وخمسين ، وولوا عليهم أبا زرجونة منهم وسرّح اليهم يزيد العساكر مع ابنه وقومه فأثخنوا فيهم . ثم انتقضت نفزاوَة على أبيه داود ودعوا الى دين الأباضيّة ، وولوا عليهم صالح بن نصر منهم فرجعت العساكر اليهم متراسلة وقتلوهم أبرح قتل . وعليها كان ركود ريح الخوارج بافريقية واذعان

البربر . وافترق بنو ورفجوم بعد ذلك وانقرض أمرهم وصاروا أوزاعاً في القبائل . وكان رجالة منهم بطناً متسعاً . وكان منهم رجالات مذكورون في أول العُبيديين وبني أمية بالاندلس منهم الرجالي أحد الكتاب بقُرطُبَة . وبقي منهم لهذا العهد فرق برماجة . وهناك قرية ببسيطها تنسب اليهم .

وأمّا سائر ولهاصة من ورفجومة وغيرهم فهم لهذا العهد أوزاع لذلك أشهرهم قبيلة بساحل تِلمسَان اندرجوا في كومية وعدوا منهم بالنسب والخلط . وكان منهم في أواسط هذه المائة الثامنة ابن عبد الملك استقل برياستهم وتملك بدعوى السلطان بعد ستيلاء بني عبد الواد على تلمسان ونواحيها ، وتغلب على سلطانهم لذلك العهد كما نذكره عثمان بن عبدالرحمن وسجنه بالمطبق بتلمسان ثم قتله . ومن أشهر قبائل ولهاصة أيضاً قبيلة أخرى ببسيط بونة يركبون الخيل ويأخذون بمذاهب العرب في زيهم ولغتهم وسائر شعارهم كما هو شأن هُوارة . وهم في عداد القبائل الغارمة ، ورئاستهم في بني عريف منهم ، وهي لهذا العهد في ولد حازم ابن شداد بن حِزام بن نصر بن مالك بن عَريف . وكانت قبلهم لعسكر بن بطنان منهم . هذه أخبار ولهاصة فيما علمناه .

وأما بقايا بطون نفزاوة فنهم زاتيمَة ، وبقية منهم لهذا العهد بساحل برشك ، ومنهم غُسَاسَة . وبقية منهم لهذا العهد بساحل بطوية حيث القرية التي هناك حاضرة البحر ومرسى لاساطيل

المغرب وهي مشهورة باسمهم . وأما زُهيلة فبقيتهم لهذا العهد بنواحي بادس مندرجون في غمارة وكان منهم لعهد مشيخنا أبو يعقوب البادسي أكبر الاولياء ، وآخرهم بالمغرب . وأما مَرنِيسَة فلا يسلم لهم موطن ، ومن أعقابهم أوزاع بين أحياء العرب بافريقية . وأمّا سوماتة فمنهم بقية في نواحي القيروان : كان منهم منذر بن سعيد القاضي بقُرطُبَة لعهد الناصر والله أعلم .

وأما بقايا بطون نفزاوة فلا يعرف لهم لهذا العهد حيّ ولا موطن إلّا القرى الظاهرة المقدّرة السير المنسوبة اليهم ببلاد قسطيلة . وبها معاهدون من الفرنجة أوطنوهم على الجزية واعتقاد الذمّة عند عهد الفتح ، وأعقابهم بها لهذا العهد . وقد نزل معهم كثير من بني سُلَيم من الشريد وزِغبَة وأوطنوها وتملكوا بها العقار والضياع . وكان أمر هذه القرى راجعاً الى عامل توزر أيام استبداد الخلافة . فلما تقلّص ظلّ الدولة عنهم ، وحدثت العصبة في الامصار استبدت كل قرية بأمرها ، وصار مقدم توزر يحاول دخولهم في ايالته . فمنهم من يعطيه ذلك ، ومنهم من يأباه حتى أظلتهم دولة مولانا السلطان أبي العباس ، وأدرجوا كلهم في طاعته واندرجوا في حبله ، والله ولي الامور ولا رب غيره اه

الخبر عن لواتة من البرابرة البتر وتصاريف احوالهم

وهو بطن عظيم متسع من بطون البربر البتر ينتسبون الى

لوا الاصغر بن لوا الاكبر بن زَحيك ، ولوا الاصغر هو نفزاو كما قلناه . ولوا اسم أبيهم ، والبربر اذا أرادوا العموم في الجمع زادوا الالف والتاء فصار لوات فلما عرّبته العرب حملوه على الافراد وألحقوا به هاء الجمع . وذكر ابن حزم أن نسّابة البربر يزعمون انّ سِدراتة ولواتَة ومزاتَة من القبط ، وليس ذلك بصحيح ، وابن حزم لم يطلع على كتب علماء البربر في ذلك . وفي لواتة بطون كثيرة ، وفيهم قبائل كثيرة مثل سدراتة بن نيطط بن لوا ، ومثل عزوزة بن ماصلت بن لوا . وعد سابق وأصحابه في بني ماصلت بطوناً أخرى غير عزوزة وهم: أكورة وجرمانة ومغانة ومثل بني زائد بن لوا ، وأكثر بطونهم مُزاتَة . ونسّابة البربر يعدون في مزاتة بطوناً كثيرة مثل : بلايان وقرنة ومُجيجَة ودِكمَة وحَمرةَ ومُدّونَة . وكان لواتة هؤلاء ظواعن في مواطنهم بنواحي برقة كما ذكره المسعودي ، وكان لهم في فتنة أبي يزيد آثار .

وكان منهم بجبل أوراس أمة عظيمة ظاهروا أبا يزيد مع بني كملان على أمره . ولم يزالوا بأوراس لهذا العهد مع من به من قبائل هوارة وكُتامَة ، ويدهم العالية عليهم تناهز خيالتهم الفاً وتجاوز رجالاتهم العدّة . وتستكفي بهم الدولة في جباية من تحت أيديهم بجبل أوراس من القبائل الغارمة فيحسنون الغناء والكفاية . وكانت البعوث مضروبة عليهم ينفرون بها في

معسكر السلطان . فلما تقلّص ظل الدولة عنهم صار بنو سعادة منهم في أقطاع أولاد محمد من الدواودة فاستعملوهم في مثل ما كانت الدولة تستعملهم فيه ، فاصاروهم خولاً للجباية وعسكراً للاستنفار وأصبحوا من جملة رعاياهم . وقد كان بقي جانب منهم لم تستوفه الاقطاعات ، وهم بنو زنجان وبنو باديس فاستضافهم منصور بن مزني الى عمله . فلما استبدّ مزني عن الدولة واستقلوا بالزاب صاروا يبعدونهم بالجبلية بعض السنين ويعسكرون عليهم لذلك بأفاريق الاعراب . وهم لهذا العهد معتصمون بجبالهم لا يجاوزونه الى البسيط خوفاً من عادية الاعراب .

ولبني باديس منهم اتاوات على بلد نقاوس المختطة في سفح اجبل بما تغلبوا على ضواحيها . فاذا انحدر الأعراب الى مشاتيهم اقتضوا منها اتاواتهم وخفارتهم . واذا أقبلوا الى مصايفهم رجع لُواتَة الى معاقلهم الممتنعة على الاعراب . وكان من لواتة هؤلاء أمة عظيمة بضواحي تاهرت الى ناحية القبلة وكانوا ظواعن هنالك على وادي ميناس ما بين جبل يعود من جهة الشرق والى وارصلف من جهة الغرب . يقال ان بعض أمراء القيروان نقلهم معه في غزوة وأنزلهم هنالك . وكان كبيرهم أورغ بن علي بن هشام قائداً لعبيد الله الشيعي .

ولما انتقض حميد بن يصل صاحب تاهرت على المنصور ثالث خلفاء الشيعة ظاهروه على خلافه ، وجاوروه في مذاهب

ضلاله إلى ان غلبه المنصور . وأجاز حميد الى الاندلس سنة ست وثلاثين ، وزحف المنصور يريد لواتة فهربوا أمامه الى الرمـال ورجع عنهم ، ونزل الى وادي ميناس ثم انصرف الى القيروان .

وذكر ابن الرقيق : ان المنصور وقف هنالك على أثر من آثار الاقـدمين بالقصور التي على الجبـال الثلاثة مبنيّة بالحجر المنحوت ، يبدو للناظر على البعـد كأنها أسنمة قبور ، ورأى كتاباً في حجر فسره له أبو سليمان السردغوس : خالف أهـل هذا البلد على الملك فأخرجني اليهم ففتح لي عليهم وبنيت هـذا البناء لأذكر به ، هكذا ذكر ابن الرقيق . وكان بنو وجديجن من قبـائل زناتة بمواطنهم من منداس جيرانـاً للواتة هؤلاء والتخم بينهما وادي ميناس وتاهرت . وحدثت بينهما فتنة بسبب امرأة أنكحها بنو وجديجن في لواتة فميروها بالفقر ، فكتبت بذلك الى قومها ورئيسهم يومئذ عنان فتذامروا واستمدّوا من وراءهم من زناتة فأمدّوهم بعلي بن محمد اليفرني .

وزحفت مطاطة من الجانب الآخر في مظـاهرتهم وعليهم غزانة أميرهم ، وزحفوا جميعاً الى لواتـة فكانت بينهم وقائع وحروب هلك في بعضهـا علاق وأزاحوا عن الجـانب الغربي السرسو ، والجؤهم الى الجبل الذي في قبلة تاهرت المسمى لهذا العهـد كركيرة ، وكان به قوم من مغراوة فغدروا بهم ، وتظاهروا جميعـاً عليهم إلى أن أخرجوهم عن آخر مواطنهم في

جهة الشرق بجبل يعود فنزلوا من ورائه الجبل المسمى لهذا العهد دارك . وانتشرت عمائرها بتلوله وما وراءه الى الجبال المطلة على متيجة ، وهم لهذا العهد في عداد القبائل الغارمة . وجبل دارك في أقطاع ولد يعقوب بن موسى مشيخة العطاف من زغبة ومن لواتة أيضاً بطون بالجبال المعروفة بهم قبلة قابس وصفاقس ومنهم بنو مكي رؤساء قابس لهذا العهد .

ومنهم أيضاً بواحات مصر فيما ذكره المسعودي أمة عظيمة بالجيزة التي بينها وبين مصر . وكان لما قرب من هذه القصور شيخهم هنالك بدر بن سالم ، وانتقض على الترك وسرحوا اليه العساكر فاستلحموا كثيراً من قومه وفر الى ناحية برقة ، وهو الآن في جوار العرب بها . ومن زناتة هؤلاء أحياء بنواحي تادلا قرب مراكش من المغرب الاقصى ، ولهم هنالك كثرة . ويزعم كثير من الناس انهم بنواحي جابر من عرب جشم ، واختلطوا بهم وصاروا في عدادهم . ومنهم أوزاع مفترقون بمصر وقرى الصعيد شاوية وفلاحين ، ومنهم أيضاً بضواحي بجاية قبيلة يعرفون بلواتة ينزلون بسيط تاكرارت من أعمالها ويعتمرونها فدناً لمزارعهم ومسارح لانعامهم . ومشيختهم لهذا العهد في ولد راجح بن صواب منهم ، وعليهم للسلطان جباية مفروضة وبعث مضروب . هؤلاء المعروفون من بطون لواتة ولهم شعوب أخرى كثيرة اندرجوا في البطون وتوزعوا بين القبائل ، والله وارث

الارض ومن عليها .

الخبر عن بني فاتن من ضريسة احدى بطون البرابرة البتر وتصاريف احوالهم

وهم بطون مطغرة ولماية وصدّينة وكومية ومديونة ومَغيلة ومطماطة وملزوزة ومِكناسَة ودونَة ، وكلهم من ولد فاتن بن تمصيت بن ضريس بن زَحيك بن مادَغيس الأبتر ، ولهم ظهور من البرابر وأخبار نسردها بطناً بطناً الى آخرها . مطغرة : وهم من أوفر هذه الشعوب . وكانوا خصاصين آهلين . وكان جمهورهم بالمغرب منذ عهد الاسلام ونوبة الفتح وشؤون الردّة وحروبها ، وكان لهم فيها مقامات . ولما استوسق الاسلام في البربر أجازوا الى فتح الاندلس ، وأجازت منهم أمم واستقروا هنالك . ولما سرى دين الخارجيّة في البربر أخذ مطغرة هؤلاء برأي الصُفْريّة . وكان شيخهم ميسرة ، ويعرف بالحفير ، مقدماً فيه .

ولما ولي عبيد الله بن الحبحاب على افريقية من قبل هشام ابن عبد الملك ، وأمره أن يمضي اليها من مصر فقدمها سنة أربع عشرة ، واستعمل عمر بن عبد الله المرادي على طنجة والمغرب الأقصى ، وابنه اسمعيل على السوس وما وراءه . واتصل أمر ولايتهم وساءت سيرتهم في البربر ونقموا عليهم أحوالهم ، وما كانوا يطالبونهم به من الوصائف البربريات والأفرية

المسلية الالوان ، وأنواع طرف المغرب ، فكانوا يتغالبون في جمعهم ذلك وانتحاله . حتى كانت الصرمة من الغنم تستهلك بالذبح لاتخاذ الجلود المسلية من سخالها ، ولا يوجد فيها مع ذلك الا الواحد وما قرب منه . فكثر عيثهم بذلك في اموال البربر وجورهم عليهم ، وامتعض لذلك ميسرة الحفيد زعيم مطغرة وحمل البرابرة على الفتك بعمر بن عبد الله عامل طنجة فقتلوه سنة خمس وعشرين [1] . وولى ميسرة مكانه عبد الاعلى بن خدع الافريقي الرومي الأصل ، كان من موالي العرب وأهل خارجيّتهم ، وكان يرى رأي الصفريّة فولاه ميسرة على طنجة ، وتقدّم الى السوس فقتله عامله اسمعيل ابن عبدالله ، واضطرم المغرب ناراً . وانتقض أمره على خلفاء المشرق فلم يراجع طاعتهم بعد .

وزحفَ ابن الحبحاب اليه من القيروان في العساكر وعلى مقدمته خالد بن أبي حبيب الفهري ، فلقيهم ميسرة في جموع البرابرة ، فهزم المقدّمة واستلحمهم وقتل خالد . وتسامع البربر بالاندلس بهذا الخبر فثاروا بعاملهم عُقبَة بن الحجَّاج السلولي وعزلوه ، وولوا عبد الملك بن قطن الفهري ، وبلغ الخبر بذلك الى هشام بن عبد الملك فسرح كلثوم بن عياض المرّي في اثني عشر الفاً من جنود الشام ، وولاه على افريقية وأدال به من عبيد الله بن الحبحاب .

---

(١) كذا . وفي ت : سنة اثنتين وعشرين .

تاريخ العلامة

ابن خلدون

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر
في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم
من ذوي السلطان الأكبر
وهو تاريخ وحيد عصره
العلامة عبد الرحمن
ابن خلدون المغربي

المجلد السادس

من تاريخ العلامة ابن خلدون

القسم الثاني

١١

دار الكتاب اللبناني بيروت

دار الكتاب اللبناني
بيروت - لبنان
ص.ب ٣١٧٦ - برقيا (كتالبنان)
هاتف ٢٥٧٤٧٠ - ٢٣٧٥٣٧
TELEX No 22865 K.T.L
LE BEIRUT

القسم الثاني

المجلد السادس

من تاريخ العلامة ابن خلدون

وزحف كلثوم الى البرابرة سنة ثلاث وعشرين حتى انتهت مقدمته الى وادي سبو من أعمال طنجة ، فلقيه البرابرة هنالك مع ميسرة ، وقد فحصوا عن أوساط رؤوسهم ونادوا بشعار الخارجية فهزموا مقدمته ، ثم هزموه وقتلوه .

وكان كيدهم في لقائهم اياه ، أن ملؤا الشنان بالحجارة وربطوها بأذناب الخيل تنادي بها فتقعقع الحجارة في شنانها ، ومرت بمصاف العساكر من العرب فنفرت خيولهم ، واختل مصافهم وانجرت عليهم الهزيمة فافترقوا ، وذهب بلج مع الطلائع من أهل الشام الى سبتة كما ذكرناه في أخبارهم . ورجع الى القيروان أهل مصر وافريقية وظهرت الخوارج في كل جهة ، واقتطع المغرب عن طاعة الخلفاء الى ان هلك ميسرة ، وقام برئاسة مطغرة من بعده يحيى بن حارث منهم . وكان حليفاً لمحمد بن خزر ومغراوة . ثم كان من بعد ذلك ظهور ادريس بالمغرب فقدم بها البرابرة وتولى كبرها أوربة منهم كما ذكرناه . وكان

على مطغرة يومئذ شيخهم بهلول بن عبد الواحد ، فانحرف مالك عن ادريس الى طاعة هرون الرشيد بمداخلة ابراهيم بن الأغلب عامل القيروان فصالحه ادريس وأنبأه بالسلم .

ثم ركد ريح مطغرة من بعد ذلك وافترق جمعهم ، وجرّت الدول عليهم اذيالها واندرجوا في عمال البربر الغارمين لهذا العهد بتلول المغرب وصحرائه . فمنهم ما بين فاس وتلمسان أمم يتصلون بكومية ويدخلون حلفهم ، واندرجوا من لدن الدعوة الموحدية منهم ورئاستهم لولد خليفة . كان شيخهم على عهد الموحدين ، وبنى لهم حصناً بمواطنهم على ساحل البحر يسمى تاونت . ولما انقرضت دولة بني عبد المؤمن ، واستولى بنو مرين على المغرب قام هرون بن موسى بن خليفة بدعوة يعقوب بن عبد الحق سلطانهم ، وتغلب على ندرومة ، وزحف اليه يغمراسن بن زيّان فاسترجع ندرومة من يده وغلبه على تاونت . ثم زحف يعقوب ابن عبد الحق اليهم وأخذها من أيديهم وشحنها بالاقوات ، واستعمل هرون ورجع الى المغرب فحدثت هرون نفسه بالاستبداد ، فدعا لنفسه معتصماً بذلك الحصن خمس سنين .

ثم حاصره يغمراسن واستنزله على صلح سنة اثنتين وسبعين وستمائة . ولحق هرون بيعقوب بن عبد الحق . ثم أجاز الى الجهاد بأذنه واستشهد هنالك . وقام بأمر مطغرة من بعده أخوه تاشفين الى ان هلك سنة ثلاث وسبعمائة . واتصلت رياستهم على عقبه

لهذا العهد . ومن قبائل مطغرة أمّة بجبل قبلة فاس معروف بهم. ومنهم أيضاً قبائل كثيرون بنواحي سِجِلمَاسَة وأكثر أهلها منهم. وربما حدثت بها عصبية من جرّاهم . ومن قبائل مطغرة أيضاً بصحراء المغرب كثيرون نزلوا بقصورها واغترسوا شجرة النخل على طريقة العرب . فمنهم بنوات قبلة سجلماسة الى تمنطيت آخر عملها قوم كثيرون موطنون مع غيرهم من أصناف البربر .

ومنهم في قبلة تلمسان وعلى ستة مراحل منها ، وهي قصور متقاربة بعضها من بعض ، ائتلف منها مصر كبير مستبحر بالعمران البدوي ، معدود في آحاد الأمصار بالصحراء ، ضاحٍ من ظل الملك والدول لبعده في القفر . ورياسته في بني سيد الملوك منهم . وفي شرقيها وعلى مراحل منها قرى اخرى متتابعة على سمتها متصاعدة قليلًا الى الجوف ، آخرها على مرحلة من قبلة جبل راشد . وهي في مجالات بني عامر من زِغبَة وأوطانهم من القفر ، وقد تملكوها لحطّ أثقالهم وقضاء حاجاتهم حتى نسبت اليهم في الشهرة . وفي جهة الشرق عن هذه القصور ، وعلى خمس مراحل منها دامعة متوغلة في القفر تعرف بقليعة . والآن يعتمرها رهط من مطغرة هؤلاء . وينتهي اليها ظواعن عن الملثمين من أهل الصحراء بعض السنين اذا لفحهم الهجير ، يستبردون في تلولها لتوغلها في ناحيتهم . ومن مَطغرة هؤلاء أوزاع في أعمال المغرب الاوسط وافريقية ، ولله الخلق جميعاً .

لماية

وهم بطون فاتن بن تمصيت[1] كما ذكرناه أخوة مطغرة ، ولهم بطون كثيرة عدّ منها سابق وأصحابه بنوزكوفا ومزيزة ومليزة بنو مدينين[2] كلهم من لماية . وكانوا ظواعن بافريقية والمغرب ، وكان جمهورهم بالمغرب الاوسط موطنين بتخومة مما يلي الصحراء . ولما سرى دين الخارجية في البربر أخذوا برأي الأباضيَّة ودانوا به ، وانتحلوه وانتحله جيرانهم من مواطنهم تلك من لُواتة وهُوارة . وكانوا بأرض السرسو قبلة مَنداس وزُواغَة وكانوا في ناحية الغرب عنهم . وكانت مطماطة ومكناسة وزناتة جميعاً في ناحية الجوف والشرق ، فكانوا جميعاً على دين الخارجية وعلى رأي الاباضية منهم . وكانعبد الرحمن بن رُستمُ من مسلمة الفتح ، وهو من ولد رستم أمير الفرس بالقادسيَّة . وقدم الى افريقية مع طوالع الفتح فكان بها .وأخذ بدين الخارجية والأباضية منهم . وكان شيعة لليمنية وحليفاً لهم .

ولما تحزب الاباضيَّة بناحية طرابلس منكرين على وَرفجومة فعلهم في القيروان كما مرّ واجتمعوا الى أبي الخطاب عبد الاعلى ابن السمح المغافري إمام الاباضية فملكوا طرابلس . ثم ملكوا

(١) في نسخة ت : تمزيت .
(٢) في نسخة ب : مدين .

القيروان ، وقتلوا واليها من ورفجومة عبد الملك بن أبي الجعد ، وأثخنوا في ورفجومة وسائر نفزاوة سنة احدى وأربعين . ورجع أبو الخطاب والاباضية الذين معه من زناتة وهوارة وغيرهم بعد ان استخلف على القيروان عبد الرحمن بن رستم . وبلغ الخبر بفتنة ورفجومة هذه واضطراب الخوارج من البربر بافريقية والمغرب ، وتسلقهم على الكرسي للامارة بالقيروان الى المنصور أبي جعفر فسرّح محمد بن الأشعث الخزاعي في العساكر الى افريقية ، وقلده حرب الخوارج بها ، فقدمها سنة أربع وأربعين .

ولقيهم أبو الخطّاب في جموعه قريباً من طرابلس فأوقع به ابن الاشعث وبقومه . وقتل أبو الخطّاب وطار الخبر بذلك الى عبد الرحمن بن رستم بمكان امارته في القيروان فاحتمل أهله وولده ، ولحق باباضية المغرب الأوسط من البرابرة الذين ذكرناهم . ونزل على لماية لقديم حلف بينه وبينهم فاجتمعوا اليه وبايعوا له بالخلافة وائتمروا في بناء مدينة ينصبون بها كرسي إمارتهم ، فشرعوا في بناء مدينة تاهرت في سفح جبل كزول السياح على تلول منداس ، واختطوها على وادي ميناس النابعة منه عيون بالقبلة ، ويمر بها وبالبطحاء الى أن يصب في وادي شلف . فأسسها عبد الرحمن بن رستم واختطها سنة أربع وأربعين ومائة فتمدنت واتسعت خطتها الى أن هلك عبد الرحمن ، وولي ابنه عبد الوهاب من بعده ، وكان رأس الاباضيّة .

وزحف سنة ست وتسعين مع هوارة الى طرابلس ، وبها عبد الله بن ابراهيم بن الاغلب من قبل أبيه ، فحاصره في جموع الاباضيّة من البربر الى أن هلك ابراهيم بن الاغلب ، واستقدم عبد الله بن الاغلب لامارته بالقيروان فصالح عبد الوهاب على أن تكون الضاحية لهم . وانصرف الى نفوسة ولحق عبد الله بالقيروان ، وولي عبد الوهاب ابنه ميموناً وكان رأس الاباضيّة والصفريّة والواصليّة . وكان يسلم عليه بالخلافة ، وكان أتباعه من الواصلية وحدهم ثلاثين ألفاً ظواعن ساكنين بالخيام . ولم يزل الملك في بني رستم هؤلاء بتاهرت ، وحاربهم جيرانهم من مِغراوة وبني يفرن على الدخول في طاعة الأدارِسَة لما ملكوا تلمسان ، وأخذت بها زناتة من لدن ثلاث وسبعين ومائة فامتنعوا عليهم سائر أيامهم ، الى ان كان استيلاء أبي عبد الله الشيعي على افريقية والمغرب سنة ست وتسعين فغلبهم على مدينة تاهرت وأبتزهم ملكهم بها .

وبث دعوة عُبيد الله في أقطار المغربين ، فانقرض أمرهم بظهور هذه الدولة وعقد عروبة بن يوسف الكُتامي فاتح المغرب للشيعة على تاهُرت لأبي حميد دوّاس بن صولان اللهيصي في غزاته الى المغرب سنة ثمان وتسعين فأثخن في برابرتها الأباضية من لماية وازداجة ولواتة ومكناسة ومطماطة ، وحملهم على دين الرافضة وفسخ بها دين الخارجية حتى استحكم في عقائدهم . ثم

وليها أيام اسمعيل المنصور بصُلاصِن بن حبوس . ثم نزع الى دعوة الأموية وراء البحر ، ولحق بالخير بن محمد بن خزر صاحب دعوتهم في زناتة . واستعمل المنصور بعده على تاهرت ميسوراً الخصي مولاه ، وأحمد بن الزجالي من صنائعه ، فزحف اليها حميد والخير وانهزم ميسور ، واقتحموا تاهرت عنوة وتقبضوا على أحمد الزجالي وميسور الى ان أطلقوهما بعد حين .

ولم تزل تاهرت هذه ثغراً لاعمال الشيعة وصنهاجة سائر أيامهم ، وتغلبت عليها زناتة مراراً ونازلتها عساكر بني أمية زاحفة في اثر زيري بن عطية أمير المغرب من مغراوة أيام أجاز المظفر بن أبي عامر من العدوة الى حربه . ولم يزل الشأن هذا الى أن انقرض أمر تلك الدول ، وصار أمر المغرب الى لمتونة . ثم صار الى دولة الموحدين من بعدهم وملكوا المغربين . وخرج عليهم بنو غانية بناحية قابس ، ولم يزل يحيى منهم يجلب على ثغور الموحدين ، ويشنّ الغارات على بسائط افريقية والمغرب الاوسط . وتكرر دخوله اليها عنوة مرة بعد أخرى الى أن احتمل سكّانها وخلا جوّها وعفا رسمها لما يناهز عشرون من المائة السابعة والارض لله .

وأما قبائل لماية فانقرضوا وهلكوا بهلاك مصرهم الذي اختطوه وحازوه وملكوه سنة الله في عباده . وبقيت فرق منهم اوزاعاً في القبائل ، ومنهم جربة الذين سميت بهم الجزيرة

البحرية تجاه ساحل قابُس ، وهم بها لهذا العهد . وقد كان النصرانية من أهل صقلية ملكوها على من بها من المسلمين ، وهي قبائل لماية وكتامة مثل : جربة وسدويكس ووضعوا عليهم الجزية ، وشيدوا على ساحل البحر بها معقلاً لامارتهم سموه القَشْتيل . وطال تمرّس العساكر به من حضرة الدولة الحفصية بتونس حتى كان افتتاحها أعوام ثمان وثلاثين من المائة الثامنة في دولة مولانا السلطان أبي بكر ، وعلى يد مخلوف بن الكماد من صنائعه . واستقرّت بها الدعوة الاسلاميّة الى هذا العهد . إلّا أن القبائل الذين بها من البربر لم يزالوا يدينون بدين الخارجية ، ويتدارسون مذاهبهم وبينهم مجلدات تشتمل على تآليف لأئمتهم في قواعد ديانتهم وأصول عقائدهم وفروع مذاهبهم يتناقلونها ويعكفون على دراستها وقراءتها والله خلقكم وما تعملون .

مطماطة

وهم اخوة مطغرة ولماية من ولد فاتن بن تمصيت الذين مرّ ذكرهم وهم شعوب كثيرة . وعن سابق المِطْماطي وأصحابه من النسّابة أن اسم مطماط مصكاب ومطماط لقب له وأن شعوبهم من لوا بن مطماط . وانه كان له ولد آخر اسمه وَرَنْشيط ، ولم يذكروا له عقباً قالوا : وكان للوا أربعة من الولد : ورماكسن ويلاغف

وورپكول ويليصن . ولم يعقب يليصن واعقب الثلاثة الباقون، ومنهم افترقت شعوب مطماطة كلها . فاما ورماس [1] فمنه مصمود ويونس ويَفرين ، وأما ورپكول فكان له من الولد كِلثام ومسيدة وفيدن ولم يعقب مَسيدة ولا فيـدن . وكان لكلثام عصفراصن وسلياپان فمن سلياپان ووريغني ووصدى وقسطاپان وعمرو ويقال لهؤلاء الخمسة بنو مصطاوده سموا بأمهم . وكان لعُصفراصن يزْهاض ويصراصن . فمن يصراصن ورتجين وورپكول وجليدا وسكوم ، ويقـال لهم بـني تليفكتان سموا بأمهم وكان ليزهـاض يليت ويصلاسن . فـن يليت ورسفلاسن وسكن ومحمد ومكديل ودكوال .

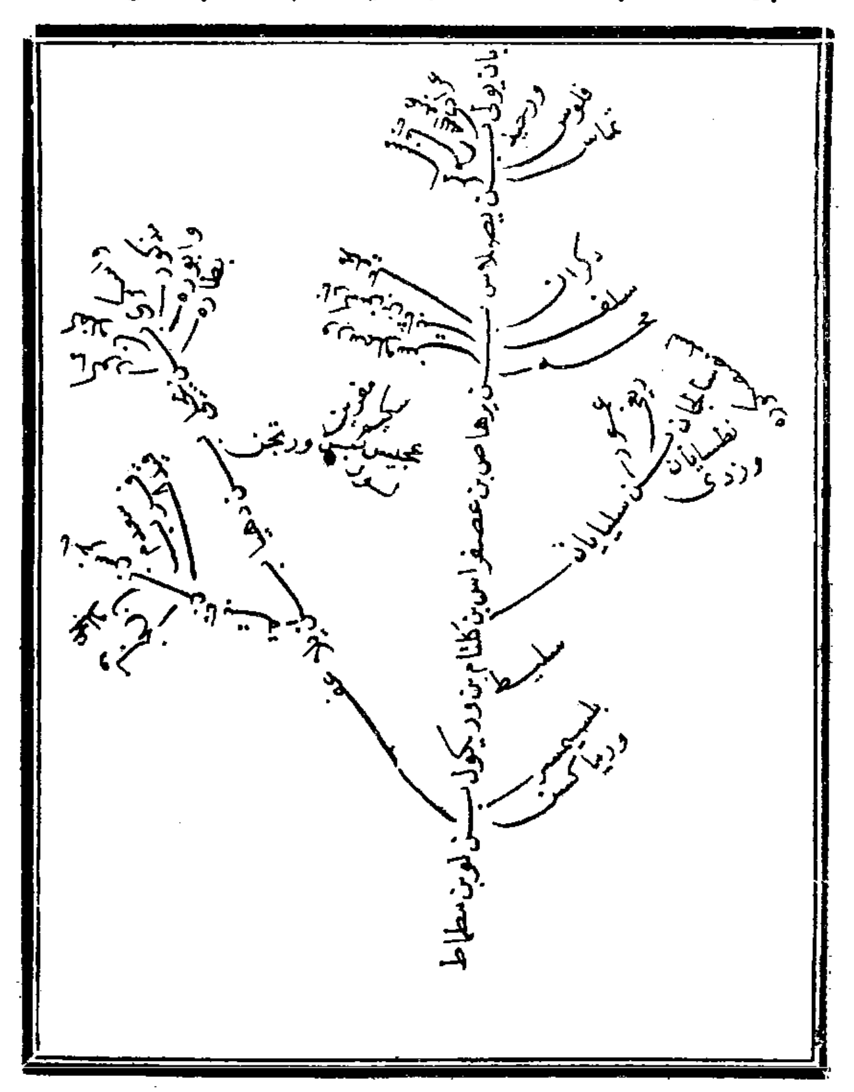
ومن يصلاسن فان يولين ويتماسن ومار كسن ومسافر وفلوسن ووريجيد ، ونافع وعبدالله وغرزاي . وامـا يلاغف بن لوا بن مطماط فكان له من الولد دهيا وثابتة فمن ثابتة ماجرسن ووريـغ وعجلان ويفام وقرة . وكان لدهيا ورتجى ومجلين . فمن ورتجى مقرين وتور وسكم وعمجميس . ومن مجلـين ماكور وأشكـول وكيلان ومذكون وقطارة وأبورة . هذه شعوب مطماطة كما ذكر نسَّابة البربر سابق وأصحابه ، وهم مفرقون في المواطن . فمنهم من نواحي فاس من قبلتها في جبل هنالك معروف بهم ما بين فاس وصفروى . ومنهم بجهات قابس والبـلد المختط عـلى العين

(١) كذا ، وفي ت : ورماكسن .

الحامية من جهة غربها منسوب اليهم . ولهذا العهد يقال حمة مطماطة ، ويأتي ذكرها في الدولة الحفصيّة . وممالك افريقية وبقاياهم أوزاع من القبائل ، وكانت مواطن جمهورهم بتلول مِنداس عند جبل وانشريس وجبل كزول من نواحي تاهُرت . وكان لهم بتلك المواطن أخريات دولة صنهاجة استفحال وصولة .

وفي فتنة حمّاد بن بُلُكّين مع باديس بن المنصور مقامات وآثار . وكان كبيرهم يومئذ عُزانَة ، وكانت له مع البرابرة المجاورين له من لواتة وغيرهم حروب وأيام . ولما هلك عزانة قام بأمره في مطماطة ابنه زيري فمكث فيهم أياماً ثم غلبت صنهاجة على أمره فأجاز البحر الى العدوة ، ونزل على المنصور بن أبي عامر فاصطنعه ونظمه في طبقة الامراء من البربر الذين كانوا في جملته ، واستظهره على أمره فكان من أوجه رجالهم عنده ، وأعظمهم قدراً لديه الى أن هلك ، واجراه ابنه المظفر من بعده وأخوه عبدالرحمن الناصر على سنن أبيهما في ترفيع مكانه واخلاص ولايته ، وكان عند ثورة محمد بن هشام بن عبدالجبار غائباً مع أبي عامر في غزاة النُعمان مع من كان معه من أمراء البربر وعرفائهم . فلما رأوا انتقاض أمره وسوء تدبيره لحقوا بمحمد بن هشام المهدي فكانوا معه الى ان كانت الفتنة البربرية بالاندلس الى ان هلك هنالك ولا أدري اي السنين كان مهلكه وأجاز الى الاندلس وهلك زيري هنالك ، لا أدري أي السنين كان

مهالكه . وأجاز إلى الأندلس أيضاً من رجالتهم كهلان بن أبي لوابن يصلاصن ونزل على الناصر، وهو من أهل العلم بانساب البربر . وكان من مشاهيرهم أيضاً النسّابة سابق بن سليمان بن حرّاث بن مولات بن دوفاس وهو كبير نسّابة البربر ممن علمناه .



وكان منهم أيضاً عبدالله بن ادريس كاتب الخراج لعُبيدالله المهدي في آخرين يطول ذكرهم اهـ.

وهذا ما تلقيناه من أخبار مطاطـة . وأما موطن مِنداس فزعم بعض الاخباريين من البربر ، ووقفت على كتابه في ذلك انه سمي بمنداس بن مغر بن أوريغ بن كبوري بن المثني وهو هوار وكأنه والله أعلم يشير الى اداس بن زَحيك الذي يقال انه ربيب هوار كما يأتي في ذكرهم ، الا أنه اختلط عليه الامر . وكان لمنداس من الولد : شراوَة وكلثوم وتُكَّم . قال : ولما استفحل أمر مطاطة وكان شيخهم لهذا العهد إزَهاص بن عصفراصن فأخرج منداس من الوطن وغلبه على أمره ، واعتمر بنوه موطن منداس ولم يزالوا به اهـ كلامه وبقيه هؤلاء القوم لهذا العهد بجبل وادَشنيش ، لحقوا به لما غلبهم بنو توجين من زناتة على منداس وصاروا في عداد قبائل الغارمة والله وارث الارض ومن عليها .

مغيلة

وهم اخوة مطاطة ولماية كما قلناه ، واخوتهم ملزوزة معدودون منهم . وكذلك دونة وكشاتة ولهم افتراق في الوطن . وكان منهم جمهوران : أحدهما بالمغرب الاوسط عند مصب شلف في

البحر من ضواحي مازونه، المصر لهذا العهد. ومن ساحلهم أجاز عبد الرحمن الداخل الى الاندلس، ونزل بالمنكب فكان منهم أبو قرة المغيلي الدائن بدين الصفرية من الخوارج ملك أربعين سنة. وكانت بينه وبين امراء العرب بالقيروان لأول دولة بني العباس حروب ونازل طِبنَة. وقد قيل ان ابا قرة هذا من بني مطاطة، وهذا عندي صحيح، فلذلك أخرت ذكر أخباره الى أخبار بني يفرن من زناتة.

وكان منهم أيضاً أبو حسَّان، ثار بافريقية لأول الاسلام وأبو حاتم يعقوب بن لبيب بن مرين بن يطوفت من ملزوز الثائر مع أبي قرة سنة خمسين ومائة. وتغلب على القيروان فيما ذكر خالد بن خراش وخليفة بن خيَّاط من علمائهم. وذكروا من رؤسائهم أيضاً موسى بن خُلَيد ومَليح بن عُلوان وحسَّان بن زروال الداخل مع عبد الرحمن. وكان منهم أيضاً دَلول بن حمَّاد أميراً عليهم في سلطان يَعلي بن محمد اليفرني، وهو الذي اختط بلد ايكري على اثني عشر ميلاً من البحر، وهي لهذا العهد خراب لم يبق منها إلا الأطلال ماثلة. ولم يبق من مغيلة بذلك الوطن جمع ولا حيّ. وكان جمهورهم الآخر بالمغرب الأقصى، وهم الذين تولوا مع أوربة وصدينة القيام بدعوة ادريس بن عبد الله لما لحق بالمغرب واجازه، وحملوا قبائل البربر على طاعته والدخول في أمره. ولم يزالوا على ذلك الى أن اضمحلت دولة

الادارسة وبقاياهم لهذا العهد بمواطنهم ما بين فاس وصفروي ومكناسة والله وارث الارض ومن عليها .

مديونة

وهم من اخوة مَغيلة ومِطماطة من ولد فاتن كما قلناه ، وكانت مواطن جمهورهم بنواحي تلمسان ما بين جبل بني راشد لهذا العهد الى الجبل المعروف بهم قبلة وجدة يتقلبون بظواعنهم في ضواحيه وجهاته . وكان بنو يلومي وبنو يفرن من قبلهم يجاورونهم من ناحية المشرق ، ومكناسة من ناحية المغرب ، وكومية وولهاصة من جهة الساحل .

وكان من رجالاتهم المذكورين جرير بن مسعود كان أميراً عليهم ، وكان مع أبي حاتم وأبي قرة في فتنتهم ، وأجاز الى الاندلس في طوالع الفتح كثير منهم ، فكان لهم هنالك استفحال . وخرج هلال بن أبزيا منهم بشنتمرية على عبد الرحمن الداخل متبعاً شقيا المكناسي في خروجه . ثم راجع الطاعة فتقبله وكتب له على قومه فكان بشرق الاندلس وشنتمرية . ثم خلفه بها من قومه ثابتة بن عامر . ولما تغلب بنو توجين وبنو راشد من زناتة على ضواحي المغرب الأوسط ، وكان مديونة هؤلاء قد قلّ عددهم وفل حدّهم فداخلتهم زناتة على الضواحي من مواطنهم وتملكوها ، وصارت مديونة الى الحصون من بلاده بجبل تاسالة وجبل وجده المعروف بهم . وضربت عليهم المغارم

وتقرّضت بهم الأيام ، فلم يبق منهم هنالك إلا صبابة محترفون بالفلح . ومنهم أيضاً اوزاع في القبائل مندرجون فيهم . وبنواحي فاس ما بينها وبين صفروي قبيلة منهم مجاورة لمغيلة ، والله يرث الارض ومن عليها .

كومية

وهم المعروفون قديماً بصطفورة أخوة لماية ومطغرة ، وهم من ولد فاتن كما قدّمنا ، ولهم ثلاث بطون منها تفرعت شعوبهم وقبائلهم وهي ندرومة وصغّارة وبنو يلول : فمن ندرومة نغوطة وحرسة وفردة و هفانة و فراتة . ومن بني يلول : مسيفة ووتيوة وهبيشة وهيوارة ووالغة . ومن صغارة ماتيلة وبنو حيّاسة . وكان منهم النسّابة المشهور هاني بن مصدور بن مريس بن نقوط هذا هو المعروف في كتبهم .

وكان مواطن كومية بالمغرب الاوسط لسيف البحر من ناحية أرشكول وتلمسان . وكان لهم كثرة موفورة وشوكة مرهوبة . وصاروا من أعظم قبائل الموحّدين لما ظاهروا المصامدة على امر المهدي وكلمة توحيده . وربما كانوا رهط عبد المؤمن صاحبه وخليفته فانه كان من بني عابد احد بيوتاتهم ، وهو

عبد المؤمن بن علي بن مخلوف بن يعلي بن مروان بن نصر بن علي ابن عامر بن الأمير بن موسى بن عبد الله بن يحيى بن ورنيغ ابن صطفور، وهكذا نسبه مؤرخو دولة الموحدين الى صطفور. ثم يقولون صطفور بن نفور بن مطاط بن هودج بن قيس غيلان بن مُضَر. ويذكر بعضهم أنه منقول من خط أبي محمد عبد الواحد المخلوع ابن يوسف بن عبد المؤمن فأما انتسابهم في قيس غيلان فقد ذكرنا أنه غير صحيح. وفي اسماء هذا العمود من نسب عبد المؤمن ما يدل على أنه مصنوع، اذ هذه الاسماء ليست من اسماء البربر، وانما هي كما تراه كلها عربية والقوم كانوا من البرابرة معروفون بينهم. وانتساب مطفور الى مطاط تخليط أيضاً فانهما أخوان عند نسّابة البربر أجمع، وعبد المؤمن بلا شك منهم، والله أعلم بما سوى ذلك.

وكان عبد المؤمن هذا من بيوتاتهم وأشرافهم وموطنهم بتاكرارت، وهو حصن في الجبل المطل على هَنين من ناحية الشرق. ولما نجم عبد المؤمن فيهم وشب ارتحل في طلب العلم فنزل بتلمسان. وأخذ عن مشيختها مثل ابن صاحب الصلاة وعبد السلام التونسي، وكان فقيهاً صالحاً، وهو ضجيع الشيخ أبي مدين في تربته. ولما هلك عبد السلام هذا، ولم يحذق تلميذه بعدُ في فنونه وكان شيخ عصره في الفقه والكلام. تعطش التلميذ بعده الى القراءة، وبلغهم خبر الفقيه

محمد بن تومَرْت المهدي ووصولهم الى بجاية . وكان يعرف إذ ذاك بالفقيه السوسي نسبة الى السوس . ولم يكن لقب المهدي وضع عليه بعد .

وكان في ارتحاله من المشرق الى المغرب قد أخذ نفسه من تغيير المنكر ، الذي شأنه وطريقته نشر العلم وتبيين الفتاوى وتدريس الفقه والكلام . وكان له في طريقته الأشعريّة إمامة وقدم راسخة ، وهو الذي أدخلها الى المغرب كما ذكرناه ، وتشوق طلبة العلم بتلمسان الى الاخذ عنه وتفاوضوا في ذلك وندب بعضهم بعضاً الى الرحلة اليه لاستجلابه ، وأن يكون له السبق باتحاف القطر بعلومه . فانتدب لها عبد المؤمن على مكانه من صغر السن بنشاطه للسفر لبداوته ، فارتحل الى بجاية للقائه وترغيبه في نزوله تلمسان فلقيه بملالة ، وقد استحكمت بينه وبين العزيز النفرة وبنو وريا كل متعصبون على اجارته منهم ، ومنعه من اذايته والوصول اليه . فألقى اليه عبد المؤمن ما عنده من الترغيب ، وأدى اليه رسالة طلبة العلم بتلمسان فوعاها ، وشأنه غير شأنهم .

وعكف عبد المؤمن على التعليم والأخذ عنه في ظعنه ومقامه . وارتحل الى المغرب في صحابته ، وحذق في العلم وآثره الامام بمزيد الخصوصية والقرب ، بما خصَّه الله به من الفهم والوعي للتعليم ، حتى كأنه خالصة الامام وكبير صحابته . وكان يؤمله

لخلافته لما ظهر عليه من الشواهد المدوّنة بذلك . ولما اجتازوا في طريقهم الى المغرب بالثعالبة من بطون العرَب الذين ذكرناهم قبل في نواحي المدينة . قربوا اليه حماراً فارهاً يتخذه له عطية لركوبه فكان يؤثر بــه عبد المؤمن ، ويقول لأصحابه اركبوه الحمــار يركبكم الخيول المسوّمة . ولما بويع له بهُرغــة سنة خمس عشرة وخمسمائة ، واتفقت على دعوته كلمة المصامدة وحاربوا لمتونة نازلوا مراكش .

وكانت بينهم في بعض أيام منازلتها حرب شديدة هلك فيها من الموحدين الألف ، فقيل للامام ان الموحــدين قد هلكوا . فقال لهم ما فعل عبد المؤمن ؟ قالوا هو على جواده الأدهم قد أحسن البلاء . فقال ما بقي عبد المؤمن فلم يهلك أحــد ا ولما احتضر الامام سنة اثنتين وعشرين عهد بخلافته في أمره لعبدالمؤمن واستراب من العصبيّة بين المصامدة ، فكتم موت المهدي وارجأ أمره حتى صدع الشيـخ أبو حفص أمير هِنتاتَة وكبير المصامدة لمصاهرته . وأمضى عهد الامام فيه فقام بالامر واستبد بشياخة الموحدين وخلافة المسلمين .

ونهض سنة سبع وثلاثين الى فتح المغرب فدانت له غمارة . ثم ارتحل منها الى الريف ثم الى بطوية ثم الى بطالسة ثم الى بني يزناسِن . ثم الى مَديونة ثم الى كومية وجيرانهم ولهاصة ، وكانوا يلونهم في الكثرة فاشتد عضده بقومــه ، ودخلوا في أمره

وشايعوه على تمكين سلطانه بين الموحدين وخلافته . ولما رجع الى المغرب وافتتح امصاره واستولى على مراكش استدعى قومه للرحلة اليها والعسكرة عليه فخف جمهورهم الى المغرب واستوطن مراكش لحمل سرير الخلافة والقيام بأمر الدعوة والذب عن ثغورهم والمدافعة ، فاعتضد بهم عبد المؤمن وبنوه سائر الدولة ، وكانوا بمكانتهم فاتحة الكتاب وفذلكة الجماعة . وانفقهم الملك في الفتوح والعساكر ، وأكلتهم الاقطار في تجهيز الكتائب وتدويخ الممالك فانقرضوا وبقي بمواطنهم الاولى بقايا منهم : بنو عابد وهم في عداد القبائل الغارمة قد أثقلت زناتة كاهلهم فحملوا المغرم ، والعسف ونهوضهم بالتكاليف . ونظموهم مع جيرانهم ولهاصة في سوم الخسف والذل واقتضاء الخراج بالنكال والعذاب ، والله مبدّل الامر ومالك الملك سبحانه .

الخبر عن زواوة وزواغة من بطون ضريسة من البرابر البتر والالمام ببعض احوالهم

هؤلاء البطون من بطون البرابرة البتر من ولد سِمكان بن يحيى بن ضَرّي بن زَحيك بن مادَغيس الابتر . وأقرب ما يليهم من البرابر زَناتَة لانَ أَباهم أجانا هو أَخو سِمكان ابن أبيه فلذلك كانوا ذوي قربى لهم .

زواوة

فأمّا زُواوة فهم من بطونهم ، وقد يقال ان زواوة من قبائل كُتامَة ، ذكر ذلك ابن حزم . ونسَّابة البربر انما يعدونهم من ولد سمكان كما قلناه ، والصحيح عندي ما ذكره ابن حزم . ويشهد له الموطن ونحلة الشيع مع كتامة لعبيد الله . وعد نسَّابة البربر لهم بطوناً كثيرة : بنو مَجَسْطة وبنو مَلَيكش وبنو كوفي ومَشداله وبنو زُريقف وبنو كوزيت وكَرسفينة ووزلجة وخوجة وزِكلاوة وبنو مرانه ، ويقال إن بني مليكش من صِنهاجَة والله أعلم .

ومن قبائلهم المشهورة لهذا العهد : بنو يجرو وبنو مانكلات وبنو يترون وبنو ماني وبنو بوغردان وبنو يتورغ وبنو بو يوسف وبنو عبسي وبنو بو شُعَيب وبنو صَدَقَة وبنو غَبرين وبنو كَشطولة . ومواطن زُواوَة بنواحي بجاية ما بين مواطن كُتامة وصنهاجَة ، أوطنوا منها جبالاً شاهقة متوعرة تنذعر منها الأبصار ويضل في غمرها السالك مثل : بني غبرين بجبل زيري ، وفيه شعراء من شجر الزان يشهد بها لهذا العهد . ومثل بني فُراسن وبني يُراثن . وجبلهم ما بين بجاية وتدلس وهو أعصم معاقلهم وأمنع حصونهم ، فلهم به الاعتزاز على الدول والخيار

عليها في اعطاء المغرم ، مع أن كلهم لهذا العهد قد امتنع لساهمه ، واعتز على السلطان في ابناء طاعته وقانون مزاجه .

وكانت لهم في دولة صنهاجة مقامات مذكورة في السلم والحرب ، بما كانوا اولياء لكُتامة . وظهر أولهم على أمرهم من أول الدولة وقتل بادس بن المنصور في احدى وقائعه بهم ، وشيخهم زيري بن اجانا لاتهامه إياه في أمر حمّاد . ثم اختط بنو حماد بعد ذلك بجاية بساحتهم وتمرسوا بهم فانقادوا واذعنوا لهم الى آخر الدولة . واتصل اذعانهم الى هذا العهد إلّا تمريضاً في المغرم يحملهم عليه الموثقون بمنعة جبالهم . وكانت رئاسة بني يراتن منهم في بني عبد الصمد من بيوتاتهم . وكانت عند تغلُّب السلطان أبي الحسن على المغرب الأوسط شيخة عليهم من بني عبد الصمد هؤلاء اسمها شمسي ، وكان لها عشرة من الولد فاستفحل شأنها بهم وملكت عليهم أمرهم .

ولما تقبّض السلطان أبو الحسن على ابنه يعقوب المكنّى بأبي عبد الرحمن عندما فرّ من معسكره بمتيجة سنة ثمان أوسبع وثلاثين وسرح في أثره الخيالة فرجموه واعتقله . ثم قتله من بعد ذلك حسبما يذكر في أخبارهم . لحق حينئذ بني يُراتن هؤلاء خازن من مطبخة فوّه عليهم باسمه وشبّه بتمثاله ، ودعا الى الخروج على ابنه بزعمه فشمرت شمسي هذه عزائمها في اجازته ،

وحملت قومها على طاعته . وسرب السلطـان أبو الحسن أمواله في قومها وهما على السلامة فأبته . ثم نمي َ اليها الخبر بمكره وتمويهه فنبذت اليه عهده وخرج عنها الى بلاد العرب كما نذكر بعض ذلك في أخبارهم . وقدمت على السلطان أبي الحسن في وفد من قومها وبعض بنيها فابلغ السلطان في تكريمها وأحسن صلتها وأجاز الوفد ورجعت بهم الى موطنها ولم تزل الرئاسة في هذا البيت .

زواغة

وأما زُواغَة فلم يتأدّ الينا من أخبارهم وتصـاريف أحوالهم ما نعمل فيه الاقلام ، ولهم ثلاثة بطون وهي : دُمرّ بن زواغ وبنو واطيـل بن زَحيك بن زواغ وبنو ماخِر بن تَيْفون بن زواغة . ومن دمر بنو سِمكان ، وهم اوزاع في القبـائل . ومنهم بنواحي طرابلس مفترقون في براريها ولهم هنالك الجبل المعروف بدمّر . وفي جهات قسطنطينة أيضاً رهط من زواغة . وكذلك بجبـال شلف بنو واطيل منهم وبنواحي فاس آخرون ، ولله الخلق والامر .

مكناسة

الخبر عن مكناسة وسائر بطون بني ورصطف وما كان لمكناسة من الدول بالمغرب وأولية ذلك وتصاريفه

كان لورصطف بن يحيى ، وهو أخو اجانا بن يحيى وسمكان ابن يحيى ، ثلاثة من البطون وهم : مِكناسة ووَرْتَناجة واوكته . ويقال مكنة وبنو ورتناجة أربعة بطون : سدْرَجة ومَكسة وبَطالسة وكِرنيطة . وزاد سابق وأصحابه في بطونهم هُناطة وفولالة ، وكذلك عدّوا في بطون مكنة : بني يصلتن وبني تولالين وبني تَرين وبني جرُتن وبني فوغال . ولمكناسة عندهم أيضاً بطون كثيرة منها : صولات وبنو حوّات وبنو ورفلاس وبنو وريدوس وقنصارة وورنيفة ووريفلتة . وبطون ورصطف كلهم مندرجون في بطون مِكناسة . وكانت مواطنهم على وادي مَلوية من لدن أعلاه بسجلماسة الى مصبه في البحر ، وما بين ذلك من نواحي تازا وتسول . وكانت رئاستهم جميعاً في بني أبي يزّول واسمه مجدول بن تافَريس بن فراديس بن ونيف بن مكناس . وأجاز منهم الى العدوة عند الفتح أمم .

وكانت لهم بالاندلس رئاسة وكثرة . وخرج منهم على

عبد الرحمن الداخل شعيا بن عبد الواحد سنة احدى وخمسين واعتصم بشنتمرية ودعا لنفسه منتسباً الى الحسن بن علي، وتسمَّى عبد الله بن محمد وتلقَّب بالفاطمي، وكانت بينه وبين عبد الرحمن حروب إلى أن غلبه ومحا أثر ضلالته. وكان من رجالتهم لعهد دولة الشيعة مصاله بن حبّوس بن منازل، اتصل بعبيد الله الشيعي، وكان من أعظم قوّاده وأوليائه وولاه تاهرت وافتتح له المغرب وفاس وسجلماسة.

ولما هلك أقام أخاه يصلتن بن حبُّوس مقامه في ولاية تاهُرت والمغرب. ثم هلك وأقام ابنه حميداً مقامه فانحرف عن الشيعة، ودعا لعبد الرحمن الناصر. واجتمع مع بني خزر أمراء جراوة على ولاية المُزوانيّة. ثم أجاز الى الأندلس وولي الولايات أيام الناصر وابنه الحكم، وولي في بعضها تلمسان بدعوتهم. ثم هلك وأقام ابنه نصل [1] بن حميد وأخوه فياطن بن يصلتن وعلي ابن عمه مصالة في ظل الدولة الأمويّة الى أن أجاز المظفَّر بن أبي عامر الى المغرب فولى يصل بن حميد سجلماسة كما نذكره. ثم أنّ رئاسة مكناسة بالعدوة انقسمت في بني أبي يزول، وانقسمت قبائل مكناسة بانقسامها. وصارت رئاسة مِكناسَة في مواطن سجلماسة وما اليها من بني واسول بن مِصلان بن أبي يزول، ورئاسة مكناسة بجهات تازا وتسول وملوية ومليلة لبني أبي العافية

(١) هكذا، وفي ت: يصل. وفي ب: فضل.

ابن أبي نائل بن أبي الضحّاك بن أبي يزّول . ولكل واحد من هذين الفريقين في الاسلام دولة وسلطان وصاروا به في عداد الملوك كما نذكره .

الخبر عن دولة بني واسول ملوك سجلماسة وأعمالها من مكناسة

كان أهل مواطن سجلماسة من مكناسة يدينون لاوّل الاسلام بدين الصُفرِيّة من الخوارج لقنوه عن أئمتهم ورؤسهم من العرب لما لحقوا بالمغرب وأنتزوا على الاصقاع ، وماجت أقطار المغرب بفتنة ميسرة . فلما اجتمع على هذا المذهب زهاء أربعين من رجالاتهم نقضوا طاعة الخلفاء وولوا عليهم عيسى بن يزيد الاسود من موالي العرب ورؤس الخوارج . واختطوا مدينة سجلماسة لاربعين ومائة من الهجرة . ودخل سائر مكناسة من أهل تلك الناحية في دينهم . ثم سخطوا أميرهم عيسى ونقموا عليه كثيراً من أحواله فشدّوه كتافاً ووضعوه على قنة جبل الى أن هلك سنة خمس وخمسين . واجتمعوا بعده على كبيرهم أبي القاسم سمكو بن مِصلان [1] بن أبي يزول ، كان أبوه سمقو [2] من حملة العلم ، ارتحل الى المدينة فادرك التابعين وأخذ عن عكرَمة مولى ابن عباس ، ذكره غريب بن حميد في تاريخه ،

(١) كذا ، وفي ب : مصلات .
(٢) كذا ، وفي ب : ابو سمقو ، وفي نسخة أخرى : أبو سمكو .

وكان صاحب ماشية ، وهو الذي بايع لعيسى بن يزيد ، وحمل قومه على طاعته فبايعوه من بعده .

وقاموا بأمره الى أن هلك سنة سبع وستين ومائة لمنتهى عشر سنين [1] من ولايته ، وكان أباضياً صُفرِيّاً . وخطب في عمله للمنصور والمهدي من بني العباس . ولما هلك ولوا عليهم ابنه الياس ، وكان يدعى بالوزير . ثم انتقضوا عليه سنة أربع وتسعين فخلعوه ، وولوا مكانه أخاه اليسَع بن أبي القاسم وكنيته ابو منصور ، فلم يزل أميراً عليهم . وبنى سور سجلماسة لاربع وثلاثين سنة من ولايته . وكان أباضياً صفرياً . وعلى عهده استفحل ملكهم بسجلماسة . وهو الذي أتم بناءها وتشييدها ، واختط بها المصانع والقصور ، وانتقل اليها آخر المائة الثانية ودوخ بلاد الصحراء وأخذ الخمس من معادن درعة ، وأصهر لعبد الرحمن بن رُستُم صاحب تاهُرت بابنه مِدرار في ابنته أروى فأنكحه اياها .

ولما هلك سنة ثمان ومائتين ولي بعده ابنه مدرار ، ولقبه المنتصر ، وطال أمر ولايته . وكان له ولدان اسم كل واحد منهما ميمون ، أحدهما لاروى بنت عبد الرحمن بن رستم ، وقيل ان اسمه أيضاً عبد الرحمن . والآخر لتقي وتنازعا في الاستبداد على أبيه ، ودامت الحرب بينهما ثلاث سنين . وكانت لابيهما

(١) كذا ، وفي ت : لاثنتي عشرة سنة من ولايته .

مدرار صاغية إلى ابن أروى فمال معــه حتى غلب أخاه فاخــذه وأخرجه عن سجلماسة . ولم يلبث أن خلع أباه واستبد بأمره . ثم ساءت سيرته في قومه ومدينته فخلعوه وصار الى درعة وأعاد مدراراً إلى أمره . ثم حدث نفسه باعادة ابنه ميمون بن الرستميّة الى امارته بصاغيته اليه فخلعوه ، ورجعوا ابنه ميمون بن التقي ، وكان يعرف بالأمير .

ومات مدرار اثر ذلك سنة ثلاث وخمسين لخمس وأربعــين من ملكه . وأقام ابنه ميمون في استبداده الى أن هلك سنة ثلاث وستين وولي ابنه محمد ، وكان أباضياً . وتوفي سنة سبعين فولي اليسَع بن المنتصِر وقام بأمره ، ولحق عُبيــد الله الشيعي وابنه وأبو القاسم بسجلماسة لعهده . وأوعز المعتضد اليه في شأنهما ، وكان على طاعته فاستراب بهما وحبسهما الى أن غلب الشيعي بني الأغلب ، وملك رُقادَة فزحف اليه لاستخراج عُبيــد الله وابنه من محبسه ، وخرج اليه اليسَع في قومه مكناسة فهزمه أبو عبدالله الشيعي ، واقتحم عليــه سجلماسة وقتــله سنة ست وتسعين . واستخرج عبيد الله وابنه من محبسهما وبايع لهما ، وولّى عبيد الله المهديّ على سجلماسة ابراهيم بن غالب المزاتي من رجالات كُتامَة ، وانصرف الى افريقية .

ثم انتقض امراء سجلماسة عــلى واليهم ابراهيم فقتلوه ومن كان معه من كتامة سنة ثمان وتسعين ، وبايعوا الفتح بن ميمون

الامير بن مدرار، ولقبه واسول، وميمون ليس هو ابن التقي[١] الذي تقدم ذكره، وكان أباضيًّا. وهلك قريباً من ولايته لرأس المائة الثالثة، فولي أخوه أحمد واستقام أمره الى أن زحف مُصالَة بن حبُوس في جموع كُتامَة ومكناسَة، الى المغرب سنة تسع وثلثمائة، فدوّخ المغرب وأخذهم بدعوة صاحبه عبيد الله المهدي. وافتتح سجلماسة وتقبض على صاحبها أحمد بن ميمون بن مدرار. وولّى عليها ابن عمه المعز بن محمد بن بسَّادر بن مدرار، فلم يلبث ان استبد المعتز. وهلك سنة احدى وعشرين قبيل ملك المهدي، وولي من بعده ابنه ابو المنتصر محمد بن المعتز فمكث عشراً.

ثم هلك وولي من بعده ابنه المنتصر سمكو شهرين، وكانت جدته تدبر أمره لصغره. ثم ثار عليه ابن عمه محمد بنُ الفتح بن ميمون الأمير وتغلّب عليه. وشغب عليه[٢] بنو عُبيد الله لفتنة ابن أبي العافية وتاُهرت، ثم بفتنة أبي يزيد بعدهما فدعا محمد بن الفتح لنفسه مموّهاً بالدعوة لبني العباس. وأخذ بمذاهب أهل السنة، ورفض الخارجية، ولقب الشاكر بالله. واتخذ السكة باسمه ولقبه. وكانت تسمَّى الدراهم الشاكريّة. كذا ذكره ابن حزم وقال فيه: وكان في غاية العدل حتى اذا افزع له بنو عبيد

(١) كذا، وفي ت: وميمون أبوه، هو ابن التقي.

(٢) كذا، وفي ت: وشغل عنه بنو عبيد الله بفتنة ابن أبي العافية.

وحمت الفتنة[1] زحف جوهر الكاتب أيام المعز لدين الله معدّ في جموع كتامة وصنهاجة وأوليائهم الى المغرب سنة سبع وأربعين، فغلب على سجلماسة وملكها. وفرّ محمد بن الفتح الى حصن تاسكرات على أميال من سجلماسة، وأقام به.

ثم دخل سجلماسة متنكراً فعرفه رجل من مطغرة وأنذر به فتقبض عليه جوهر، وقاده أسيراً الى القيروان مع أحمد بن بكر صاحب فاس كما نذكره، وقفل الى القيروان فلما انتقض المغرب على الشيعة، وفشت بدعة الامية[2] وأخذ زناتة بطاعة الحكم المستنصر ثار بسجلماسة قائم من ولد الشاكر وباهى[3] المنتصر بالله. ثم وثب عليه أخوه أبو محمد سنة اثنتين وخمسين فقتله وقام بالامر مكانه وتلقّب المعتز بالله.

وأقام على ذلك مدة وأمر مكناسة يومئذ قد تداعى الى الانحلال، وأمر زناتة قد استفحل بالمغرب عليهم الى أن زحف خزرون بن فلفول من ملوك مغراوة الى سجلماسة سنة ست وستين وبرز إليه أبو محمد المعتز فهزمه خزرون وقتله واستولى على بلده وذخيرته، وبعث برأسه الى قُرطُبَة مع كتاب الفتح. وكان ذلك لاول حجابة المنصور بن أبي عامر فنسب اليه واحتسب له

(١) كذا وفي ت : حتى إذا فزع له بنو عبيد من الفتنة.
(٢) كذا، وفي ت : « وفشت دعوة الاموية» وهو الاصح.
(٣) كذا، وفي ت : وتلقب.

المنتصر

أبو عمر المعتز أخوه جوهر

بن الشاكر

محمد بن الفتح

أحمد

أخوه مصاله الامير ابن البغي

بن ميمون

سمكون بن أبي المنتصر محمد بن المعتز محمد بن ساور

بن مدرار

قتله عبد الله المهدي

بن اليسع

بن أبي القاسم

الياس

بن سمكو بن واسول بن مصلان بن ماذرن بن تافرسي

بن فراديس بن ونيف بن مكناس

جدًّا ويمن نقيبة ، وعقد لخزرون على سجلماسة ، فأقام دعوة هشام بأنحائها فكانت أول دعوة أقيمت لهم بالأمصار في المغرب الأقصى ، وانقرض أمر بني مدرار ومكناسة من المغرب أجمع . وأديل منهم بمغراوة وبني يفرن حسبما يأتي ذكرهم في دولتهم ، والامر لله وحده وله البقاء سبحانه وتعالى .

الخبر عن دولة بني أبي العافية ملوك تسول من مكناسة وأولية أمرهم وتصاريف أحوالهم

كان مكناسة الظواعن من أهل مواطن ملويّة وكرسيف ومليلة وما اليها من التلول بنواحي تازا وتسول ، والكل يرجعون في رئاستهم الى أبي باسل بن أبي الضحّاك بن أبي يزّول ، وهم الذين اختطوا بلد كرسيف ورباط تازا ولم يزالوا على ذلك من أوّل الفتح . وكانت رئاستهم في المائة الثالثة لمصالة بن حبوس وموسى بن أبي العافية بن أبي باسل ، واستفحل أمرهم في أيامه وعظم سلطانهم وتغلبوا على قبائل البربر بأنحاء تازا الى الكائي ، وكانت بينهم وبين الأدارسة ملوك المغرب لذلك العهد فتن وحروب . وكانوا يغلبونهم على كثير من ضواحيها لما كان نزل بدولتهم من الهرم . ولما استولى عُبيد الله على المغرب واستفحل أمره كانوا من أعظم أوليائه وشيعه ، وكان مُصالَة بن حبُّوس

من أكبر قواده لانحياشه اليه ، وولّاه على مدينة تاهرت والمغرب الأوسط .

ولما زحف مصالة الى المغرب الأقصى سنة خمس وثلثمائة ، واستولى على فاس وعلى سجلماسة وفرغ من شأن المغرب واستنزل يحيى بن ادريس من امارته بفاس إلى طاعة عبيد الله وأبقاه أميراً على فاس عقد حينئذ لابن عمه موسى بن أبي العافية أمير مكناسة على سائر ضواحي المغرب وأمصاره مضافة الى عمله من قبل تسول وتازا وكرسيف وقفل مصالة الى القيروان . وقام موسى بن أبي العافية بأمر المغرب ، وناقضه يحيى بن ادريس صاحب فاس لما يضطغن له من المظاهرة عليه .

فلما عاود مصالة غزو المغرب سنة تسع أغراه ابن أبي العافية بيحيى بن ادريس ، فتقبّض عليه واستصفاه وطرده عن عمله فلحق ببني عمه بالبصرة والريف . وولى مصالة على فاس رَيْحان الكُتامي ، وقفل الى القيروان فهلك ، وعظم ملك ابن أبي العافية بالمغرب . ثم ثار بفاس سنة ثلاث عشرة الحسن بن محمد بن القاسم بن ادريس ، وكان مقداماً شجاعاً ويُلقَّب بالحجام لطعنه في المحاجم . دخل فاس على حين غفلة من أهلها ، وقتل ريحان واليها ، واجتمع الناس على بيعته . ثم خرج لقتاله ابن أبي العافية فتزاحفوا بفحص أداذ ما بين تازا وفاس ، ويعرف لهذا العهد بوادي المطاحن ، واشتدت الحرب بينهم ، وهلك

منهال بن موسى بن أبي العافية في الفتن بمكناسة .

ثم كانت العاقبة لهم وانفض عسكر الحسن ورجع مفلولاً الى فاس فغدر به عامله على عدوة القرويين حامد بن حمدان الهَمَذاني واستمكن من عاقلة ، واستحث ابن أبي العافية للقدوم وأمكنه من البلد ، وزحف الى عدوة الاندلس فملكها وقتل عاملها عبد الله بن ثعلة [1] بن محارب بن محمود ، وولّى مكانه أخاه محمداً ، وطالب حامداً بصاحبه الحسن فدسّ اليه حامد بالفرار تجافياً عن دعاء أهل البيت ، وتدلّى الحسن من السور فسقط وانكسر ساقه ومات مستخفياً بعدوة الاندلس لثلاث ليال منها . وحذر حامد من سطوة أبي العافية فلحق بالمهديّة ، واستولى ابن أبي العافية على فاس والمغرب . أجمع وأجلى الادارِسَة عنه وألجأهم الى حصنهم بقلعة حجر النسر ممايلي البصرة ، وحاصرهم بها مراراً . ثم جمر عليهم العساكر ، وخلف فيهم قائده أبا الفتح فحاصرهم ونهض الى تلمسان سنة تسع عشرة بعد ان استخلف على المغرب الاقصى ابنه مدين . وأنزله بعدوة القرويين .

واستعمل على عدوة الاندلس طِوال بن أبي يزيد وعزل به محمد بن ثَعلبَة . وزحف الى تلمسان فملكها وغلب عليها صاحبها الحسن بن أبي العيش بن عيسى بن ادريس بن محمد بن سليمان ، من

(١) كذا ، وفي ت : ثعبة .

عقب سليمان بن عبد الله أخي ادريس الاكبر الداخل الى المغرب بعده ، فغلب موسى بن أبي العافية الحسن على تلمسان وأزعجه عنها الى مليلة من جزائر ملوية ورجع الى فاس . وقد كان الخليفة الناصر لما فشت دعوته بالمغرب خاطبه بالمقاربة والوعد فسارع الى اجابته ونقض طاعة الشيعة ، وخطب للناصر على منابر عمله فسرح اليه عُبيد الله المهدي قائده ابن أخي مصالة ، وهو حميد بن يصلتن المكناسي قائد تاهرت فزحف في العساكر الى حرَمه سنة احدى وعشرين ، ولقيه موسى بن أبي العافية بفحص مسون فتزاحفوا أياماً . ثم لقيه حميد فهزمه ولحق ابن أبي العافية بتسول فامتنع بها ، وأفرج قائده أبو الفتح عن حصن الأدارسة فاتبعوه وهزموه ونهبوا معسكره .

ثم نهض حميد الى فاس ففرّ عنها مدين بن موسى الى ابنه ، واستعمل عليها حامد بن حمدان كان في جملته وقفل حميد الى افريقية وقد دوّخ المغرب . ثم انتقض أهل المغرب على الشيعة بعد مهلك عُبيد الله ، وثار أحمد بن بكر بن عبد الرحمن بن سهل الُجذامي على حامد بن حمدان فقتله ، وبعث برأسه الى ابن أبي العافية فأرسله الى الناصر بقُرطُبَة واستولى على المغرب .

وزحف ميسور الخصي قائد أبي القاسم الشيعي الى المغرب سنة ثلاث وعشرين ، وخام ابن أبي العافية عن لقائه واعتصم بحصن لكائي . ونهض ميسور الى فاس فحاصرها واستنزل أحمد

ابن بكر عاملها . ثم تقبض عليه وأشخصه الى المهدية ، وبدر أهل فاس بغدره فامتنعوا وقدموا على أنفسهم حسن بن قاسم اللواتي ، وحاصرهم ميسور مدة حتى رغبوا الى السلم ، واشترطوا على أنفسهم الطاعة والاتاوة فتقبل ميسور ورضي ، وأقر حسن ابن قاسم على ولايته بفاس . وارتحل الى حرب ابن أبي العافية فكانت بينهما حروب الى أن غلبه ميسور فتقبض على ابنه الغوري وغربه الى المهدية . وأجلى موسى بن أبي العافية عن أعمال المغرب الى نواحي ملوية ووطاط وما وراءها من بلاد الصحراء وقفل الى القيروان .

ولما مرّ بارشكول خرج اليه صاحبها ملاطفاً له بالتحف ، وهو ادريس بن ابراهيم من ولد سليمان بن عبد الله أخي ادريس الاكبر فتقبض عليه واصطلم نعمته ، وولّى مكانه أبا العيش بن عيسى منهم . وأغذّ السير الى القيروان سنة أربع وعشرين . ورجع موسى بن أبي العافية من الصحراء الى أعماله بالمغرب فملكها وولى على الاندلس أبا يوسف بن محارب الأزدي ، وهو الذي مدن عدوة الأندلس ، وكانت حصوناً . واحتل موسى بن أبي العافية قلعة كوماط ، وخاطب الناصر فبعث اليه مدداً من أسطوله ، وزحف الى تلمسان ففر عنها أبو العيش واعتصم بارشكول فنازله وغلبه عليها سنة خمس وعشرين . ولحق أبو العيش بنكور ، واعتصم بالقلعة التي بناها هنالك لنفسه .

ثم زحف ابن أبي العافية الى مدينة لنكور فحاصرها مدة ثم تغلب عليها وقتل صاحبها عبد البديع بن صالح وخرّب مدينتهم . ثم سرّح ابنه مَدين في العساكر فحاصر أبا العباس بالقلعة حتى عقد له السلم عليها . واستفحل أمر ابن أبي العافية في المغرب الأقصى واتصل عمله بعمل محمد بن خزر ملك مغراوة وصاحب المغرب الأوسط ، وبثّوا دعوة الأمويّة في أعمالها وبعث ابنه مَدين بأمره في قومه . وعقد له الناصر على أعمال ابنه بالمغرب واتصلت يده بيد الخير بن محمد كما كان بين آبائهما .

ثم فسد ما بينهما وتزاحفا للحرب . وبعث الناصر قاضيه منذر ابن سعد لمشارفة أحوالهما واصلاح ما بينهما فتم ذلك كما أراده ، ولحق به سنة خمس وثلاثين أخوه البوري فاراً من عسكر المنصور مع أحمد بن بكر الجذاميّ عامل فاس بعد أن لحقا بأبي يزيد فسار أحمد بن أبي بكر الى فاس وأقام بها متنكراً الى ان وثب بعاملها حسن بن قاسم اللواتي وتخلّى له عن العمل . وصار البوري الى أخيه مدين واقتسم أعمال ابنه معه ومع ابنه الآخر منقذ فكانوا ثلاث الاثافي . وأثار الثوري الناصر سنة خمس وأربعين فعقد الناصر لابنه منصور على عمله وكانت وفاته وهو محاصر لأخيه مدين بفاس ، وأجاز ابناء أبو العيش ومنصور الى الناصر فاجزل لهما الكرامة على سنن أبيهما .

ثم هلك مدين فعقد الناصر لأخيه أبي منقذ على عمله سنة [1] ثم غلب مغراوة على فاس [2] وأعمالها واستفحل أمرهم بالمغرب وأزاحوا مكناسة عن ضواحيه وأعماله ، وساروا الى مواطنهم. وأجاز اسمعيل بن البُوري ومحمد بن عبد الله بن مرين الى الاندلس فنزلوا بها الى أن جازوا مع واضح أيام المنصور كما مرّ عندما نقض زيري بن عطية طاغيتهم سنة ست وثمانين ، فملك واضح المغرب ورجعهم الى أعمالهم . وتغلب بُلُكّين بن زيري على المغرب الأوسط . وغلب عليه ملوكه بني خزر من مغراوة فاتصلت يد مكناسة . ولم يزالوا في طاعة بني زيري ومظاهرتهم . وهلك اسمعيل بن البُوري في حروب حماد مع باديس بشلف سنة خمس وأربعمائة ، وتوارث ملكهم في اعقاب موسى الى أن ظهرت دولة المرابطين ، وغلب يوسف بن تاشفين على أعمال المغرب فزحف اليهم القاسم بن محمد بن عبد الرحمن ابن ابراهيم بن موسى بن أبي العافية ، فاستدعى أهل فاس وصريخ زناتة بعد مهلك معنصرة المغراوي فلقي عساكر المرابطين بوادي صفر [3] فهزمهم ، وزحف اليه يوسف بن تاشفين من

---

(١) كذا بياض بالأصل في جميع النسخ ولم نعثر على التصويب في المراجع التي بين ايدينا .

(٢) كذا ، وفي ب : قابس .

(٣) كذا ، وفي ت : صفير .

مكانه فحاصر قلعة فازاز فهزم القاسم بن محمد وجموع مكناسة وزناتة، ودخل فاس عَنْوَةً كما ذكرناه في أخباره .

ثم زحف الى اعمال مكناسة فاقتحم الحصن وقتل القاسم .

وفي بعض تواريخ المغرب أن مهلك ابراهيم بن موسى كان سنة خمس وأربعمائة . وولي ابنه عبدالله أبو عبد الرحمن ، وهلك سنة ثلاثين ، وولي ابنه محمد وهلك سنة ست وأربعين، وولي ابنه القاسم وهلك بتسول عند اقتحام لَمتونَة عليه سنة ثلاث وستين . وانقرض ملك مكناسة من المغرب بانقراض ملك مغراوة ، والامر لله وحده . وبقي من قبائل مكناسة لهذا العهد بهذه المواطن افاريق في جبال تازا بعد ما تمرّست بهم الدول، وأناخت بساحتهم الامم . وهم موصوفون بوفور الجباية وقوة الشكيمة . ولهم عناء في مظاهرة الدولة ، وحقوق عند الحشد والعسكرة . وفيهم مؤن من الخيالة . ومن مكناسة «غير هؤلاء» أوزاع في القبائل لهذا العهد مفرّقون في نواحي افريقية والمغرب الاوسط . «ان يشأ يذهبكم ويأتِ بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز» وهذا آخر الكلام في بني ورصطيف ، فلنرجع الى من بقي علينا من البربر وهم زناتة ، والله ولي العون وبه المستعان .

القاسم بن محمد بن عبد الله بن ابراهيم ——— بن موسى بن أبي العافية بن أبي باسل بن أبي الضحاك بن أبي يزول بن تافرسين بن فراديس بن ونيف بن مكناس

أخبار البرانس من البربر

ولنبدأ اولا بالخبر عن هوارة من شعوبهم وذكر بطونهم وتصاريف احوالهم وافتراق شعوبهم في عمالات افريقية والمغرب

وهوارة هؤلاء من بطون البرانس باتفاق من نسابة العرب والبربر ولد هوار بن أوريغ بن برنس، إلا ما يزعم بعضهم أنهم من عرب اليمن . تارة يقولون من عاملة احدى بطون قضاعة، وتارة يقولون من ولد المسّور بن السكاسك بن واثل بن حمير . واذا تحروا الصواب المسور بن السكاسك بن أشرس بن كندة وينسبونه هكذا : هوار بن أوريغ بن خنّون بن المثنى بن المسور . وعند هؤلاء أن هوارة وصنهاجة ولمطة وكزولة وهكسورة يعرف جميعهم بني ينهل [1] وان المسور جدهم جميعاً . وانه وقع الى البتر [2] ، ونزل على بني زحيك ابن مادغيس الابتر . وكانوا أربعة اخوة : لوا وضرا [3] وأدّاس ونفوس . وانهم زوّجوه أختهم تيسكي العرجاء بنت زحيك فولدت منه المثنى أبا هوارة وتزوجها بعد المسور عاصيل ابن زعزاع أبو صنهاجة

(١) كذا ، وفي ت : تيمكى .
(٢) كذا ، وفي ت : البربر .
(٣) كذا ، وفي ت: ضريس .

ولمطة وكزولة وهسكورة كما يأتي فيما بعد أنهم اخوة المثنى لامه ، وبها عرف جميعهم .

قالوا : وولد المثني بن المسور خبّوز وولد خبوز بن المثنى ريغ الذي يقال فيه أوريغ بن برنس ، ومنه تفرقت قبائل هوارة . قالوا : انما سميت هوارة لان المسور لما جال البلاد ووقع في المغرب قال : لقد تهورنا . هكذا عند بعض نسابة البربر . وعندي ، والله أعلم ان هذا الخبر مصنوع ، وان أثر الصنعة بادٍ عليه . ويعضد ذلك ان المحققين ، ونسابتهم مثل سابق وأصحابه قالوا : ان بطون اداس بن زحيك دخلت كلها في هوارة من أجل ان هوار خاف زحيك على أم اداس ، فربي اداس في حجره وزحيك على ما في الخبر الاول هو جد هوار لان المثني جدّه الأعلى هو ابن تيصكي ، وهي بنت زحيك فهو الخامس من زحيك فكيف يخلفه على امرأته . هذا بعيد ، والخبر الثاني أصح عند نسابتهم من الاوّل .

وأما بطون هوارة فكثير وأكثرهم بنو نبه وأوريغ اشتهروا نسبة لشهرته وكبر سنه من بينهم فانتسبوا جميعاً اليه . وكان لأوريغ أربعة من الولد : هوار وهو أكبرهم ، ومغر وقلدن وملد ، ولكل واحد منهم بطون كثيرة ، وكلهم ينسبون الى هوار . فمن بطون مغرماوس وزمّور وكياد وسراي ذكر هذه البطون الأربعة ابن حزم ، وزاد سابق المطاطي وأصحابه ورجين

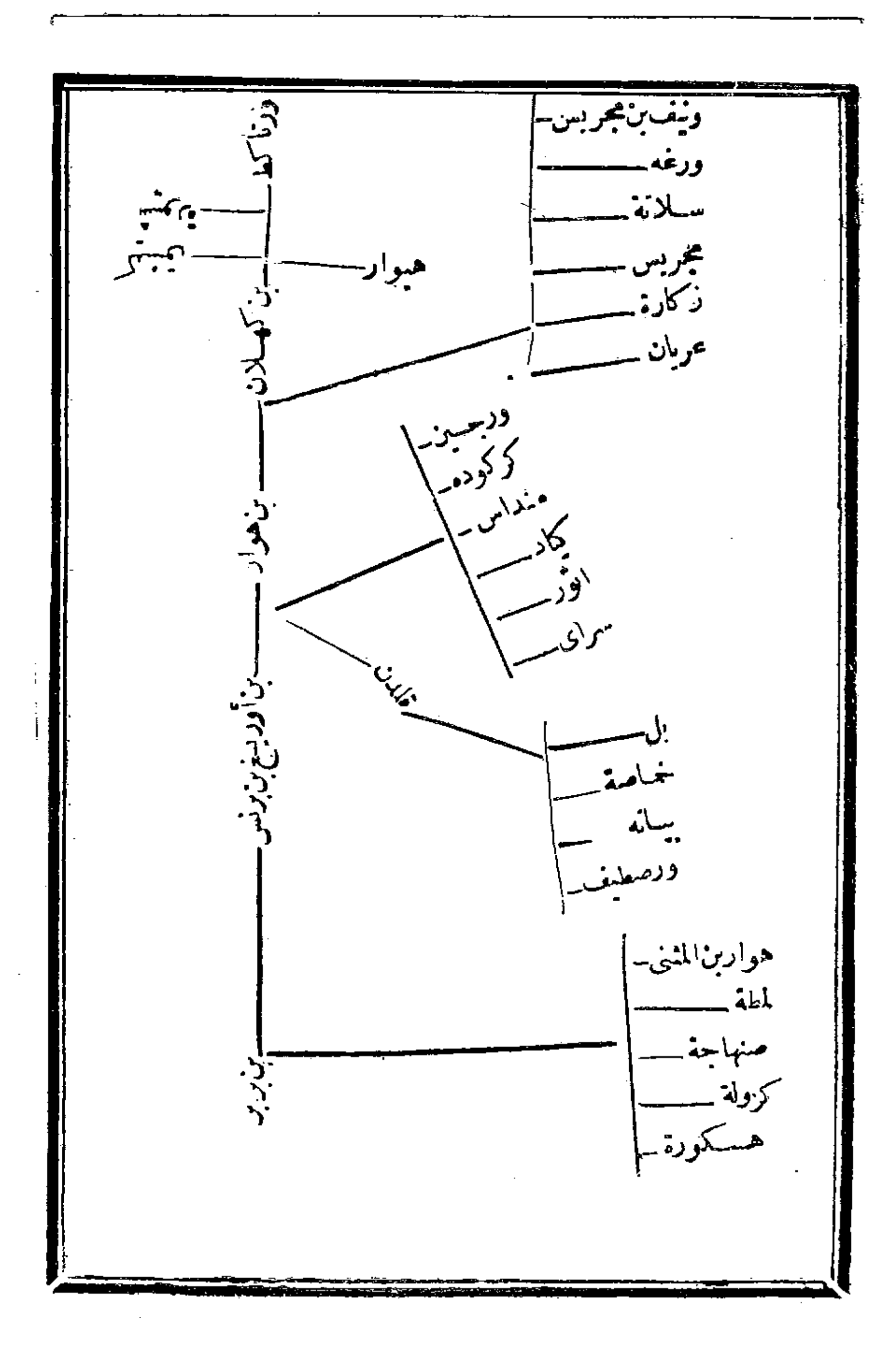
ومنداسة وكركودة . ومن بطون قلدن : قمصانة وورصطيف وبيانة [١] . وبل ذكر هـذه الاربعـة ابن حزم وسابق . ومن بطون ملد مليلة ووسطَطَ ووَزْفل : واسيل ومسراتة ذكرها ابن حزم وقال : جميعهم بنو لهان بن ملد وكذا عند سابق . ويقال إن ونيفن أيضاً من لهانة .

ومن بطون هوارة بنو كهلان . ويقـال ان مليـلة من بطونهم . وعند نسـابة البربر من بطونهم غريان وورغة وزكاوة ومَسَلّاتة ومجريس . ويقال ان ونيفن منهم . ومجريس لهذا العهد ينتسبون الى ونيفن . وعند سابق وأصحابه أن بني كهلان وريجن احـدى بطون مغر ، وأن من بطون بني كهـلان بني كسي وورتاكط ولشوه [٢] وهيوارة . وأمـا بطون اداس بن زحيك بن مـادغيس الامراء الذين دخـلوا في هوّارة فكثير . فنهم هراغة وترهونة وشتاتة وانداوة وهنزونة وأوطيطة وصنبرة . هؤلاء باتفاق من ابن حزم وسابق وأصحابه .

وكانت مواطن الجمهور من هوارة هؤلاء ، ومن دخل في نسبهم من اخوانهم البُرانس والصُمُر [٣] لاول الفتـح بنواحي طرابلس وما يليها من برقة كما ذكـره المسعودي والبكري .

---

(١) كذا ، وفي ت : بيانة .
(٢) كذا ، وفي ت : تيسوة . وفي ب : مشوه . وفي نسخة أخرى شوه .
(٣) كذا ، وفي ت : والبتر .


ونيف بن مجربس
ورغه
سلانة
مجربس
زكارة
عريان
هبوار
بن كهلان
ورجين
كركوده
مندا
يكاد
اوزر
سراي
بن لهوار
بل
خماصة
بيانه
ورصطيف
بن أوريغ بن برنس
هوار بن المثنى
لمطة
صنهاجة
كزولة
هسكورة
بن بر

وكانوا ظواعن وآهلين . ومنهم من قطع الرمل الى بـلاد القفر وجاوزوا لمطة من قبائل الملثمين فيما يلي بلاد كوكو من السودان تجاه افريقية ، ويعرفون بنسبهم هُكّارة ، قلبت العجمـة واوه كافا أعجمية تخرج بـين الكاف العربية والقـاف . وكان لهم في الردة وحروبها آثار ومقامات . ثم كان لهم في الخارجية والقيام بها ذكر ، وخصوصاً بالاباضية منهـا . وخرج على حنظـلة منهم عبد الواحد بن يزيد مع عكاشـة الفزاري ، فكانت بينهما وبين حنظلة حروب شديدة . ثم هزمها وقتلهما وذلك سنة أربع وعشرين ومائه أيام هشام بن عبد الملك . وخرج على يزيد بن حـاتم سنة ست وخمسين ومائة يحيى بن فوناس منهم ، واجتمع اليه كثـير من قومه وغيرهم .

وزحف اليه قائد طرابلس عبد الله بن السمط الـكندي على شاطيء البحر بسواريه من سواحلهم فانهزم وقتل عامة هُوارة . وكان منهم مع عبد الرحمن بن حبيب مجاهد بن مسلم من قواده . ثم أجـاز منهم الى الاندلس مع طـارق رجالات مـذكورون واستقروا هنالك ، وكان من حلفهم بنو عامر بن وهب أمير رندة أيام لمتونة ، وبنو ذي النون الذين ملكوها من أيديهم ، واستضافوا معها طُلَيطِلة . وبنو رزّين أصحاب السهـلة . ثم ثارت هوارة من بعد ذلك على ابراهيم بن الاغلب سنة ست وتسعين ومـائة ، وحاصروا طرابلس وافتتحوها فخربوها . وتولى كبر ذلـك منهم

عياض بن وهب وسرح ابراهيم اليهم ابنه أبا العباس فهزمهم وقتلهم وبنى طرابلس .

وجاءا هوارة بعبد الوهاب بن رستم من مكان امارتهم بتاهرت فجاءهم واجتمعوا اليه ومعهم قبائل نفوسة . وحاصروا أبا العباس بن الأغلب بطرابلس الى أن هلك أبوه ابراهيم بالقيروان ، وقد عهد اليه فصالحهم على أن يكون الصحراء لهم . وانصرف عبد الوهاب الى نفُوسة . ثم اصحبوا بعد ذلك وغزوا مع الجيوش صقلية ، وشهد فتحها منهم زواوة بن نعم الحلفاء . ثمَّ كان لهم مع أبي يزيد النكاري وفي حروبه مقامات مذكورة ، اجتمعوا اليه من مواطنهم بجبل أوراس ومرماجنه لما غلب عليه وأخذ أهلها بدعوته فانحاشوا الى ولايته وفعلوا الأفاعيل . وكان من أظهرهم في تلك الفتنة بنو كهلان .

ولمَّا هلك أبو يزيد كما نذكره سطا اسمعيل المنصور بهم وأثخن فيهم ، وانقطع ذكر بني كهلان . ثم جرّت الدول عليهم اذيالها ، وأناخت بكلاكلها ، وأصبحوا في عداد القبائل الغارمة من كل ناحية : فمنهم لهذا العهد بمصر أوزاع متفرقون أوطنوها أكرة وعباره وشاوية ، وآخرون موطنون ما بين برقة والاسكندرية يعرفون بالمثالينة ، ويظعنون مع الحرة [1] من بطون هيب من سُلَيم بأرض التلول من افريقية ما بين تَبَسَة الى

(١) كذا ، وفي ت : العزة .

مرماجنة الى باجة . ظواعن صاروا في عداد النباجعة عرب بني سليم في اللغة والزي وسكنى الخيام وركوب الخيل ، وكتب الابل وممارسة الحروب ، وايلاف الرحلتين في الشتاء والصيف في تلولهم . قد نسوا رطانة البربر ، واستبدلوا منها بفصاحة العرب فلا يكاد يفرق بينهم . فأولهم مما يلي تَبَسّة قبيلة ونيقش ، ورئاستهم لهذا العهد في ولد يفرن بن حنّاش لاولاد سليم بن عبد الواحد ابن عسكر بن محمد بن يفرن ، ثم لأولاد زيتون بن محمد بن يفرن ، ولأولاد دِحْمان بن فلان بعده . وكانت الرئاسة قبلهم لسارية من بطون ونيفن ومواطنهم ببسائط مَرْماجة وتبسة وما اليهما .

ويليهم قبيلة اخرى في الجانب الشرقي منهم يعرفون بقيصرون ورئاستهم في بيت بني مؤمن ما بين ولد زَعازِع وولد حَرَكات ومواطنهم بفحص أبّه وما اليهما من نواحي الأُرَبس . وتليهم الى جانب الشرق قبيلة أخرى منهم يعرفون بنصورة ، ورئاستهم في بيتّ الرمامِنَة لولد سليمان بن جامع منهم . ويرادفهم في رئاسة نصرة [1] قبيلة وِزْبهامَة [2] ، ومواطنهم ما بين تبسة الى حامة الى جبل الزنجار الى اطار على ساحل تونس وبسائطها . ويجاورهم متساحلين الى ضواحي باجة قبيلة أخرى من هوارة يعرفون بني

(١) كذا ، وفي ت : نصوة .
(٢) كذا وفي ت : وزمانة .

سليم ، ومعهم بطن من عرب مُضَر من هَـذيل بن مُـدْرِكة بن الياس . جاؤا من مواطنهم بالحجاز مع العرب الهلاليين عند دخولهم الى المغرب ، واستوطنوا بهذه الناحية من افريقية ، واختلطوا بهوارة وحملوا في عدادهم .

ومعهم أيضاً بطن آخر من بطون رياح من هلال ينتمون الى عتبة بن مالك بن رياح صاروا في عدادهم ، وجروا على مجراهم من الظعن والمغرم . ومعهم أيضاً بطن من مِرداس بني سليم يعرفون ببني حبيب . ويقولون : هو حبيب بن مالك . وهم غارمة مثل سائر هوارة . وضواحي افريقية لهذا العهد معمورة بهؤلاء الظواعن . ومعظمهم من هوارة . وهم أهل بقر وشاء وركوب للخيل وللسلطان بافريقية ، عليهم وظائف من الجباية ، وضعها عليهم دهاقين العمال بديوان الخراج ، قوانين مقرّرة وتضرب عليهم مع ذلك البعث في غزوات السلطان بعسكر مفروض يحضر بمعسكر السلطان متى استنفروا لذلك .

ولرؤسائهم آراء قاطعات ومكان في الدول بين رجالات البدو ، ويربطون هوارة بمواطنهم الاولى من نواحي طرابلس ظواعن وآهلين ، توزعتهم العرب من دباب فيما توزعوه من الرعايا وغلبوهم على أمرهم منذ ضحا عملهم من ظل الدولة فتملكوهم تملك العبيد للجباية منهم والاستكثار منهم في الانتجاع والحرب

مثل : ترهونة وورقلة ، الظواعن . ومجريس الموطنين بزرنزور من ونيفن وهي قرية من قرى طرابلس ومن هوارة هؤلاء بآخر عمل طرابلس مما يلي بلد سرت وبرقة قبيلة يعرفون بمسراتة لهم كثرة واعتزاز ، ووضائع العرب عليهم قليلة ويعطونها من عزة . وكثيراً ما ينقلون في سبيل التجارة ببلاد مصر والاسكندرية . وفي بلاد الجريد من افريقية وبأرض السودان الى هذا العهد .

واعلم ان في قبلة قابُس وطرابلس جبالاً متصلًا بعضها ببعض من المغرب الى المشرق ، فأوّلها من جانب الغرب جبل دمّر يسكنه أمم من لُواتة ويتصلون في بسيطه الى فاس [1] وصفاقس من جانب الغرب ، وأمم أخرى من نفوسة من جانب الشرق . وفي طوله سبع مراحل ، ويتصل به شرقاً جبل نفوسة تسكنه أمة كبيرة [2] من نفوسة ومغراوة وسدراته ، وهو قبلة طرابلس على ثلاث مراحل عنها . وفي طوله سبع مراحل . ويتصل به من جانب الشرق جبل مسلاتة ، ويعتمره قبائل هوارة الى بلد مسراتة ويفضي إلى بلد سرت وبرقة وهو آخر جبال طرابلس . وكانت هذه الجبال من مواطن هوارة ونفوسة ولواتة . وكانت هنالك مدينة صغيرة بلد نفوسة قبل الفتح

(١) كذا ، وفي ت : قابس .
(٢) كذا ، وفي ت : أمم كثيرة .

وكانت برقة من مواطن هوارة هؤلاء . ومنهم مكان بني خطّاب ملوك زويلة احدى أمصار برقة ، كانت قاعدة ملكهم حتى عرفت بهم ، فكان يقال زويلة بن خطاب .

ولما خربت انتقلوا منها الى فزان من بلاد الصحراء وأوطنوها ، وكان لهم بها ملك ودولة ، حتى اذا جاء قراقوش الغزي الناصري مملوك تقي الدين ابن أخي صلاح الدين ، كما نذكر في مكانه عند ذكر الميورقي بن مسوفة وأخباره وافتتح زَلّة وأوجلة وافتتح فزان بعدها ، وتقبض على عاملها محمد بن

…ارى بن سليم بن عبد الواحد بن عسكر بن تعرون بن جناح بن ونيفن بن لهانة بن هوار

بعرة بن وامون

خطاب بن يصلتن بن عبد الله بن صنفل بن خطاب آخر ملوكهم ، وامتحنه وطالبه بالاموال ، وبسط عليه العذاب الى ان هلك وانقرض أمر بني خطاب وهؤلاء الهواريين .

ومن قبائل هوارة هؤلاء بالمغرب أمم كثيرة في مواطن من أعمال تعرف بهم ، وظواعن شاوية تنتجع لسرحها في نواحيها ، وقد صاروا عبيداً للمغارم في كل ناحية . وذهب ما كان لهم من الاعتزاز والمنعة أيام الفتوحات بسبب الكثرة ، وصاروا الى الافتراق في الاودية بسبب القلة والله مالك الامور . ومن أشهرهم بالمغرب الأوسط أهل الجبل المطل على البطحاء ، وهو مشهور باسم هوارة وفيه من مسراتة وغيرهم من بطونهم ، ويعرف رؤساؤهم من بني اسحق . وكان الجبل من قبلهم فيما زعموا لبني يلومين . فلما انقرضوا صار اليه هوارة وأوطنوه ، وكانت رئاستهم في بني عبد العزيز منهم . ثم ظهر من بني عمهم رجل اسمه اسحق ، واستعمله ملوك القلعة ، وصارت رئاستهم في عقبه بني اسحق واختط كبيرهم محمد بن اسحق القلعة المنسوبة اليهم .

وورث رئاسته فيهم أخوه حيّون وصارت في عقبه . واتصلوا بالسلطان أيام ملك بني عبد الواد على المغرب الأوسط ، وانتظموا في شرائعهم . واستعمل أبو تاشفين من ملوكهم يعقوب بن يوسف ابن حيّون قائداً على بني توجين عندما غلبهم على أمرهم ،

المغارم عليهم فقام بها أحسن قيـام دوّخ بلادهم ، واذلّ من عزهم . وبعد أن غلب بنو مرين بني عبـد الواد على المغرب الاوسط استعمل السلطان أبو الحسن عبد الرحمن بن يعقوب على قبيلة هؤلاء . ثم استعمل بعده عمه عبد الرحمن ، ثم ابنـه محمد ابن عبد الرحمن بن يوسف . ثم تلاشى حال هـذا القبيل وخف ساكن الجبل بما اضطهدتهم دولة بني عبد الواد ، وأجحفت بهم في الظلامات . وانقرض بيت بني اسحق ، والامر على ذلك لهذا العهد ، والله وارث الارض ومن عليها .

الخبر عن ازداجة ومسطاسة وعجيسة من بطون البرانس ووصف احوالهم

أما ازداجة ويعرفون أيضاً وزداجـة فمن بطون البرانس ، وكثير من نسابة البربر يعدّونهم في بطون زناتـة . وقد يقال ان ازداجة من زناتة ووزداجة من هوارة ، وانهما بطنـان مفترقان وكان لهم وفور وكثرة . وكانت مواطنهم بالمغرب الأوسـط بناحية وهران ، وكان لهم اعتزاز وآثار في الفتن والحروب . ومسطاسة مندرجون معهم فيقال انهم من عداد بطونهم ، ويقال انهم اخوة مسطاس اخي وزداج والله أعلم .

وكان من رجـالتهم المذكورين شجرة بن عبـد الكريم المسطاسي وأبو دليم بن خطاب . وأجـاز أبو دليم الى الاندلس

من ساحل تلمسان ، وكان لبنيه بها ذكر وفي فقهاء قرطبة مكان .
وكان من بطون ازداجــة بنو مسقن وكانوا يجاورون وهران
ونزل مرسى وهران من رجال الدولة الاموية محمد بن أبي عون
ومحمد بن عبدون ، فداخلوا بني مسكن وملكوا وهران سبع
سنين مقيمين فيها للدعوة الاموية . فلما ظهرت دعوة الشيعــة
وملك عبيد الله المهدي تاهرت وولى عليهــا دواس بن صولات
اللهيصي من كتامة ، وأخذت البرابرة بدعوتهم أوعز دواس بحصار
وهران فزحفوا اليها سنة سبع وتسعين وداخلوا بني مسكن في
ذلك فأجابوهم ، وفر محمد بن أبي عون فلحق بدوّاس بن صولات
واستبيحت وهران وأضرمت ناراً .

ثم جدد بناءها دواس وأعاد محمد بن أبي عون الى ولايتهــا
فعادت أحسن ما كانت وامراء تلمسان لذلك العهد من الأدارسة
بنو أحمد بن محمد بن سليمان ، وسليمان أخو ادريس الأكبر كما
ذكرناه . وكانوا يقيمون دعوة الأموية لذلك العهد . ثم ولي على
تاهرت أيام أبي القاسم بن عبد الله أبا مــالك يغمراسن بن أبي
سمحة ، وانتقض عليه البربر فحاصروه عند زحف ابن أبي العافية
الى المغرب الأوسط بدعوة المروانية وكان ممن أخــذ بها محمد
ابن أبي عون صاحب وهران وسرّح أبو القاسم ميسوراً مولاه
الى المغرب وأتاه محمد بن عون بطاعته فقبلها وأقرّه على عمله .
ثم نكث محمد بن عون عنــد منصرف ميسور من المغــرب ،

وراجع طاعة المروانية .

ثم كان شأن أبي يزيد وانتقاض سائر البرابرة على العُبيديين، واستفحل أمر زناتة وأخذوا بدعوة المروانين . وكان الناصر عقد ليعلى بن أبي محمد اليفرني على المغرب فخاطبه بمُراوَغة محمد بن أبي عون وقبائل إزْدَاجَة في الطاعة للعداوة بين القبيلتين بالمجاورة ، وزحف الى ازداجة فحصرهم بجبل كَيدَرة . ثم تغلب عليهم واستأصلهم وفرق جماعتهم وذلك لسنة ثلاث وأربعين وثلثمائة، ثم زحف الى وهران ونازلها ، ثم افتتحها عنوة وأضرمها ناراً . واستلحم ازداجة ولحق رئاستهم بالاندلس فكانوا بها ، وكان منهم خُزرون بن محمد من كبار أصحاب المنصور بن أبي عامر وابنه المظفر وأجاز الى المغرب وبقي ازداجة بعد ذلك على حال من الهضيمة والمذلة وانتظموا في عداد المغارم من القبائل .

وأما العُجَيسَة : وهم بطون البُرانس من ولد عجيسة من بُرنسْ ومدلول هذا الاسم البطن ، فانّ البربر يسمون البطن بلغتهم عدّس بالدال المشددة فلما عربتها العرب قلبت دالها جيما مخففة ، وكان لهم بين البربر كثرة وظهور ، وكانوا مجاورين في بطونهم لصنهاجة . وبقاياهم لهذا العهد في ضواحي تونس والجبال المطلة على المَسِيلَة، وكانت منهم من بطون يسكنون جبل القلعة . وكان لهم في فتنة أبي يزيد أثر . ولما هزمه المنصور لجأ اليهم واعتصم بقلعة كتامة من حصونهم حتى اقتحم عليه . ثم بادر حمّاد

بن بُلكّين من بعد ذلك مكاناً لبناء مدينة فاختطها بينهم ونزلها ووسع خطتها واستبحر عمرانها . وكانت حاضرة لملك آل حمّاد فاخلفت هذه المدينة من جدّة عجيسة لما تمرست بهم، وخضدت من شوكتهم وراموا كيد القلعة مراراً، وأجلبوا على ملوكها بالاعياص منهم فاستلحمهم السيف . ثم هلكوا وهلكت القلعة من بعدهم وورثت مواطنهم بذلك الجبل عياض من أفاريق العرب الهلاليين وسمي الجبل بهم. وفي القبائل بالمغرب كثير من عجيسة هؤلاء مفترقون فيهم والله أعلم .

الخبر عن أوربة من بطون البرانس وما كان لهم من الردة والثورة وما صار لهم من الدعاء لادريس الاكبر

وكانت البطون التي فيها الكثرة والغلب من هؤلاء البربر البتر كلهم لعهد الفتح أوربة وهُوارة وصنهاجة من البُرانس ونفوسة وزناتة ومَطغَرة ونَفْزاوة من البتر، وكان التقدم لعهد الفتح لاوربة هؤلاء بما كانوا أكثر عدداً وأشد بأساً وقوة . وهم من ولد أَوْرَب بن برنس، وهم بطون كثيرة، فنهم بجاية ونفاسة ونعجة وزهكوجة ومزياتة ورَغيوة ودَيفُوسة . وكان أميرهم بين يدي الفتح سكرديد بن زوغي بن بارزت بن برزيات . ولي عليهم مدة ثلاث وسبعين سنة، وأدرك الفتح الاسلامي، ومات سنة

احدى وسبعين وولي عليهم من بعده كسيلة بن لزم [١] الأوربي فكان اميراً على البُرانس كلهم . ولما نزل أبو المهاجر تلمسان سنة خمس وخمسين ، كان كسيلة بن لزم مرتاداً بالمغرب الأقصى في جموعه من اوربة وغيرهم فظفر به أبو المهاجر وعرض عليه الاسلام فأسلم ، واستنقذه وأحسن اليه وصحبه .

وقدم عُقبة في الولاية الثانية أيام يزيد سنة اثنتين وستين فاضطغن عليه صحابته لأبي المهاجر ، وتقدم أبو المهاجر في اصطناعه فلم يقبل وزحف الى المغرب ؛ وعلى مقدمته زهير بن قيس البَلَوي فدوّخه . ولقيه ملوك البربر ومن انضم اليه من الفرنجة بالزاب وتاهرت فهزمهم واستباحهم ، وأذعن له بُليان أمير غمارة ولاطفه وهاداه ، ودلّه على عورات البرابرة وراءه أبو ليلة والسوس وما والاهما من مجالات الملثمين فغنم وسبى ، وانتهى الى ساحل البحر ، وقفل ظافراً .

وكان في غزاته تلك يستهين كسيلة ويستخف به وهو في اعتقاله . وأمره يوماً بسلخ شاة بين يديه فدفعها الى غلمانه ، وأراده عقبة على أن يتولاها بنفسه ، وانتهره فقام اليها كسيلة مغضباً . وجعل كلما دسّ يده في الشاة يمسح بلحيته ، والعرب يقولون ما هذا يا بربري ؟ فيقول : هذا جيد للشعر فيقول لهم شيخ منهم ان البربري يتوعدكم . وبلغ ذلك أبا المهاجر فنهى عقبة عنه

(١) كذا ، وفي ت ، لزم . وفي ب : لرم .

وقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستألف جبابرة العرب، وأنت تعمد الى رجل جبار في قومه بدار عزه قريب عهد بالشرك فتفسد قلبه وأشار عليه بأن يوثق منه . وخوفه فتكه فتهاون عقبة بقوله .

فلما قفل عن غزاته وانتهى الى طِبنَة صرف العساكر الى القيروان أفواجاً ثقة بما دوّخ من البلاد، وأذل من البربر حتى بقي في قليل من الناس . وسار الى تهودة أوبادس لينزل بها الحامية . فلما نظر اليه الفرنجة طمعوا فيه وراسلوا كسيلة بن لزم ودلوه على الفرصة فيه فانتهزها، وراسل بني عمه ومن تبعهم من البربر، واتبعوا عُقبَة وأصحابه رضي الله عنه حتى اذا غشوه بتهودة ترجّل القوم وكسروا أجفان سيوفهم، ونزل الصبر واستلحم عقبة وأصحابه رضي الله عنهم ولم يفلت منهم أحد، وكانوا زهاء ثلثمائة من كبار الصحابة والتابعين استشهدوا في مصرع واحد، وفيهم أبو المهاجر كان أصحبه في اعتقاله فأبلى رضي الله عنه في ذلك اليوم البلاء الحسن وأجداث الصحابة رضي الله عنهم اولئك الشهداء عقبة وأصحابه بمكانهم ذلك من أرض الزاب لهذا العهد .

وقد جعل على قبر عقبة اسنمة ثم جصص واتخذ عليه مسجد عرف باسمه وهو في عداد المزارات ومظان البركة، بل هو أشرف مزور من الاجداث في بقاع الأرض لما توفر فيه من عدد الشهداء من الصحابة والتابعين الذين لا يبلغ أحد مدّ

أحدهم ولا نصيفه. وأسر من الصحابة يومئذ محمد بن أويس الانصاري ويزيد بن خلف القيسي ونفر معهم ففداهم ابن مصاد صاحب قفصة. وكان زهير بن قيس البلوي بالقيروان، وبلغه الخبر فخرج هارباً وارتحل بالمسلمين ونزل برقة وأقام بها ينتظر المدد من الخلفاء. واجتمع الى كسيلة جميع أهل المغرب من البربر والفرنجة، وزحف الى القيروان فخرج العرب منها ولحقوا بزهير بن قيس، وبقي بها أصحاب الذراري والاثقال فأمنهم ودخل القيروان وأقام أميراً على افريقية ومن بقي بها من العرب خمس سنين.

وقارن ذلك مهلك يزيد بن معاوية وفتنة الضحّاك بن قيس مع المروانية بمرج راهط، وحروب آل الزبير فاضطرب أمر الخلافة بعض الشيء واضطرم المغرب ناراً، وفشت الردّة في زناتة والبُرانس. ثم استقل عبد الملك بن مروان من بعد ذلك بالخلافة وأذهب بالمشرق آثار الفتنة. وكان زهير بن قيس مقيماً ببرقة منذ مهلك عقبة فبعث اليه بالمدد وولاه حرب البرابرة والثأر بدم عُقبة فزحف اليها في آلاف من العرب سنة سبع وستين. وجمع كسيلة البرانس وسائر البربر، ولقيه بجيش[1] من نواحي القيروان، واشتد القتال بين الفريقين.

ثم انهزم البربر وقتل كسيلة ومن لا يحصى منهم، واتبعهم

(١) كذا، وفي ت: بمس. (وممس اسم بلد).

العرب الى مرماجنّة ثم الى ملوية ، وذل البربر ولجأوا الى القلاع والحصون وخضدت شوكة أوربة من بينهم ، واستقرّ جمهورهم بديار المغرب الأقصى فلم يكن بعدها لهم ذكر . واستولوا على مدينة وليلى بالمغرب وكانت ما بين موضع فاس ومكناسة بجانب جبل زَرهون وأقاموا على ذلك ، والجيوش من القيروان تدوّخ المغرب مرة بعد أخرى الى أن خرج محمد بن عبد الله بن حسن ابن الحسن بن علي أيام المنصور ، وقتل بالمدينة سنة خمس وأربعين . ثم خرج بعده ابن عمه حسين بن علي بن حسن المثلث ابن حسن المثنى ابن الحسن السبط أيام الهادي وقتل بفخ على ثلاثة أميال من مكة سنة تسع وستين ومائة ، واستلحم كثير من أهل بيته . وفرّ لادريس بن عبد الله الى المغرب ونزل على أوربة سنة اثنتين وسبعين ، وأميرهم يومئذ ابو ليلى اسحق بن محمد بن عبد الحميد منهم فأجاره ، وجمع البرابر على دعوته . واجتمعت عليه زُواغة ولُواتة وسُدراتة وغياثة ونفزة ومكناسة وغُمارة وكافة برابرة المغرب فبايعوه وائتمروا بأمره . وتمّ له الملك والسلطان بالمغرب ، وكانت له الدولة التي ورثها أعقابه الى حين انقراضها كما ذكرنا في دولة الفاطميين والله تعالى اعلم .

الخبر عن كتامة من بطون البرانس وما كان لهم من العز والظهور على القبائل وكيف تناولوا الملك من أيدي الاغالبة بدعوة الشيعة

هذا القبيل من قبائل البربر بالمغرب ، وأشدّهم بأساً وقوة ، وأطولهم باعاً في المُلك عند نسّابة البربر من ولد كتام بن برنس ، ويقال كتم ونسّابة العرب يقولون إنهم من حمير ذكر ذلك ابن الكلبي والطبري . وأوّل ملوكهم أفريقش بن قيس بن صيفي من ملوك التبابعة ، وهو الذي افتتح افريقية وبه سميت ، وقتل ملكها جرجير وسمي البربر بهذا الاسم كما ذكرناه . ويقال أقام في البربر من حمير صنهاجة وكتامة فهم الى اليوم فيهم ، وتشعبوا في المغرب وانبثوا في نواحيه إلّا أنّ جمهورهم كانوا لاوّل الملة بعد تهييج الردة وطيخة تلك الفتن موطنين بارياف قسطنطينة الى تخوم بجاية غرباً الى جبل أوراس من ناحية القبلة . وكانت بتلك المواطن بلاد مذكورة أكثرها لهم وبين ديارهم ومجالات تقلّبهم مثل ابكجان وسُطَيف وباغاية ونقاوس ويلزمة ويتكست وميلة وقسطنطينة والسيكرة والقُل وجَيجَل ، من حدود جبل أوراس الى سيف البحر ما بين بجاية وبونة .

وكانت بطونهم كثيرة يجمعها كلها غُرسن ويسّودة ابنا كتم ابن برنس فمن يسّودة فلاسة ودِنهاجة ومَتوسة ووريسن كلهم بنو يسودة بن كتم . والى دنهاجة ينسب قصور كتامة بالمغرب

لهذا العهد . ومن غُرسُن مُصَالة وقـلان وما وطن ومعَّاذ بنو غرسن بن كتم ، ولهيصة وجيملة ومسَّالته بنو يناوة بن غرسن ، وإجّانة وغسمان وأوفاس بنو يطاسن بن غرسن وملوسة من ايان ابن غرسن . ومن ملوسة هؤلاء بنو زُلْدوي أهـل الجبل المطل على قسطنطينة لهذا العهد . وبعد البرابرة من كتامة بنو يستيتن وهَشْتَيوَة ومصالة وبني قِنسِيلَة . وعدّ ابن حزم منهم زُوَاوَة بجميع بطونهم وهو الحق على ما تقدّم .

وكان من هذه البطون بالمغرب الاقصى كثير منتـدبون عن مواطنهم وهم بها الى اليوم ، ولم يزالوا بهذه المواطن وعلى هـذه الحالة من لدن ظهور الملة وملـك المغرب الى دولة الاغـالبة . ولم تكن الدولة تسومهم بهضيمة ولا ينالهم تعسف لاعتزازهم بكثرة جموعهم ، كما ذكره ابن الرقيق في تاريخه إلى أن كان من قيـامهم في دعوة الشيعة ما ذكرناه في دولتهم عند ذكر دولة الفـاطميين إثر دولة بني العباس ، فانظره هنالك وتصفحه تجد تفصيله . ولما صار لهم الملك بالمغرب زحفوا الى المشرق فملكوا الاسكندرية ومصر والشام ، واختطوا القاهرة أعظم الامصار بمصر ، وارتحل المعز رابع خلفائهم فنزلها وارتحل معه كتامة على قبائلهم واستفحلت الدولة هنالك وهلكوا في ترفها وبذخها .

وبقي في مواطنهم الاولى بجبل أوراس وجوانبه من البسائط بقايا من قبائلهم على أسمائها والقابها ، والآخرون بغير لقبهم وكلهم

رعايا معبدون للمغارم إلّا من اعتصم بقنة الجبل مثل بني زلدوي بجبالهم وأهل جبال جيجل وزواوة ، وزواوة أيضاً في جبالهم . وأما البسائط فاشهر من فيها منهم قبائل سَدويكش ورئاستهم في أولاد سواق . ولا أدري الى من يرجعون من قبائل كتامة المسمين في هذا الكتاب . إلّا أنهم منهم باتفاق من أهل الاخبار . ونحن الآن ذاكرون ما عرفناه من أخبارهم المتأخرة بعد دولة كتامة والله تعالى ولي العون .

الخبر عن سدويكش ومن اليهم من بقايا كتامة في مواطنهم

هذا الحي لهذا العهد وما قبله من العصور يعرفون بسدويكش وديارهم في مواطن كتامة ما بين قسطنطينة وبجاية في البسائط منها ، ولهم بطون كثيرة مثل سيلين وطرسون وطرغيان وموليت وبني فتنة [1] وبني لماني وكايارة وبني زغلان والبؤرة وبني مزوان وواركسن وسكرال وبني عيّاد ، وفيهم من لماية ومكلاتة وريغة ، والرياسة على جميعهم في بطن منهم يعرفون أولاد سواق لهم جمع وقوّة وعدد وعدة . وكان جميع هذه البطون وعيالهم غارمة فيمتطون الخيل ويسكنون الخيام ويظعنون على الابل والبقر ولهم مع الدول في ذلك الوطن استقامة . وهذا شأن القبائل الاعراب

(١) كذا ، وفي ت : بني قشة . وفي ب : بني فشة .

من العرب لهذا العهد . وهم ينتفون من نسب كتامة ويفرون منه ، لما وقع منذ أربعمائة سنة من النكير على كتامة بانتحال الرافضة وعداوة الدول بعدهم ، فيتفادون بالانتساب اليهم . وربما انتسبوا في سليم من قبائل مُضَر وليس ذلك بصحيح . وانما هم من بطون كتامة ، وقد ذكرهم مؤرخو صنهاجة بهذا النسب ، ويشهد لذلك الموطن الذي استوطنوه من افريقية .

ويذكر نسابتهم ومؤرخوهم أن موطن أولاد سواق منهم كان في قلاع بني بو خِصرَة من نواحي قسطنطينة ومنه انتقلوا وانتشروا في سائر تلك الجهات . واولاد سواق بطنان وهم : أولاد علاوة ابن سواق وأولاد يوسف بن حمُّو بن سواق . فأما أولاد علاوة فكانت الرئاسة على قبائل سَدْوِيكش لهم فيما سمعناه من مشيختنا ، وان ذلك كان لعهد دولة الموحدين وكان منهم علي بن علاوة وبعده ابنه طلحة بن علي ، وبعده اخوه يحيى بن علي ، وبعده أخوهما منديل بن وعزل تازير ابن اخيه طلحة .

ولما بويع السلطان أبو يحيى بقسطنطينة سنة عشر من هذه المائة وقع من تازير انحراف عن طاعته واعتلق بطاعة ابن الخلوف ببجاية فقدم عوضاً منه عمه منديل . ثم استبدل منهم أجمعين بأولاد يوسف فشمروا في طاعته وأبلوا ، وغلب السلطان على بجاية وقتل ابن الخلوف فظهر أولاد يوسف وزحموا أولاد علاوة ، وأخرجوهم من الوطن فصاروا الى عياض من أفاريق هِلال

وسكنوا في جوارهم بجبلهم الذي أوطنوه المطل على المسيلة . واتصلت الرئاسة على سدويكش في أولاد يوسف . وهم لهذا العهد أربع قبائل : بنو محمد بن يوسف وبنو المهدي وبنو ابراهيم ابن يوسف ، والعزيزيون وهم بنو منديل ، وظافر وجري وسيّد الملوك والعباس وعيسى ، والستة أولاد يوسف وهم اشقاء ، وأمّهم تاعزيزت فنسبوا اليها . وأولاد محمد والعزيزيون يوطنون بنواحي بجاية وأولاد المهدي وابراهيم بنواحي قسطنطينة .

وما زالت الرئاسة في هذه القبائل الأربع تجتمع تارة في بعضهم وتفترق أخرى الى هذا العهد . وكانت الاخرى دولة مولانا السلطان أبي يحيى ، اجتمعت رئاستهم لعبد الكريم بن منديل بن عيسى من العزيزيين .

ثم افترقت واستقل كل بطن من هؤلاء الأربعة برئاسة وأولاد علاوة في خلال هذا كله بجبل عياض . ولما تغلب بنو مرين على أفريقية أنكر السلطان أبو عنان أولاد يوسف ورماهم بالميل الى الموحدين وصرف الرئاسة على سدويكش الى مهنا بن تازير ابن طلحة من أولاد علاوة فلم يتم له ذلك ، وقتله أولاد يوسف . ورجع أولاد علاوه الى مكانهم من جبل عياض .

وكان رئيسهم لهذه العصور عدوان بن عبد العزيز بن زرّوق ابن علي بن علاوة ، وهلك ولم تجتمع رئاستهم بعده لأحد .

وفي بطون سدويكش هؤلاء بطن مرادف أولاد سواق في الرئاسة على أحيائهم وهم بنو سكين . ومواطنهم في جوار لواتة بجبل تابور وما إليه من نواحي بجاية ، ورياستهم في بني موسى بن ثابر منهم . ادركنا ابنه صخر بن موسى واختصه السلطان أبو يحيى بالرئاسة على قومه ، وكان له مقامات في خدمتـه . ثم عرف بعده في الوفاء ابنه الامير أبو حَفص فلم يزل معه الى أن وقع به بنو مَرين بناحية قابس وجيء به مع أسرى الوقيعـة فقطعه السلطان أبو الحسن من خلاف ، وهلك بعد ذلك وقام برئاسته ابنه عبدالله وكان له فيها وفي خدمة السلطان ببجـاية شأن الى أن هلك لأعوام ثمانين ، وولي ابنه محمد من بعده ، والله وارث الارض ومن عليها .

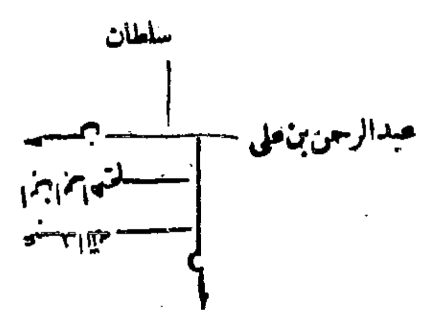
الخبر عن بني ثابت اهل الجبل المطل على قسطنطينة من بقايا كتامة

ومن بطون كتامة وقبائلهم أهل الجبل المطل على القل ما بينه وبين قسطنطينة ، المعروف برئاسة أولاد ثابت بن حسن بن أبي بكر من بني تليلان . ويقال ان أبا بكر هـذا الجد هو الذي فرض المغرم على أهل هذا الجبل لأيام الموحدين ، ولم يكن قبل ذلك عليه مغرم . فلما انقرض ملك صنهاجـة وغلب الموحدون على افريقية وفد أبو بكر هذا على الخليفـة بمراكش ونجع

بالطاعة والانقياد ، وتقرّب إليه بفرض المغرم على قبيلة بالجبل ، وكان لثابت هـذا من الولد عليّ وحسن وسلطان وابراهيم ، كلّهم راسوا بالجبل . وأما حسن منهم فحجب السلطان أبا يحيى لاول دولته وفي عنيته . ولابن عمر لدولة طرابلس أعوام إحدى عشر وسبعمائة كما نذكره . فلما تملك السلطان بجـاية وقتل ابن خلوف ورجع ابن عمر من تونس الى حجابتـه وجـد حسن بن ثابت معسكراً بفرجيوة لانقضاء مغارم الوطن ، فبعث اليه من قتله . وكان آخرهم رئاسـة بالجبل عليّ ، أدرك دولة بني مرين بافريقية . وولي بعده ابن عبد الرحمن . ووفد على السلطان أبي عنان بفاس . ولما استجد مولانا السلطـان أبو العبـاس دولته بافريقية استولى عليهم ومحا أثر مشيختهم ورئاستهم وصيرهم من عداد جنده وحاشيته . واستعمل في الجبل عمـاله وهو جبل مطاوع [1] ، وجبايته مؤداة لصولته وجواره للعسكر بقسطنطينة . ومن بقايا كتامة أيضاً قبائل أخرى بناحيـة تدلس في هضـابه مكتنفة بها ، وهم في عداد القبائل الغارمة . وبالمغرب الاقصى منهم قبيلة من بني يستيتن بجبل قبلة جبل يزناسن ، وقبيلة اخرى بناحية الهبط مجاورون لقصر ابن عبد الكريم وقبائل أخرى بناحية مراكش نزلوا مع صنهاجة هنالك . ونسب كتامة لهـذا

(١) كذا ، وفي ت : مطواع ، وفي ب : يطواع .

العهد بين القبائل المثل السائر في الدولة [1] لما نكرتهم الدول من بعدهم أربعمائة سنة بانتحالهم الرافضة ومذاهبها الكفرية ، حتى صار كثير من أهل نسبهم يفرون منه ، وينتسبون فيمن سواهم من القبائل فراراً من هجنته والعزة لله وحده .



الالمام بذكر زواوة من بطون كتامة

هذا البطن من أكبر بطون البربر ومواطنهم كما تراه محتفة ببجاية الى تدلس في جبال شاهقة وأوعار متسنمة ، ولهم بطون وشعوب كثيرة ، ومواطنهم متصلة بمواطن كتامة هؤلاء ، وأكثر الناس جاهلون بنسبهم . وعامة نسابة البربر على أنهم من بني سمكان بن يحيى بن ضريس ، وأنهم اخوة زواغة . والمحققون من النسابة مثل ابن حزم وانظاره انما يعدونهم في بطون كتامة وهو الاصوب . والمواطن أوضح دليل عليه وإلّا فاين مواطن زواغة ؟ وهي طرابلس . وبالمغرب الاقصى من موطن كتامة .

(١) كذا ، وفي ت : الذلة .

وانما حمل على الغلط في نسبهم الى كتامة تصحيف، اسم زوازة بالزاي بعد الواو، وهم اخوة زواغة بلا شك فصحف هذا القاريء الزاي بالواو فعد زواوة اخوان زواغة. ثم استمر التصحيف وجما في نسب سمكان والله أعلم، وقد مرّ ذكرهم هنالك مع ذكر زواغة وتعديد بطونهم.

الخبر عن صنهاجة من بطون البرانس وما كان لهم من الظهور والدول في بلاد المغرب والاندلس

هذا القبيل من أوفر قبائل البربر، وهو أكثر أهل الغرب لهذا العهد وما قبله لا يكاد قطر من أقطاره يخلو من بطن من بطونهم في جبل أو بسيط، حتى لقد زعم كثير من الناس أنهم الثلث من أمم البربر. وكان لهم في الردة ذكر وفي الخروج على الامراء بافريقية شأن تقدم منه في صدر ذكر البرابر، ونذكر منه هنا ما تيسر. وأما ذكر نسبهم فانهم من ولد صنهاج وهو صناك [1] بالصاد المشمة بالزاي والكاف القريبة من الجيم. إلّا أن العرب عربّته وزادت فيه الهاء بين النون والالف فصار صنهاج. وهو عند نسابة البربر من بطون البرانس من ولد برنس بن برّ وذكر ابن الكلبي والطبري انهم وكتامة

(١) كذا، وفي ت: صرهاك.

جميعاً من حمير كما تقدم في كتامة ، وفيما نقل الطبري في تاريخه أنه صنهاج بن يصوكان بن ميسور بن الفند بن افريقش بن قيس .

وبعض النسابة يزعم أنه صنهاج بن المثنى بن المنصور بن المصباح بن يحصب بن مالك بن عامر بن حمير الأصغر من سبأ كذا نقل ابن النحوي من مؤرخي دولتهم وجعله ليحصب . وقد مرّ ذكره في أنساب حمير وليس كما ذكر والله أعلم . وأما المحققون من نسابة البربر فيقولون هو صنهاج بن عاميل [1] بن زعزاع بن كيمتا بن سدر بن مولان بن يصلين [2] بن يبرين [3] ابن مكسيلة بن دهيوس بن حلحال بن شرو بن مصرايم بن حام . ويزعمون أن جزول واللمط وهسكور اخوة صنهاج ، وأن أمهم الاربعة تصكي ، وبها يعرفون . وهي بنت زحيك بن مادغس ، ويقال لها العرجاء . فهذه القبائل الاربعة من القبائل أخوة لأم والله أعلم .

وأما بطون صنهاجة فكثيرة فنهم بلكانة [4] وأنجفه وشرطة ولمتونه ومسوفه وكدالة ومندلة وبنو وارث وبنو يتيسن . ومن بطون أنجفة بنو مزوارت وبنو سليب وفشتالة وملوانة . هكذا يكاد نقل بعض نسابة البربر في كتبهم وذكر آخرون

(١) كذا ، وفي ت : عاصيل .
(٢) كذا ، وفي ت : مصلتن .
(٣) كذا ، وفي ت : سر . وفي ب : تبن ، وفي نسخة أخرى شر .
(٤) كذا ، وفي ت : تلكاتة .

من مؤرخي البربر أن بطونهم تنتهي الى سبعين بطناً . وذكر ابن الكلبي والطبري أن بلادهم بالصحراء مسيرة ستة أشهر . وكان أعظم قبائل صنهاجة تلكاتة وفيهم كان الملك الاول . وكانت مواطنهم ما بين المغرب الأوسط وافريقية ، وهم أهل مدر . ومواطن مسوفة ولمتونة وكدالة وشرطة بالصحراء ، وهم أهل وبر .

وأما أنجفة فبطونهم مفترقة ، وهم أكثر بطون صنهاجة . ولصنهاجة ولاية لعلي بن أبي طالب كما انّ لمغراوة ولاية لعثمان بن عفان رضي الله تعالى عنهما إلا أنا لا نعرف سبب هذه الولاية ولا أصلها . وكان من مشاهيرهم في الدولة الاسلامية ثابت بن وزريون ثار بافريقية أيام السفّاح عند انقراض الأموية : وعبد الله بن سكرديرلك ، وعباد صادق من قواد حماد بُلكين ، وسليمان بن بطعتان بن عليّان ايام باديس ابن بلكين . وبنو جدون وزاريني حَمَّاد ، وهو حمدون بن سليمان ابن محمد بن علي بن عليم . منهم ميمون بن جميل بن أخت طارق ، مولى عثمان بن عفان صاحب فتح الأندلس في آخرين يطول ذكرهم . وكان الملك في صنهاجة في طبقتين : الطبقة الاولى تلكاتة ملوك افريقية والاندلس ، والثانية مسوفة ولمتونة من الملثمين ملوك المغرب المسمون بالمرابطين ، ويأتي ذكرهم كلهم ان شاء الله تعالى والله اعلم .

الطبقة الاولى من صنهاجة وما كان لهم من الملك

كان أهل هذه الطبقة بنو ملكان[1] بن كرت ، وكانت مواطنهم بالمسيلة الى حمزة الى الجزائر ولمدية ومليناتة من مواطن بني يزيد وحَصِين والعِطَاف من زِغْبَة ، ومواطن الثعالبة لهذا العهد . وكان معهم بطون كثيرة من صِنهاجَة أعقابهم هنالك من مِتنان وانوغة وبنو عثمان وبنو مُزْغَنةَ وبنو جعد وملكانة وبطويَة وبنو يَفرُن وبنو خليل ، وبعض أعقاب ملكانة بجهات بجاية ونواحيها ، وكان التقدم منهم جميعاً لتلكانة وكان كبيرهم لعهد الاغالبة مناد بن منقوش بن صنهاج الأصغر وهو صناك ابن واسفاق بن جبريل ابن يزيد بن واسلي بن سمليل بن جعفر ابن الياس بن عثمان بن سكاد بن ملكان بن كرت بن صنهاج الاكبر ، هكذا نسبه ابن النحويّ منا مؤرخي الأندلس ، وذكر بعض مؤرخي المغرب : أن مناد بن منقوش ملك جانباً من افريقية والمغرب الأوسط مقيماً لدعوة بني العباس ، وراجعاً الى أمر الاغالبة .

وأقام أمره من بعده ابنه زيري بن مناد ، وكان من أعظم ملوك البربر . وكانت بينه وبين مغراوة من زناتة المجاورين له من جهة المغرب الأوسط كما نذكر حروب وفتن طويلة . ولما

(١) وكذا ، وفي ت : تلكات .

استوسق الملك للشيعة بافريقية تحيزّ إليهم، للولاية التي لعلي رضي الله عنه فيهم. وكان من أعظم أوليائهم، واستطال بهم على عدوه من مغراوة فكانوا ظهراً له عليهم. وانحرفت لذلك مغراوة وسائر زناتة عن الشيعة سائر أيامهم، وتحيزوا إلى المراونيين ملوك العدوة بالاندلس فأقاموا دعوتهم بالمغرب الأوسط والاقصى كما نذكره بعد ان شاء الله تعالى. ولما كانت فتنة أبي يزيد، والتاث أمر العُبيديين بالقيروان والمهدّية كان لزيري بن مناد منافرة الى الخوارج أصحاب أبي يزيد وأعقابهم[1] وتسريب الحشود الى مناصرة العبيديين بالقيروان كما ستراه.

واختط مدينة أشير للتحصن بها سفح الجبل المسمى تيطرا لهذا العهد حيث مواطن حصين وحصنها بأمر المنصور، وكانت من أعظم مدن المغرب. واتسعت بعد ذلك خطتها واستبحر عمرانها، ورحل اليها العلماء والتجار من القاصية. وحين نازل أبا اسمعيل المنصور أبا يزيد لقلعة كتامة جاءه زيري في قومه ومن انضم اليه من حشود البربر، وعظمت نكايته في العدوّ وكان الفتح. وصحبه المنصور الى أن انصرف من المغرب ووصله بصلات سنية. وعقد له على قومه وأذن له في اتخاذ القصور والمنازل والحمامات بمدينة أشير. وعقد له على تاهرت وأعمالها

(١) كذا، وفي ت: كان لزيري بن مناد من منابذه الخوارج اصحاب أبي يزيد والأخذ بأعقابهم وتسريب الحشود الى مناصرة العبيديين بالقيروان عناء مشهور.

ثم اختط ابنه بلكين بأمره وعلى عهده مدينة الجزائر المنسوبة لبني مزغنة بساحل البحر ومدينة مليانة بالعدوة الشرقية من شلف ومدينة لمدونة [1] . وهم بطن من بطون صنهاجة وهذه المدن لهذا العهد من أعظم مدن المغرب الأوسط ، ولم يزل زيري على ذلك قائماً بدعوة العُبيديين منابذاً لمغراوة ، واتصلت الفتنة فيهم . ولما نهض جوهر الكاتب الى المغرب الاقصى أيام معدّ المعز لدين الله أمرَه أن يستصحب زيري بن مناد فصحبه الى المغرب وظاهره على أمره . ولما قتل يعلى بن محمد اليفرني اتهمة زناتة بالمالأة عليه . ولما نزل جوهر فاس وبها أحمد بن بكر الجذامي وطال حصاره اياها كان لزيري في حصارها أعظم الغناء ، وكان فتحها على يده . سهر ذات ليلة وصعد سورها فكان الفتح .

ولما استمرت الفتنة بين زيري بن مناد ومغراوة ، ووصلوا أيديهم بالحكم المستنصري وأقاموا الدعوة المروانية بالمغرب الأوسط ، وشمّر محمد بن الخير بن محمد بن خزر لذلك ، رماه معد بقريعة زيري وقومه من صنهاجة وعقد له على المغرب وأقطع له ما افتتح من اقطاره فنهض زيري في قومه ، واحتشد أهل وطنه وقد جمع له محمد بن الخير وزناتة فسرح اليهم ولده بُلكين في مقدّمة ، وعارضهم قبل استكمالهم التعبئة ، فدارت بينهم حرب شديدة بعد العهد بمثلها يومئذ . واختل مصاف مغراوة وزناتة . ولما أيقن

(١) كذا وفي ت : لمدية ، وفي ب : لمدرية .

محمد بن الخير بالمهلكة ، وعلم انه احيط به مال الى ناحية من العسكر ، وتحامل على سيفه فذبح نفسه وانفض جموع زناتة واستمرت الهزيمة عليهم سائر يومهم فاستلحموا ، ومكثت عظامهم ماثلة بمصارعهم عصوراً .

وهلك فيما زعموا بضعة عشر أميراً منهم ، وبعث زيري برؤسهم الى المعز بالقيروان فعظم سروره وغمّ لها الحكم المستنصري صاحب الدعوة بما أوهنوا من أمره . واستطال زيري وصنهاجة على بوادي المغرب وعلت يده على جعفر بن علي صاحب المسيلة والزاب وسما به في الرتب عند الخلافة وناخمه في العمالة . واستدعى معد جعفر بن علي من المسيلة لتولية افريقية حين اعتزم على الرحيل الى القاهرة فاستراب بما كانت السعاية كبرت فيه . وبعث معد المعز بعض مواليه فخافه جعفر على نفسه ، وهرب من المسيلة ولحق بمغراوة فاشتملوا عليه ، وألقوا بيده زمام أمرهم ، وقام فيهم بدعوة الحكم المستنصري ، وكانوا أقدم لها اجابة . وفاوضهم زيري الحرب قبل استفحالهم فزحف اليهم واقتتلوا قتالا شديداً .

وكانت على زيري الدبرة ، وكبا به فرفسه ، وأجلت الهزيمة عن مصرعه ومصارع حاميته من قومه ، فحزوا رأسه وبعثوا به الى الحكم المستنصري بقُرطُبَة في وفد أوفدوه عليه من أمرائهم يؤدون الطاعة ويؤكدون البيعة ، ويجمعون لقومهم النصرة . وكان مقدم

وفدهم يحيى بن علي أخو جعفر هذا كما ذكرناه . وهلك زيري هذا سنة ستين وثلثمائة لست وعشرين سنة من ولايته . ولما وصل خبره الى ابنه بُلكين وهو بأشير نهض الى زناتة ودارت بينهم حرب شديدة فانهزمت زناتة وثأر بلكين بأبيه وقومه واتصل ذلك بالسلطان فحمد أثره ، وعقد له على عمل أبيه بأشير وتيهرت وسائر أعمال المغرب ، وضمّ اليه المسيلة والزاب وسائر عمل جعفر فاستعتب واستفحل أمره واتسعت ولايته ، وأثخن في البربر أهل الخصوص من مُزاتة وهُوارة ونَفْزَة وتوغّل في المغرب في طلب زناتة فأثخن فيهم . ثم رجع واستقدمه السلطان لولاية افريقية فقدم سنة احدى وستين واستبلغ السلطان في تكريمه ونفس ذلك عليه كتامة . ثم نهض السلطان الى القاهرة واستخلفه كما نذكره . وكان ذلك أول دولة آل زيري بافريقية والله تعالى أعلم .

دَوْلَة آل زيري بن مَنَاد

الخبر عن دولة آل زيري بن مناد ولاة العبيديين من هذه الطبقة بافريقية وأولية أمرهم وتصاريف أحوالهم

لما أخذ المعز في الرحلة الى المشرق ، وصرف اهتمامه الى ما يتخلف وراء ظهره من الممالك والعمالات ، ونظر فيمن يوليه أمر افريقية والمغرب ممن له الغناء والاضطلاع ، وبه الوثوق من صدق التشيع ورسوخ القدم في دراية الدولة فعثر اختياره على بُلُكين ابن زيري بن مناد ، وليّ الدولة منذ عهد سلفه بموجب عهد أخذه من أيدي زناتة اعدائها في سبيل الذب عن الدعوة والمظاهرة للدولة .

دولة بلكين بن زيري

فبعث خلف بُلُكين بن زيري وكان متوغلا في المغرب في حروب زناتة ، وولّاه أمر افريقية والمغرب ، ما عدا صقلية كانت لبني أبي الحسين الكلبي ، وطرابلس لعبد الله بن يخلف الكتامي ؛ وسماه يوسف بدلاً من بُلُكّين . وكناه أبا الفتوح ، ولقبه سيف الدولة ، ووصله بالخلع والأكسية الفاخرة . وحمله على

مقرباته بالمراكب الثقيلة وأنفذ أمره في الجيش والمال وأطلق يده في الاعمال . وأوصاه بثلاث : أن لا يرفع السيف عن البربر ، ولا يرفع الجباية عن أهل البادية ، ولا يولي أحداً من أهل بيته . وعهد اليه أن يفتتح أمره بغزو المغرب لحسم دائه ، وقطع علائق الأموية منه . وارتحل يريد القاهرة سنة اثنتين وستين ، ورجع عنه بلكين من نواحي صَفاقِس فنزل قصر معدّ بالقيروان ، واضطلع بالولاية . وأجمع غزو المغرب فغزاه في جموع صنهاجة وخلّف كتامة ، وارتحل الى المغرب ، وفرّ امامه ابن خزر صاحب المغرب الاوسط الى سجلماسة .

وبلغه خلاف أهل تاهرت واخراج عامله فرحل اليها وخربها . ثم بلغه أن زناتة اجتمعوا الى تلمسان فرحل اليهم فهربوا أمامه ، ونزل على تلمسان فحاصرها حتى نزل أهلها على حكمه ونقلهم الى أشير . وبلغه كتاب مَعَدّ ينهاه عن التوغُّل في المغرب فرجع . ولما كان سنة سبع وستين رغب بلكين من الخليفة نزار بن المعز أن يضيف اليه عمل طرابلس وسرت وأجدابية فأجابه الى ذلك وعقد له عليها . ورحل عنها عبدالله بن يخلف الكتامي وولّى بلكين عليه من قبله . ثم ارتحل بلكين الى المغرب وفرت أمامه زناتة فملك فاس وسجلماسة وأرض الهبط وطرد منها عمال بني أمية . ثم غزا جموع زناتة بسجلماسة وأوقع بهم ، وتقبض على ابن خزر أمير مغراوة فقتله . وأجفل ملوكهم أمامه مثل بني يعلى

ابن محمد اليفرني وبني عطيـة بن عبدالله بن خزر وبني فلفول بن خزر ، ويحيى بن علي بن حمدون صاحب البصرة .

وبرزوا جميعـاً بقياطينهم الى سبتة ، وبعثـوا الصَريخ الى المنصور بن أبي عامر فخرج بعساكره الى الجزيره الخضراء . وأمدَّهم بمن كان في حضرته من ملوك زناتة ورؤسائهم النازعين الى خلفاء الأُموية بالاندلس بقُرطُبَة بالمقام في سبيل الطاعة ، واغتنام فضـل الرباط بثغور المسلمين في ايالة الخلفاء . واجتمعت منهم وراء البحر أمم مع ما انضم اليهم من العساكر والحشود . وأجـازهم البحر لقصر جعفر بن علي بن حمدون صاحب المسيلة ، وعقـد له عـلى حرب بلكين وأمده بمائة حمل من المال فتعاقد ملوك زناتة واجتمعوا إليه ، وضربوا مصاف القتال بظاهر سبتة . وهرع اليهم المـدد من الجزيرة من عساكر المنصور ، وكادوا يخوضون البحـر من فِراض الزقاق الى مظاهرة أوليائهم من زناتة . ووصل بلكين الى تَيطاور وتسنم هضابها وقطـع شعراءها لنهـج المسالك والطـرق لعسكره ، حتى أطلّ على معسكرهم بظاهر سبتة فرأى ما هاله واستيقن امتناعهم .

ويقال انه لما عاين سبتة من مستشرفه ، ورأى اتصال المدد من العدوة الى معسكرهم بها قال : هذه أفعى فغرت الينا فاها وكر راجعاً على عقبه . وكان موقفه ذلك أقصى أثره . ورجع الى البصرة فهدمها وكانت دار مُلك ابن الاندلسي ، وبهـا عمارة

عظيمة . ثم انفتح باب في جهاد برغُواطَة فارتحل اليهم وشغل بجهادهم ، وقتل ملكهم عيسى بن أبي الأنصار كما نذكره . وأرسل بالسبي الى القيروان وأذهب دعوة بني أمية من نواحي المغرب وزناتة مشرّدون بالصحراء الى ان هلك سنة ثلاث وسبعين بوراكسن ما بين سجلماسة وتلمسان منصرفاً من هذه الغارة الطويلة .

دولة منصور بن بلكين

ولما توفي بُلُكين بعث مولاه أبو زَغْبَل بالخبر الى ابنه المنصور وكان والياً باشير وصاحب عهد أبيه فقام بأمر صنهاجة من بعده ، ونزل صبره ، وقلّده العزيز نزار بن معدّ أمر افريقية والمغرب على سنن أبيه وعقد لأخيه أبي البهار على تاهرت ولأخيه يطوفت على أشير ، وسرّحه بالعساكر الى المغرب الأقصى سنة أربع وسبعين يسترجعه من أيدي زناتة . وقد بلغه انهم ملكوا سجلماسة وفاس فلقيه زيري بن عطية المغراوي الملقب بالقرطاس أمير فاس فهزمه ورجع الى أشير . واقصى المنصور بعدها عن غزو المغرب وزناتة واستقلّ به ابن عطيّة وابن خزرون وبدر بن يعلى كما نذكر بعد .

ثم رحل بلكين الى رقادَه وفتك بعبد الله بن الكاتب عامله

وعامل ابيه على القيروان لهنات كانت منه ، وسعايات انجحت فيـه فهلك سنة تسع وسبعين وولي مكانه يوسف بن أبي محمـد وكثر التواتر بكتابه فقتلهم وأثخن فيهم حتى أذعنوا ، وأخرج اليهم العمال وعقـد لاخيـه حماد على اشير . وطالت الفتنة مع زناتة ونزل اليه منهم سعيد بن خزرون . ولم يزل سعيد بطبقـة الى ان هلك سنة احدى وثمانين وولي ابنـه فلفول بن سعيد . وخالف أبو البهـار بن زيري سنـة تسع وسبعين فزحف اليه المنصور ، وفر بين يديـه الى المغرب . وأمدّ [1] المنصور أهل تاهرت ومضى في اتبـاع أبي البهـار حتى نفد عسكره [2] ، وأشير عليـه بالرجوع فرجع . وبعث أبو البهار الى أبي عـامر صاحب الأندلس في المظاهرة والمدد ، واسترهن ابنـه في ذلك فكتب زيري بن عطيّة صاحب دعوة الأمويّة من زناتـة بفاس أن يكون معه يداً واحدة فظاهره زيري ، واتفق رأيهما مدة ، وحاربهما بدر بن يعلي فهزماه وملكا فاس وما حولها . ثم اختلفت ذات بينهما سنة اثنتين وثمانين ، ورجع أبو البهار الى قومـه . ووفد على المنصور سنة اثنتين وثمانين بالقيروان فاكرمه ووصله وأنزله أحسن نزل ، وعقـد له على تاهرت . ثم هلك المنصور سنة خمس وثمانين .

(١) كذا ، وفي ت : وأمن .
(٢) كذا ، وفي ت : حتى فقد عسكره المرافق .

دولة باديس بن المنصور

ولمّا هلك المنصور قام بأمره ابنه باديس وعقد لعمه يطوفت على تاهرت، وسرّح عساكره لحرب زناتة مع عمّيه يطوفت وحمّاد فولوا منهزمين امام زناتة الى أشير. ونهض بنفسه سنة تسع وثمانين لحرب زيري بن عطيّة راجعاً الى المغرب فولّى باديس أخاه يطوفت على تاهرت وأشير، وخالف عليه عمومته ماكسن وزاوي وحلال ومعتز وعزم واستباحوا عسكر يطوفت وأفلت منهم. ووصل أبو البهار متبرئاً من شأنهم. وشغل السلطان باديس بحرب فلفول بن سعيد كما نذكره في أخبار بني خزرون، وسرح عمه حماداً لحرب بني زيري اخوته. ووصل بنو زيري أيديهم بفلفول ثم رجعوا الى حمّاد فهزمهم ونقبض على ماكسن منهم بأطمة الكلاب وقتل أولاد الحسن وباديس [1] كذا ذكر ابن حزم.

ونجا فلّهم الى جبل سنوة [2] فنازلهم حماد أياماً وعقد لهم السلم على الاجازة الى الاندلس فلحقوا بابن أبي عامر سنة احدى وتسعين وثلثمائة.

وهلك زيري بن عطيّة المغراوي لتسع أيام من مهلك ماكسن،

(١) كذا، وفي ت: وتقبض على ماكسن منهم فاطعمه الكلاب، وقتل أولاده محسن وباديس.
(٢) كذا، وفي ب: جبل سبوة.

وأقفل باديس عمه حماداً إلى حضرته ليستعين به في حروب فلفول فاضطرب المغرب لقفوله ، وأظهرت زناتة الفساد وأضروا بالسابلة ، وحاصروا المسيلة واشير فسرّح اليهم باديس عمه حماداً وخرج على اثره سنة خمس وتسعين فنزل تيجست ودوّخ حماد المغرب ، وأثخن في زناتة ، واختط مدينة القلعة . ثم طلب منه باديس أن ينزل على عمل يتجس وقسطنطينة اختياراً للطاغية فأبى [1] واظهر الخلاف . وبعث اليه أخاه ابراهيم فأقام معه وزحف اليهم باديس ، ثم رحل في طلبه الى شلف ، ونزع اليه بعض العساكر . ودخل في طاعته بنو توجين وجاروا في مدده . ووصل أميرهم عطيّة ابن دافلين وبدر بن أغمان [2] بن المعتز فوصلها . وكان حماد قتل دافلين . ثم نزل باديس نهر واصل والسرسو وكزول وانثنى حماد راجعاً الى القلعة واتبعه باديس . ونازله بها وهلك بمعسكره عليها سنة ست وأربعمائة فجأة ، وهو نائم بين أصحابه بضربه ، فارتحلوا راجعين واحتملوا باديس على أعواده .

دولة المعز بن باديس

ولما بلغ الخبر بمهلك باديس بويع ابنه المعز ابن ثمان سنين ، ووصل العسكر فبايعوه البيعة العامة . ودخل حماد المسيلة

(١) كذا ، وفي ب : اختياراً لطاعته فأبى .
(٢) كذا ، وفي ت : بدر بن لقمان .

واشير ، واستعدّ للحرب وحاصر باغاية . وبلغ الخبر بذلك فزحف المعز اليه وأفرج عن باغاية ولقيه فانهزم حمّاد وأسلم معسكره ، وتقبّض على أخيه ابراهيم ونجا الى القلعة ، ورغب في الصلح فاستجيب على أن يبعث ولده . وانتهى المعز الى سطيف وقصر الطين وقفل الى حضرته ، ووصل اليه القائد ابن حماد سنة ثمان واربعمائة راغباً في الصلح فعقده ، واستقل حماد بعمل المسيلة وطبنة والزاب واشير وتاهرت وما يفتح من بلاد المغرب وعقد للقائد ابن حماد على طبنة والمسيلة ومقره ومرسى الدجاج وسوق حمزة وزواوة وانقلب بهدية ضخمة . ووضعت الحرب أوزارها من يومئذ واقتسموا الخطة والتحموا بالاصهار ، وافترق ملك صنهاجة الى دولتين : دولة الى المنصور بن بلكين أصحاب القيروان ، ودولة الى حمّاد بن بلكين أصحاب القلعة .

ونهض المعز الى حماد سنة اثنتين وثلاثين فحاصره بالقلعة مدة سنين ، ثم أقلع عنها وانكفأ راجعاً ولم يعاود فتنة بعد . ووصل زاوي بن زيري من الأندلس سنة عشر وأربعمائة كما ذكرناه في خبره فتلقاه المعز أعظم لقاء وسلّم عليه راجلًا ، وفرشت القصور لنزله ووصله بأعظم الصلات وأرفعها . واستمرّ ملك المعز بافريقية والقيروان ، وكان أضخم ملك عرف للبربر بافريقية وأترفه وأبذخه . نقل ابن الرقيق من أحوالهم في الولائم والهدايا والجنائز والأعطيات ما يشهد بذلك ، مثل ما ذكر انّ هدية

صندل عامل باغاية مائة حمل من المال ، وأن بعض توابيت الكبراء منهم كان العود الهندي بمسامير الذهب ، وأن باديس أعطى فلفول بن مسعود الزناتي ثلاثين حملا من المال وثمانين تختاً . وأن أعشار بعض أعمال الساحل بناحية صفاقس كان خمسين[1] ألف قفيز وغير ذلك من أخبارهم .

وكانت بينه وبين زناتة حروب ووقائع كان له الغلب في جميعها كما هو مذكور . وكان المعز منحرفاً عن مذاهب الرافضة ومنتحلا للسنة فأعلن بمذهبه لأول ولايته ولعن الرافضة . ثم صار الى قتل من وجد منهم ، وكبا به فرسه ذات يوم فنادى مستغيثاً باسم أبي بكر وعمر فسمعته العامة فثاروا لحينهم بالشيعه وقتلوهم أبرح قتل ، وقتل دعاة الرافضة يومئذ ، وامتعض لذلك خلفاء الشيعة بالقاهرة . وخاطبه وزيرهم أبو القاسم الجرجاني محذراً ، وهو يراجعه بالتعريض بخلفائه والقدح فيهم حتى أظلم الجو بينه وبينهم الى ان انقطع الدعاء لهم سنة أربعين وأربعمائة على عهد المستنصر من خلفائهم . وأحرق بنوده ومحا اسمه من الطرز والسكة ، ودعا للقائم بن القادر من خلفاء بغداد . وجاءه خطاب القائم وكتابُ عهده صحبة داعيته أبي الفضل بن عبد الواحد التميمي ، فرماه المستنصر خليفة العُبيديين بالعرب من هلال الذين كانوا مع القرامطة ، وهم رياح وزغبة والأثبج . وذلك

(١) كذا ، وفي ت : ثمانين الف قفيز .

بمشاركة من وزيره أبي محمد الحسن بن علي اليازوري كما ذكرنا في أخبار العرب ودخولهم الى افريقية .

وتقدموا الى البلاد وافسدوا السابلة والقرى . وسرّح اليهم المعز جيوشه فهزموهم فنهض اليهم ولقيهم بجبل حيدران فهزموه، واعتصم بالقيروان فحاصروه وتمرسوا به وطال عيثهم في البلاد واضرارهم بالرعايا الى ان خربت افريقية . وخرج ابن المعز من القيروان سنة تسع وأربعين مع خفيره منهم، وهو مؤنس بن يحيى الصبري أمير رياح فلحق في خفارته بالمهديّة، بعد ان اصهر إليه في ابنته فانكحه إياها ونزل بالمهدّية وقد كان قدم اليها ابنه تميماً فنزل عليه، ودخل العرب القيروان وانتهبوها .

وأقام المعز بالمهدية وانتزى الثوّار في البلاد فغلب حمو بن مليل البرغواطي على مدينة صفاقس، وملكها سنة احدى وخمسين . وخالفت سوسة وصار أهلها الى الشورى في أمرهم . وصارت تونس آخراً الى ولاية الناصر بن علناس ابن حماد صاحب القلعة . وولّى عليهم عبد الحق بن خُراسان فاستبد بها واستقرت في ملكه وملك بنيه، وتغلب موسى بن يحيى على قابُس . وصار عاملها المعز بن محمد الصنهاجي الى ولايته، وأخوه ابراهيم من بعده كما يأتي ذكره . والتاث ملك آل باديس وانقسم في الثوار كما نذكر في أخبارهم بعد . وهلك المعز سنة أربع وخمسين والله أعلم .

دولة تميم بن المعز

ولما هلك المعز قام بأمره ابنه تميم وغلبه العرب على افريقية فلم يكن له إلا ما ضمّه السور ، خلا انــه كان يخــالف بينهم وتسلط بعضهم على بعض . وزحف اليه حمّو بن مليل البرغواطي صاحب صفاقس فخرج تميم للقائه ، وانقسمت العرب عليهما فانهزم حمو وأصحابه ، وذلك سنة خمس وخمسين . وسار منها الى سوسة فافتتحها ، ثم بعث عساكره الى تونس فحــاصروا ابن خراسان حتى استقام على الطاعــة لتميم . ثم بعث عساكره أيضــاً الى القيروان ، وكان بها قائد بن ميمون الصنهــاجي من قبل المعز فأقام ثلاثاً . ثم غلبته عليها هوارة ، وخرج الى المهــدية ثم ردّه تميم إلى ولايته بها فخالف بعد ست من ولايته ، وكاتب الناصر ابن علناس صاحب القلعة فبعث تميم اليه العساكر فلحق بالنــاصر وأسلم القيروان .

ثم رجع بعد ست الى حمو بن مليــل البرغواطي بصفاقس وابتاع له القيروان من مهنــا بن علي أمــير زغبة فولّاه عليها وحصنها سنة سبعين وكانت بين تميم والناصر صاحب القلعة أثناء ذلك فتن كان سماسرتها العرب يجأجئون بالنــاصر من قلعته ، ويوطئون عساكره ببلاد افريقية . وربما ملك بعض أمصارها ، ثم يردونه على عقبه الى داره الى ان اصطلحا سنة سبعين ، وأصهر

اليه تميم بابنته . ونهض تميم سنة أربع وسبعين الى قابس وبها ماضي ابن محمد الصنهاجي ، وليها بعد أخيه ابراهيم فحاصرها ثم أفرج عنها . ونازلته العرب سنة ست وسبعين بالمهدية ثم أفرجوا عنه ، وهزمهم فقصدوا القيروان ودخلوها فأخرجهم عنها .

وفي أيامه كان تغلب نصارى جنده على المهدية سنة ثمانين نزلوها في ثلثمائة مركب وثلاثين الف مقاتل واستولوا عليها وعلى زويلة ، فبذل لهم تميم في النزول عنها مائة الف دينار بعد ان انتهبوا جميع ما كان بها ، فاستخلصها من أيديهم ورجع اليها ثم استولى على قابس سنة تسع وثمانين من يد أخيه عمر بن المعز ، بايع له أهلها بعد موت قاضي بن ابراهيم . ثم استولى بعدها على صفاقس سنة ثلاث وتسعين ، وخرج منها حمو بن مليل الى قابس فأجاره مكن بن كامل الدهماني الى ان مات بها . وكانت رياح قد تغلبت على زغبة وعلى افريقية من لدن سبع وستين وأخرجوه منها . وفي هذه المائة الخامسة غلب الأخضر من بطون رياح على مدينة باجة وملكوها ، وهلك تميم اثر ذلك سنة احدى وخمسمائة .

دولة يحيى بن تميم

ولما هلك تميم ابن المعز ولي ابنه يحيى ، وافتتح أمره بافتتاح اقليبية وغلب عليها ابن محفوظ الثائر بها . وثار أهل صفاقس على

ابنه أبي الفتوح فلطف الحيلة في تفريق كلمتهم ، وراجع طاعة العُبَيديين ووصلته المخاطبات والهدايا . وكان قد صرف همه الى غزو النصارى والاساطيل البحرية فاستكثر منها واستبلغ في اقتنائها . وردد البعوث الى دار الحرب فيها حتى اتقته أمم النصرانية بالجزى من وراء البحر من بلاد افريقية [1] وجنوة وسردينية . وكان له في ذلك آثار ظاهرة عزيزة . وهلك فجأة في قصره سنه تسع وخمسمائة والله أعلم .

دولة علي بن يحيى

ولما هلك يحيى بن تميم ولي عليّ ابنه ، استقدم لها من صفاقس ، فقدم في خفارة أبي بكر بن ابي جابر ، مع عسكر ، ونظرائه من أمراء العرب . وكان أعظم أمراء عساكر صنهاجة محاصرين لقصر الأجم فاجتمعوا اليه وتمت بيعته . ونهض الى حصار تونس حتى استقام أحمد بن خراسان على الطاعة ، وفتح جبل وسلات . وكان ممتنعاً على من سلف من قومه فجرد اليه عسكراً مع ميمون بن زياد الصخري المعادي من أمراء العرب فافتتحوه وقتلوا من كان به . ووصل رسول الخليفة من مصر بالمخاطبات والهدايا على العادة . ثم نهض الى حصار رافع بن مكن

(١) كذا ، وفي ت : من بلاد الفرنجة .

بقابس سنة احدى عشرة وخمسمائة . ودوّن لهـا قبائل فادغ من بني علي احـدى بطون رياح كما نذكره في أخبـار رافع . ثم حدثت الفتنة بينه وبين رجار صاحب صقلية بمالأة رجّار لرافع ابن كامل عليه، وامداده اياه بأسطوله يغير على ساحل علي بن يحيى ويرصد أساطيله ، فاستخدم علي بن يحيى الاساطيل وأخذ في الأهبة للحرب ، وهلك سنة خمس عشرة وخمسمائة والله اعلم .

دولة الحسن بن علي

ولما هلك علي بن يحيى بن تميم ولي بعـده ابنه الحسن بن علي غلاماً يفعة ابن اثنتي عشرة سنة ، وقام بأمره مولاه صندل . ثم مات صندل وقام بأمره مولاه موفق . وكان أبوه أصـدر المكاتبة الى رجار عند الوحشة يهدّده بالمرابطين ملوك المغرب ، لما كان بينه وبينهم من المكاتبة . واتفق أن غزا أحمد بن ميمون قائد اسطول المرابطين صقلية وافتتح قرية منها فسباهـا وقتل أهلها سنة ست عشرة ، فلم يشك رجار أن ذلك باملاء من الحسن فنزلت أساطيله الى المهديّة وعليهم عبـد الرحمن بن عبد العزيز وجرجي بن مخائيل الانطاكي . وكان جرجي هذا نصرانياً هاجر من المشرق ، وقد تعلم اللسـان وبرع في الحساب . وتهذب في الشام بانطاكية وغيرها فاصطنعه تميم واستولى عليه ، وكان يحيى

يشاوره .

فلما هلك تميم أعمل جرجي الحيلة في اللحاق برجار فلحق به وحظي عنده واستعمله على اسطوله فلما اعتزم على حصار المهدية بعثه لذلك فزحف في ثلثمائة مركب ، وبها عدد كثير من النصرانية ، فيهم ألف فارس . وكان الحسن قد استعد لحربهم فافتتح جزيرة قوصرة ، وقصدوا الى المهدية ونزلوا الى الساحل ، وضربوا الأبنية وملكوا قصر الدهانين وجزيرة الاملس (١) وتكرر القتال فيهم الى أن غلبهم المسلمون ، وأقلعوا راجعين الى صقلية بعد ان استمرّ القتل فيهم . ووصل بأكثر ذلك محمد بن ميمون قائد المرابطين باسطوله فعاث في نواحي صقلية ، واعتزم رجار على اعادة الغزو الى المهدية . ثم وصل اسطول يحيى بن العزيز صاحب بجاية لحصار المهدية ووصلت عساكره في البر مع قائده مَطرِف بن علي بن حمدون الفقيه فصالح الحسن صاحب صقلية ووصل يده به واستمد منه أسطوله . واستمد الحسن اسطول رجار فأمده ، وارتحل مطرف الى بلده .

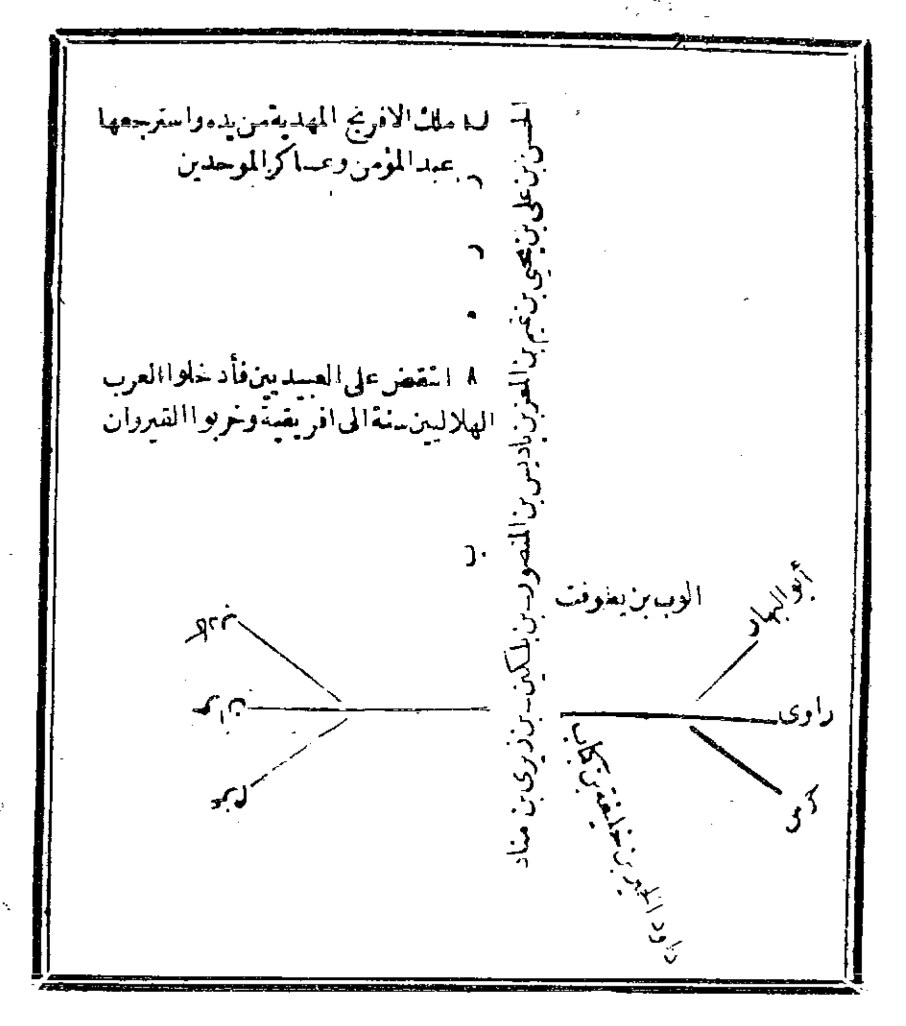
وأقام الحسن مملكا بالمهدية ، وانتقض عليه رجار وعاد الى الفتنة معه ، ولم يزل يردّد اليه الغزو الى ان استولى على المهدية قائد اسطوله جرجي بن مُناسِل سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة

(١) كذا وفي ت : قصر الديماس وجزيرة الاحاس . وفي ب : قصر الدماس وجزيرة الحمامات .

ووصلها باسطوله في ثلثمائة مركب . وخادعهم بأنهم انما جاؤا مدداً له . وكان عسكر الحسن قد توجه صريخاً لمحرز بن زياد الفادغي صاحب علي بن خُراسان صاحب تونس ، فلم يجد صريخاً فجلا عن المهدية ورحل واتبعه الناس . ودخل العدو الى المدينة وتملكوها دون دفاع . ووجد جرجي القصر كما هو لم يرفع منه الحسن الا ما خف ، وترك الذخائر الملوكية . فأمّن الناس وأبقاهم تحت إيالته ، وردّ الفارّين منهم الى أماكنهم . وبعث اسطولا الى صفاقس فملكها وأجاز الى سوسة فملكها أيضاً ثم الى طرابلس كذلك . واستولى رجار صاحب صقلية على بلاد الساحل كلها ووضع على أهلها الجزى ، وولى عليهم كما نذكره ، الى ان استنقذهم من ملكة الكفر عبد المؤمن شيخ الموحدين وخليفة امامهم المهدي .

ولحق الحسن بن يحيى بعد استيلاء النصارى على المهدية بالعرب من رياح ، وكبيرهم محرز بن زياد الفادغي صاحب القلعة ، فلم يجد لديهم مصرخاً . وأراد الرحيل الى مصر للحافظ عبد المجيد فأرصد له جرجي فارتحل الى المغرب ، وأجاز الى بُونَة ، وبها الحارث بن منصور وأخوه العزيز . ثم توجه الى قسطنطينة ، وبها سبع بن العزيز أخو يحيى صاحب بجاية ، فبعث اليه من أجازه الى الجزائر . ونزل على ابن العزيز فأحسن نزله وجاوره الى ان فتح الموحدون الجزائر سنة سبع وأربعين

بعد تملكهم المغرب والاندلس ، فخرج الى عبد المؤمن فلقاه تكرمةً وقبولاً . ولحق به وصحبه الى افريقية في غزواته الاولى ، ثم الثانية سنة سبع وخمسين فنازل المهدية وحاصرها أشهراً . ثم افتتحها سنة خمس وخمسين ، وأسكن بها الحسن وأقطعه رحيش فأقام هنالك ثماني سنين . ثم استدعاه يوسف بن



عبد المؤمن فارتحل بأهله يريد مراكش . وهلك بتامستا في طريقه إلى بابارولو [1] سنة ست وثلاثين ، والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين ورب الخلائق أجمعين .

بنو خراسان من صنهاجة

الخبر عن بني خراسان من صنهاجة الثوار بتونس على آل باديس عند اضطراب افريقية بالعرب ومبدأ أمرهم ومصاير أحوالهم

لما تغلب العرب على القيروان ، وأسلم المعز وتحوّل الى المهدية اضطرمت افريقيــة ناراً . واقتسمت العرب البــلاد عمالات ، وامتنع كثير من البلاد على ملوك آل باديس مثل أهــل سوسة وصفاقس وقابس وصارت صاغية أهل افريقية الى بني حماد ملوك القلعــة وملكوا القيروان كما تقــدم . وانقطعت تونس عن ملك المعز، ووفد مشيختها على الناصر بن علناس فولى عليهم عبدالحق ابن عبد العزيز بن خراسان ، يقال انه من أهــل تونس والأظهر انه من قبائل صنهاجة فقــام بأمرهم وشاركهم في أمره وتودّد اليهم وأحسن السيرة فيهم ، وصالح العرب أهل الضاحية عــلى

(١) كذا ، وفي ت : باباز زلو . وفي ب : بار بارولو .

اتاوة معلومة لكف عاديتهم . وزحف تميم بن المعز من المهدية إليه سنة ثمان وخمسين في جموعه ، ومعه يبقى بن علي أمير زغبة فحاصر تونس أربعة أشهر ، الى أن صالحه ابن خراسان واستقام على طاعته فأفرج عنه .

ولم يزل قائماً بأمره إلى أن هلك سنة ثمان وثمانين فولي ابنه عبد العزيز وكان مضعفاً وهلك على رأس هذه المائة الخامسة وقام بامره ابنه أحمد بن عبد العزيز بن عبد الحق فقتل عمه اسمعيل بن عبد الحق لمكان ترشه ، وغربه أبو بكر الى أن برزت فأقام بها خوفاً على نفسه . ونزع أحمد الى التخلق بسير الملك والخروج عن سير المشيخة واشتدت وطأته ، وكان من مشاهير رؤساء بني خراسان هؤلاء فاستبد بتونس لاول المائة السادسة وضبطها وبنى اسوارها . وعامل العرب على اصلاح سابلتها فصلحت حاله ، وبنى قصور بني خراسان . وكان مجالساً للعلماء محباً فيهم ونازله علي ابن يحيى بن العزيز بن تميم سنة عشر وخمسمائة وضيق عليه ، ودافعه [1] باسعاف غرضه فأفرج عنه . ثم نازله عساكر العزيز بن منصور صاحب بجاية فعاد الى طاعته سنة أربع عشرة ، ولم يزل والياً على تونس الى ان نهض سنة اثنتين وعشرين مطرف بن علي ابن حمدون قائد يحيى ابن العزيز من بجاية في العساكر الى افريقية ، وملك عامة امصارها فتغلب على تونس وأخرج أحمد بن

(١) كذا ، وفي نسخة ب : ووافقه .

عبد العزيز صاحبها ونقله الى بجاية بأهله وولده .

وولى على تونس كرامة ابن المنصور عم يحيى بن العزيز فبقي والياً عليها الى ان مات ، وولي عليها بعده أخوه أبو الفتوح بن المنصور الى ان مات وولي مكانه ابن ابنه محمد . وساءت سيرته فعزل وولي مكانه عمه معدّ بن المنصور إلى ان استولى النصارى على المهدية وسواحلها ما بين سوسة وصفاقس وطرابلس سنة ثلاث وأربعين ، وصارت لصاحب صقلية ، وأخرج الحسن بن علي كما هو مذكور فأخذ أهل تونس في الاستعداد والحذر . واستأسدوا لذلك على واليهم وانتشر بغاتهم وربما ثاروا بعض الايام عليه فقتلوا عبيده بمرأى منه ، واعتدوا عليه في خاصته فبعث عنه أخوه يحيى من بجاية فركب البحر في الأسطول ، وترك نائبه العزيز بن دافال من وجوه صنهاجة فأقام بينهم وهم مستبدون عليه . وكان بالمعلقة جوارهم محرز بن زياد أمير بني علي من بطون رياح قد تغلب عليها .

وكانت الحرب بينه وبين أهل تونس سجالا ، والتحم بينهما المصاف . وكان محرز يستمد عساكر صاحب المهدية على أهل تونس فتأتيه الى ان غلب النصارى على المهدية ، وحدثت الفتنة بينهم بالبلد فكان المصاف بين أهل باب السويقة وأهل باب الجزيرة وكانوا يرجعون في أمورهم الى القاضي عبد المنعم بن الامام أبي الحسن . ولما غلب عبدالمؤمن على بجاية وقسطنطينة

وهزم العرب بسطيف ورجع الى مراكش . انتهت اليه شكوى الرعايا بافريقية مما نزل بهم من العرب ، فبعث ابنه عبد الله من بجاية الى افريقية في عساكر الموحدين فنازل تونس سنة اثنتين وخمسين وامتنعت عليه . ودخل معهم محرز بن زياد وقومه من العرب واجتمع جندهم وبرزوا للموحدين فأوقعوا بهم وأفرجوا عن تونس .

وهلك أميرها عبد الله بن خراسان خلال ذلك ، وولي مكانه علي بن أحمد بن عبد العزيز خمسة أشهر ، وزحف عبد المؤمن الى تونس وهو أميرها فانقادوا لطاعته كما نذكره في أخبار الموحدين . ورحل علي بن أحمد بن خراسان الى مراكش بأهله وولده ، وهلك في طريقه سنة أربع وخمسين وأفرج محرز ابن زياد عن المعلقة . واجتمعت اليه قومه وتدامرت العرب عن مدافعة الموحدين واجتمعوا بالقيروان ، وبلغ الخبر الى عبد المؤمن وهو منصرف من غزاته الى المغرب فبعث اليهم العساكر وأدركوهم بالقيروان فأوقعوا بهم واستلحموهم قتلاً وسبياً . وتقبض على محرز بن زياد أميرهم فقتل وصلب شلوه بالقيروان ، والله يحكم ما يشاء لا معقب لحكمه وهو على كل شيء قدير .

ـ ملوك غرناطة بعد الفتنة

علي بن أحمد بن عبد العزيز بن عبد الحق بن عبد العزيز بن خراسان

أبو بكر بن اسمعيل

الخبر عن بني الرند ملوك قفصة الثائرين بها عند التياث ملك آل باديس بالقيروان واضطرابه بفتنة العرب ومبدأ دولتهم ومصاير أمورهم

لما تغلب العرب على افريقية وانحل نظام الدولة الصنهاجية ، وارتحل المعزّ من القيروان الى المهدية ، وكان بقفصة عاملاً لصنهاجة عبد الله بن محمد بن الرند وأصله من جرية من بني صدغيان . وقال ابن نخيل [1] هو من بني مرين من مغراوة ، وكان مسكنهم بالجوسين من نفزاوة فضبط قفصة وقطع عنها

(١) كذا ، وفي ت : نخيل ، وفي ب : نحيل .

عادية الفساد . وصالح العرب على الاتاوة فصلحت السابلة واستقام الحال . ثم استبدّ بأمره وخلع الامتثال من عنقه سنة خمس واربعين ، واستمرّ على ذلك . وبايعته توزر وقفصة وسوس والحامة ونفزاوة وسائر أعمال قسطنطينة فاستفحل أمره وعظم سلطانه ، ووفد عليه الشعراء والقصاد ، وكان معظِماً لأهل الدين الى ان هلك سنة خمس وستين .

وولي من بعده ابنه المعتز وكنيته أبو عمر ، وانقاد اليه الناس فضبط الأمور وجبى الاموال واصطنع الرجال وتغلب على قودة وجبل هوارة وسائر بلاد قسطيلية وما اليها . وحسنت سيرته الى ان عمي . وهلك في حياته ابنه تميم فعهد لابنه يحيى بن تميم . وقام بالامر ، واستبد على جدّه ولم يزالوا بخير حال الى ان نازلهم عبد المؤمن سنة أربع وخمسين فنعهم من الامر ، ونقلهم الى بجاية فمات المعتز بها سنة سبع وخمسين لمائة وأربع عشرة من عمره وقيل لسبعين ، ومات بعده بيسير حافده يحيى بن تميم . وولّى عبد المؤمن على قفصة نعمان بن عبد الحق الهنتاتي . ثم عزله بعد ثلاث بميمون ابن أجانا الكنسيفي . ثم عزله بعمران بن موسى الصنهاجي وأساء إلى الرعية فبعثوا عن علي ابن العزيز بن المعتز من بجاية . وكان بها في مضيعة يحترف بالخياطة فقدم عليهم ، وثاروا بعمران بن موسى عامل الموحدين فقتلوه وقدموا علي بن العزيز فساس ملكه وحاط رعيته .

وأغزاه يوسف بن عبد المؤمن سنة ثلاث وستين أخاه السيد أبا زكريا فحاصره وضيق عليه وأخذه وأشخصه الى مراكش بأهله وماله ، واستعمله على الاشغال بمدينة سلا الى أن هلك وفنيت دولة بني الرند والبقاء لله وحده اهـ .

المعز بن زيري

يحيى بن تميم بن المعتز أبي عمر بن عبد الله بن محمد الرند

الخبر عن بني جامع الهلاليين امراء قابس لعهد الصنهاجيين وما كان لتميم بها من الملك والدولة وذلك عند فتنة العرب بافريقية

ولما دخلت العرب الى افريقية وغلبوا المعز على الضواحي ونازلوه بالقيروان ، وكان الوالي بقابس المعز بن محمد بن لموية الصنهاجي ، وكان أخواه ابراهيم وماضي بالقيروان قائدين للمعز على جيوشه فعزلهما ، ولحقا مغاضبين بمؤنس بن يحيى ، وكان ذلك أوّل تملك العرب . ثم أقام ابراهيم منهم والياً بقابس ، ولحق المعز بن محمد بمؤنس فكان معه الى ان هلك ابراهيم ، وولي مكانه أخوه ماضي وكان سيىء السيرة فقتله أهل قابس ، وذلك لعهد تميم بن المعز بن باديس ، وبعثوا الى عمر أخي السلطان في طاعة العرب ، فوليها بكر بن كامل بن جامع أمير المناقشة من

دهمان من بني عليّ احدى بطون رياح فقام بأمرها ، واستبد على صنهاجة . ولحق به مثنى بن تميم بن المعز نازعاً عن أبيـه فأجابه ونازل معه المهدية حتى امتنعت عليه ، واطلـع على قبائح شتى فأفرج عنها . ولم يزل كذا على حاله في اجابة قابس وامارة قومه دهمان الى أن هلك . وقام بأمره بعده رافع واستفحل بها ملكه ، وهو الذي اختط قصر العروسيين من مصانع الملك بها ، واسمه مكتوب لهذا العهد في جدرانها .

ولما ولي علي بن يحيى بن تميم فسد ما بينه وبين رافع وأعان عليه رافع صاحب صقلية فغلب أسطول عـلي بن يحيى عـلى اسطول النصارى . ثم ذوى [1] قبائل العرب والاساطيل ، وزحف الى قابس سنة احدى عشر وأربعمائـة . قال ابن أبي الصلت : دول الثلاثة الاخماس من قبائل العرب الذين هم : سعيد ومحمـد ونحية ، وأضاف اليهم من الخمس الرابع أكابر بني مقدم فوافى من كان منهم بفحص القيروان . وفر رافع الى القيروان وامتنع عليه أهلها . ثم اجتمع شيوخ دهمان ، واقتسموا البلاد وعينوا القيروان لرافع وأمكنوه . وبعث علي بن يحيى عساكره والعرب المدوّنة على منازلة رافع بالقيروان وخرج الى محـاربتهم فهلك بالطريق في بعض حروبه مع أشياع رافع .

(١) كذا ، وفي ت : دوى ، ولا معنى هنا لذرى ، ولا لدوى . ومقتضى السياق: ثم دوخ قبائل العرب .

ثم أنّ ميمون بن زياد الصخري حمل رافع بن مكن على مسالمة السلطان وسعى في اصلاح ذات بينهما فانصلح وارتفعت بينهما الفتنة . وقام بقابس من ذلك رشيد بن كامل . قال ابن نخيل وهو الذي اختط قصر العروسيين وضرب السكة الرشيدية . وولي بعده ابنه محمد بن رشيد وغلب عليه مولاه يوسف . ثم خرج محمد في بعض وجوهه وترك ابنه مع يوسف فطرده يوسف واستبد ، وانتهى الى طاعة رجار فثار به أهل قابس ودفعوه عنهم فخرج الى أخيه . ولحق أخوه عيسى بن رشيد وأخبره الخبر فحاصرهم رجار بسبب ذلك مدة من الايام . وكان آخر من ملكها من بني جامع أخوه مدافع بن رشيد بن كامل . ولما استولى عبد المؤمن على المهدية وصفاقس وطرابلس بعث ابنه عبدالله بعسكر الى قابس ، ففر مدافع بن رشيد عن قابس

وأسلمها للموحدين ولحق بعرب طرابلس من عرب عوف فأجاروه سنتين . ثم لحق بعبد المؤمن بقابس [١] فأكرمه ورضي عنه . وانقرض أمر بني جامع من يؤانس ، والبقاء لله وحده اهـ.

الخبر عن ثورة رافع بن مكن بن مطروح بطرابلس والفرياني بصفاقس على النصارى وإخراجهم واستبدادهم بأمر بلدهم [٢] في آخر دولة بني باديس

أما طرابلس فكان رجار صاحب صقلية قد استولى عليها سنة أربعين وخمسمائة على يد قائده جرجي بن ميخاييل الأنطاكي ، وأبقى المسلمين بها واستعمل عليهم ، وبقيت في مملكة النصارى أياماً . ثم ان أبا يحيى بن مطروح من أعيان البلد مشى في وجوه الناس وأعيانهم ، وداخلهم في الفتك بالنصارى فاجتمعوا لذلك وثاروا بهم وأحرقوهم بالنار . ولما وصل عبد المؤمن الى المهدية وافتتحها سنة خمس وخمسين وفد عليه أبو يحيى بن مطروح ووجوه أهل طرابلس فأوسعهم براً وتكرمة . وقدم ابن مطروح المذكور عليهم وردهم الى بلدهم فلم يزل عليهم الى ان هرم وعجز بعهد يوسف بن عبد المؤمن ، وطلب الحج فسرحه السيد أبو زيد بن أبي حفص محمد [٣] بن عبد المؤمن عامل تونس فارتحل في البحر

(١) كذا وفي ت : بقاس .
(٢) كذا ، والصحيح واستبدادها بأمر بلديها كما في النسخة التونسية .
(٣) كذا ، وفي ت : عمر .

سنة ست وثمانين واستقر بالاسكندرية .

وأما صفاقس فكانت ولاتها أيام بني باديس من صنهاجة قبيلهم الى أن ولى المعز بن باديس عليها منصور البرغواطي من صنائعه ، وكان فارساً مقداماً فحدث نفسه بالثورة أيام تغلب العرب على افريقية ، وخروج المعز الى المهدية ، ففتك به ابن عمه حمو بن مليل البرغواطي وقتله في الحمام غدراً . وامتعض له حلفاؤه من العرب وحاصروا حمو حتى بذل لهم من المال ما رضوا به . واستبد حمو بن مليل بأمر صفاقس حتى اذا هلك المعز حدثته نفسه بالتغلب على المهدية ، فزحف اليها في جموعه من العرب ولقيه تميم فانهزم حمو وأصحابه سنة خمس وخمسين . ثم بعث ابنه يحيى مع العرب لحصار صفاقس فحاصرها مدة وأقلع عنها . وزحف اليه تميم بن المعز سنة ثلاث وتسعين فغلبه عليها . ولحق حمو بمكن بن كامل أمير قابس فأجازه ، وصارت صفاقس الى ملكة تميم ووليها ابنه .

ولما تغلب النصارى على المهدية وملكها جرجي بن ميخائيل قائد رجار سنة ثلاث وأربعين وتغلبوا بعدها على صفاقس وأبقوا أهلها ، واستعملوا عمر بن أبي الحسن القرباني لمكانه فيهم . وحملوا أباه أبا الحسن معهم الى صقلية رهناً . وكان ذلك مذهب رجار وديدنه فيما ملك من سواحل افريقية ، يبقيهم ويستعمل عليهم منهم ، ويذهب الى العدل فيهم فبقي عمر بن أبي الحسن عاملاً

لهم في أهل بلده وأبوه عندهم . ثم أنّ النصارى الساكنين بصفاقس امتدّت أيديهم الى المسلمين ولحقوهم بالضرر . وبلغ الخبر أبا الحسن وهو بمكانه من صقلية . فكتب الى ابنه عمر ، وأمره بانتهاز الفرصة فيهم والاستسلام الى الله في حق المسلمين ، فثار بهم عمر لوقته سنة احدى وخمسين وقتلهم . وقتل النصارى أباه أبا الحسن وانتقضت عليهم بسبب ذلك سائر السواحل . ولما افتتح عبد المؤمن المهدية من يد رجار وصل اليه عمر ، وأدّى طاعته فولاه صفاقس . ولم يزل والياً عليها وابنه عبد الرحمن من بعده ، الى ان تغلب يحيى بن غانية فرغبه في الحج فسرحه ولم يعد .

الخبر عما كان بافريقية من الثوار على صنهاجة عند اضطرابها بفتنة العرب الى ان محا أثرهم الموحدون

لما كان أبو رجاء الورد اللخمي عند اضطرام نار الفتنة بالعرب ، وتقويض المعزّ عن القيروان الى المهدية ، وتغلبهم عليها قد ضمّ اليه جماعة من الدعار . وكان ساكناً بقلعة قُرسِنَة [1] من جبل شُعَيب فكان يضرب على النواحي بجهة بنزرت ويفرض على أهل القرى الاتاوات بسبب ذلك ، فطال عليهم أمره ويئسوا

(١) كذا ، وفي ت : قريشة .

من حسم دائه وكان ببلد بنزرت فريقان احدها من لخم وهم قوم الورد ، وبقوا فوضى واختلف أمرهم فبعثوا إلى الورد في أن يقوم بأمرهم ، فوصل الى بلدهم فاجتمعوا عليه وأدخلوه حصن بنزرت . وقدموه على أنفسهم فحاطهم من العرب ودافع عن نواحيهم . وكان بنو مقدم من الأثبج ودهمان من بني عليّ احدى بطون رياح هم المتغلبون على ضاحيتهم فهادنهم على الاتاوة وكف بها عاديتهم ، واستفحل أمرهم وتسمّى بالامير ، وشيد المصانع والمباني وكثر عمران بنزرت الى أن هلك فقام بأمره ابنه طراد ، وكان شهماً ، وكانت العرب تهابه .

وهلك فولي من بعده ابنه محمد بن طراد وقتله أخوه مُقرن لشهر من ولايته في مُسامَرة وقام بأمر بنزرت وسمي بالامير ، وحمى حوزته من العرب ، واصطنع الرجال ، وعظم سلطانه وقصده الشعراء وامتدحوه فوصلهم . وهلك فولي من بعده ابنه عبد العزيز عشر سنين وجرى فيها على سنن أبيه وجدّه ثم ولي من بعده أخوه موسى على سننهم أربع سنين . ثم من بعده أخوهما عيسى واقتفى أثرهم . ولما نازل عبد الله بن عبد المؤمن تونس وأفرج عنه ومرّ به في طريقه فاستفرغ جهده في قراه ونجع بطاعته . وطلب منه الحفاظ على بلده فأسعفه . وولى عليهم أبا الحسن الهَرَغي ، فلما قدم عبد المؤمن على افريقية سنة اربع وخمسين راعى له ذلك وأقطعه ، واندرج في جملة الناس . وكان

بقلعة ورغة بدوكس [١] بن أبي علي الصنهاجي من أولياء العزيز المنصور صاحب بجاية ، والقلعة قد شادها [٢] وحصنها .

وكان مبدأ أمره ان العزيز تغير عليه في حروب وقعت بينه وبين العرب نسب فيها الى نفسه الاقدام ، والى السلطان العجز فخافه على نفسه ، ولحق ببجاية فأكرمه شيخها محمود بن نزال الريغي [٣] وآواه . وترافع الى محمود أهل ورغة من عمله . وكانوا فئتين مختلفتين من زاتيمة احدى قبائل البربر ، وهما : أولاد مدين وأولاد لاحق . فبعث عليهم بروكس بن أبي علي لينظر في أحوالهم ، وأقام معهم بالقلعة . ثم استجلب بعض الدعّار كانوا بناحيتها وأنزلهم بالقلعة معهم واصطنعهم ، وصاهر أولاد مدين وظاهرهم على أولاد لاحق ، وأخرجهم من القلعة واستبدّ بها .

وقصدته الرجال من كل جانب الى ان اجتمعت له خمسمائة فارس ، وأثخن في نواحيه ، وحارب بني الورد بينزرت وابن علّال بطَبَرْبة ، وقتل محمد بن سبّاع أمير بني سعيد من رياح ، وغصت القلعة بالساكن فاتخذ لها ربضاً ، وجهز اليه العزيز عسكره من بجاية فبارز قائد العسكر وفتك به واسمه غيلاس . وهلك بعد مدة وقام بأمره ابنه مَنيع ، ونازله بنو سبّاع وسعيد طالبين بثأر أخيهما محمد . وتمادى به الحصار وضاقت أحواله فاقتحموا

(١) كذا ، وفي ت : وكان بقلعة زرعة بروكس .
(٢) كذا ، وفي ت : والقلعة قد ثار بها وحصنها .
(٣) كذا ، وفي ت : محمود بن يزال الربعي .

عليه القلعة ، واستلحم هو وأهل بيته قتلاً وسبياً والله مالك الامور .

وكان أيضاً بطبربة مُدَافِع بن علّال القيسي شيخ من شيوخها ، فلما اضطربت افريقية عند دخول العرب اليها امتنع بطبربة وحصن قلعتها ، واستبدّ بها في جملة من ولده وبني عمه وجماعته الى أن ثار عليه ابن بيزون اللخمي في البحرين على وادي مجردة بازاء الرياحين . وطالت بينهما الفتنة والحرب . وكان قهرون بن غنوش بمنزل دحمون قد بنى حصنه وشيده ، وجمع اليه جيشاً من أوباش القبائل ، وذلك لما أخرجه أهل تونس بعد ان ولّاه العامّة عليهم . ثم صرفوه عن ولايتهم لسوء سيرته فخرج من البلد ، ونزل دحمون وبنى حصناً بنفسه مع الحنايا وردّد الغارة على تونس ، وعاث في جهاتها فرغبوا من محرز بن زياد أن يظاهرهم عليه ففعل .

وبلغ خبره ابن علّال صاحب طبربة فوصل ابن علال يده بصهر منه ونقله الى بعض الحصون ببلده ، وهي قلعة غنوش ، وتظافروا على الافساد . وخلفهما بنوهما من بعدهما الى أن وصل عبد المؤمن الى افريقية سنة أربع وخمسين فمحا آثار الفساد من جانب افريقية ، وكان أيضاً حمّاد بن خليفة اللخمي بمنزل رَقْطُون من اقليم زغوان على مثل حال ابن علال وابن غنوش وابن بيزون وخلفه ولده في مثل ذلك الى ان انقطع ذلك على

يد عبد المؤمن . وكان عماد بن نصر الله الكلاعي بقلعة شقبنارية قد صار اليه جند من أهل الدعارة وأوباش القبائل فحماها من العرب ، واستغاث به ابن فتاتة شيخ الأربس من العرب وشكا إليه سوء ملكتهم ، فزحف اليهم وأخرجهم من الأربس ، وفرض عليهم مالاً يؤدونه اليه الى ان مات وولي ابنه من بعده فجرى على سننه الى ان دخل في طاعة عبد المؤمن سنة أربع وخمسين وخمسمائة ، والله مالك الملك لا رب غيره سبحانه اهـ

دَولةُ آل حَمّادٍ مِن مُلوكِ صِنْهاجَة

الخبر عن دولة آل حماد بالقلعة من ملوك صنهاجة الداعية لخلافة العبيديين وما كان لهم من الملك والسلطان بافريقية والمغرب الاوسط الى حين انقراضه بالموحدين

هذه الدولة شعبة من دولة آل زيري ، وكان المنصور بُلكّين قد عقد لاخيه حمّاد على أشير والمسيلة ، وكان يتداولها مع أخيه يطوفت وعمه أبي البهار . ثم استقل بها سنة سبع وثمانين أيام باديس من أخيه المنصور ودفعه لحرب زناتة سنة خمس وتسعين بالمغرب الأوسط من مغراوة وبني يفرن ، وشرط له ولاية أشير والمغرب الأوسط وكل بلد يفتحه وأن لا يستقدمه . فعظم عناؤه

فيها وأثخن في زناتة ، وكان مظفراً عليهم . واختط مدينة القلعة بجبل كتامة سنة ثمان وتسعين ، وهو جبل عجيسة وبه لهذا العهد قبائل عياض من عرب هلال ، ونقل اليها أهل المسيلة وأهل حمزة وخربها . ونقل جراوة من المغرب وأنزلهم بها ، وتم بناؤها وتمصيرها على رأس المائة الرابعة . وشيد من بنيانها واسوارها ، واستكثر فيها من المساجد والفنادق فاستبحرت في العمارة واتسعت بالتمدن . ورحل اليها من الثغور والقاصية والبلد البعيد طلاب العلوم وأرباب الصنائع لنفاق أسواق المعارف والحرف والصنائع بها .

ولم يزل حمّاد أيام باديس هذا أميراً على الزاب والمغرب الأوسط ومتولياً حروب زناتة . وكان نزوله ببلد أشير والقلعة متاخماً لملوك زناتة وأحيائهم البادية بضواحي تلمسان وتاهرت . وحاربه بنو زيري عند خروجهم على باديس سني تسعين وثلثمائة وهم زاوي وماكسن واخوانهما ، فقتل ماكسن وابناه وألجأ زاوي واخوته الى جبل شنون وأجازهم البحر الى الاندلس . ثم ان بطانة باديس ومن اليه من الاعجام والقرابة نفسوا على حماد رتبته وسعوا في مكانه من باديس ، الى ان فسد ذات بينهما . وطلب باديس أن يسلم عمل تيجسب وقسطنطينة لولده المعز لما قلده الحاكم ولاية عهد ابنه ، فأبى حماد وخالف دعوة باديس وقتل الرافضة وأظهر السنة ورضي عن الشيخين ونبذ طاعة

العبيديين جملة ، وراجع دعوة آل العباس وذلك سنة خمس واربعمائة .

وزحف الى باجة فدخلها بالسيف ودسّ الى أهل تونس الثورة على المشارقة والرافضة فثاروا بهم فناصبه باديس الحرب ، وعبأ عساكره من القيروان ، وخرج إليه فنزع عن حماد أكثر أصحابه مثل : بني أبي واليل أصحاب معرّة من زناتة ، وبني حسن كبار صنهاجة ، وبني يطوفت من زناتة ، وبني غمرة أيضاً منهم ، وفرّ حماد ، وملك باديس أشير . ولحق حماد بشلف بني واليل وباديس في اتباعه ، حتى نزل مواطن [1] السرسو من بلاد زناتة . ونزع اليه عطية بن داقلتن [2] في قومه من بني توجين ، لما كان حماد قتل أباه . وجاء على أثره ابن عمه بدر بن لقمان بن المعتز فوصلها باديس واستظهر بهما على حماد .

ثم أجاز اليه باديس من وادي شلف وناجزه الحرب ، ونزع اليه عامة أهل معسكره فانهزم وأغذ السير الى القلعة ، وباديس في أثره حتى نزل فحص المسيلة ، وانحجر حماد في القلعة وحاصره . ثم هلك بمعسكره من ذلك الحصار فجأة بضربه وهو نائم بين أصحابه آخر ست واربعمائة ، فبايعت صنهاجة لابنه المعز صبياً ابن ثمان سنين . وتلافوا أمر أشير ، وبعثوا كرامة بن منصور

(١) كذا ، وفي ت : بوالطين ، وفي ب : بوادي الطين .

(٢) كذا وفي ت : داوقلين ، وفي ب : داقلتن .

لسدّها فلم يقدر ، واقتحمها [1] عليه حماد . واحتملوا باديس على أعواده الى مدفنهم بالقيروان . وبايعوا المعز بالبيعة العامة . وزحف الى حماد بناحية قفصة ، وأشفق حماد فبعث ابنه القائد لاحكام الصلح بينه وبين المعز ، فوصل الى القيروان سنة ثمان وأربعمائة بهدية جليلة . وأمضى له المعز ما سأله من الصلح ورجع الى ابيه .

وهلك حماد سنة تسعة عشر وأربعمائة فقام بأمره ابنه القائد ، وكان جباراً فاستعمل أخاه يوسف على المغرب وويغلان على حمزة ، في بلد اخطته حمزة بن ادريس . وزحف اليه حمامة بن زيري بن عطية ملك فاس من مغراوة سنة ثلاثين ، فخرج اليه القائد وسرب الاموال في زناتة . وأحس بذلك حمامة فصالحه ودخل في طاعته ، ورجع الى فاس . وزحف اليه المعز من القيروان سنة أربع وثلاثين وحاصره مدة طويلة . ثم صالح القائد وانصرف الى أشير فحاصرها ، ثم أقلع عنها وانكفأ راجعاً . وراجع القائد طاعة العبيديين لما نقم عليه المعز ولقبوه شرف الدولة .

وهلك سنة ست وأربعين وولي ابنه محسن وكان جباراً ، وخرج عليه عمه يوسف ولحق بالمغرب فقتل سائر أولاد حماد ، وبعث محسن في طلبه بُلُكين ابن عمه محمد بن حماد ، وأصحبه من العرب خليفة بن بكير وعطية الشريف وأمرهما بقتل بلكين

(١) لسدها : يرجع الضمير الى القلعة . وكذلك في : اقتحمها .

في طريقهما ، فأخبرا بلكين بذلك وتعاهدوا جميعاً على قتل محسن وأنذر بهم ففر الى القلعة وأدركوه ، فقتله بلكين لتسعة أشهر من ولايته . وولي الامر سنة سبع وثلاثين [1] ، وكان شهماً قرماً حازماً سفاكاً للدماء . وقتل وزير محسن الذي تولى قبله .

وفي أيامه قتل جعفر بن أبي رمان مقدم بسكرة لما أحس بنكثه ، فخالف أهل بسكرة بأثر ذلك حسبما نذكره . ثم مات أخوه مقاتل بن محمد فاتهم به زوجته تاميرت بنت عمه علناس ابن حماد فقتلها ، وأحفظ ذلك أخاها الناصر وطوى على التبييت. وكان بلكين كثيراً ما يردد الغزو الى المغرب . وبلغه استيلاء يوسف بن تاشفين والمرابطين على المصامدة فنهض نحوهم سنة أربع وخمسين ، وفر المرابطون الى الصحراء ، وتوغل بلكين في ديار المغرب ، ونزل بفاس ، واحتمل من أكابر أهلها وأشرافهم رهناً على الطاعة . وانكفأ راجعاً الى القلعة ، فانتهز منه الناصر ابن عمه الفرصة في الثأر بأخته ، ومالأه قومه من صنهاجة لما لحقهم من تكلف المشقة بابعاد الغزو والتوغل في أرض العدو فقتله بتسالة سنة أربع وخمسين .

وقام بالأمر من بعده ، واستوزر أبابكر أبي الفتوح ، وعقد على المغرب لاخيه كباب وأنزله مليانة وعلى حمزة لاخيه رومان ،

(١) كذا ، وفي ت : سنة سبع واربعين ، وهو الصحيح .

وعلى نقاوس لأخيه خزر . وكان المعز قد هدم سورها فأصلحه الناصر ، وعقد على قسطنطينة لأخيه بلبار ، وعلى الجزائر ومرسى الدجاج لابنه عبد الله ، وعلى أشير لابنه يوسف ، وكتب اليه حمو بن مليل البرغواطي من صفاقس بالطاعة وبعث اليه بالهدية . ووفد عليه أهل قسطنطينة[1] ومقدمهم يحيى بن واطاس فأعلنوا بطاعته ، وأجزل صلتهم وردهم الى أماكنهم ، وعقد عليها يوسف ابن خلوف من صنهاجة ودخل أهل القيروان أيضاً في طاعته وكذلك أهل تونس .

وكان أهل بسكرة لما قتل بلكين مقدمهم جعفر بن أبي رمان خلعوا طاعة آل حماد واستبدوا بأمر بلدهم ، وعليهم بنو جعفر فسرح الناصر اليهم خلف بن أبي حيدرة وزيره ووزير بلكين قبله فنازلها وافتتحها عنوة ، واحتمل بني جعفر في جماعة من رؤسائها الى القلعة فقتلهم الناصر وصلبهم ، ثم قتل خلف بن أبي حيدرة بسعاية رجالات صنهاجة فيه ، انه لما بلغه خبر بلكين أراد تولية أخيه معمر ، وشاورهم في ذلك فقتله الناصر وولى مكانه أحمد بن جعفر ابن أفلح .

ثم خرج الناصر ليتفقد المغرب فوثب علي بن راكان على تافربوست[2] دار ملكهم . وكان لما قتل بلكين هرب الى اخوانه

(١) كذا ، وفي ت : قسطيلة .
(٢) كذا ، وفي ت : تاقربوست .

من عجيسة ، واهتبلوا الغرة في تافربوست لغيبة الناصر فطرقوها ليلًا . وملكها علي فرجع النّاصر من المسيلة وعاجلهم فسقط في أيديهم وافتتحها عليهم عنوة ، وذبح علي بن راكان نفسه بيده ثم وقعت بين العرب الهلاليين فتن وحروب ووفد عليه رجالات الاثبج صريخًا به على رياح فأجابهم ونهض الى مظاهرتهم في جموعه من صنهاجة وزناتة حتى نزل للاربس ، وتواقعوا بسببه فغدرت بهم زناتة وجروا عليه وعلى قومه الهزيمة بدسيسة ابن المعز بن زيري ابن عطية وإغراء تميم ابن المعز فانهزم الناصر ، واستباحوا خزائنه ومضاربه ، وقتل أخوه القاسم وكاتبه ونجا الى قسطنطينة في اتباعه .

ثم لحق بالقلعة في فلٍّ من عسكره لم يبلغوا مايتين . وبعث وزيره ابن أبي الفتوح للاصلاح فعقد بينهم وبينه صلحاً وتممه الناصر . ثم وفد عليه رسول تميم وسعى عنده بالوزير ابن أبي الفتوح ، وانه مائل الى تميم فنكسه وقتله . وكان المستنصر بن خزرون الزناتي خرج في أيام الفتنة بين الترك والمغاربة بمصر ، ووصل الى طرابلس فوجد بني عُدَيّ بها قد أخرجهم الأثبجُ وزغبة من افريقية كما ذكرناه فرغبهم في بلاد المغرب ، وسار بهم حتى نزل المسيلة ، ودخلوا أشير . وخرج اليه الناصر ففرّ الى الصحراء ورجع ، فرجع الى مكانه من الافساد فراسله الناصر في الصلح فأسعفه ، وأقطعه ضواحي الزاب ووريغه وأوعز الى

عروس بن هندي [١] رئيس بَسْكَرَة لعهده وولي دولته أن يمكر به فوصل المنتصر الى بسكرة ، وخرج اليـه عروس بن هندي وأجد نزله ، وأشار على حشمه عند انسكاب المنتصر وذويه على الطعام فبادروا مكبين لطعنه ، وفرّ اتباعه وأخذوا رأسه وبعث به الى الناصر فنصبه ببجاية وصلب شلوه بالقلعه وجعلوه عظة لغيره .

وقتل كثير من رؤساء زناتة فمن مغراوة أبي الفتوح بن حبوس أمير بني سنجلس ، وكانت له بلد لمدية ولمرية قبيل من بطون صنهاجة سميت البلد بهم ، وقتل معتصِر بن حمَّاد منهم أيضاً ، وكان بناحية شِلِّف فأجلبِ على عامل مِليانة ، وقتل شيوخ بني وُرَيسفان من مِغراوَةِ فكاتبهم السلطان لما كان مشتغلاً عنهم بشأن العرب ، فزحفوا الى معتصر وقتلوه ، وبعثوا برأسه إلى الناصر فنصبه على رأس القصر . وبعث اليه أهل الزاب أنّ عمر [٢] ومغراوة ظاهروا الأثبج من العرب على بلادهم ، فبعث ابنه المنصور في العساكر ونزل وعلان [٣] بلد المنتصر بن خزرون وهدمها .

وبعث سراياه وجيوشه الى بلد واركلا وولّى عليها ، وقفل بالغنائم والسبي .وبلغه عن بني توجين من زناتة انهم ظاهروا بني عَدِيّ من العرب على الفساد وقطع السبيل ، وأميرهم اذ ذاك

---

(١) كذا ، وفي ت : سندي .

(٢) كذا ، وفي ت : غمرت . وفي ب : عمرت .

(٣) كذا ، وفي ت : وغلان .

مناد بن عبد الله فبعث ابنه المنصور اليهم بالعسكر ، وتقبض على أمراء بني عدي ساكن بن عبد الله وحميد بن خزعل ولاحق ابن جهان ، وتقبض ايضاً على أمير بني توجين وأخيه زيري وعميهما الأغلب وحمامة ، وأحضرهم فوبخهم وقدر عليهم فغلبه في اجارتهم من أولاد القاسم رؤساء بني عبد الواد ، وقتلهم جميعاً على الخلاف .

وفي سنة ستين افتتح جبل بجاية ، وكان له قبيل من البربر يسمون بهذا الاسم ، إلّا أن الكاف فيهم بلغتهم ليست كافاً بل هي بين الجيم والكاف وهذا القبيل من صنهاجة باقون لهذا العهد أوزاعا في البربر ، فلما افتتح هذا الجبل اختط به المدينة وسماها الناصرية ، وتسمى عند الناس باسم القبيلة وهي بجاية وبنى بها قصر اللؤلؤة ، وكان من أعجب قصور الدنيا ونقل اليها الناس ، وأسقط الخراج عن ساكنيها وانتقل اليها سنة احدى وستين .

وفي أيام الناصر هذا كان استفحال ملكهم وشغوفه على ملك بني باديس اخوانهم بالمهدية ، ولما أضرع منه الدهر بفتنة العرب الهلاليين حتى اضطرب عليهم أمرهم ، وكثر الثوار عليهم والمنازعون من أهل دولتهم فاعتز آل حماد هؤلاء أيام الناصر هذا ، وعظم شأن ايامهم فبنى المباني العجيبة المؤنقة ، وشيّد المدائن العظيمة وردّد الغزو الى المغرب وتوغل فيهم .

ثم هلك سنة احدى وثمانين ، وقام بالامر من بعده ابنه المنصور بن الناصر . ونزل بجاية سنة ثلاث وثمانين وأوطنها بعساكره

وخاصة بعرا من منازل العرب ، وما كانوا يسومونهم بالقلعة ، من خطة الخسف وسوء العذاب بوطء ساحاتها والعيث في نواحيها ، وتخطف الناس من حولها لسهولة طرقها على رواحلهم ، وصعوبة المسالك عليها في الطريق الى بجاية لمكان الأوعار ، فاتخذ بجاية هذه معقلاً وصيرها داراً لملكه ، وجدّد قصورها وشيّد جامعها . وكان المنصور هذا جمّاعة مولعاً بالبناء ، وهو الذي حضر ملك بني حماد ، وتأنق في اختطاط المباني وتشييد المصانع واتخاذ القصور واجراء المياه في الرياض والبساتين . فبنى في القلعة قصر الملك والمنار والكوكب وقصر السلام وفي بجاية قصر اللؤلؤة وقصر أميميون .

وكان أخوه يلباز على قسطنطينة منذ عهد الناصر أبيهما وهمّ بالاستبداد لاول ولاية المنصور فسرّح اليه أبا يُكنى بن مُحصن بن العابد في العساكر ، وعقد له على قسطنطينة وبونة فتقبض على بلباز وأشخصه الى القلعة ، وأقام والياً على قسطنطينة مكانه ، وولى أخاه ويغلان على بونة . ثم بدا له في الخلاف على المنصور وثار بقسطنطينة سنة سبع وثمانين . وبعث أخاه من بونة الى تميم بن المعزّ بالمهدية ، واستدعاه لولاية بونة فبعث معه ابنه أبا الفتوح بن تميم ، ونزل بونة مع ويغلان . وكاتبوا المرابطين بالمغرب الاقصى وجمعوا العرب على أمرهم . وسرح المنصور عساكره فحاصروا بونة سبعة اشهر ، ثم اقتحموها

غلاباً ، وتقبضوا على أبي الفتوح بن تميم وبعثوا به إلى المنصور فاعتقله بالقلعة .

ثم نازلت عساكره قسطنطينة واضطرب أحوال ابن أبي يكنى فخرج الى قلعة بجبل أوراس ، وتحصَّن بها . ونزل بقسطنطينة صُلَيصِل بن الاحمر من رجالات الأثْبج . وداخل صُلَيْصِل المنصور في أن يمكّنه من قسطنطينة على مال يبذله ففعل ، واستولى عليها المنصور . وأقام أبو يكنى بحصنه من أوراس ، وردّد الغارة على قسطنطينة فتوجهَّت اليه العساكر وحاصروه بقلعته . ثم اقتحموها عليه وقتلوه . وكان بنو ومانو من زناتة حيًّا جميعاً وقوماً أعزة . وكانت اليهم رئاسة زناتة . وكان رئيسهم لعهده ماخوخ ، وكان بينهم وبين آل حمّاد صهر فكانت احدى بناتهم زوجة للناصر ، وكانت أخرى عند المنصور .

ولما تجددت الفتنة بينه وبين قومها أغزاهم المنصور بنفسه في جموع صنهاجة وحشوده ، وجمع له ماخوخ ولقيه في زناتة فانهزم المنصور الى بجاية فقتل أخت ماخوخ التي كانت تحته . واستحكمت النفرة بين ماخوخ وبينه . وسار الى ولاية امراء تلمسان من لمتونة وحرّضهم على بلاد صنهاجة ، فكان ذلك مما دعا المنصور الى النهوض الى تلمسان . وذلك أن يوسف بن تاشفين لمّا ملك المغرب واستفحل به أمره سما الى ملك تلمسان ، فغلب عليها أولاد يعلى سنة أربع وسبعين على ما يأتي ذكره ،

وأنزلها محمد بن يَغمر المسوفي وصيرها ثغراً لملكه فاضطلع بأمرها ونازل بلاد صنهاجة وثغورهم ، فزحف اليه المنصور وأخرب ثغوره وحصون ماخوخ ، وضيّق عليه فبعث اليه يوسف بن تاشفين وصالحه .

وقبض أيدي المرابطين عن بلاد صنهاجة ثم عاود المرابطون الى شأنهم في بلاده فبعث ابنه الأمير عبد الله ، وسمع به المرابطون فانقبضوا عن بلاده وزحفوا الى مراكش . واحتل هو بالمغرب الأوسط فشنّ الغارة في بلاد بني ومانوا ، وحاصر الجعبات ، وفتحها ثم عاود ذلك مرات كذلك ، وعفا عن أهلها ، ورجع الى أبيه . ثم وقعت الفتنة بينه وبين ماخوخ . وقتل أخوه ولحق ابن ماخوخ بتلمسان ، وظاهره ابن يغمر صاحب تلمسان على أمره ، وأجلبوا على الجزائر فنازلوها يومين ، مات عقيبها محمد بن يَغْمر صاحب تلمسان .

وولي يوسف بن تاشفين مكان أخيه تاشفين [1] بن يغمر ، فنهض الى أشير وافتتحها فقام المنصور في ركائبه ومعه كافة صنهاجة [2] . ومن العرب أحياء الأثبج وزغبة وربيعة ، وهم المعقل ، من زناتة أمماً كثيرة ، ونهض الى غزو تلمسان سنة ست وسبعين في نحو عشرين ألفاً . ولقي اسطقسيف وبعث العسكر في

(١) كذا ، وفي ت : وولي يوسف بن تاشفين مكانه أخاه تاشفين بن يغمر
(٢) كذا ، وفي ت : فقام المنصور في ركائبه وقعد واستنفر كافة صنهاجة .

مقدمته ، وجاء على أثرهم . وكان تاشفين قد أفرج عن تلمسان وخرج الى تُسَالة ولقيته عساكر المنصور فهزموه ، ولجأ الى جبل الصخرة . وعاثت عساكر المنصور في تلمسان فخرجت اليه حوا زوجة تاشفين أميرهم متذممة راغبة في الإبقاء ، متوسلة بوشائج الصنهاجية ، فأكبر قصدها إليه واكرم موصلها ، وأفرج عنهم صبيحة يومه . وانكفأ راجعاً الى حضرته بالقلعة . وأثخن بعدها في زناتة وشردهم بنواحي الزاب والمغرب الأوسط . ورجع الى بجاية وأثخن في نواحيها ودوّخت عساكره قبائلها فساروا في جبالها المنيعة مثل بني عِمْران وبني تازروت [1] والمنصورية والصهريج والناظور [2] وحجر المعز ، وقد كان اسلافه يرومون كثيراً عنها فتمتنع عليهم فاستقام أمره واستفحل ملكه .

وقدم عليه معز الدولة بن صمادح من المرية فاراً أمام المرابطين لما ملكوا الاندلس ، فنزل على المنصور وأقطعه تدلس وأنزله بها . وهلك سنة ثمان وتسعين فولي من بعده ابنه باديس ، فكان شديد البأس عظيم النظر فنكب عبد الكريم بن سليمان وزير أبيه لاوّل ولايته ، وخرج من القلعة الى بجاية فنكب سهاماً عامل بجاية . وهلك قبل أن يستكمل سنة ، وولي من بعده أخوه العزيز . وقد كان عزله عن الجزائر وغرّبه الى جيجل

(١) كذا ، وفي ب : يازروت ، وفي نسخة أخرى : بازروت .

(٢) كذا ، وفي ت : والصهريج والباطور . وفي ب : والهريج والناطور .

فبعث عنه القائد علي بن حمدون فوصل ، وبايعوه وصالح زناتة وأصهر الى ماخوخ فأنكحه ابنته . وطال أمر ملكه ، وكانت أيامه هدنة وأمناً . وكان العلماء يتناظرون في مجلسه .

ونازلت أساطيله جربة فنزلوا على حكمه وأخذوا بطاعته . ونازل تونس وصالحه صاحبها أحمد بن عبد العزيز وأخذ بطاعته ، وكبس العرب في أيامه القلعة وهم غازون فاكتسحوا جميع ما وجدوه بظواهرها ، وعظم عيثهم ، وقاتلتهم الحامية فغلبوهم وأخرجوهم من البلد . ثم ارتحل العرب وبلغ الخبر الى العزيز فبعث ابنه يحيى وقائده علي بن حمدون من بجاية في عسكر وتعبية ، فوصل الى القلعة وسكن الاحوال . وقد أمن العرب واستعتبوا فأعتبوا وانكفأ يحيى راجعاً الى بجاية في عسكره . وعلى عهد العزيز هذا كان وصول مهدي الموحدين الى بجاية قافلاً من المشرق سنة اثنتي عشرة ، وغير بها المنكر فسعى به عند العزيز وائتمر به ، فخرج الى بني وريا كل من صنهاجة كانوا ساكنين بوادي بجاية فأجاروه . ونزل عليهم بملالة وأقام بها يدرّس العلم . وطلبه العزيز فمنعوه وقاتلوا دونه الى أن رحل عنهم الى المغرب .

وهلك العزيز سنة خمس عشرة وأربعمائة [1] فولي من بعده ابنه يحيى ، وطالت أيامه مستضعفاً مغلباً للنساء مولعاً بالصيد ،

(١) كذا ، وفي ت : وخمسمائة .

على حين انقراض الدولة وذهاب الايام بقبائل صنهاجة . واستحدث السكة ولم يحدثها أحد من قومه أدباً مع خلفائهم العبيديين ونقل بن حمّاد ان سكته في الدينار كانت ثلاثة سطور ودائرة في كل وجه ، فدائرة الوجه الواحد : « واتقوا يوماً ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » والسطور : لا إله إلّا الله محمد رسول الله ، يعتصم بحبل الله يحيى بن العزيز بالله الأمير المنصور . ودائرة الوجه الاخر : بسم الله الرحمن الرحيم ضرب هذا الدينار بالناصرية سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة . وفي سطوره : الامام أبو عبد الله المقتفي لامر الله أمير المؤمنين العباسي .

ووصل سنة ثلاث وأربعين الى القلعة لافتقادها ونقل ما ما بقي بها وانتقض عليه بتوزر ابن مروان فجهز اليه الفقيه مطرف بن علي بن حمدون في العساكر فافتتحها عَنْوَةً وتقبّض على ابن مروان وأوصله اليه فسجنه بالجزائر الى أن هلك في معتقله ، وقيل قتله . وبعث مطرف بابنه الى تونس فافتتحها ونازل في وجهته هذه المهدية فامتنعت عليه ، ورجع الى بجاية . وتغلب النصارى على المهدية ، وقصده الحسن صاحبها فأجازه الى الجزائر وأنزله بها مع أخيه القائد ، حتى اذا زحف الموحدون الى بجاية وفر القائد من الجزائر وأسلمها قدموا الحسن على أنفسهم . ولقي عبد المؤمن فأمّنهم ، وأخرج يحيى بن عبد العزيز أخاه سبع للقاء

الموحدين فانهزم وملك الموحدون بجاية .

وركب يحيى البحر الى صقلية يروم الاجازة منها الى بغداد . ثم عدل الى بونة فنزل على أخيه الحارث . ونكر عليه سوء صنيعه واخراجه عن البلاد فارتحل عنه الى قسطنطينة فنزل على أخيه الحسن ، فتخلى له عن الامر . وفي خلال ذلك دخل الموحدون القلعة عنوة . وقتل حوشن بن العزيز وابن الدحامس من الاثبج معه وخربت القلعة . ثم بايع يحيى لعبد المؤمن سنة سبع وأربعين . ونزل عن قسطنطينة واشترط لنفسه فوفى له ، ونقله الى مراكش فسكنها . ثم انتقل الى سلا سنة ثمان وخمسين فسكن قصر بني عشيرة الى ان هلك في سنته . وأما الحارث بن عبد العزيز صاحب بونة ففر الى صقلية واستصرخ صاحبها فصارخه على أمره ورجع الى بونة وملكها . ثم غلب عليها الموحدون وقتلوه صبراً . وانقرض ملك بني حماد والبقاء لله وحده ولم يبق من قبائل ماكسن إلا أوزاع بوادي بجاية ينسبون اليهم ، وهم لهذا العهد في عداد الجند ، ولهم اقطاع بنواحي البلد على العسكرة في جملة السلطنة مع قواده ، والله وارث الارض ومن عليها اه

يحيى بن العزيز بن المنصور بن الناصر بن علناس بن حماد بن بلكين بن زيري

باديس

عبد الله

ويغلان

خزر

بلباز

محسن بن القايد

يطوفت

المنصور

أبو البهار

مُلوكُ بني حَبّوس

الخبر عن ملوك بني حبّوس بن ماكسن من بني زيري من صنهاجة بغرناطة من عدوة الاندلس وأولية ذلك ومصايره

لما استبد باديس بن المنصور بن بُلكين بن زيري بن مناد بن هاد بولاية افريقية سنة خمس وثمانين ولّى عمومته وقرابته ثغور عمله ، فأنزل حمّاداً بأشير وأخاه يطوفت بتاهرت ، وزحف زيري ابن عطيّة صاحب فاس من مغراوة بدعوة المؤيّد هشام خليفة قُرْطُبَة الى عمل صنهاجة في جموع زناتة ونزل تاهرت وسرّح باديس عساكره لنظر محمد بن أبي العون فالتقوا على تاهرت وانهزم صنهاجة فزحف باديس بنفسه للقائهم وخالف عليه فلفول ابن سعيد بن خزرون صاحب طِبْنَة . ثم أجفل زيري بن عطية امامه ورجع الى المغرب فرجع باديس الى القيروان ، وترك عمومته أولاد زيري بأشير مع حماد وأخيه يطوفت وهم : زاوى وجلال وعمرم ومعنين وأجمعوا على الخلاف والخروج على باديس سنة سبع وثمانين ، فأسلموا حماداً برمته واستولوا على جميع ما معه ، واتصل الخبر بأبي البهار بن زيري وهم مع باديس فخشيه على نفسه ولحق بهم واجتمعوا في الخلاف ، واشتغل باديس عنهم بحرب فلفول بن يانس مولى الحاكم

القادم على طرابلس من قبله ، وانفسح مجالهم في الفساد والعيث ووصلوا أيديهم بفلفول وعاقدوه .

ثم رجع أبو البهار عنهم الى باديس فتقبله وصالح له ثم رجعوا الى جهاد سنة احدى وتسعين ، ولقيهم فهزمهم وقتل مساكن وابنه ، ولحق زاوي بجبل شَنُّوق ، من ساحل مليانة ، وأجاز البحر الى الاندلس في بنيه وبني أخيه وحاشيته ، ونزل على المنصور بن أبي عامر صاحب الدولة وكافل الخلافة الاموية فأحسن نزلهم وأكرم وفادتهم ، واصطنعهم لنفسه واتخذهم بطانة لدولته وأوليائه على ما يرومه من قهر الدولة والتغلب على الخلافة ، ونظمهم في طبقات زناتة وسائر رجالات البربر الذين أدال بجموعهم من جنود السلطان وعساكر الاموية وقبائل العرب ، واستغلظ أمر صنهاجة بالاندلس واستفحلت امارتهم وحملوا دولة المنصور بن ابي عامر وولديه المظفر والناصر من بعده على كاهلهم .

ولما انقرض أمرهم واضمحلت دولتهم ونشأت الفتنة بالأندلس بين البرابرة وأهلها فكان زاوى كبش تلك الوقائع ومحشّ حروبها [1] . وتمرّس بقرطبة هو وقومه صنهاجة وكافة زناتة والبربر حتى اثبتوا قدم خليفتهم المستعين سليمان بن الحكم بن سليمان بن الناصر الذي أتوه ببَيعتهم ، واعطوه على الطاعة صفقتهم كما ذكرناه في أخبارهم ثم اقتحموا به قرطبة عَنْوَةً واصطلموا عامّة أهلها وأنزلوا المعرات

(١) حشّ الحرب هيجها ، كما في القاموس

بذوي الصون منها وبيوتات الستر من خواصها ، فحدث الناس في ذلك بأخبارها . وتوصل زاوي عند استباحة قرطبة الى رأس أبيه زيري بن مناد المنصور بجدران قصر قرطبة فأزاله وأصاره الى قومه ليدفن في جدثه . ثم كان شأن بني حمود من العلوية وافترق أمر البرابرة واضطرمت الاندلس ناراً وامتلأت جوانبها فتنة وأسرى الرؤساء من البرابرة ورجالات الدولة على النواحي والامصار فلكوها ، وتحيزت صنهاجة الى ناحية ألبيرة فكانت ضواحيها لهم وحصل عليها استيلاؤهم ، وزاوى يومئذ عضد البرابرة فنزل غرناطة واتخذها داراً لملكته ومعتصماً لقومه .

ثم وقع في نفسه سوء أثر البربر بالاندلس أيام الفتنة ، وحذر مغبة الفعلة واستعاضت الدولة فاعتزم على الرحلة وآوى الى سلطان قومه بالقيروان سنة عشر وأربعمائة بعد غيبة عشرين سنة ، وأنزل على المعز بن باديس حافد أخيه بلكين اجل ما كانت دولتهم بأمر افريقية ، وأترف وأوسع ملكاً وأوفر عدداً . فلقيه المعز باحسن أحوال البر والتجلة ، وأنزله أرفع المنازل من الدولة وقدمه على الاعمام والقرابة وأسكنه بقصره ، وأبرز الحرم للقائه ، فيقال إنه لقيه من ذوات محارمه ألف امرأة لا تحل له واحدة منهن ، ووارى ابراهيم مع شلوه بجدثه ، وكان استخلف على عمله ابنه ونا ، فظعن لاهل غرناطة فانتقضوا عليه وبعثوا عن حبوس ابن عمه ماكسن بن زيري مكانه ببعض حصون عمله ، فبادر اليهم ونزل

بغرناطة فانتقضوا عليه وبايعوه، واستحدث بها ملكاً، وكان من اعظم ملوك الطوائف بالاندلس الى أن هلك سنة تسع وعشرين.

وولي من بعده ابنه باديس بن حَبُّوس ويُلَقَّب بالمُظَفَّر ولم يزل مقيماً لدعوة آل حمود امراء مالقة بعد تخلفهم عن قرطبة سائر أيامه وزحف اليها العامري صاحب المُرِيَّة سنة تسع وعشرين، فلقيه باديس بظاهر غرناطة فهزمه وقتله، وطالت أيامه ومدّ ملوك الطوائف أيديهم جميعاً الى مدده، فكان ممن استمدّه محمد بن عبد الله البرزالي لما حاصره اسمعيل بن القاضي بن عبّاد بعساكر ابيه، فأمدّه باديس بنفسه وقومه وصار الى صريخه مع ابن بقية قائد ادريس بن حمود صاحب المالقة سنة احدى وثلاثين ورجعوا من طريقهم، وطمع اسمعيل بن القاضي بن عباد مع صريخه فيهم فاتبعهم ولحق بباديس في قومه فاقتتلوا وفرّ عسكر اسمعيل وأسلموه فقتله صنهاجة، وحمل رأسه الى ابن حمود.

وكان القادر بن ذي النون صاحب طليلة أيضاً يستدفع به وبقومه استطالة ابن عباد وأعوانه. وباديس هذا هو الذي مَصَّر غرناطة واختطّ قصبتها وشاد قصورها وشيد حصونها، وآثاره في مبانيها ومصانعها باقية لهذا العهد. واستولى على مالقة عند انقراض بني حمود سنة تسع وأربعين وأضافها الى عمله، وهلك سنة سبع وستين. وظهر أمر المرابطين بالمغرب، واستفحل ملك

يوسف بن تاشفين فولي من بعده حافده عبد الله بن بلكين بن باديس . وتغلب المظفر وعقد لاخيه تميم على مالقة فاستقام أمرها الى أن أجاز يوسف بن تاشفين الى العدوة اجازته المعروفة كما نذكره في أخباره ونزل بغرناطة سنة ثلاث وثمانين فتقبّض على عبد الله بن بلكين ، واستصفى أمواله وذخيرته ، وألحق به أخاه تميماً من مالقة واستصحبها الى العدوة . فأنزل عبدالله وتميماً بالسوس الاقصى وأقطع لهما الى ان هلكوا في ايالته . ويزعم بنو الماكسن من بيوتات طنجة لهذا العهد انهم من أعقابهم ، فاضمحل ملك بلكانة من صنهاجة ومن افريقية والاندلس أجمع ، والبقاء لله وحده . اهـ

عبدالله بن بلكين بن باديس بن حبوس بن ماكسن ـــ بن زيري بن مناد

زاوي بن زيري

ملوك غرناطة بعد الفتنة

الطبقة الثانية من صنهاجة وهم الملثمون
وما كان لهم بالمغرب من الملك والدولة

هذه الطبقة من صنهاجة هم الملثمون الموطنون بالقفر وراء الرمال الصحراوية بالجنوب ، أبعدوا في المجالات هنالك منذ دهور قبل

الفتح لا يعرف أولها ، فأصحروا عن الارياف ووجدوا بها المراد وهجروا التلول وجفوها ، واعتاضوا منها بالبـان الانعام ولحومها انتباذاً عن العمران واستئناساً بالانفراد وتوحشاً بالعـز عن الغلبة والقهر . فنزلوا من ريف الحبشة جواراً ، وصاروا ما بين بـلاد البربر وبلاد السودان حجزاً ، واتخذوا اللثام خطاماً تميزوا بشعاره بين الامم ، وعفوا في تلك البلاد وكثروا . وتعـددت قبائلهم من كذالة فلمتونة فمسوفة فوتريكة فناوكا [1] فزغاوة ثم لمطـة اخوة صنهاجة كلهم ما بين البحر المحيط بالمغرب الى غـدامس من قبلة طرابلس وبرقة .

وللمتونة فيهم بطون كثيرة منهم : بنو ورتنطق وبنو زمال وبنو صولان وبنو ناسجـة ، وكان موطنهم من بلاد الصحراء يعرف كاكدم ، وكان دينهم جميعـاً المجوسية شـأن برابرة المغرب . ولم يزالوا مستقرين بتلك المجـالات حتى كان اسـلامهم بعد فتح الأندلس ، وكانت الرياسة فيهم للمتونة . واستوسق لهم ملك ضخم منذ دولة عبد الرحمن بن معاوية الداخل توارثه ملوك منهم . تلاكاكين وورتكا وأوراكن بن ورتنطق جـد أبي بـكر ابن عمر أمير لمتونة في مبتدأ دولتهم ، وطالت أعمارهم فيها الى الثمانين ونحوها ، ودوّخوا تلك البلاد الصحراوية ، وجاهدوا من بها من أمم السودان وحملوهم على الاسلام ، فدان به كثيرهم .

(١) كذا ، وفي ت : فوترية فتاركا .

واتقاهم آخرون بالجزية فقبلوها منهم وملك عليهم بعد تلاكاكين المذكور تيولوتان .

قال ابن أبي زرع : أول من ملك الصحراء من لمتونة تيولوتان ، فدوّخ بلاد الصحراء واقتضى مغارم السودان . وكان يركب في مائة الف نجيب . وتوفي سنة اثنتين وعشرين ومائتين ، وملك بعده يَلَتَّان[1] وقام بأمرهم وتوفي سنة ست وثمانين ومائتين ، وقام بأمرهم بعده ابنه تميم الى سنة ست وثلثمائة وقتله صنهاجة وافترق أمرهم . انتهى كلام بن أبي زرع . وقال غيره : كان من أشهرهم تينزوا بن وانشيق بن بيزا وقيل برويان ابن واشنق ابن يزار ملك الصحراء بأسرها على عهد عبدالرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر في المائة الرابعة . وفي عهد عبيد الله وابنه أبي القاسم من خلفاء الشيعة ، كان يركب في مائة ألف نجيب وعمله مسيرة شهرين في مثلها . ودان له عشرون ملكاً من ملوك السودان يعطونه الجزى ، وملك من بعده بنوه ثم افترق أمرهم من بعد ذلك ، وصار ملكهم طوائف ورياستهم شيعا . قال ابن أبي زرع : افترق أمرهم بعد تميم بن يلتان مائة وعشرون سنة الى ان قام فيهم أبو عبيد الله بن تيفاوت المعروف بناشرت اللمتوني فاجتمعوا عليه وأحبوه وكان من أهل الدين والصلاح ، وحج وهلك لثلاثة أعوام من رياسته في بعض غزواته . وقام

(١) كذا ، وفي ب : بليان .

بأمرهم صهره يحيى بن ابراهيم الكندالي . وبعده يحيى بن عمر ابن تلاكاكين . اه كلامه . وكان لهذه الطبقة ملك ضخم بالمغرب والاندلس أولا ، وبافريقية بعده فنذكره الآن على نسقه .

دولة المرابطين من لمتونة

الخبر عن دولة المرابطين من لمتونة وما كان لهم بالعدوتين من الملك وأولية ذلك ومصايره

كان هؤلاء الملثمون في صحاريهم كما قلناه وكانوا على دين المجوسية الى أن ظهر فيهم الاسلام لعهد المائة الثالثة كما ذكرناه ، وجاهدوا جيرانهم من السودان عليه فدانوا لهم واستوثق لهم الملك . ثم افترقوا وكانت رياسة كل بطن منهم في بيت مخصوص . فكانت رياسة لمتونة في بني ورتانطق بن منصور بن مصالة بن المنصور بن مزالت بن أميت بن رتمال بن تلميت وهو لمتونة . ولما أفضت الرياسة الى يحيى بن ابراهيم الكندالي ، وكان له صهر في بني ورتانطق هؤلاء ، وتظاهروا على أمرهم . وخرج يحيى بن ابراهيم لقضائه فرصة في رؤساء من قومه في سني أربعين وأربعمائة ، فلقوا في منصرفهم بالقيروان شيخ المذهب المالكي

أبو عمران الفاسي ، واغتنموا ما متعوا به من هديه ، وما شافههم به من فروض أعيانهم من فتاويه .

وسأله الأمير يحيى أن يصحبهم من تلميذه من يرجعون اليه في نوازلهم وقضايا دينهم . فندب تلميذه الى ذلك حرصاً على ايصال الخير اليهم لما رأى من رغبتهم فيه ، فاستوعروا مسغبة بلادهم . وكتب لهم الفقيه أبو عمران الى الفقيه محمد وكاك بن زلوا اللمطي بسجلماسة من الآخذين عنه وعهد اليه أن يلتمس لهم من يثق بدينه وفقهه ، ويروض نفسه على مسغبة أرضهم في معاشه ، فبعث معهم عبد الله بن ياسين بن مكو الجزولي ، ووصل معهم يعلمهم القرآن ويقيم لهم الدين . ثم هلك يحيى بن ابراهيم وافترق أمرهم ، واطرحوا عبد الله بن ياسين واستصعبوا علمه وتركوا الأخذ عنه لما تجشموا فيه من مشاق التكاليف ، فأعرض عنهم وترهب . وتنسك معه يحيى بن عمر بن تلاكاكين من رؤساء لمتونة وأخوه أبو بكر ، فنبذوا عن الناس في ربوة يحيط بحر النيل من جهاتها ضحضاحاً في المصيف وغمراً في الشتاء ، فتعود جزراً منقطعة . فدخلوا في غياضها منفردين للعبادة ، وتسامع بهم من في قلبه مثقال حبة من خير ، فتسايلوا اليهم ودخلوا في دينهم وغيضتهم .

ولما كمل معهم ألف من الرجالات قال لهم شيخهم عبد الله ابن ياسين إن ألفاً لن تغلب من قلة ، وقد تعين علينا القيام

بالحق والدعاء اليـه وحمل الكافة عليـه ، فاخرجوا بنـا لذلك فخرجوا وقتلوا من استعصى عليهم من قبـائل لمتونة وكدالة ومسوفة ، حتى أنابوا إلى الحق واستقاموا على الطريقة ، وأذن لهم في أخـذ الصدقات من أموال المسلمين ، وسماهم بالمرابطين وجعل أمرهم في العرب الى الأمير يحيى بن عمر ، فتخطوا الرمال الصحراوية الى بلاد دَرعَة وسجلماسة ، فأعطوهم صدقاتهم وانقلبوا . ثم كتب اليهم وكاك اللمطي بما نال المسلمين فيما اليه من العسف والجور من بني وانودين امراء سجلماسة من مغراوة وحرّضهم على تغيير أمرهم ، فخرجوا من الصحراء سنة خمس وأربعين وأربعمائة في عدد ضخم ركباناً على المهارى أكثرهم وعمدوا الى درعة . لا بل كانت هنالك بالحمى وكانت تناهز خمسين ألفاً ونحوها .

ونهض اليهم مسعود بن وانودين أمير مغراوة ، وصـاحب سجلماسة ودرعة لمدافعتهم عنها وعن بلاده ، فتواقعوا وانهزم ابن وانودين وقتل واستلحم عسكره مع اموالهم ، واستلحمهم ودوابهم وابل الحمى التي كانت ببلد درعة . وقصدوا سجلماسة فدخلوهـا غلاباً ، وقتـلوا من كان بهـا من فلّ مغراوة ، وأصلحوا من أحوالها وغيروا المنكرات ، وأسقطوا المغارم والمكوس ، واقتضوا الصدقات ، واستعملوا عليهـا منهم وعادوا الى صحرائهم . فهلك يحيى بن عمر سنة سبع وأربعين ، وقدم مكانه أخاه أبا بكر ، وندب المرابطين الى فتح المغرب فغزا بـلاد السوس سنة ثمان

وأربعين .

وافتتح ماسة وتارودانت وجميع معاقله . ثم افتتح مدينة أغمات سنة تسع وأربعين وفرّ أميرها لقوط بن يوسف بن علي المغراوي الى تادلا ، واستضاف الى بني يفرن بها ، ثم افتتح المرابطون بلاد المصامدة بجبال درن ، وجاسوا خلالها سنة خمسين ، ثم أغزوا تادلا فاستباحوها واستلحموا بني يفرن ملوكها ، وقتل معهم لقوط بن يوسف المغراوي صاحب أغمات . وتزوج امرأته زينب بنت اسحق النفزاوية ، وكانت مشهورة بالجمال والرئاسة ، وكانت قبل لقوط عند يوسف بن علي بن عبد الرحمن بن واطاس ، وكان شيخاً على وريكة وهزرجة بزمن هيلانة في دولة امغارن في بلاد المصامدة وهم الشيوخ . وتغلب بنو يفرن على وريكة وملكوا أغمات فتزوّج لقوط زينب هذه ، ثم تزوجها بعده أبو بكر بن عمر كما ذكرنا . ثم دعا المرابطين الى جهاد برغواطة الذين كانوا بتامستا وإنفا وجهات الريف الغربي فكانت لهم فيهم وقائع وأيام استشهد عبد الله بن ياسين في بعضها سنه خمسين .

وقدّم المرابطون بعده سليمان بن عدّو ليرجعوا اليه في قضايا دينهم . واستمر أبو بكر بن عمر في امارة قومه على جهادهم ، ثم استأصل شأفتهم ، ومحا أثر دعوتهم من المغرب وهالك في جهادهم سليمان بن عدّو سنة احدى وخمسين لسنة من وفاة عبد الله بن ياسين .

ثم نازل أبو بكر مدينة لواتة وافتتحها عنوة وقتل من كان بها من زناتة سنة اثنتين وخمسين. وبلغه وهو لم يستتم فتح المغرب بعد ما وقع من الخلاف بين لمتونة ومسوفة ببلاد الصحراء، حيث أصل أعياصهم ووشايج أعراقهم ومنيع عددهم فخشي افتراق الكلمة وانقطاع الوصلة، وتلافى أمره بالرحلة. وأكدّ ذلك زحف بُلُكّين بن محمد بن حمّاد صاحب القلعة الى المغرب سنة ثلاث وخمسين لقتالهم، فارتحل أبو بكر الى الصحراء، واستعمل على المغرب ابن عمه يوسف بن تاشفين، ونزل له عن زوجه زينب بنت اسحق، ولحق بقومه. ورفع ما كان بينهم من خرق الفتنة، وفتح باباً من جهاد السودان فاستولى على نحو تسعين مرحلة من بلادهم.

وأقام يوسف بن تاشفين باطراف المغرب، ونزل بلكين صاحب القلعة فاس وأخذ رهنها على الطاعة، وانكفأ راجعاً. فحينئذ سار يوسف بن تاشفين في عسكره من المرابطين ودوّخ أقطار المغرب. ثم رجع أبو بكر الى المغرب فوجد يوسف بن تاشفين قد استبدّ عليه. وأشارت عليه زينب أن يريه الاستبداد في أحواله وأن يُعدّ له متاع الصحراء وماعونها، ففطن لذلك الامير أبو بكر، وتجافى عن المنازعة وسلم له الامر، ورجع الى أرضه فهلك لمرجمه سنة ثمانين وأربعمائة.

واختط يوسف مدينة مراكش سنة أربع وخمسين، ونزلها

بالخيام وأدار سورها على مسجد وقصبة صغيرة لاختزان أمواله وسلاحه ، وكمل تشييدها وأسوارها ابنه من بعده سنة ست وعشرين وخمسمائة . وجعل يوسف مدينة مراكش لنزله لعسكره وللتمرس بقبائل المصامدة المصيفة بمواطنهم بها في جبل درن ، فلم يكن في قبائل المغرب أشدّ منهم ولا أكثر جمعاً . ثم صرف عزمه الى مطالبة مغراوة وبني يفرن وقبائل زناتة بالمغرب ، وجذب الحبل من أيديهم ، وكشف ما نزل بالرعايا من جورهم وعسفهم ، فقد كانوا من ذلك على ألم — حدث المؤرخون في أخبار مدينة فاس ودولتهم فيها بكثير منه — فنازل أولاً قلعة فازاز ، وبها مهدي بن توالي من بني يحفش .

قال صاحب نظم الجواهر : وهم بطن من زناتة ، وكان أبو توالي صاحب تلك القلعة ووليها هو من بعده ، فنازله يوسف بن تاشفين . ثم استجاش به على فاس مهدي بن يوسف الكزنائي صاحب مكناسة بما كان عدواً لمعنصر المغراوي صاحب فاس ، فزحف في عساكر المرابطين الى فاس ، وجمع اليه معنصر ففض جموعه ، وارتحل يوسف الى فاس وتقرى منازلها وافتتح جميع الحصون المحيطة بها ، وأقام عليها أياماً قلائل ، وظفر بعاملها بكّار بن ابراهيم فقتله . ثم نهض الى صفروي فافتتحها وقتل من كان بها من أولاد وانودين المغراوي ورجع الى فاس فافتتحها صلحاً سنه خمس وخمسين ، ثم خرج الى غمارة ونازلهم وفتح

كثيراً من بلادهم . وأشرف على طنجة ، وبها سكوت البرغواطي الحاجب صاحب سبتة وبقية الامراء من موالي الحمودية وأهل دعوتها . ثم رجع الى منازلة قلمة فازاز ، وخالفه معنصر الى فاس فاستولى عليها وقتل عاملها .

واستدعى يوسف بن تاشفين مهدي بن يوسف صاحب مكناسة ليستجيش به على فاس فاستعرضه معنصر في طريقه قبل أن تتصل بأيديها ، وناجزه الحرب ففض جموعه وقتله ، وبعث برأسه الى وليه ومساهمه في شدته الحاجب سكوت البرغواطي . واستصرخ أهل مكناسة بالامير يوسف بن تاشفين فسرّح عساكر لمتونة الى حصار فاس فأخذوا بمخنقها وقطعوا المرافق عنها وألحوا بالقتال عليها فمسهم الجهد . وبرز معنصر الى مناجزة عدوه لاحدى الراحتين فكانت الدائرة عليه وهلك . واجتمع زناتة من بعده على القاسم بن محمد بن عبد الرحمن من ولد موسى بن أبي العافية ، كانوا ملوكاً بتازا وتسول ، فزحفوا الى عساكر المرابطين والتقوا بوادي صفير فكان الظهور لزناتة . واستلحم كثير من المرابطين ، واتصل خبرهم بيوسف بن تاشفين وهو محاصر لقلعة مهدي من بلاد فازاز فارتحل سنة ست وخمسين ، ونزل عليها عسكر من المرابطين وصار يتنقل في بلاد المغرب ، فافتتح بني مراسن ثم فنزلاوة ، ثم بلاد ورغة سنة ثمان وخمسين .

ثم افتتح بلاد غمارة سنة ستين . وفي سنة اثنتين وستين

نازل فاس فحاصرها مدة ثم افتتحها عنوة وقتل بها زهاء ثلاثة آلاف من مغراوة وبني يفرن ومكناسة وقبائل زناتة حتى أعوزت مدافنهم فرادى، فاتخذت لهم الأخاديد وقبروا جماعات، وخلص من نجا منهم من القتل الى بلاد تلمسان وأمر بهدم الاسوار التي كانت فاصلة بين القرويين والاندلسيين من عدوتيها، وصيرها مصراً واحداً. وأدار عليها الاسوار، وحمل أهلها على الاستكثار من المساجد، ورتب بناءها. وارتحل سنة ثلاث وستين الى وادي ملوية فافتتح بلادها وحصون وطاط من نواحيها. ثم نهض سنة خمس وستين الى مدينة الدمنة فافتتحها عنوة، ثم افتتح حصن علودان من حصون غُمارَة. ثم نهض سنة سبع وستين الى جبال غياثة وبني مكود من أحواز تازا فافتتحها ودوّخها. ثم قسم المغرب عمالات على بنيه وأمراء قومه وذويه، ثم استدعاه المعتمد بن عبّاد الى الجهاد فاعتذر له بمكان الحاجب سكوت البرغواطي وقومه من أولياء الدولة الحموديّة بسبتة، فأعاد اليه ابن عباد الرسل بالمشايعة اليهم فجهّز اليهم قائده صالح بن عمران في عساكر لمتونة، فلقيه سكوت الحاجب بظاهر طنجة في قومه، ومعه ابنه ضياء الدولة فانكشف وقتل الحاجب سكوت، ولحق ابنه المعز ضياء الدولة. وكتب صالح بن عمران بالفتح الى يوسف بن تاشفين. ثم أغزى الامير يوسف بن تاشفين الى المغرب

الاوسط سنة اثنتين وسبعين قائده مزدلي بن تبلكان[١] بن محمد ابن وركوت من عشيره في عساكر لمتونة لمحاربة مغراوة ملوك تلمسان ، وبها يومئذ الامير العباس بن بختي من ولد يعلى بن محمد ابن الخير بن محمد بن خزر ، فدوّخوا المغرب الاوسط وصاروا في بلاد زناتة وظفروا بيعلى بن الامير العباسي فقتلوه ، وانكفأوا راجعين من غزاتهم .

ثم نهض يوسف بن تاشفين سنة ثلاث بعدها الى الريف ، وافتتح كرسيف ومليلة وسائر بلاد الريف وخرب مدينة نكور فلم تعمر بعد ، ثم نهض في عساكره المرابطين الى بلاد المغرب الاوسط فافتتح مدينة وجده وبلاد بني يزناسن . ثم افتتح مدينة تلمسان واستلحم من كان بها من مغراوة ، وقتل العباس بن بختي أمير تلمسان وأنزل محمد بن تينعمر المستوفى بها في عساكر المرابطين ، فصارت ثغراً لملكه . ونزل بعساكره واختط بها مدينه تاكرارت بمكان محلته ، وهو اسم المحلة بلسان البربر . ثم افتتح مدينة تنس ووهران وجبل وانشريس الى الجزائر ، وانكفأ راجعاً الى المغرب فاحتل مراكش سنة خمس وسبعين . ولم يزل محمد بن تينعمر والياً بتلمسان الى ان هلك ، وولي بعده اخوه تاشفين .

ثم ان الطاغية تكالب على بلاد المسلمين وراء البحر ، وانتهز

(١) كذا ، وفي ت : تيلنكان ، وفي ب : ملنكان .

الفرصة فيها بما كان من الفرقة بين ملوك الطوائف فحاصر طليلة، وبها القادر بن يحيى بن ذي النون حتى نالهم الجهد، وتسلمها منه صلحاً سنة ثمان وسبعين على أن يملكه بلنسية، فبعث معه عسكراً من النصرانية فدخل بَلَنْسِيَة وتملكها على حين مهلك صاحبها أبي بكر بن العزيز بين يدي حصار طليلة. وسار الطاغية في بلاد الاندلس حتى وقف بفرضة المجاز من صريف، وأعيا أمره أهل الاندلس واقتضى منهم الجزية فأعطوها. ثم نازل سرقسطة وضيّق على ابن هود بها، وطال مقامه وامتد امله الى تملكها فخاطب المعتمد بن عبّاد أمير المسلمين يوسف بن تاشفين منتجزاً وعده في صريخ الاسلام بالعدوة وجهاد الطاغية.

وكاتبه أهل الاندلس في كافة من العلماء والخاصة فاهتز للجهاد وبعث ابنه المعزّ في عساكر المرابطين الى سبتة فرضة المجاز، فنازلها براً. وأحاطت بها أساطيل بن عبّاد بحراً فاقتحموها عَنوةً في ربيع الآخر سنة ست وسبعين، وتقبّض على ضياء الدولة وقيد الى المغرب فقتله صبراً، وكتب الى أبيه بالفتح. ثم أجاز ابن عبّاد البحر في جماعته والمرابطين، ولقيه بفاس مستنفراً للجهاد. وأنزل له ابنه الراضي عن الجزيرة الخضراء لتكون رباطاً لجهاده فأجاز البحر في عساكر المرابطين وقبائل المغرب ونزل الجزيرة سنة تسع وثمانين واربعمائة، ولقيه المعتمد ابن عباد وابن الافطس صاحب بطليوس. وجمع ابن أدفونش

ملك الجلالقة أمم النصرانية لقتاله ، ولقي المرابطين بالزلاقة من نواحي بطليوس فكان للمسلمين عليه اليوم المشهور سنة احدى وثمانين .

ثم رجع الى مراكش وخلف عسكراً بالاشبيلية لنظر محمد وبجون بن سيمونن بن محمد بن وركوت من عشيره ، ويعرف أبوه بالحاج وكان محمد من بطانته وأعاظم قواد تكاليب الطاغية على شرق الاندلس ، ولم يغن فيه أمراء الطوائف شيئاً فزحف اليه من سبتة ابن الحاج قائد يوسف بن تاشفين في عساكر المرابطين فهزموا جميع النصارى هزيمة شنيعة . وخلع ابن رشيق صاحب مرسية ، وتمادى الى دانية ففرّ عليّ بن مجاهد أمامه الى بجاية ونزل على الناصر بن علناس فأكرمه ، ووصل ابن جحاف قاضي بلنسية الى محمد بن الحاج مغرياً بالقادر بن ذي النون فأنفذ معه عسكراً وملك بلنسية ، وقتل ابن ذي النون ، وذلك سنة خمس وثمانين ، وانتهى الخبر الى الطاغية فنازل بلنسية ، واتصل حصاره اياها الى أن ملكها سنة خمس وثمانين ، ثم استخلصتها عساكر المرابطين وولّى عليها يوسف بن تاشفين الامير مزدلي ، وأجاز يوسف ابن تاشفين ثانية سنة ست وثمانين ، وتثاقل امراء الطوائف عن لقائه لما احسوا من نكيره عليهم لما يسومون به عليهم من الظلامات والمكوس وتلاحق المغارم فوجد عليهم ، وعهد برفع المكوس وتحرّي المعدلة ، فلما أجاز انقبضوا عنه

إلّا ابن عبّاد فانه بادر الى لقائه وأغراء بالكثير منهم ، فتقبّض على ابن رشيق فأمكن ابن عباد منه العداوة التي بينهما .

وبعث جيشاً الى المريّة ففرّ عنها ابن صُمادح ونزل على المنصور بن الناصر ببجاية ، وتوافق ملوك الطوائف على قطع المدد عن عساكره ومحلاته فساء نظره ، وأفتاه الفقهاء وأهل الشورى من المغرب والاندلس بخلعهم وانتزاع الأمر من أيديهم وصارت اليه بذلك فتاوى أهل الشرق الاعلام مثل الغزالي والطرطوشي فعهد الى غرناطة واستنزل صاحبها عبيد الله بن بُلكين ابن باديس وأخاه تميماً من مالقة بعد ان كان منهما مداخلة الطاغية في عداوة يوسف بن تاشفين . وبعث بهما الى المغرب فخاف ابن عباد عند ذلك منه وانقبض عن لقائه وفشت السعايات بينهما . ونهض يوسف بن تاشفين الى سبتة فاستقر بها وعقد للامير سير بن أبي بكر بن محمد وركوت على الاندلس وأجازه فقدم عليها ، وقعد ابن عباد عن تلقيه ومبرّته فأحفظه ذلك ، وطالبه بالطاعة للامير يوسف والنزول عن الامر ففسد ذات بينهما وغلبه على جميع عمله .

واستنزل أولاد المأمون من قرطبة ويزيد الراضي من رَنْدَة وقرْمونة واستولى على جميعها وقتلهم . وصمد الى اشبيلية فحاصر المعتمد بها وضيق عليه ، واستنجد الطاغية فعمد الى استنقاذه من هذا الحصار فلم يغن عنه شيئاً وكان دفاع لمتونة مما فتّ في

عضده واقتحم المرابطون اشبيلية عليه عنوةً سنة أربع وثمانين . وتقبض على المعتمد وقاده أسيراً الى مراكش فلم يزل في اعتقال يوسف بن تاشفين الى أن هلك في محبسه بأغمات سنة سبعين (١) وأربعمائة ، ثم عمد الى بطليوس وتقبض على صاحبها عمر بن الأفطس فقتله وابنيه يوم الأضحى سنة تسع وثمانين بما صح عنده من مداخلتهم الطاغية وان يملكوه مدينة بطليوس ، ثم اجاز يوسف ابن تاشفين الجواز الثالث سنة تسعين وزحف اليه الطاغية فبعث عساكر المرابطين لنظر محمد بن الحاج فانهزم النصارى أمامه وكان الظهور للمسلمين .

ثم أجاز الأمير يحيى بن أبي بكر بن يوسف ابن تاشفين سنة ثلاث وتسعين وانضم اليه محمد بن الحاج وسير بن أبي بكر واقتحموا عامّة الاندلس من أيدي ملوك الطوائف ، ولم يبق منها إلاّ سرقسطة في يد المستعين بن هود معتصماً بالنصارى . وغزا الامير مزدلي صاحب بلنسية الى بلد برشلونة فأثخن بها وبلغ الى حيث لم يبلغ أحد قبله ورجع . وانتظمت بلاد الاندلس في ملكة يوسف بن تاشفين ، وانقرض ملك الطوائف منها اجمع كان لم يكن واستولى على العدوتين ، واتصلت هزائم النصارى على يد

(١) كذا ، وفي ت : سنة تسعين واربعمائة .

المرابطين مراراً وتسمى بأمير المسلمين ، وخاطب المستنصر العباسي[1] الخليفة لعهده ببغداد وبعث اليه عبد الله بن محمد بن العرب المعافري الاشبيلي وولده القاضي أبا بكر فتلطفا في القول وأحسنا في الابلاغ ، وطلبا من الخليفة أن يعقد له على المغرب والاندلس فعقد له وتضمن ذلك مكتوب الخليفة بذلك منقولاً في ايدي الناس ، وانقلبا اليه بتقليد الخليفة وعهده على ما الى نظره من الاقطار والأقاليم . وخاطبه الامام الغزالي والقاضي أبو بكر الطرطوشي يحضّانه على العدل والتمسك بالخير ، ويفتيانه في شأن ملوك الطوائف بحكم الله .

ثم أجاز يوسف بن تاشفين الجواز الرابع الى الاندلس سنة سبع وتسعين ، وقد كان ما قدّمناه في أخبار بني حمّاد من زحف المنصور بن الناصر الى تلمسان سنة سبع وتسعين للفتنة التي وقعت بينه وبين تاشفين بن يتنعمر وافتتاحه أكثر بلادهم ، فصالحه يوسف ابن تاشفين واسترضاه بعدول تاشفين عن تلمسان سنة سبع وتسعين وبعث اليها مزدلي من بلنسية ، وولي بلنسية عوضاً عنه أبا محمد ابن فاطمة ، وكثرت غزواته في بلاد النصرانية . وهلك يوسف على رأس المائة الخامسة وقام بالأمر من بعده ابنه عليّ بن يوسف فكان خير ملك ، وكانت ايامه صدرا منها وادعة ولدولته على الكفر وأهله ظهور وعزة وأجاز الى العدوة فأثخن في بلاد العدوّ

(١) كذا ، وفي ت : المستظهر العباسي .

قتلاً وسبياً ، وولّى على الأندلس الامير تميم بن [1]

وجمع الطاغية للأمير تميم فهزمه تميم ، ثم أجاز علي بن يوسف سنة ثلاث ونازل طليطلة . وأثخن في بلاد النصارى ورجع ، وعلى أثر ذلك قصد ابن رَدْمير سرقسطة وخرج ابن هود للقائه فأنهزم المسلمون ومات ابن هود شهيداً وحاصر ابن ردمير البلد حتى نزلوا على حكمه .

ثم كان سنة تسع شأن برقة [2] وتغلّب أهل جنوة عليها وخلاؤها . ثم رجع العمران اليها على يد بن تامرظست من قواد المرابطين كما مرّ في ذكرها عند ذكر الطوائف ، ثم استمرت حال عليّ بن يوسف في ملكه وعظم شأنه ، وعقد لولده تاشفين على غرب الأندلس سنة ست وعشرين وأنزله قرطبة واشبيلية ، وأجاز معه الزبير بن عمر ، وحشد قومه وعقد لأبي بكر ابن ابراهيم المسوفي على شرق الاندلس وأنزله بلنسية ، وهو ممدوح ابن خفاجة ومخدوم أبي بكر بن باجه الحكيم المعروف بابن الصائغ . وعقد لابن غانية المسوفي على الجزائر الشرقية دانية وميورقة ، واستقامت ايامه ، ولاربع عشرة سنة من دولته كان ظهور الامام المهدي صاحب دعوة الموحدين ، فقيهاً منتحلاً للعلم والفتيا والتدريس ، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر متعرضاً بذلك

(١) كذا بياض بالأصل في هذه النسخة وفي النسخة التونسية والنسخ البارسية ولم نعثر في المراجع التي بين ايدينا على والد الأمير تميم .

(٢) كذا وفي ت : ميورقة

المكروه في نفسه .

ونالته ببجاية وتلمسان ومكناسة اذايات من الفسقة ومن الظالمين ، وأحضره الامير علي بن يوسف للمناظرة ففلج على خصومه من الفقهاء بمجلسه ، ولحق بقومه هرغة من المصامدة . واستدرك علي بن يوسف رأيه فتفقده وطالب هرغة بأحضاره فأبوا عليه فسرح اليهم البعث فأوقعوا به وتقاسم معهم هنتاتة وتينملل على اجارته والوفاء بما عاهدهم عليه من القيام بالحق والدعاء اليه حسبما يذكر ذلك كله بعد دولتهم . وهلك المهدي في سنة أربع وعشرين وقام بأمرهم عبد المؤمن بن علي الكومي كبير أصحابه بعهده اليه ، وانتظمت كلمة المصامدة وأغزوا مراكش مراراً . وفشل ريح لمتونة بالعدوة الاندلسية ، وظهر أمر الموحدين وفشت كلمتهم في برابرة المغرب . وهلك علي بن يوسف سنة سبع وثلاثين وقام بالامر من بعده ولده تاشفين وولي عهده ، وأخذ بطاعته وبيعته أهل العدوتين كما كانوا على حين استغلظ أمر الموحدين واستفحل شأنهم وألحوا في طلبه .

وغزا عبد المؤمن غزوته الكبرى الى جبال المغرب ، ونهض تاشفين بعساكره بالبسائط الى أن نزل تلمسان . ونازله عبد المؤمن والموحدون بكهف الضحاك بين الصخرتين من جبل تيطري المطل عليها ، ووصله هنالك مدد صنهاجة من قبل يحيى بن عبد العزيز صاحب بجاية مع قائده طاهر بن كباب ، وشرهوا

الى مدافعة الموحدين فغلبوهم . وهلك طاهر واستلحم الصنهاجيون وفر تاشفين الى وهران في موادعة لب بن ميمون قائد البحر بأساطيله . واتبعه الموحدون واقتحموا عليه البلد فهلك ، يقال سنة احدى وأربعين . واستولى الموحدون على المغرب الأوسط واستلحموا لمتونة . ثم بويع بمراكش ابنه ابراهيم وألفوه مضعفاً عاجزاً فخلع وبويع عمه اسحق بن علي بن يوسف بن تاشفين . وعلى هيئة ذلك وصل الموحدون اليها وقد ملكوا جميع بلاد المغرب عليه ، فخرج اليهم في خاصته فقتلهم الموحدون . واجاز عبد المؤمن والموحدون الى الاندلس سنة احدى وخمسين وملكوا ، واستلحموا أمراء لمتونة وكافتهم وفرّوا في كل وجه ، ولحق فلهم بالجزائر الشرقية ميورقة ومنورقة ويابسة الى أن جددوا من بعده للملك بناحية افريقية ، والله غالب على أمره .

دولة ابن غانية

الخبر عن دولة ابن غانية من بقية المرابطين وما كان له من الملك والسلطان بناحية قابس وطرابلس واجلابه على الموحدين ومظاهرة قراقش الغزي له على أمره وأولية ذلك ومصايره

كان أمر المرابطين من أوله في كدالة من قبائل الملثمين حتى هلك يحيى بن ابراهيم فاختلفوا على عبد الله بن ياسين امامهم ، وتحوّل عنهم الى لمتونة وأقصر عن دعوته وتنسك وترهب كما قلناه ، حتى اذا أجاب داعية يحيى بن عمر وأبي بكر بن عمر من بني ورتانطق بيت رئاسة لمتونة . واتبعهم الكثير من قومهم وجاهدوا معه سائر قبائل الملثمين ، وكان مسوفة قد دخل في دعوة المرابطين كثير منهم فكان لهم بذلك في تلك الدولة حظ من الرئاسة والظهور . وكان يحيى المسوفي من رجالاتهم وشجعانهم ، وكان مقدّماً عند يوسف بن تاشفين لمكانه في قومه . واتفق انه قتل بعض رجالات لمتونة في ملاحاة وقعت بينهما فتشاور الحيّان وفرّ هو الى الصحراء ففدّى يوسف بن تاشفين القتيل ووداه ، واسترجع علياً من مفره لسنين من مغيبه ، وأنكحه امرأة من أهل بيته تسمى غانية بعهد ابيها اليه في ذلك فولدت منه محمداً ويحيى ونشأ في ظل يوسف ابن تاشفين وحجر كفالته .

ورعى لهما علي بن يوسف ذمام هذه الأواصر ، وعقد ليحيى على غرب الاندلس وأنزله قرطبة . وعقد لمحمد على الجزائر الشرقية ميورقة ومنورقة ويابسة سنة عشرين وخمسمائة ، وانقرض بعد ذلك أمر المرابطين . وتقدّم وفد الاندلس الى عبد المؤمن ، وبعث معهم أبا اسحق بَرّاق بن محمد المصمودي من رجالات الموحدين وعقد له على حرب لمتونة كما يذكر في أخبارهم ، فملك اشبيلية واقتضى طاعة يحيى بن علي بن غانية ، واستنزله عن قرطبة الى جيان والقلعة فسار منها الى غرناطة يستنزل من بها من لمتونة ، ويحملهم على طاعة الموحدين فهلك هنالك سنة ثلاث وأربعين ودفن بقصر باديس. وأما محمد بن علي فلم يزل والياً الى أن هلك وقام بأمره بعده ابنه عبد الله .

ثم هلك وقام بالامر أخوه اسحق بن محمد بن علي . وقيل ان اسحق ولي بعد ابنه محمد وأنه قتله غيرة من أخيه عبد الله لمكان أبيه منه فقتلهما معاً ، واستبد بأمره الى أن هلك سنة ثمانين وخمسمائة . وخلف ثمانية من الولد وهم محمد وعلي ويحيى وعبد الله والغازي وسير والمنصور وجبارة ، فقام بالامر ابنه محمد . ولما أجاز يوسف بن عبد المؤمن بن علي الى ابن الزُبَرْتَير لاختبار طاعتهم ، ولحين وصوله نكر ذلك اخوته وتقبضوا عليه واعتقلوه . وقام بالامر أخوه علي بن محمد بن علي وتلوموا في ردّ ابن الزبرتير الى مرسله ، وحالوا بينه وبين الاسطول حين

بلغهم أن الخليفة يوسف القسري [1] استشهد في الجهاد بار كش من العدوة ، وقام بالامر ابنه يعقوب واعتقلوا ابن الزبرتير وركبوا البحر في اثنتين وثلاثين قطعة من أساطيلهم وأسطوله ، وركب معه اخوته يحيى وعبد الله والغازي وولي على ميورقة عمه أبا الزبير ، وأقلعوا الى بجاية فطرقوها على حين غفلة من أهلها ، وعليها السيد أبو الربيع بن عبد الله بن عبد المؤمن وكان بايملول من خارجها في بعض مذاهبه ، فلم تمانعه أهل البلد واستولوا عليها في صفر سنة احدى وثمانين ، واعتقلوا بها السيد أبا موسى بن عبد المؤمن كان قافلا من افريقية يؤم المغرب واكتسحوا ما كان بدار السادة والموحدين .

وكان والي القلعة قاصداً مراكش وهو يستخبر خبر بجاية فرجع وظاهر السيد ابا الربيع ، وزحف اليهما علي بن غانية فهزمها ، واستولى على أموالهما وابنتها ولحقا بتلمسان فنزلا بها على السيد أبي الحسن بن أبي حفص بن عبد المؤمن ، وأخذ في تحصين تلمسان ورمّ أسوارها وأقاما عند السيد يرومان الكرة من صاحب تلمسان . وعاث علي بن محمد بن غانية في الأموال وفرقها في ذؤبان العرب ومن انضاف اليهم ، ورحل الى الجزائر فافتتحها وولّى عليها يحيى بن أبي طلحة . ثم افتتح مازونة وانتهى الى مليانة فافتتحها وولّى عليها بدر بن عائشة . ثم نهض الى

(١) كذا ، وفي ت : العسري . وفي ب : العشري .

القلعة فحاصرها ثلاثاً ودخلها عنوة ، وكانت له في المغرب خطة مشهورة . ثم قصد قسطنطينة فامتنعت عليه واجتمعت عليه وفود العرب فاستنجدهم وجاءوا باحلافهم . ولما اتصل الخبر بالمنصور وهو بسبتة مرجعه من الغزو سرّح العساكر في البر لنظر السيد أبي زيد بن أبي حفص بن عبد المؤمن ، وعقد له على المغرب الأوسط .

وبعث الاساطيل الى البحر وقائدها احمد الصقلي وعقد عليها لأبي محمد بن ابراهيم بن جامع وزحفت العساكر من كل جهة، فثار أهل الجزائر على يحيى بن أبي طلحة ومن معه وأمكنوا منهم السيد أبا يزيد فقتلهم على شلف وعفا عن يحيى لنجدة عمه طلحة وكان بدر بن عائشة اسرى من مليانة واتبعه الجيش فلحقوه أمام العدو فتقبضوا عليه بعد قتال مع البرابرة حين أرادوا اجارته ، وقادوه الى السيد أبي يزيد فقتله . وسبق الاسطول الى بجاية فثار بيحيى بن غانية وفر الى أخيه عليّ لمكانه من حصار قسطنطينة بعد ان كان اخذ بمخنقها . ونزل السيد أبو زيد بعساكره بتكلات من ظاهر بجاية ، وأطلق السيد أبا موسى من معتقله . ثم رحل في طلب العدو فأفرج عن قسطنطينة بعد ان كان أخذها ومضى شديداً في الصحراء ، والموحدون في اتباعه حتى انتهوا الى مغرة ونغاوس . ثم نقلوا الى بجاية واستنفر السيد أبا زيد بها وقصد علي بن غانية في قفصة فملكها ونازل بورق

وقصطيلة فامتنعت وارتحل الى طرابلس وفيها قراقش الغزي المظفري ، وكان من خبره على ما نقل أبو محمد التيجاني في كتاب رحلته أن صلاح الدين صاحب مصر بعث تقي الدين ابن أخيه شاه الى المغرب لافتتاح ما أمكنه من المدن تكون له معقلا يتحصن فيه من مطالبة نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام الذي كان صلاح الدين عمه من وزرائه . واستعجلوا النصر[1] فخشوا عاديته . ثم رجع تقي الدين من طريقه لامر عرض له ففر قراقش الارمني بطائفة من جنوده . وفر ابراهيم بن قراتكين سلاح دار المعظم نسبة للملك المعظم شمس الدولة ابن أيوب أخي صلاح الدين . فأما قراقش فلحق بسنترية ، وافتتحها وذلك سنة ست وثمانين وخطب فيها لصلاح الدين ولاستاذه تقي الدين . وكتب لهما بالفتح وافتتح زويلة وغلب بني خطاب الهواري على ملك فزان ، وكانت ملكاً لعمه محمد بن الخطاب بن يصلتن بن عبدالله بن صنفل بن خطّاب وهو آخر ملوكهم ، وكانت قاعدة ملكه زويلة . وتعرف زويلة ابن خطّاب فتقبّض عليه وغلبه على المال حتى هلك ، ولم يزل يفتح البلاد الى أن وصل الى طرابلس واجتمع عليه عرب ذياب بن سليم . ونهض بهم الى جبل نفوسة فملكه واستخلص أموال العرب واتصل به مسعود بن زمام شيخ الدواودة من رياح عند مفره من المغرب كما ذكرناه . واجتمعت

(١) كذا ، وفي ت : واستفحلوا بمصر .

أيديهم على طرابلس وافتتحها واجتمع اليه ذؤبان العرب من هلال وسُلَيم. وفرض لهم العطاء، واستبد بملك طرابلس وما وراءها، وكان قراقش من الارمن، وكان يقال له المظفري لأنه مملوك المظفر والناصري لانه يخطب للناصر صلاح الدين. وكان يكتب في ظهائره ولي أمير المؤمنين بسكون الميم، ويكتب علامة الظهير بخطه: وثقت بالله وحده أسفل الكتاب. وأما ابراهيم ابن قراقش صاحبه فانه سار مع العرب الى قفصة فملك جميع منازلها وراسل بني الزند رؤساء قفصة فأمكنوه من البلد لانحرافهم عن بني عبد المؤمن فدخلها وخطب للعباسي ولصلاح الدين الى أن قتله المنصور عند فتح قفصة كما نذكره في اخبار الموحدين.

رجع الخبر الى ابن غانية

ولما وصل علي ابن غانية الى طرابلس ولقي قَراقش اتفقا على المظاهرة على الموحدين واستمال ابن غانية كافة بني سُلَيم من العرب وما جاورهم من مجالاتهم ببرقة وخالطوه في ولايتهم، واجتمع اليه من كان متحرفاً عن طاعة الموحدين من قبائل هلال مثل: جشم ورياح والاثبج. وخالفتهم زغبة الى الموحدين فاعتقلوا بطاعتهم سائر أيامهم. ولحق بابن غانية فل قومه من لمتونة ومنوفة

من أطراف البقاع ، فانعقد أمره وتجدّد بذلك القطر سلطان قومه .
وجدد رسوم الملك واتخذ الآلة وافتتح كثيراً من بلاد الجريد
وأقام فيها الدعوة العباسية . ثم بعث ولده وكاتبه عبد المؤمن
من من فرسان الاندلس الى الخليفة الناصر بن المستضيء ببغداد ،
مجدّداً ما سلف لقومه من المرابطين بالمغرب من البيعة والطاعة
وطلب المدد والاعانة ، فعقد له كما كان لقومه وكتب الكتاب
من ديوان الخليفة الى ملك مصر والشام النائب عن الخليفة بها
صلاح الدين يوسف بن أيوب ، فجاء الى مصر فكتب له صلاح
الدين الى قراقش واتصل أمرهما في اقامة الدعوة العباسية .

وظاهره ابن غانية على حصار قابس فافتتحها قراقش من يد
سعيد بن أبي الحسن ، وولى عليها مولاه وجعل فيها ذخائره .
ثم اتصل بها الى ان وصل الى قفصة خلعوا طاعة ابن غانية
فظاهره قراقش عليها فافتتحها عنوة . ثم رحل الى توزر وقراقش
في مظاهرته فافتتحها أيضاً . ولما اتصل بالمنصور ما نزل
بافريقية من اجلاب ابن غانية وقراقش على بلاد الجريد
نهض من مراكش سنة ثمان وثمانين لحسم هذا الداء واستنقاذ ما
غلبوا عليه . ووصل الى تونس فأراح بها وسرّح في مقدمته السيد
أبا يوسف يعقوب بن أبي حفص عمر بن عبد المؤمن ، ومعه عمر
ابن أبي زيد من أعيان الموحدين فلقيهم ابن غانية في جموعه
بعهده فانهزم الموحدون وقتل ابن أبي زيد وجماعة منهم ، وأسر

علي بن الزبرتير في آخرين وامتلأت أملاك العدو من اسلابهم ومتاعهم . ووصل سرعان الناس الى تونس ، وصمد المنصور اليهم فأوقع بهم بظاهر الحامة في شعبان من سنته . وأفلت ابن غانية وقراقش بجومة الوفر [1] وبادر أهل قابس وكانت خالصة لقراقش دون ابن غانية فأتوا طاعتهم وأسلموا من كان عندهم من أصحابه وذويه فأحتملوا الى مراكش ، وقصد المنصور الى توزر فحاصرها فأسلموا اليه من كان فيها من أصحاب ابن غانية . وبادر أهلها بالطاعة .

ثم رجع الى قفصة فحاصرها حتى نزلوا على حكمه ، وقتل من كان بها من الحشود . وقتل ابراهيم بن قراتكين . وامتن على سائر الاعوان وخلى سبيلهم ، وأمن أهل البلد في أنفسهم وجعل املاكهم بأيديهم على حكم المساقاة . ثم غزا العرب واستباح حللهم وأحياءهم حتى استقاموا على طاعته . وفرّ ذو المراس كثير الخلاف والفتنة منهم الى المغرب مثل : جشم ورياح والعاصم كما قدّمناه . وقفل الى المغرب سنة أربع وثمانين ، ورجع ابن غانية وقراقش الى حالهما من الاجلاب على بلاد الجريد الى أن هلك علي في بعض حروبها مع أهل نفزاوة سنة أربع وثمانين ، أصابه سهم غَرِبٌ كان فيه هلاكه فدفن هنالك وعفي على قبره ، وحمل شلوه الى ميورقة فدفن بها . وقام بالامر أخوه يحيى بن اسحق

(١) كذا ، وفي ت : بجريمّة الدقن .

ابن محمد بن غانيــة وجرى في مظـاهرة قراقش وموالاته على سنن أخيه علي .

ثم نزع قراقش الى طاعة الموحدين سنة ست وثمانين فهـاجر اليهم بتونس وتقبله السيد أبو زيد بن أبي حفص بن عبد المؤمن وأقام معه أياماً . ثم فرّ ووصل الى قابس فدخلها مخادعــة وقتل جماعة منهم ، واستبد على أشياخ ذباب والكعوب من بني سليم فقتــل سبعين منهم بقصر العروسيين . كان منهم محمود بن طوق أبو المحاميد ، وحميد بن جارية أبو الجواري . ونهض الى طرابلس فافتتحها ورجع الى بلاد الجريد فاستولى على أكثرها ، ثم فسد ما بينه وبين يحيى بن غانية . وســار اليه يحيى فانتهز قراقش ولحق بالجبال وتوغل فيها ، ثم فر الى الصحراء ونزل ودّان ولم يزل بها الى أن حاصره ابن غانية من بعد ذلك بمدة وجمع عليه أهل الثار من ذباب ، واقتحمها عليه عنوة وقتله ولحق ابنــه بالموحدين . ولم يزل بالحضرة الى أيام المستنصر . ثم فرّ الى ودّان وأجلب في الفتنــة فبعث اليه ملك كام من قتــله لسنة ست وخمسين وخمسمائة .

رجع الخبر : واستولى ابن غانية على الجريــد ، واستنزل ياقوت فولى قراقش من طرده ، كذا ذكره التجاني في رحلته . ولحق ياقوت بطرابلس ، ونازله ابن غانية بهــا ، وطــال أمر حصاره . وبالغ ياقوت في المدافعــة ، وبعث يحيى عن أسطول

ميورقة فأمده أخوه عبد الله بقطعتين منه فاستولى على طرابلس ، وأشخص ياقوت الى ميورقة واعتقل بها الى أن أخذها الموحدون. وكان من خبر ميورقة ان علي بن غانية لما نهض الى فتح بجاية ترك أخاه محمداً وعلي بن الزبرتير في معتقلها . فلما خلا الجو من أولاد غانية وكثير من الحامية داخل بن الزبرتير في معتقله نفر من أهل الجزيرة ، وثاروا بدعوة محمد وحاصروا القصبة الى ان صالحهم أهلها على اطلاق محمد بن اسحق فأطلق من معتقله ، وصار الامر له فدخل في دعوة الموحدين ، ووفد مع علي بن الزبرتير على يعقوب المنصور . وخالفهم الى ميورقة عبد الله بن اسحق ، ركب البحر من افريقية الى صقلية وأمدوه بأسطول ، ووصل الى ميورقة عند وفادة أخيه على المنصور فملكها ، ولم يزل بها والياً . وبعث الى أخيه علي بالمدد الى طرابلس كما ذكرناه ، وبعثوا اليه ياقوت فاعتقله عنوة الى أن غلب عليه الموحدون سنة تسع وتسعين فقتل . ومضى ياقوت الى مراكش وبها مات .

رجع الخبر : ولما فرغ ابن غانية من أمر طرابلس ولّى عليها تاشفين ابن عمه الغازي ، وقصد قابس فوجد بها عامل الموحدين ابن عمر تافراكين بعثه اليهم صاحب تونس الشيخ أبو سعيد بن أبي حفص ، فاستدعاه أهلها لما فر عنهم ثائب قراقش أخذ ابن غانية لطرابلس فنازل قابس ، وضيق عليها حتى سألوه الامان على أن يخلي سبيل ابن تافراكين فعقد لهم ذلك وأمكنوه من البلد

فملكها سنة احدى وتسعين وأغرمهم ستين ألف دينار ، وقصد المهدية سنة سبع وتسعين فاستولى عليها وقتل الثائر بها محمد بن عبد الكريم الركراكي .

وكان من خبره أنه نشأ بالمهدية وصار من جندها المرتدين وهو كوفي الاصل ، وكانت له شجاعة معروفة فجمع لنفسه خيلًا ورجالاً ، وصار يغير على المفسدين من الاعراب بالاطراف فداخلهم هيبة وبَعُدَ في ذلك صيته وأمده الناس بالدعاء . وقدم أبو سعيد بن أبي حفص على افريقية من قبل المنصور لاول ولايته ، وولى على المهدية أخاه يونس . وطالب محمد بن عبد الكريم بالسهمان في المغانم . وامتنع فانزل به النكال وعاقبه بالسجن فدبّر ابن عبد الكريم الثورة وداخل فيها بطانته، وتقبّض على أبي علي يونس سنة خمس وتسعين واعتقله الى ان فداه أخوه أبو سعيد بخمسمائة دينار من الذهب العين واستبد ابن عبد الكريم بالمهدية ودعا لنفسه وتلقّب المتوكل على الله . ثم وصل السيد أبو زيد بن أبي حفص عمر بن عبد المؤمن والياً على افريقية فنازل ابن عبد الكريم بتونس سنة ست وتسعين واضطرب معسكره بحلق الوادي وبرز اليه جيوش الموحدين فهزمهم وطال حصاره لهم . ثم سألوه الافراج عنهم فأجاب لذلك ، وارتحل عنهم الى حصار يحيى بن غانية بقاس فنازله مدة .

ثم ارتحل الى قفصة وخرج ابن غانية في اتباعه ، فانهزم ابن

عبد الكريم امامه ولحق بالمهدية ، وحاصره ابن غانية بها سنة سبع وتسعين ، وأمده السيد أبو زيد بقطعتين من الغزاة حتى سأل ابن عبد الكريم النزول على حكمه وخرج اليه فقبض عليه ابن غانية وهلك في اعتقاله ، واستولى على المهدية واستضافها الى ما كان بيده من طرابلس وقابس وصفاقس والجريد . ثم نهض الى الجانب الغربي من افريقية فنازل باجة ، ونصب عليها المجانيق ، وافتتحها عنوةً وخربها ، وقتل عاملها عمر بن غالب ، ولحق شريدها بالأربس وشقبنارية ، وتركها خاوية على عروشها وبعد مدة تراجع اليها ساكنها بأمن السيد أبي زيد فزحف اليها ابن غانية ثانية ونازلها ، وزحف اليه السيد أبو الحسن أخو السيد أبي زيد فلقيه بقسطنطينة ، وانهزم الموحدون واستولى على معسكرهم .

ثم نهض الى بسكرة واستولى عليها وقطع أيدي أهلها وتقبض على حافظها أبي الحسن ابن أبي يعلى ، وتملك بعدها بلنبية [1] والقيروان وبايعه أهل بونة ، ورجع الى المهدية وقد استفحل ملكه فأزمع على حصار تونس ، وارتحل اليها سنة تسع وتسعين ، واستعمل على المهديّة ابن عمه علي بن الغازي ، ويعرف بالكافي ابن عبد الله بن محمد بن علي بن غانية ، ونزل بالجبل الأحمر من

(١) كذا بالاصل ، وفي ت : تبسه .

ظاهر تونس ونزل اخوه بحلق الوادي . ثم ضايقوها بمعسكرهم وردموا خندقها ونصبوا المجانيق والآلات ، واقتحموها لاربعة أشهر من حصارها في ختام المائة السادسة ، وقبض على السيد أبي زيد وابنيه ومن كان معه من الموحدين ، وأخذ أهل تونس بغرم مائة ألف دينار ، وولّى بقبضها منهم كاتبه ابن عصفور وأبا بكر بن عبد العزيز ابن السكاك فأرهقوا الناس بالطلب حتى لاذ معظمهم بالموت واستعجل القتل فيما نقل أن اسمعيل بن عبد الرفيع من بيوتاتها القى بنفسه في بئر فهلك ، فرفع الطلب ببقيتها عنهم .

وارتحل الى نفوسة والسيد أبو زيد معتقل في معسكره ، ففعل بهم مثل ذلك ، وأغرمهم ألف ألف مرّتين من الدنانير ، وكثر عيثه واضراره بالرعية ، وعظم طغيانه وعتوه . واتصل بالناصر بمراكش ما دهم أهل افريقية منه ومن ابن عبد الكريم قبله ، فامتعض لذلك ورحل اليها سنة إحدى وستمائة . وبلغ يحيى ابن غانية خبر زحفه اليه فخرج من تونس الى القيروان ثم الى قفصة واجتمع اليه العرب وأعطوه الرهن على المظاهرة والدفاع . ونازل طرة من حصون مغراوة [1] فاستباحها ، وانتقل الى حامة مطماطة . ونزل الناصر تونس ثم قفصة ثم قابس وتحصن منه ابن غانية في جبل دمّر ، فرجع عنه الى المهدية ، وعسكر عليها

(١) كذا بالأصل ، وفي ت : نفزاوة .

واتخذ الآلة لحصارها .

وسرح الشيخ أبا محمد عبد الواحد بن أبي حفص لقتال ابن غانية في أربعة آلاف من الموحدين سنة اثنتين وستمائة فلقيه بجبل تاجراً من نواحي قابس وأوقع به ، وقتل أخاه جبارة بن اسحق واستنقذ السيد أبا زيد من معتقله ، ثم افتتح الناصر المهدية ودخل اليها علي بن الغازي في دعوته فتقبله ، ورفع مكانه ووصله بهدية وافق وصولها من سبتة اليه على يد واصل[1] مولاه وكان بها ثوبان منسوجان بالجواهر فوصله بذلك كله ، ولم يزل معه الى أن استشهد مجاهداً .

وولى الناصر على المهديّة محمد بن يغمور من الموحدين ورجع الى تونس . ثم نظر فيمن يوليه أمر افريقية لسد فرجها والذب عنها ، ومدافعة ابن غانية وجموعه دونها . فوقع اختياره على الشيخ أبي محمد بن أبي حفص فعقد له على ذلك سنة ثلاث كما ذكرناه في أخباره . ورجع الناصر الى المغرب ، وأجمع ابن غانية النهوض لقتال الموحدين بتونس ، وجمع ذؤبان العرب من الدواودة وغيرهم . وأوفد الدواودة يومئذ محمد بن مسعود بن سلطان وتحيّز بنو عوف بن سليم الى الموحدين ، والتقوا بشبرو من نواحي تبسة فانهزمت جموع ابن غانية ، ولجأ الى جهة طرابلس .

ثم نهض الى المغرب في جموعه من العرب والملثمين فانتهى

(١) كذا بالاصل ، وفي ت : ناصح .

الى سجلماسة ، وامتلأت أيدي اتباعه من النهاب ، وخرقوا الارض بالعيث والفساد . وانكفأ الى المغرب الاوسط وداخله المفسدون من زناتة ، وأغزوا به صاحب تلمسان السيد أبا عمران موسى بن يوسف بن عبد المؤمن ، فلقيه بتاهرت فهزمه ابن غانية ، وقتله وأسر وافده [1] وكر راجعاً الى افريقية فاعترضه الشيخ أبو محمد صاحب افريقية في جموع الموحدين ، واستنقذ الغنائم من أيديهم . ولجأ [2] ابن غانية الى جبال طرابلس ، وهاجر أخوه سير بن اسحق الى مراكش فقبله الناصر وأكرمه . ثم اجتمع الى ابن غانية طوائف العرب من رياح وعوف وهيث [3] ومن معهم من قبائل البربر ، وعزم على دخول افريقية . ونهض اليهم الشيخ ابو محمد سنة ست ولقيهم بجبل نفوسة ففلّ عسكرهم واستلحم أمرهم ، وغنم ما كان معهم من الظهر والكراع والاسلحة . وقتل يومئذ محمد بن الغازي وجوار بن يفرن ، وقتل معه ابن عمه من كتاب ابن أبي الشيخ ابن عساكر بن سلطان ، وهلك يومئذ من العرب الهلايين أمير قرّة سمّاد بن نخيل .

حكى ابن نخيل : ان مغانم الموحدين يومئذ من عساكر الملثمين كانت ثمانية عشر الفاً من الظهر فكان ذلك مما أوهن من شدته

(١) كذا بالاصل ، وفي ت : ولده .

(٢) كذا ، وفي ت : ونجا .

(٣) كذا ، وفي ت : ونفاث .

ووطّى من بأسه . وثارت قبائل نفوسة بكاتبه ابن عصفور فقتلوا ولديه ، وكان ابن غانية يبعثه عليهم للمغرم . وسار أبو محمد في نواحي افريقية ودفع سلبهم واستثأر أشياخهم بأهلهم ، وأسكنهم بتونس حسماً لفسادهم . وصلحت أحوال أفريقية الى أن هلك الشيخ أبو محمد سنة ثمان عشرة ، وولي أبو محمد السيد أبو العلا ادريس بن يونس بن عبد المؤمن . ويقال بل وليها قبيل مهلك الشيخ أبي محمد فاستطار بعد مهلكه ثور بن غانية ، ونجم نفاقه وعيثه ، فعابه رعيته ونهض اليه السيد أبو العلا ونزل قابس وأقام بقصر العروسيين وسرح ولده السيد أبا زيد بعسكر من الموحدين الى درج وغدامس ، وسرح عسكراً آخر الى ودان لحصار ابن غانية ، فأرجف بهم العرب ونهضوا وهمّ بهم السيد أبو العلا . وفر ابن غانية الى الزاب ، واتبعه السيد أبو زيد فنازل بسكرة [1] واقتحمها عليه . ونجا ابن غانية ، وجمع أوباشاً من العرب والبربر ، وأتبعه السيد أبو زيد في الموحدين وقبائل هوّارة ، وتزاحفوا بظاهر تونس سنة احدى وعشرين فانهزم ابن غانية وجموعه ، وقتل كثير من الملثمين ، وامتلأت أيدي الموحدين من الغنائم .

وكان لهوارة يومئذ ، وأميرهم حناش بن بعرة بن ونيفن . في هذا الزحف أثر مذكور وبلاء حسن . وبايغ السيد أبا زيد

(١) كذا ، وفي ت : فنازله ببسكرة .

إثر هذه الوقيعة خبر مهلك أبيه بتونس فانكفّ راجعاً ، وأعيد بنو أبي حفص الى مكان أبيهم الشيخ أبي محمد بن أثال بافريقية . واستقل الامير أبو زكريا منهم بأمرها ، واقتلعها عن ملكه الى عبد المؤمن[1] وتناولها من يد أخيه أبي محمد عبدالله . وهذا الامير أبو زكريا هو جدّ الخلفاء الحفصيين وماهد أمرهم بافريقية ، فأحسن دفاع ابن غانية عنها وشرده في أقطارها . ورفع يده شيئاً فشيئاً عن النيل من أهلها ورعاياها . ولم يزل شريداً مع العرب بالقفار ، فبلغ سجلماسة من أقصى المغرب ، والعقبة الكبرى من تخوم الديار المصرية . واستولى على ابن مذكور صاحب السويقة من تخوم برقة ، وأوقع بمغراوة بواجر ما بين متيجة ومليانة ، وقتل أميرهم منديل بن عبد الرحمن وصلب شلوه بسور الجزائر .

وكان يستخدم الجند فاذا سئموا الخدمة تركهم لسبيلهم الى أن هلك لخمسين سنة من أمارته سنة احدى وثلاثين ، وقيل ثلاث وثلاثين ، ودفن وعفى أثر مدفنه . يقال بوادي الرجوان قبلة الأرُبس ويقال بجهة مليانة من وادي شلف ، ويقال بصحراء باديس ومديد[2] من بلاد الزاب . وانقرض أمر الملثمين من مسوقة ولمتونة ومن جميع بلاد افريقية والمغرب والاندلس بمهلكه . وذهب ملك صنهاجة من الارض بذهاب ملكه وانقطاع

(١) كذا ، وفي ت : من ملكة آل عبد المؤمن .
(٢) كذا ، وفي ت : وبنومة ، وفي ب : وتنومة .

أمره . وقد خلف بنات بعثهن [1] زعموا الى الامير أبي زكريا لعهده بذلك الى علجه جابر [2] فوضعن في يده . وبلغه وفاة أبيهن وحسن ظنه في كفالته إياهنّ ، فأحسن الامير أبو زكريا كفالتهن ، وبنى لهن بحضرته داراً لصونهن معروفة لهذا العهد بقصر البنات .

وأقمن تحت حراسته وفي سعة من رزقه موصولات لوصاة أبيهن بذلك منهن وحفظهن لوصاته . ولقد يقال ان ابن عم لهنّ خطب احداهن فبعث اليها الامير أبو زكريا فقال لها : هذا ابن عمك وأحق بك ، فقالت لو كان ابن عمنا ما كفلنا الاجانب : الى أن هلكن عوانس بعد ان متعن من العمر بحظ .

أخبرني والدي رحمه الله : انه أدرك واحدة منهنّ أيام حياته في سني العشر والسبعمائة تناهز التسعين من السنين . قال: ولقيتها وكانت من أشرف النساء نفساً وأسراهنّ خلقاً وأزكاهنّ خلالاً والله وارث الارض ومن عليها .

ومضى هؤلاء الملثمون وقبائلهم لهذا العهد بمجالاتهم من جوار السودان حجزا بينهم وبين الرمال التي هي تخوم بلاد البربر من المغربين وافريقية- وهم لهذا العهد متصلون من ساحل البحر المحيط في المغرب الى ساحل النيل بالمشرق . وهلك من قام بالملك

---

(١) كذا بالأصل في جميع النسخ ، وتصويب العبارة : وقد خلف بنات زعموا بأنه بعثهن الى الامير أبي زكريا .

(٢) كذا ، وفي ت : صابر

منهم بالعدوتين ، وهم قليل من مسوقة ولمتونة كما ذكرناه ، أكلتهم الدولة وابتلعتهم الآفاق والاقطار ، وأفناهم الرق [1] واستلحمهم إمراء الموحدين [2] . وبقي من أقام بالصحراء منهم على حالهم الأول من افتراق الكلمة واختلاف البين ، وهم الآن يعطون طاعة لملوك السودان ، يجبون اليهم خراجهم وينفرون في معسكرهم .

واتصل بنيانهم على بلاد السودان الى المشرق مناظر السلع العرب على بلاد المغربين وافريقية [3] . فكدالة منهم في مقابلة ذوي حسان من المعقل عرَب السوس الاقصى ، ولمتونة وتريكة في مقابلة ذوي منصور وذوي عبد الله من المعقل أيضاً عرب المغرب الاقصى ، ومسوقة في مقابلة زغبة عرب المغرب الاوسط ، ولمطة في مقابلة رياح عرب الزاب وبجاية وقسطنطينة ، وتاركا في مقابلة سليم عرب افريقية ، وأكثر ما عندهم من المواشي الإبل لمعاشهم وحمل أثقالهم وركوبهم ، والخيل قليلة لديهم أو معدومة . ويركبون من الابل الفارهة ويسمونها النجيب ، ويقاتلون عليها اذا كانت بينهم حرب ، وسيرها هملجة ، وتكاد

(١) كذا ، وفي ت : الترف .

(٢) كذا ، وفي ت : واستلحمهم آخراً الموحدون .

(٣) كذا بالاصل ، وفي ت : واتصل سياجهم على بلاد السودان الى المشرق ، مناظراً لسياج العرب على بلاد المغربين وافريقية .

تلحق بالركض[١] وربما يغزوهم أهل القفر من العرب ، وخصوصاً بنو سعيد من بادية رياح ، فهم أكثر العرب غزواً الى بلادهم فيستبيحون من صحبوه منهم يرمونه في بطون مغاير[٢] . فاذا اتصل الصائح بأحيائهم ، وركبوا في اتباعهم اعترضوهم على المياه قبل وصولهم من تلك البلاد فلا يكادون يخلصون ويشتدّ الحرب بينهم فلا يخلص العرب من غوائلهم[٣] إلا بعد جهد ، وقد يهلك بعضهم ، ولله الخلق والأمر . واذ عرض لنا ملوك السودان فلنذكر ملوكهم لهذا العهد المجاورين لملوك المغرب . *

مُلوك السودان

الخبر عن ملوك السودان المجاورين للمغرب من وراء هؤلاء الملثمين ووصف احوالهم والالمام بما اتصل بنا من دولتهم

هذه الامم السودان من الادميين هم أهل الاقليم الثاني ، وما وراءه الى آخر الأوّل بل والى آخر المعمورة متصلون ما بين المغرب والمشرق ، يجاورون بلاد البربر بالمغرب وافريقية وبلاد

(١) كذا بالاصل في جميع النسخ ، ومقتضى السياق : وتكاد لا تلحق بالركض ، أو وتكاد تلحق الجياد من الخيل بالركض .
(٢) كذا ، وفي ت : وينكفون مغزين .
(٣) كذا ، وفي ت : فلا يخلص العرب بغنائمهم

اليمن والحجاز في الوسط ، والبصرة وما وراءها من بلاد الهند بالمشرق ، وهم أصناف وشعوب وقبائل أشهرهم بالمشرق الزنج والحبشة والنوبة ، وأمّا أهل المغرب منهم فنحن ذاكروهم بعد ، وأما نسبهم فالى حام بن نوح ، بالحبش من ولد حبش بن كوش ابن حام ، والنوبة من ولد نوبة بن كوش بن كنعان بن حام فيما قاله المسعودي ، وقال ابن عبد البر إنهم من ولد نوب بن قوط ابن مصر [١] بن حام ، والزنج من ولد زنجي بن كوش وأمّا سائر السودان فمن ولد قوط بن حام فيما قاله ابن عبد البر ، ويقال هو قبط بن حام .

وعدّ ابن سعيد من قبائلهم وأممهم تسع عشرة أمة ، منهم في المشرق الزنج على بحر الهند ، لهم مدينة فنقية [٢] وهم مجوس ، وهم الذين غلب رقيقهم بالبصرة على ساداتهم مع دعي الزنج في خلافة المعتمد . قال : ويليهم مدينة بربرا ، وهم الذين ذكرهم امرؤ القيس في شعره . والاسلام لهذا العهد فاش فيهم ، ولهم مدنية مقدشوا على البحر الهندي يعمرها تجار المسلمين ومن غربيهم وجنوبهم الدمادم وهم حفاة عراة . قال : وخرجوا الى بلاد الحبشة والنوبة عند خروج الططر الى العراق فعاثوا فيها ثم رجعوا . قال : ويليهم الحبشة وهم أعظم امم السودان ،

(١) كذا ، وفي ت : ابن ينصر .
(٢) كذا وفي ت : منبسة .

وهم مجاورون لليمن على شاطىء البحر الغربي ومنه غزوا ملك اليمن ذي نواس وكانت دار مملكتهم كعبر ، وكانوا على دين النصرانية ، وأخذ بالاسلام واحد منهم زمن الهجرة على ما ثبت في الصحيح ، والذي أسلم منهم لعهد النبي صلى الله عليه وسلم . وهاجر اليـه الصحابة قبل الهجرة الى المدينة فآواهم ومنعهم ، وصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم عندما نعي اليه كان اسمه النجاشي وهو بلسانهم : انكاش بالكاف المشمة بالجيم عربتها العرب جيماً محضة وألحقتها ياء النسب ، شأنها في الاسماء الاعجمية اذا تصرفت فيها ، وليس هذا الاسم سمة لكل من تملك منهم كما يزعم كثير من الناس ممن لا علم له بهذا ، ولو كان كذلك لشهروا اسمه الى اليوم لان ملكهم لم يتحول منهم .

وملكهم لهذا العهد اسمه الحطى ما أدري اسم السلطان نفسه أو اسم العشيرة الذين فيهم الملك وفي غربيه مدينة داموت وكان بها ملك من أعاظمهم وله ملك ضخم وفي شماليه ملك آخر منهم اسمه حق الدين محمد بن علي ابن ولصمع في مدينة أسلم أولوه في تواريخ مجهولة . وكان جده ولصمع مطيعاً لملك دامون ، وأدركت الحطى الغيرة من ذلك فغزاه واستولى على بلاده . ثم اتصلت الفتنة وضعف أمر الحطى فاسترجع بنو ولصمع بلادهم من الحطى وبنيه ، واستولوا على وفات وخربوها . وبلغنا أن حق الدين هلك ، وملك بعده أخوه سعد الدين وهم مسلمون يعطون

الطاعة للخطى احياناً وينابذونه أخرى والله مالك الملك .

قال ابن سعيد : ويليهم البجاوة وهم نصارى ومسلمون ، ولهم جزيرة بسواكن في بحر السوس ، ويليهم النوبة اخوة الزنج والحبشة ولهم مدينة دنقلة غرب النيل ، وأكثرهم مجاورون للديار المصرية ، ومنهم رقيق . ويليهم زغاوة وهم مسلمون ، ومن شعوبهم تاجرة ويليهم الكانم وهم خلق عظيم ، والاسلام غالب عليهم ومدينتهم حيمي (١) ولهم التغلب على بلاد الصحرا الى فُزّان . وكانت لهم مهادنة مع الدولة الحفصية منذ أوّلها ، ويليهم من غربهم كَوْكَوْ ، وبعدهم نغاله والتكرور ولمي وتمم وجالي وكورى وأفكرار ، ويتصلون بالبحر المحيط الى غانية في الغرب اهـ كلام ابن سعيد .

ولما فتحت افريقية المغرب دخل التجار بلاد المغرب فلم يجدوا فيهم أعظم من ملوك غانية ، كانوا مجاورين للبحر المحيط من جانب الغرب وكانوا أعظم أمة ولهم أضخم ملك ، وحاضرة ملكهم غانية مدينتان على حافتي النيل من أعظم مدائن العالم وأكثرها معتمراً ، ذكرها مؤلف كتاب رجار وصاحب المسالك والممالك . وكانت تجاورهم من جانب الشرق أمة أخرى فيما زعم الناقلون تعرف صوصو بصادين مضمومتين أو سينين مهملتين ، ثم بعدها أمة أخرى تعرف مالّي ثم بعدها أمة أخرى تعرف

(١) كذا وفي ت : حيمي . وفي ب : جنمي .

كوكو ويقال كاغو ، ثم بعدها أمة أخرى تعرف بالتكرور .
وأخبرني الشيخ عثمان فقيه أهل غانية وكبيرهم علماً وديناً وشهرةً ، قدم مصر سنة تسع وتسعين حاجاً بأهله وولده ولقيته بها فقال انهم يسمون التكرور زغاي ومالي انكاريه اهـ .
ثم ان أهل غانية ضعف ملكهم وتلاشى أمرهم واستفحل أمر الملثمين المجاورين لهم من جانب الشمال مما يلي البربر كما ذكرناه ، وعبروا على السودان واستباحوا حماهم وبلادهم واقتضوا منهم الاتاوات والجزى ، وحملوا كثيراً منهم على الاسلام فدانوا به . ثم اضمحل ملك أصحاب غانة وتغلب عليهم أهل صوصو المجاورون لهم من أمم السودان واستعبدوهم وأصاروهم في جملتهم . ثم ان أهل مالّي كثروا أمم السودان في نواحيهم تلك ، واستطالوا على الامم المجاورين لهم فغلبوا على صوصو وملكوا جميع ما بأيديهم من ملكهم القديم ، وملك أهل غانة الى البحر المحيط من ناحية الغرب وكانوا مسلمين ، يذكرون ان أول من أسلم منهم ملك اسمه بَرْمَنْدانة هكذا ضبطه الشيخ عثمان . وحج هذا الملك واقتفى سننه في الحج ملوكهم من بعده .
وكان ملكهم الاعظم الذي تغلب على صوصو وافتتح بلادهم وانتزع الملك من أيديهم اسمه ماري جاطة ، ومعنى ماري عندهم الامير الذي يكون من نسل السلطان وجاطة الاسد ، واسم الحافد عندهم تكن ، ولم يتصل بنا نسب هذا الملك . وملك

عليهم خمساً وعشرين سنة فيما ذكروه . ولما هلك ولي عليهم من بعده ابنه منساولي ، ومعنى منسا السلطان ، ومعنى ولي بلسانهم علي ، وكان منسا ولي هذا من اعاظم ملوكهم . وحج أيام الظاهر بيبرس ، وولي عليهم من بعــده أخوه واتى . ثم بعده أخوهم خليفة وكان محمقاً رامياً ، فكان يرسل السهام على الناس فيقتلهم مجاناً ، فوثبوا عليــه فقتلوه . وولي عليهم من بعده سبط من أسباط ماري جاطة يسمى بأبي بكر ، وكان ابن بنته فملكوه على سنن الأعــاجم في تمليك الأخت وابن الأخت . ولم يقع إلينا نسبه ونسب أبيه .

ثم ولي عليهم من بعده مولى من مواليهم تغلب على ملكهم اسمه ساكورة . وقال الشيخ عثمان ضبطــه بلسانهم أهل غانة سبكرة وحج أيام الملك الناصر وقتل عنــد مرجعه بتاجورا ، وكانت دولته ضخمة اتسع فيها نطاق ملكهم وتغلبوا على الامم المجاورة لهم . وافتتح بلاد كَوْكَوْ وأصارها في ملكة أهل مالي . واتصل ملكهم من البحر المحيط وغانة بالمغرب الى بلاد التكرور في المشرق ، واعتز سلطانهم وهابتهم أمم السودان ، وارتحل الى بلادهم التجار من بلاد المغرب وافريقية .

وقال الحاج يونس ترجمان التكرور ان الذي فتح كوكو هو سغمنجة من قواد منسا موسى ، وولي من بعــده ساكورة هذا هو ابن السلطان ماري جاطة ، ثم من بعده ابنه محمــد بن

قو ، ثم انتقل ملكهم من ولد السلطان ماري جاطة الى ولد أخيه أبي بكر فولي عليهم منسا موسى بن أبي بكر ، وكان رجلاً صالحاً وملكاً عظيماً ، له في العدل أخبار تؤثر عنه. وحج سنة أربع وعشرين وسبعمائة ، لقيه في الموسم شاعر الاندلس أبو اسحق ابراهيم الساحلي المعروف بالطويجن وصحبه الى بلاده. وكان له اختصاص وعناية ورثها من بعده ولده الى الآن وأوطنوا والاتر من تخوم بلادهم من ناحية المغرب ، ولقيه في منصرفه صاحبنا المعمر أبو عبد الله بن خديجة الكومي من ولد عبد المؤمن ، كان داعية بالزاب للفاطمي المنتظر ، وأجلب عليهم بعصائب من العرب فكر به واركلا ، واعتقله ثم خلّى سبيله بعد حين فخاض القفر الى السلطان منساموسى مستجيشاً به عليهم ، وقد كان بلغه توجهه للحج فأقام في انتظاره ببلد غدامس يرجو نصراً على عدوّه ومعونة على أمره لما كان عليه منساموسى من استفحال ملكه بالصحراء الموالية لبلد واركلا وقوّة سلطانه فلقي منه مبرة وترحباً ووعده بالمظاهرة والقيام بثأره واستصحبه الى بلدة اخرى وهو الثقة.

قال كنا نواكبه أنا وأبو اسحق الطويجن دون وزرائه ووجوه قومه ، نأخذ بأطراف الاحاديث حيث يتسع المقام ، وكان يتحفنا في كل منزل بطرف المآكل والحلاوات قال : والذي تحمل آلته

وحريته [١] من الوصائف خاصة اثنا عشر ألفاً لابسات أقبية الديباج والحرير اليماني .

قال الحاج يونس ترجمان هذه الأمة بمصر : جاء هذا الملك منساموسى من بلده بثمانين حملاً من التبر كل حمل ثلاثة قناطير . قال : وانما يحملون على الوصائف والرجال في أوطانهم فقط ، وأمّا السفر البعيد كالحج فعلى المطايا .

قال أبو خديجة : ورجعنا معه الى حضرة ملكه فأراد أن يتخذ بيتاً في قاعدة سلطانه محكم البناء مجللا بالكلس لغرابته بأرضهم فأطرفه أبو اسحق الطويجن ببناء قبة مربعة الشكل استفرغ فيها اجادته . وكان صناع اليدين وأضفى عليها من الكلس ووالى عليها بالاصباغ المشبعة [٢] فجاءت من أتقن المباني ووقعت من السلطان موقع الاستغراب لفقدان صنعة البناء بأرضهم ، ووصله باثني عشر ألفاً من مثاقيل التبر مبثوثة عليها . الى ما كان له من الاثرة والميل اليه والصلات السنية . وكان بين هذا السلطان منساموسى وبين ملك المغرب لعهده من بني مَرين السلطان أبي الحسن مواصلة ومهاداة سفرت بينهما فيها الاعلام من رجال الدولتين واستجاد صاحب المغرب من متاع وطنه وتُحف ممالكه مما تحدّث عنه الناس على ما نذكره عند موضعه ، بعث بها مع عليّ بن

(١) كذا ، وفي ت : وخرثيه .
(٢) كذا وفي ت : وعالى عليها بالاصباغ المنمقة .

غانم المغفل واعيان من رجال دولته . وتوارثت تلك الوصلة أعقابهما كما سيأتي واتصلت أيام منساموسى هذا خمساً وعشرين سنة .

ولما هلك ولي أمر مالّي من بعده ابنه منسامغا ومعنى مغا عندهم محمد ، وهلك لاربع سنين من ولايته ، وولي أمرهم من بعده منسا سليمان بن أبي بكر وهو أخو موسى ، واتصلت أيامه أربعاً وعشرين سنة . ثم هلك فولي بعده ابنه منْسا بن سليمان ، وهلك لتسعة من ولايته فولي عليهم من بعده ماري جاطه بن منْسا مغا بن منساموسى ، واتصلت أيامه أربعة عشر عاماً وكان أشر وال عليهم بما سامهم من النكال والعسف وافساد الحرم . وأتحف ملك المغرب لعهده السلطان أبا سالم بن السلطان أبي الحسن بالهدية المذكورة سنة اثنتين وستين ، وكان فيها الحيوان العظيم الهيكل المستغرب بأرض المغْرب المعروف بالزرافة . تحدث الناس بما اجتمع فيه من متفرق الحلى والشبه في جثمانه ونعوته دهراً.

وأخبرني القاضي الثقة أبو عبد الله محمد بن وانسول من أهل سجلماسة . وكان أوطن بأرض كَوْكَوْ من بلادهم ، واستعملوه في خطة القضاء بما لقيه منذ سنة ست وسبعين وسبعمائة ، فأخبرني عن ملوكهم بالكثير مما كتبته ، وذكر لي عن هذا السلطان جاطه أنه أفسد ملكهم وأتلف ذخيرتهم وكاد أن ينتقض شأن سلطانهم . قال : ولقد انتهى الحال به في سرفه وتبذيره ان باع حجر الذهب

الذي كان في جملة الذخيرة عن أبيهم ، وهو حجر يزن عشرين قنطاراً منقولاً من المعدن من غير علاج بالصناعة ولا تصفية بالنار ، كانوا يرونه من أنفس الذخائر والغرائب لندور مثله في المعدن ، فعرضه جاطة هذا الملك المسرف على تجار مصر المترددين الى بلده ، وابتاعوه منه بأبخس ثمن اذ استهلك من ذخائر ملوكهم سرفاً وتبذيراً في سبيل الفسوق والتخلف .

قال : وأصابته علة النوم ، وهو مرض كثيراً ما يطرق أهل ذلك الاقليم وخصوصاً الرؤساء منهم ، يعتاده غشي النوم عامّة ازمانه حتى يكاد أن لا يفيق ولا يستيقظ إلّا في القليل من أوقاته ويضر صاحبه ويتصل سقمه الى أن يهلك . قال : ودامت هذه العلة بخلطه مدّة عامين اثنين ، وهلك سنة خمس وسبعين . وولوا من بعده ابنه موسى فأقبل على مذاهب العدل والنظر لهم، ونكب عن طرق أبيه جملة وهو الآن مرجو الهداية ، ويغلب على دولته وزيره ماري جاطه ، ومعنى ماري عندهم الوزير وجاطه تقدّم وهو الآن قد حجر السلطان واستبد بالامر عليه ، ونظر في تجهيز العساكر وتجهيز الكتائب ، ودوّخ اقطار الشرق من بلادهم وتجاوز تخوم كوكو ، وجهز الى منازلة تكرت بما وراءها من بلاد الملثمين كتائب نازلتها لاوّل الدولة ، وأخذت بمخنقها . ثم أفرجت عنها وحاطهم الآن هدنة .

وتكرت هذه على سبعين مرحلة من بلد وار كلا في الجانب

القبلي الغربي ، وفيها من الملثمين يعرف بالسلطان ، وعليهم طريق الحاج من السودان ، وبينه وبين أمير الزاب ووار كلا مهاداة ومراسلة . قال : وحاضرة الملك لاهل مالي هو بلد بني [1] بلد متسع الخطه معين على الزرع مستبحر العمارة نافق الاسواق ، وهو الآن محط لركاب البحر من المغرب وافريقية ومصر والبضائع مجلوبة اليها من كل قطر . ثم بلغنا لهذا العهد ان منساموسى توفي سنة تسع وثمانين وولي بعده أخوه منسا مغا . ثم قتل لسنة أو نحوها وولي بعده صندكي زوج أمّ موسى صندكي الوزير . ووثب عليه بعد أشهر رجل من بيت ماري جاطة . ثم خرج من بلاد الكفرة وراءهم وجاءهم رجل اسمه محمود ينسب الى منساقو بن منسا ولي بن ماري جاطه الاكبر فتغلب على الدولة وملك أمرهم سنة اثنتين وتسعين ولقبه منسا مغا والخلق والامر لله وحده .

الخبر عن لمطة وكزولة وهسكورة بني تصكي وهم اخوة هوارة وصنهاجة

هؤلاء القبائل الثلاث قد تقدم لنا أنهم اخوة لصنهاجة وأن أمّ الثلاثة تصكي العرجاء بنت زَحيك بن مادغيس ، فأما

(١) كذا بياض في جميع النسخ ، ولم نعثر في المراجع التي بين ايدينا على التصويب .

صنهاجة فمن ولد عاميل بن زعزاع، واما هوارة فمن ولد أوريغ وهو ابنها ابن برنس، وأما الآخرون فلا تحقيق في نسبهم .

قال ابن حزم : ان صنهاجة ولمطة لا يعرف لهما أب، وهذه الامم الثلاث موطنون بالسوس وما يليه من بلاد الصحراء وجبال درن ملؤوا بسائطه وجباله . فأما لمطة فأكثرهم مجاورون الملثمين من صنهاجة، ولهم شعوب كثيرة وأكثرهم ظواعن أهل وبر . ومنهم بالسوس قبيلتا زكن ولخس، صاروا في عداد ذوي حسّان من معقل، وبقايا لمطة بالصحراء مع الملثمين ومعظمهم قبيلة بين تلمسان وافريقية [1] وكان منهم الفقيه واكاك بن زيري صاحب أبي عمران الفاسي . وكان نزل سجلماسة . ومن تلميذه كان عبد الله بن ياسين صاحب الدولة اللمتونية على ما مرّ .

وأما كزولة فبطونهم كثيرة ومعظمهم بالسوس ويجاورون لمطة ويحاربونهم . ومنهم الآن ظواعن بأرض السوس، وكان لهم مع المعقل حروب قبل أن يدخلوا السوس، فلما دخلوه تغلب عليهم، وهم الآن من خولهم وأخلافهم ورعاياهم .

وأما هسكورة وهم لهذا العهد في عداد المصامدة وينسبون الى دعوة الموحدين وهم أمم كثيرة وبطون واسعة ومواطنهم بجبالهم متصلة من درن الى تادلا من جانب الشرق الى دَرَعة من

(١) كذا ، وفي ت : ومعظمهم في قبلة بلاد تلمسان وافريقية .

جانب القبلة ، وكان دخول بعضهم في دعوة المهدي قبل فتح مراكش ولم يستكملوا الدخول في الدعوة الّا من بعده ، لذلك لا يعدّهم كثير من الناس في الموحدين ، وان عدّوا فليسوا من أهل السابقة منهم لمخالفتهم الامام أوّل الامر . وما كان من حروبهم معه ومع أوليائه وشيعته ، وكانوا ينادون بخلافهم وعداوتهم ويجهرون بلعنهم . فتقول خطباؤهم في مجامع صلواتهم : لعن الله هنتاتة وتينملل وهرنة وهرزجة [1] ، فلما استقاموا من بعد ذلك لم يكن لهم مزية السابقة كما كانت لهنتاته وتينملل وهرغة وهزرجة ، فاستقامتهم على الدعوة كان بعد فتح مراكش .

وبطون هسكورة هؤلاء متعددون ، فمنهم مصطاوة وغجرامة وفطواكة وزمراوة وانتيفت وبنو نفال وبنو رسكونت الى آخرين لم يحضرني أسماؤهم . وكانت الرئاسة عليهم آخر دولة الموحدين لعمر بن وقاريط المنتسب . وذكره في أخبار المأمون والرشيد من بني عبد المؤمن خلفاء الموحدين بمراكش . ثم كان من بعده مسعود بن كلداسن ، وهو القائم بأمر دبوس والمظاهر له على شأنه وأظنه جد بني مسعود بن كلداسن الرؤساء عليهم لهذا العهد من فطواكة المعروفين ببني خطّاب لاتصال الرئاسة في هذا البيت . ولما انقرض أمر الموحدين استعصوا على بني مرين

(١) كذا ، وفي ت : لعن الله هنتاتة وتينملل وشيخهم الضال المضل .

مدة ، واختلفت حالهم معهم في الاستقامة والنفرة ، وكانوا ملجأً للنازعين عن الطاعة من عرب جشم ، ومأوى للثائرين منهم.

ثم استقاموا وأذعنوا لاداء الضرائب والمغارم وجبايتها من قومهم والخفوف الى العسكرة مع السلطان متى دعوا اليها شأن غيرهم من سائر المصامدة.

وأما انتيفت فكانت رئاستهم في أولاد هنّو ، وكان يوسف ابن كنون [1] منهم ، اتخذ لنفسه حصن تاقيُّوت ، وامتنع به ، ولم يزل ولده علي ومخلوف يشيدانه من بعده ، وهلك يوسف وقام بأمره ابنه مخلوف ، وجاهر بالنفاق سنة اثنتين وسبعمائة . ثم راجع الطاعة ، وهو الذي تقبّض على يوسف بن أبي عياد المتعدي على مراكش أيام أبي ثابت سنة سبع وسبعمائة كما نذكر في أخباره ، لما أحيط به فتقبض عليه مخلوف وأمكن منه . وكانت وسيلته من الطاعة ، وكان من بعده ابنه هلال بن مخلوف ، والرئاسة فيهم متصلة لهذا العهد .

وأما بنو نفال فكانت رئاستهم لأولاد ترومیت ، وكان منهم لعهد السلطان أبي سعيد وابنه أبي الحسن كبيرهم علي بن محمد ، وكان له في الخلاف والامتناع ذكر . واستنزله السلطان أبو الحسن من محله لاول ولايته بعد حصاره بمكانه ، وأصاره في جملته تحت عنايته وامرائه الى ان هالك بتونس بعد واقعة

(١) كذا وفي ت : مكنون . وفي ب : منكون .

القيروان في الطاعون الجارف . وولي بنوه من بعده أمر قومهم الى ان انقرضوا ، والرئاسة لهذا العهد في أهل بيتهم ولاهل عمومتهم .

واما فطواكة : وهم أوسع بطونهم وأعظمهم رئاسة فيهم ، وأقربهم اختصاصاً بصاحب الملك واستعمالاً في خدمته . وكان بنو خطّاب منذ انقراض أمر الموحدين قد جنحوا الى بني عبد الحق ، وأعطوهم المقادة واختصوا شيوخهم في بني خطاب بالولاية عليهم . وكان شيخهم لعهد السلطان يوسف بن يعقوب محمد بن مسعود وابنه عمر من بعده . وهلك عمر سنة أربع وسبعمائة بمكانه من محله ، وولي بعده عمه موسى بن مسعود ، وسخطه السلطان لتوقع خلافه فاعتقله . وكان خلاصه من الاعتقال سنة ست وسبعمائة ، وقام بأمر هسكورة من بعده محمد بن عمر بن محمد بن مسعود .

ولما استفحل ملك بني مرين وذهب أثر الملك من المصامدة وبعد عهدهم ، صار بنو مرين الى استعمال رؤسائهم في جباية مغارمهم لكونهم من جلدتهم . ولم يكن فيهم أكبر رئاسة من أولاد تونس في هنتاتة . وبني خطاب هؤلاء في هسكورة فداولوا بينهم ولاية الاعمال المراكشية ، وليها محمد بن عمر هذا من بعد موسى بن علي وأخيه محمد شيوخ هنتاتة ، فلم يزل والياً منها الى ان هلك قبيل نكبة السلطان أبي الحسن بالقيروان . ولحق ابنه

ابراهيم بتلمسان ذاهبـاً الى السلطـان أبي الحسن . فلما دعا أبو عنان الى نفسه رجع عنه الى محله ، وتمسك بما كان عليـه من طاعة أبيه ، ورعاه أبو عنان لعمه عبد الحق ، وقلده الاعمـال المراكشية فلم يغن في منازعة الى أن لحق السلطـان أبو الحسن بمراكش ، فكان من أعظم دعاته ، وأبلى في مظاهرته . فلما هلك السلطان أبو الحسن اعتقله أبو عنان وأودعه السجن ، ثم قتله بين يدي نهوضه الى تلمسان سنة ثلاث وخمسين ، وقام بأمره من بعده أخوه منصور بن محمد الى أن ملك الامير عبد الرحمن بن أبي يفلوسن مراكش سنة ست وسبعين ، فاستقدمه وتقبض عليه ، واعتقله بدار ابن عمه بَجُّو بن العلام بن مسرى بن مسعود بن خطّاب كان في جملته ، وكان هو وأبوه نازعاً الى بني مَرين خوفاً على أنفسهم من أولاد محمد بن عمر لترشحهم للامر ، فلما استمكن منه بداره معتقلاً وثب عليـه فقتله واستلحم بنيه معه وسخطه السلطان لها فاعتقله قليلاً . ثم أطلقه واستقل برياسة هسكورة لهذا العهد والله قادر على ما يشاء .

الطبقة الثالثة من صنهاجة

وهـذه الطبقة ليس فيها ملك وهم لهذا العهد أوفر قبائل المغرب ، فنهم الموطنون بالجانب الشرقي من جبـال درن ما بين تازي وتادلا ومعدن بني فازان حيث الثنْية المفضية الى آكِرسلوين من بلاد النخل . وتفصل تلك الثنية بين بلادهم وبلاد المصامدة في المغرب من جبال درن . ثم اعتمروا قنن تلك الجبال وشواهقها وتنعطف مواطنهم من تلك الثنية الى ناحية القبلة الى أن تنتهي الى آكرسلوين . ثم ترجع مُغَرّباً من آكرسلوين الى درعه الى ضواحي السوس الاقصى ، وأمصاره من تارودانت وأيفري الى فونان وغيرها . ويعرف هؤلاء كلهم باسم صناكة حذفت الهاء من اسم صنهاجة ، وأشموا صاده زاياً وأبدلوا الجيم بالكاف المتوسطة المخرج عند العرب لهذا العهد بين الكاف والقاف أو بين الكاف والجيم . وهي معرّبة النطق .

ولصنهاجة هؤلاء بين قبائل الغَرب وفور عـدد وشدّة بأس ومنعة ، وأعزهم جانباً أهـل الجبال المطلة على تادّلا ، ورياستهم لهذا العهد في ولد عِمْران الصناكي ولهم اعتزاز على الدولة ومنعة عن الهضيمة والانقياد للمغْرم . وتتصل بهم قبائل خباتة [1] منهم

(١) كذا ، وفي ت : جاناته .

ظواعن يسكنون بيوت الخص وينتجعون مواقع القطر في نواحي بلادهم يتغانيمين من قبيلة مكناسة الى وادي أمّ ربيع من تامستا [1] في الجانب الشمالي من جانبي جبل درن ، ورياستهم في ولد هيبري من مشاهيرهم ، ولهم اعتياد بالمغرم وروم على الذل .

وتتصل بهم قبائل دكالة في وسط المغرب من عدوة أمّ ربيع الى مراكش ، ويتصل بهم من جهة المغرب على ساحل البحر المحيط قبيلة بناحية آزمور ، وأخرى وافرة العدد مندرجة في عداد المصامدة وطناً ونحلة وجباية وعمالة . ورياستهم لهذا العهد في دولة عزيز بن يبورك ، ورئيسهم لأوّل دولة زناتة ويأتي ذكره ويعرف عقبه الآن ببني بطال ، ومن قبائل صنهاجة بطون أخرى بجبال تازى وما والاها مثل بطوية ومجاصة وبني وارتين الى جبل لكائي من جبال المغرب معروف ببني الكائي احدى قبائلهم ، يعطون المغرم عن عزّة . وبطوية منهم ثلاثة بطون: بقوية على تازى ، وبني ورياغل على ولد المزمة ، وأولاد علي بتافرسيت . وكان لأولاد علي ذمة مع بني عبد الحق ملوك بني مرين ، وكانت أمّ يعقوب بن عبد الحق منهم فاستوزرهم . وكان منهم طلحة ابن علي وأخوه عمر على ما يأتي ذكره في دولتهم .

ويتصل ببسيط بالمغرب ما بين جبال درن وجبال الريف

(١) كذا وردت في نسخة طبعة بولاق احياناً تامسنا وأحياناً تامستا ، وفي النسخة التونسية : تامسنا وفي نسخة اوروبية : تامستا وهي الاصوب .

من ساحل البحر الرومي حيث مساكن حماد [1] الآتي ذكرهم قبائل أخرى من صنهاجة موطنون في هضاب وأودية وبسائط يسكنون بيوت الحجارة والطين مثل قشتالة وسطه وبنو وريا كل وبنو حميد وبنو مزكلدة وبنو عمران وبنو دركون وبنو رتزر وملوانة وبنو وامرد. ومواطن هؤلاء كلهم بورغة وأمركو يحترفون بالحياكة والحراثة، ويعرفون لذلك صنهاجة البز، وهم في عداد القبائل المغارمة، ولغتهم في الاكثر عربية لهذا العهد وهم مجاورون بجبال غمارة.

ويتصل بجبال غمارة من ناحيتهم جبل سريف موطن بني زروال من صنهاجة وبني مغالة لا يحترفون بمعاش ويسمون صنهاجة العز اقتضته منعة جبالهم. ويقولون لصنهاجة آزمور الذين قدمنا ذكرهم صنهاجة الذل، لما هم عليه من الذل والمغرم والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين. وقد يقال في بعض مزاعم البربر ان بني وديد من صنهاجة وبنو يزناسن وباطويه هم أخوال وأصل يزناسن أجناسن ومعناه بلغة العرب الجالس على الأرض [2]

الخبر عن المصامدة من قبائل البربر وما كان لهم من الدولة والسلطان بالمغرب ومبدأ ذلك وتصاريفه

وأمّا المصامدة وهم من ولد مصمود بن يونس بن برير فهم

(١) كذا، وفي ت: غمارة.
(٢) كذا، وفي ت: اجلس على الارض.

أكثر قبائل البربر وأوفرهم ، من بطونهم برغواطة وغمارة وأهل جبل درن . ولم تزل مواطنهم بالمغرب الأقصى منذ الأحقاب المتطاولة . وكان المتقدّم فيهم قبيل الاسلام وصدره برغواطة . ثم صار التقدّم بعد ذلك لمصامدة جبال درن الى هذا العهد . وكان لبرغواطة في عصرهم دولة ولأهل درن منهم دولة أخرى أو دول حسبما نذكر ، فلنذكر هذه الشعوب وما كان فيها من الدول بحسب ما تأدّى الينا من ذلك .

الخبر عن برغواطة من بطون المصامدة ودولتهم ومبدأ أمرهم وتصاريف أحوالهم

وهم الجيل الاول منهم ، كان لهم في صدر الاسلام التقدم والكثرة وكانوا شعوباً كثيرة مفترقين ، وكانت مواطنهم خصوصاً من بين المصامدة في بسائط تامستا وريف البحر المحيط من سلا وازمور وأنفى وأسفى . وكان كبيرهم لاول المائة الثانية من الهجرة طريف أبو صالح ، وكان من قواد ميسرة الخفير طريف المطغري القائم بدعوة الصفرية ومعهما معزوز بن طالوت . ثم انقرض أمر ميسرة والصفرية وبقي طريف قائماً بأمرهم بتامستا ويقال أيضاً انه تنبأ وشرع لهم الشرائع . ثم هلك وولي مكانه ابنه صالح وقد كان حضر مع أبيه حروب ميسرة وكان من أهل العلم والخير فيهم .

ثم انسلخ من آيات الله وانتحل دعوى النبوّة وشرع لهم الديانة التي كانوا عليها من بعده وهي معروفة في كتب المؤرخين. وأدعى انه نزل عليه قرآن كان يتلو عليهم سوراً منه ، يسمي منها سورة الديك وسورة الجمل وسورة الفيل وسورة آدم وسورة نوح وكثير من الانبياء ، وسورة هاروت وماروت وابليس ، وسورة غرائب الدنيا وفيها العلم العظيم بزعمهم ، حرم فيها وحلّل وشرع وقصّ وكانوا يقرأونه في صلواتهم ، وكانوا يسمونه صالح المؤمنين كما حكاه البكري عن زمور بن صالح بن هاشم بن وراد الوافد منهم على الحكم المستنصر الخليفة بقُرْطُبَة من قبل ملكهم أبي عيسى بن أبي الأنصاريّ سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة.

وكان يترجم عنه بجميع خبره داود [1] بن عمر المسطاسي. قال: وكان ظهور صالح هذا في خلافة هشام بن عبد الملك سنة سبع وعشرين من المائة الثانية من الهجرة. وقد قيل ان ظهوره كان لاول الهجرة ، وانه انما انتحل ذلك عناداً أو محاكاة لما بلغه شأن النبي صلى الله عليه وسلم والاول أصح. ثم زعم انه المهدي الاكبر الذي يخرج في آخر الزمان ، وان عيسى يكون صاحبه ويصلي خلفه ، وان اسمه في العرب صالح وفي السريان مالك وفي الأعجمي عالم وفي العبراني روبيا وفي البربري وربا [2]

(١) كذا ، وفي ت : داورد وفي ب : ذلواد.

(٢) كذا ، وفي ت : وريا.

ومعناه الذي ليس بعده نبي ، وخرج الى المشرق بعد ان ملك أمرهم سبعاً وأربعين سنة ، ووعدهم أنه يرجع اليهم في دولة السابع منهم ، وأوصى بدينه الى ابنه الياس ، وعهد اليه بموالاة صاحب الاندلس من بني أميّة ، وباظهار دينه اذا قوي أمرهم.

وقام بأمره بعده ابنه الياس ، ولم يزل مظهراً للاسلام مسراً لما أوصاه به أبوه من كلمة كفرهم. وكان طاهراً عفيفاً زاهداً.[1] وهلك لخمسين سنة من ملكه ، وولي أمرهم من بعده ابنه يونس فأظهر دينهم ودعا الى كفرهم ، وقتل من لم يدخل في أمره حتى حرق مدائن تامستا وما والاها يقال انه حرق[2] ثلثمائة وثمانين مدينة ، واستلحم أهلها بالسيف لمخالفتهم اياه ، وقتل منهم بموضع يقال له تاملوكاف ، وهو حجر عال ثابت وسط الطريق[3] فقتل سبعة آلاف وسبعمائة وسبعين .

قال زمور : ورحل يونس الى المشرق وحج ، ولم يحج احد من أهل بيته قبله ولا بعده ، وهلك لاربع وأربعين سنة من ملكه ، وانتقل الامر عن بنيه ، وولي أمرهم أبو غفير محمد بن معاد بن اليسع بن صالح بن طريف ، فاستولى على ملك برغواطة وأخذ بدين آبائه واشتدت شوكته وعظم أمره ، وكانت له في

(١) كذا ، وفي ت : زاهداً في الدنيا .
(٢) كذا ، وفي ت : خرب .
(٣) كذا ، وفي ب : وسط السوق .

البربر وقائع مشهورة وأيام مذكورة أشار اليها سعيد بن هشام المصمودي في قوله :

قفي قَبلَ التَّفرُّق واخبِرينا وقولي واخبِري خَبَراً يقينا
وهـدي أمـة هَلكوا وضلُّوا وغاروا [1] لاسقوا ماءً معينا
يَقـولونَ : النَّبيُّ أبو غفير فأخزى اللهُ أمَّ الـكاذِبينا
ألَم تَسمَعْ ولَم تَرَ لُؤمَ بَيْت [2] عـلى آثارِ خيلِهِم رنينا [3]
رنين الباكيات فبين ثكلى وعادمـة [4] ومسقطة جنينا
سَيعلم أهـل تامِستـا إذا مـا أتوا يَومَ القِيامـةِ مُهطِعينا
هُنـالِكَ يونُسٌ وبنو أبيـه يَقـودونَ البرابر حائرينا
إذا زَزْ ياوَر طـافتْ عليهـم جَهَنَّمُ بأيدي المُنكِرينا [5]
فليس اليَومُ يَومَكُمُ ولكِنْ لَيـالِيَ كُنتُم مُتَيَسِّرينا

واتخذ ابو غفير من الزوجات اربعاً وأربعين ، وكان له من الولد مثلها واكثر . وهلك اخريات المائة الثالثة لتسع وعشرين سنة من ملكه ، وولي بعده ابنه ابو الانصار عبد الله فاقتفى سننه وكان كثير الدعـة مهاباً عند ملوك عصره يهادونـه ويدافعونه بالمواصلة ، وكان يلبس الملحفة والسراويل ولا يلبس المخيط ولا

(١) كذا وفي ت : وخابوا .
(٢) كذا وفي ت : يوم بيث ، وفي ب : بهت بيت .
(٣) كذا وفي ت : رنينا .
(٤) كذا وفي ت : وعاوية .
(٥) كذا ، وقد ورد هذا البيت في ت هكذا :
إذا وريا ورى رمت عليهم جهنم قائـد المتكبرينا

يعتم ، ولا يعتم احد في بلده الا الغرباء . وكان حافظاً للجار وفياً بالعهد وهلك سنة احدى وأربعين من المائة الرابعة لأربع وأربعين سنة من ملكه ، ودفن بامسلاخت وبها قبره . وولي بعده ابنه أبو منصور عيسى ابن اثنين وعشرين سنة فسار بسيرة ابائه وادعى النبوءة والكهانة ، واشتد امره وعلا سلطانه ودانت له قبائل المغرب .

قال زمور : وكان فيما أوصاه به أبوه : يا بني ! أنت سابع الامراء من أهل بيتك ، وأرجو أن يأتيك صالح بن طريف . قال زمور : وكان عسكره يناهز الثلاثة آلاف من برغواطة وعشرة آلاف من سواهم مثل جراوة وزواغة والبُرانس وَمجكصة [1] ومَطغرة ودمَّر ومِطماطة وبنو وارزكيت ، و كان أيضاً بنو يَفرن وإصادة ورُكانة وايزمن ورَصافة ورغصزارة على دينهم ، ولم يتخذ ملوكهم الآلة منذ كانوا ، انتهى كلام زمور . وكان للملوك المدوتين في غزو برغواطة هؤلاء وجهادهم أثناء هذا وبعده آثار عظيمة من الادارسة والاموية والشيعة . ولما أجاز جعفر بن علي من الاندلس الى المغرب وقلده المنصور ابن ابي عامر عمله سنة ست وستين وثلاثماية فنزل البصرة ، ثم اختلف ذات بينه وبين أخيه يحيى واستمال عليه أخوه الجند وأمراء زناتة ، فتجافى له جعفر عن العمل وصرف وجهه الى جهاد برغواطة

(١) كذا وفي النسخة الباريسية : مجاصة .

يعتده من صالح عمله ، وزحف اليهم في أهل المغرب وكافة الجند الاندلسيين فلقوه وسط بلادهم ، وكانت عليه الدبرة ، ونجا بنفسه في فلٍ من جنده ، ولحق باخيه بالبصرة . ثم أجاز بعدها الى المنصور باستدعائه وترك أخاه يحيى على عمل المغرب . ثم حاربتهم أيضاً صنهاجة لما غزا بلكين بن زيري المغرب سنة ثمان وستين بعدها واجفلت زناتة امامه وارزوا الى حائط سبتة ، وامتنعوا منه باوعارها ، وانصرف عنهم الى جهاد برغواطة ، وزحف اليهم فلقيه أبو منصور عيسى بن أبي الانصار في قومه ، وكانت عليهم الهزيمة .

وقتل أبو منصور واثخن فيهم بلكين بالقتل ، وبعث سبِيهم الى القيروان ، وأقام بالمغرب يردد الغَزو فيهم الى سنة اثنتين وسبعين وانصرف من المغرب فهلك في طريقه الى القيروان . ولم افق على من ملك امرهم بعد أبي منصور . ثم حاربتهم ايضاً جنود المنصور بن أبي عامر لما عقد عبد الملك بن المنصور لمولاه واضح على المغرب عند قفوله من غزاة زيري بن عطيّة سنة تسع وثمانين وثلاثمائة ، فافتتح واضح امره بغَزو برغواطة هؤلاء فيمن قبله من الاجناد وامراء النواحي وأهل الولاية ، فعظم الأثر فيهم بالقتل والسبي ، ثم حاربتهم أيضاً بنو يفرُن لما استقل بنو يعلى ابن محمد اليفرني من بعد ذلك بناحيه سلا من بلاد

المغرب ، واقتطعوه من عمل ابناء زيري بن عطية المغراوي بعد ما كان بينهما من الحروب .

وانساق امر أولاد يعلى هؤلاء الى تميم بن زيري بن يعلى في أول المائة الخامسة ، وكان موطناً بمدينة سلا مجاوراً لبرغواطة ، فكان له أثر كثير في جهادهم ، وذلك في سني عشرين واربعماية فغلبهم على تامستا وولّى عليها من قبله بعد أن أثخن فيهم سبياً وقتلاً . ثم تراجعوا من بعده الى أن جاءت دولة لمتونة وخرجوا من مواطنهم بالصحراء الى بلاد المغرب ، واقتحموا الكثير من معاقل السوس الأقصى وجبال المصامدة . ثم بدا لهم جهاد برغواطة بتامستا وما اليها من الريف الغربي فزحف اليهم أبو بكر ابن عمر أمير لمتونة في المرابطين من قومه ، وكانت له فيهم وقائع استشهد في بعضها صاحب الدعوة عبد الله بن ياسين الكزولي سنة خمسين وأربعماية ، واستمر أبو بكر وقومه من بعده على جهادهم حتى استأصلوا شأفتهم ، ومحوا من الارض آثارهم . وكان صاحب امرهم لعهد انقراض دولتهم ابو حفص عبد الله من اعقاب ابي منصور عيسى بن ابي الأنصار عبد الله ابن ابي غفير محمد بن معاذ بن اليسع بن صالح بن طَريف ، فهلك في حروبهم . وعليه كان انقراض امرهم وقطع دابرهم على يد هؤلاء المرابطين ، والحمد لله رب العالمين .

وقد يغلط بعض الناس في نسب برغواطة هؤلاء فيعدّهم في

قبائل زناتـة ، وآخرون يقولون في صالح انه يهودي من ولد شمعون بن يعقوب نشأ ببرباط ورحـل الى المشرق ، وقرأ على عبد الله المعتزلي واشتغل بالسحر ، وجمع فنوناً ، وقدم المغرب ونزل تامستا فوجد فيها قبائل جهالاً من البربر ، فاظهر لهم الزهد وسحرهم بلسانه وموّه عليهم فقصدوه واتبعوه ، فادعى النبوة وقيل له برباطي نسبة الى الموطن الذي نشأ به ، وهو برباط وادٍ بفحص شريش من بـلاد الاندلس ، فعربت العرب هـذا الاسم وقالوا برغواط . ذكر ذلك كـله صاحب كتاب نظم الجوهر وغيره من النسابين للبربر ، وهو من الاغاليط البينة . وليس القوم من زناتـة ، ويشهد لذلك كله موطنهم وجوارهم لاخوانهم المصامدة . واما صالح بن طريف فمعروف منهم وليس من غيرهم ، ولا يتم الملك والتغلب على النواحي والقبائل لمنقطع جذمة دخيل في نسبه . سنة الله في عباده ، وانما نسب الرجل في برغواطة وهم شعب من شعوب المصامـدة معروف كما ذكرناه والله ولي التوفيق .

الخبر عن غمارة من بطون المصامدة وما كان فيهم من الدول وتصاريف احوالهم

هذا القبيل من بطون المصامدة من ولد غمار بن مصمود ، وقيل غمار بن مسطاف بن مليل بن مصمود ، وقيل غمار بن اصاد

ابن مصمود . ويقول بعض العامـة انهم عرب غمروا في تلك الجبال فسموا غمارة ، وهو مذهب عامي ، وهم شعوب وقبائل اكثر من ان تنحصر . والبطون المشهورة منهم بنو حميد ومتيوة وبنو نال واغصاوة ، وبنو وزروال ومجكسة ، وهم آخر مواطنهم يعتمرون جبال الريف بساحل البحر الرومي من عن يمين بسائط المغرب ، من لدن غساسة ، فنَكُّور فبادس فتيكيساس فتيطّاوين فسبتة فالقصر الى طنجة خمس مراحل أو أزيد ، اوطنوا منهـا جبالاً شاهقةً اتصل بعضها ببعض سياجاً بعد سياج خمس مراحل اخرى في العرض الى ان ينحطّ الى بسائط قصر كتامـة ووادي ورغة من بسائط المغرب ترتد عنها الأبصار ، وتزل في حافاتهـا الطيور لا بل الهوام ، وتنفسح في رؤوسها وبين قننها الفجاج ، سبل السفر ومراتع السائمة وفدن الزراعة وادواح الرياض .

ويتبين لك انهم من المصامدة بقاء هـذا النسب المحيط سمة فيهم لبعض شعوبهم يعرفون بمصمودة ساكنين ما بين سبته وطنجة ، واليهم ينسب قصر المجاز الذي يعبر منه الخليج البحري الى بلد طريف ويعضده ايضاً اتصال مواطنهم بمواطن برغواطة من شعوب المصامدة بريف البحر الغربي وهو المحيط ، اذ كان بنو حسّان منهم موطنين بذلك الساحل من لدن ازغار واصيلا الى انفى ، ومن هنالك تتصل بهم مواطن برغواطة ودكالة الى قبائل درن من المصامدة فما وراءها من بـلاد القبلة . فالمصامدة هم اهل

الجبال بالمغرب الاقصى الا قليلًا منها وغيرهم في البسائط . ولم تزل غمارة هؤلاء بمواطنهم هـذه من لدن الفتح ، ولم يعلم مـا قبل ذلك .

وللمسلمين فيهم ازمان الفتح وقائع الملاحم واعظمهـا لموسى ابن نصير ، وهو الذي حملهم على الاسـلام واسترهن ابنـاءهم وانزل منهم عسكراً مع طـارق بطنجـة . وكان اميرهم لذلك العهد يليان وهو الذي وفد عليه موسى بن نصير ورغبه في غزو الاندلس ، وكان منزله سبتة كما نذكره ، وذلك قبل استحداث نكور . وكانت في غمارة هؤلاء بعـد الاسلام دول قاموا بهـا لغيرهم وكان فيهم متنبئون ، ولم تزل الخوارج تقصـد جبالهم المنعة فيها والاعتصام كما نذكرهم .

الخبر عن سبتة ودولة بني عصام بها

كانت سبتة هذه من الامصار القديمة قبل الاسلام ، كانت يومئذ منزل يليان ملك غمارة ، ولما زحف اليه موسى بن نصير صانعه بالهدايا واذعن للجزية ، فأمره عليها واسترهن ابنه وأبناء قومـه ، وانزل طارق بن زياد بطنجـة وضرب عليهم العسكر للنزول معه . ثم كانت اجازة طارق الى الاندلس فضرب عليهم البعوث ، وكان الفتح الذي لا كفاء له كما مر في موضعه . ولما

هلك يليان استولى العرب على مدينة سبتة صلحاً من ايدي قومه فعمروها . ثم كانت فتنة ميسرة الحقير وما دعى اليه من ضلالة الخارجية ، وأخذ بها الكثير من البرابرة من غمارة وغيرهم فزحف برابرة طنجة الى سبتة وأخرجوا العرب منها وسبوها وخربوها فبقيت خلاء .

ثم نزل بها ماجكس من رجالاتهم ووجوه قبائلهم ، وبه سميت مجكسة فبناها ورجع اليها الناس واسلم . وسمع من أهل العلم الى أن مات فقام بامره ابنه عصام ووليها دهراً . ولما هلك قام بامره ابنه مجير فلم يزل والياً عليها الى ان هلك ، ووليها أخوه الرضي ويقال انه ابنه ، وكانوا يعطون لبني ادريس طاعة مضعفة كما نذكره . ولما سما للناصر امل في ملك المغرب ، وتناول حبله من ايدي بني ادريس المالكين ببلاد الهبط وغمارة حين اجهضتهم مكناسة وزناتة عن ملكهم بفاس ، وقاموا بدعوة الناصر وبثوها في اعمالهم نزلوا حينئذ للناصر عن سبتة ، واشاروا له الى تناولها من بني عصام فسرح اليها عساكره واساطيله مع قائده نجاح بن غفير ، فكان فتحها سنة تسع عشرة وثلاثمائة ، ونزل له الرضي ابن عصام عنها ، واتاه طاعته وانقرض امر بني عصام . وصارت سبتة الى الناصر حتى استولى عليها بعد حين بنو حمّاد ، واستحدثوا بها دولة اخرى كما نذكره .

الخبر عن بني صالح بن منصور ملوك نكور ودولتهم
في غمارة وتصاريف احوالهم

لما استولى المسلمون ايام الفتح على بلاد المغرب وعمالاته واقتسموه ، وأمدّهم الخلفاء بالبعوث الى جهاد البربر ، وكان فيهم من كل القبائل من العرب . وكان صالح ابن منصور الحميري من عرب اليمن في البعث الأول . وكان يعرف بالعبد الصالح فاستخلص نكور لنفسه ، واقطعه اياها الوليد بن عبد الملك في اعوام احدى وتسعين للهجرة ، قاله صاحب المقياس ، حدّ بلد نكور ينتهي من المشرق الى زواغة وجراوة ابن ابي العيص مسافة خمسة ايام ، وتجاوره من هنالك مطماطة ، وأهل كبدانة ومرنيسة وغساسة اهل جبل هرك ، وقلوع جارة التي لبني ورتندي ، وينتهي من الغرب الى بني مروان من غمارة ، وبني حميد ، والى مسطاسة وصنهاجة ومن ورائهم اوربة ، خزب فرحون وبني وليد وزناتة وبني يرنيان وبني واسن حزب قاسم صاحب صا والبحر جوفي نكور على خمسة اميال ، فأقام صالح هنالك لما اقتطع ارضها وكثر نسله ، واجتمع اليه قبائل غمارة وصنهاجه مفتاح ، واسلموا على يده وقاموا بامره ، وملك تمسامان ، وانتشر الاسلام فيهم ، ثم ثقلت عليهم الشرائع والتكاليف ، وارتدوا واخرجوا صالحا ، وولوا عليهم رجلا من نفزة يعرف

بالرندي .

ثم تابوا وراجعوا الاسلام ورجعوا صالحاً فأقام فيهم الى أن هلك بتمسامان سنة اثنتين وثلاثين ومماية . وولي امرهم من بعده ابنه المعتصم بن صالح ، وكان شهماً شريف النفس كثير العبادة . وكان يلي الصلاة والخطبة لهم بنفسه . ثم هلك لايام يسيرة وولي من بعده اخوه ادريس فاختط مدينة نكور في عدوة الوادي ولم يكملها . وهلك سني ثلاث واربعين وولي من بعده ابنه سعيد ، واستفحل امره . وكان ينزل مدينة تمسامان . ثم اختط مدينة نكور لاول ولايته ونزلها ، وهي التي تسمى لهذا العهد المزمة بين نهرين احدهما نكور ومخرجه من بلاد كزناية [1] ومخرجه ومخرج وادي ورغة واحد ، والثاني عيس [2] ومخرجه من بلاد بني ورياغل ، يجتمع النهران في اكدال . ثم يفترقان الى البحر وتقابل نكور من عدوة الاندلس بزليانة .

وغزا المجوس نكور هذه في اساطيلهم سنة اربع واربعين فتغلبوا عليها واستباحوها ثمانياً . ثم اجتمع الى سعيد البُرانِس واخرجوهم عنها ، وانتقضت غمارة بعدها على سعيد فخلعوه وولوا عليهم رجلا منهم اسمه سكن . وتزاحفوا فاظهره الله عليهم وفرق جماعتهم وقتل مقدّمهم واستوثق امره ، الى ان هلك

(١) كذا ، وفي ب : كزيانة .
(٢) كذا ، وفي ب : عبش ، وفي نسخة غيس .

سنة ثمان وثمانين لسبع وثلاثين من ملكه . وقام بامره ابنه صالح ابن سعيد فتقبل مذاهب سلفه في الاستقامة والاقتداء ، وكانت له مع البربر حروب ووقائع الى ان هلك سنة خمسين ومايتين لاثنين وستين سنة من ملكه .

وقام من بعده ابنه سعيد بن صالح ، وكان اصغر ولده ، فخرج عليه اخوه عبيد الله وعمه الرضي ، وظفر بهما بعد حروب كثيرة فغرب أخاه الى المشرق ومات بمكة ، وابقى على عمه الرضي لذمة صهر بينهما . وقتل سائر من ظفر به من عمومته وقرابته وامتعض لهُم سعادة الله بن هارون منهم ، ولحق ببني يصلتن اهل جبل أبي الحسين ، ودلهم على عورته ، وبيتوا معسكره واستولوا عليه ، واخذوا آلته وقتلوا آلافاً من مواليه ، وحاصروا بنكور . ثم كانت له الكرة عليهم وقتل منهم خلقاً ونجا سعادة الله الى تمسامان ، وتقبّض على اخيه ميمون فضرب عنقه . ثم صار سعادة الله الى طلب الصلح فاسعفه وانزله معه مدينة نكور . ثم غزا سعيد بقومه واهل ايالته من غمارة بلاد بطوية ومرنيصة وقلوع جارة وبني ورتندى واصهر بأخته الى احمد بن ادريس بن محمد بن سليمان صاحب [1] وانزله مدينة نكور معه . وتوطد الامر لسعيد في تلك النواحي الى ان خاطبه عبيد الله المهدي يدعوه الى أمره وفي اسفل كتابه :

(١) كذا بياض بالأصل في النسخة التونسية ، وفي نسخة طبعة بولاق : صاحبه .

فان تستقيموا أستقم لصلاحكم وإن تعدلوا عني أرى قتلكم عدلا
وأعلو بسيفي قاهراً لسيوفكم وأدخلها عفواً واملؤها قتلا

فكتب اليه شاعره الأحمس الطليطلي بأمر يوسف بن صالح أخي الامير سعيد :

كذبت وبيت الله ما تحسن العدلا ولا علم الرحمن من قولك الفصلا
وما أنت إلا جاهل ومنافق تمثل للجهال في السنة المثلى
وهمتنا العليا لدين محمد وقد جعل الرحمن همتك السفلى

فكتب عبيد الله الى مصالة بن حبوس صاحب تاهرت ، واوعز اليه بغزوه فغزاه سنة اربع وثلاثمائة لاربع وخمسين من دولته ، فحاربه سعيد وقومه اياماً . ثم غلبهم مصالة وقتلهم ، وبعث برؤوسهم الى رقادة ، فطيف بها وركب بقيتهم البحر الى مالقة ، فتوسع الناصر في انزالهم واجارتهم وبالغ في تكريمهم . وأقام مصالة بمدينة نكور ستة اشهر . ثم قفل الى تاهرت وولى عليها دلول من كتامة ، فانقبض العسكر من حوله ، وبلغ الخبر الى بني سعيد بن صالح وقومهم بمالقة ، وهم : ادريس المعتصم وصالح فركبوا السفن اليها وسبق صالح منهم ، فاجتمع اليه البربر بمرسى تمسامان ، وبايعوه سنة خمس وثلاثمائة ، ولقبوه اليتيم لصغره ، وزحفوا الى دلول فظفروا به وبمن معه وقتلوهم ، وكتب صالح بالفتح الى الناصر ، وأقام دعوته بأعماله . وبعث اليه الناصر بالهدايا والتحف والالة ، ووصل اليه اخوته وسائر

قومه واتوا طاعته . ولم يزل على هدى أوليه من الاقتداء ، الى أن هلك سنة خمس عشرة وثلاثمائة .

وولي بعده ابنه عبد البديع ، ولقب المؤيد ، وزحف اليه موسى بن أبي العافية القائم بدعوة العبيديين بالمغرب ، فحاصره وتغلّب عليه فقتله ، واستباح المدينة وخرّبها سنة سبع عشرة . ثم تراجع إليها فلّهم ، وقام بامرهم أبو أيوب اسماعيل بن عبد الملك ابن عبد الرحمن بن سعيد بن ادريس بن صالح بن منصور ، وأعاد المدينة التي بناها صالح بن منصور وعمرها وسكنها ثلاثاً . ثم أغزاه ميسور مولى أبي القاسم بن عبيد الله صندلاً مولاه عندما اناخ على فاس ، فبعث عسكراً مع صندل هذا فحاصر جراوة ، ثم عطف على نكور وتحصن منه اسماعيل ابن عبد الملك بقلعة اكدّى . وبعث اليه صندل رسله من طريقه فقتلهم فأغذّ اليه السير وقاتله ثمانية أيام .

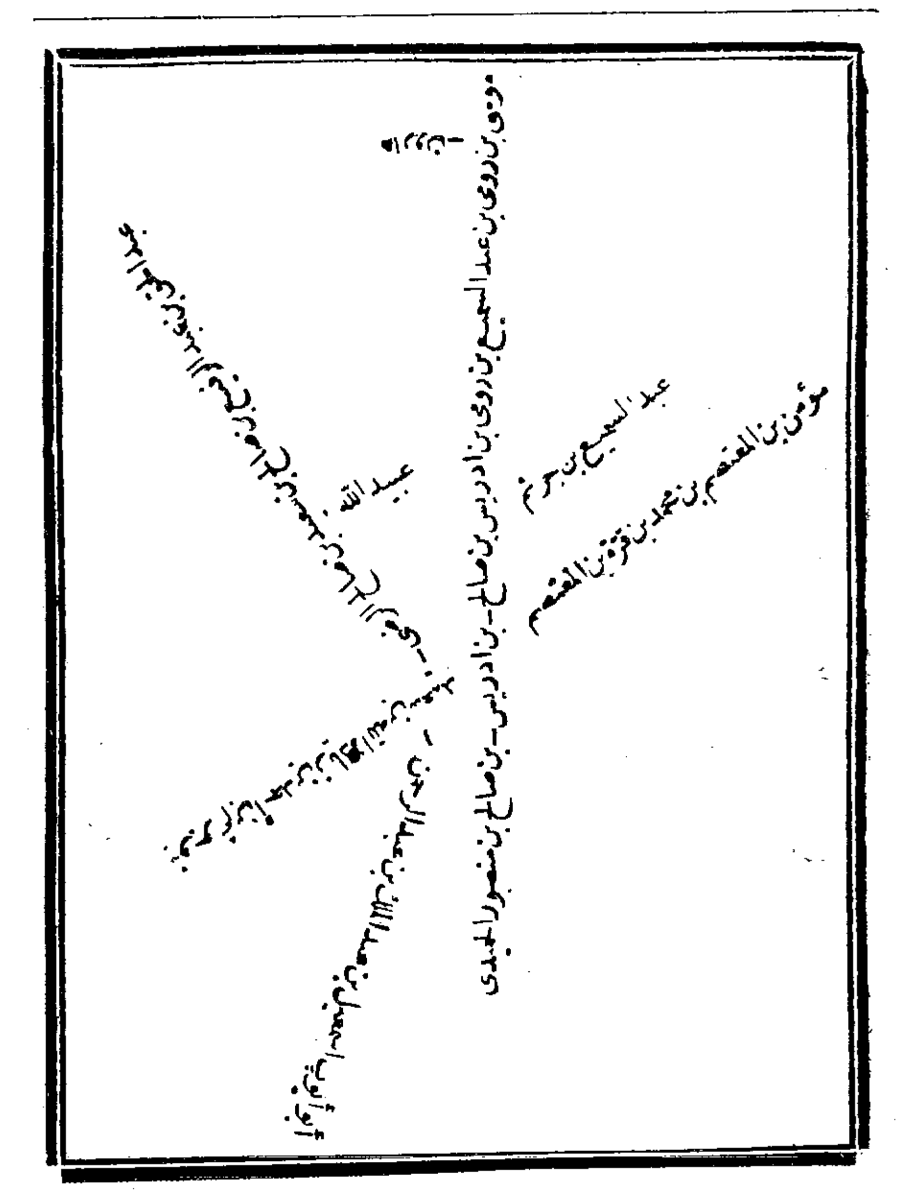
ثم ظفر به فقتله واستباح القلعة وسباها ، واستخلف عليها من كُتامة رجلًا اسمه مرمازوا ، ورحل صندل الى فاس فتراجع اهل نكور وبايعوا لموسى بن المعتصم بن محمد بن قرّة بن المعتصم ابن صالح بن منصور . وكان بجبل ابي الحسين عند بني يصلتن وكان يعرف بابن رومي .

وقال صاحب المقياس : هو موسى بن رومي بن عبد السميع ابن ادريس بن صالح بن ادريس بن صالح بن منصور ، فأخذ

مرمازوا ومن معه وضرب اعناقهم، وبعث برؤوسهم الى الناصر. ثم ثار عليه من اعياص بيتـه عبد السميع بن جرثم بن ادريس ابن صالح بن منصور ، فخلعه وأخرجه عن نكور سنـة تسع وعشرين، ولحق موسى بالاندلس ومعه اهله وولده وأخوه هارون ابن رومي وكثير من عمومته وأهل بيتـه . فنهم من نزل معه المرية ، ومنهم من نزل مالقـة . ثم انتقض اهل نكور عـلى عبد السميع وقتلوه . واستدعوا من مالقة جرثم بن احمد بن زيادة الله بن سعيد بن ادريس بن صالح بن منصور ، فبـادر اليهم وبايعوه سنة ست وثلاثين ، فاستقامت له الامور وكان على مذهب سلفه في الاقتداء والعمل بمذهب مالك الى ان مات آخر سنة ستين لخمس وعشرين سنة من ملكه . واتصلت الولاية في بيته الي ان غلب عليهم ازداجة المتغلبون على وهران، وزحف اميرهم يعلى بن فتوح الازداجي سنة ست واربعمائة ، وقيـل سنة عشر فغلبهم عـلى نكور وخربهـا ، وانقرض ملكهم بعد ثلاثماية سنة واربع عشرة سنة من لدن ولايـة صالح وبقيت في بني يعلى بن فتوح وازداجة الى اعوام ستين واربعماية والله مالك الامور لا إله إلا هو .

الخبر عن حاميم المتنبي من غمارة

كان غمارة هؤلاء غريقين في الجهالة والبعد عن الشرائع بالبداوة .



والانتباذ عن مواطن الخير ، وتنبأ فيهم من مجكسة حاميم بن منّ الله بن حرير بن عمر بن رَحفو (١) بن أزروال بن مجكسة

(١) كذا ، وفي ب : وصفوال .

يكنى أبا محمد ، وأبوه أبو خلف . تنبأ سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة بجبل حاميم المشتهر به قريباً من تيطاوين . واجتمع اليه كثير منهم وأقروا بنبوته ، وشرع لهم الشرائع والديانات من العبادات والاحكام ، وصنع لهم قرءانا كان يتلوه عليهم بلسانهم من كلامه : « يا من يخلي البصر ، ينظر في الدنيا ، خلني من الذنوب . يا من أخرج موسى من البحر ، آمنت بحاميم وبأبيه أبي خلف منّ الله . وآمنَ رأسي وعقلي وما يكنه صدري ، واحاط به دمي ولحمي وآمنت بتابعيت [1] عمة حاميم أخت أبي خلف منّ الله ، وكانت كاهنة ساحرة ، الى غير هذا ، وكان يلقّب المفتري ، وكانت أخته دبو ساحرة كاهنة ، وكانوا يستغيثون بها في الحروب والقحوط ، وقتل في حروب مصمودة بأحواز طنجة سنة خمس عشرة وثلاثمائة . وكان لابنه عيسى من بعده قدر جليل في غمارة ، ووفد على الناصر . ورهطهم بنو رحفو موطنون بوادي لاو ووادي راس قرب تيطاوين ، وكذلك تنبأ منهم بعد ذلك عاصم بن جميل اليزدجومي ، وله اخبار مأثورة ، وما زالوا ينتحلون السحر لهذا العهد . واخبرني المشيخة من اهل المغرب ان اكثر منتحلي السحر منهم النساء العواتق . قال : ولهنّ قوة على استجلاب روحانية ما يشاؤنه من الكواكب ، فاذا استولوا عليه وتكيّفوا بتلك الروحانيّة تصرفوا منها في الأكوان بما شاءوا والله أعلم .

(١) كذا ، وفي ب : بتايفيث ، وفي نسخة أخرى تابنعنت .

دولة الأدارسة

الخبر عن دولة الادارسة في غمارة وتصاريف احوالهم

كان عمر بن ادريس عندما قسم محمد بن ادريس اعمال المغرب بين اخوته برأي جدته كنزة أم ادريس، اختص منها بتيكيساس وترغة وبلاد صنهاجة وغمارة، واختص القاسم بطنجة وسبتة والبصرة وما الى ذلك من بلاد غمارة. ثم غلب عمر عليها عندما تنكر له أخوه محمد واستضافها الى عمله كما ذكرنا في اخبارهم. ثم تراجع بنو محمد بن القاسم من بعد ذلك الى عماهم الاول فلكوه، واختط منهم محمد بن ابراهيم بن محمد بن القاسم قلعة حجر النسر الدانية من سبتة معقلاً لهم وثغراً لعملهم. وبقيت الامارة بفاس واعمال المغرب في ولد محمد بن ادريس. ثم ادالوا منهم بولد عمر بن ادريس، وكان آخرهم يحيى بن ادريس بن عمر وهو الذي بايع لعبيد الله الشيعي على يد مصالة بن حبوس قائده، وعقد له على فاس. ثم نكبه سنة تسع.

وخرج عليه سنة ثلاث عشرة من بني القاسم الحسن بن محمد ابن القاسم بن أدريس، ويلقب بالحجّام لطعنه في المحاجم، وكان مقداماً شجاعاً. وثار اهل فاس بريحان وملكوا الحسن، وزحف

اليه موسى فقله ومات . واستولى ابن ابي العافية على فاس واعمال المغرب واجلى الادارسة واحجرهم بحصنهم حجر النسر ، وتحيزوا الى جبال غمارة وبلاد الريف . وكان لغمارة في التمسك بدعوتهم آثار ومقامات ، واستجدوا بتلك الناحية ملكاً توزعوه قطعاً كان اعظمها لبني محمد هؤلاء ولبني عمر بتيكيساز ونكور وبلاد الريف . ثم سما الناصر عبد الرحمن الى ملك العدوة ومدافعة الشيعة ، فنزل له بنو محمد عن سبتة سنة تسع عشرة وتناولها من يد الرضي بن عصام رئيس مجكسة ، كان يقيم فيها دعوة الادارسة فافرجوا له عنها ودانوا بطاعته وأخذها من يده .

ولما اغزا ابو القاسم ميسوراً الى المغرب لمحاربة ابن ابي العافية حين نقض طاعتهم ، ودعى للمروانية وجد بنو محمد السبيل الى النيل منه بمظاهرة ميسور عليه ، وما لأهم على ذلك بنو عمر صاحب نكور .

ولما استقل ابن ابي العافية من نكبته ، ورجع من الصحراء سنة خمس وعشرين منصرف ميسور من المغرب نازل بني محمد وبني عمر ، وهلك بعد ذلك . واجاز الناصر وزيره القاسم بن محمد بن طملس سنة ثلاث وثلاثين لحربهم ، وكتب الى ملوك مغراوة محمد بن خزر وابنه الخير بمظاهرة عساكره مع ابن ابي العافية عليهم ، فسارع ابو العيش بن ادريس بن عمر المعروف بابن مصالة الى الطاعة ، واوفد رسله الى الناصر فعقد له الامان ،

واوفد ابنه محمد بن ابي العيش مؤكِّداً للطاعة ، فاحتفل لقدومه وأكَّد له العقد ، وتقبَّل سائر الادارسة من بني محمد مذهبهم .

وسألوا مثل سؤالهم ، فعقد لجميع بني محمد أيضاً . وكان وفد منهم محمد بن عيسى بن احمد بن محمد والحسن بن القاسم ابن ابراهيم بن محمد ، وكان بنو ادريس يرجعون في رئاستهم الى بني محمد هؤلاء منذ استبدّ بها أخوهم الحسن بن محمد الملقَّب بالحجّام في ثورته على ابن ابي العافية ، فقدّموا على انفسهم القاسم بن محمد الملقَّب بكنّون بعد فرار موسى بن ابي العافية ، وملك بلاد المغرب ما عدا فاس مقيماً لدعوة الشيعة الى ان هلك بقلعة حجر النسر سنة سبع وثلاثين وقام بأمرهم من بعده ابو العيش احمد بن القاسم كنون ، وكان فقهياً عالماً بالأيام والأخبار شجاعاً كريماً ويعرف باحمد الفاضل ، وكان منه ميل للمروانية فدعا للناصر ، وخطب له على منابر عمله ، ونقض طاعة الشيعة . وبايعه اهل المغرب كافة الى سجلماسة .

ولما بايعه اهل فاس استعمل عليهم محمد بن الحسن . ووفد محمد بن أبي العيش بن ادريس بن عمر بن مصالة على الناصر عن ابيه سنة ثمان وثلاثين ، فاتصلت به وفاة ابيه وهو بالحضرة فعقد له الناصر على عمله وسرحه ، وهجم عيسى ابن عمه أبي العيش احمد بن القاسم كنون على عمله بتيكيساس في غيبة محمد ،

فلكها واحتوى على مال ابن مصالة . ولما اقبل محمد من الحضرة زحف برابرة غمارة الى عيسى المذكور ابن كنّون ففظّعوا به وأثخنوه جراحة، وقتلوا أصحابة ببلد غمارة . وأجاز الناصر قواده الى المغرب . وكان أول من أجاز الى بني محمد هؤلاء سنة ثمان وثلاثين احمد بن يعلى من طبقة القوّاد ، اجازه اليهم في العساكر ودعاهم الى هدم تيطاوين فامتنعوا ، ثم انقادوا وتنصلوا وأجابوا الى هدمها .

ورجع عنهم فانتقضوا فسرح اليهم حميد بن يصل [1] المكناسي في العساكر سنة تسع وثلاثين ، وزحفوا اليه بوادي لاو فأوقع بهم فاذعنوا من بعدها . وتغلّب الناصر على طنجة من يد أبي العيش امير بني محمد وبقي يصل على بيعة الناصر . ثم تخطت عساكر الناصر الى بسائط المغرب فأذعن له أهله ، وأخذ بدعوته فيه امراء زناتة من مغراوة وبني يفرن ومكناسة كما ذكرناه ، فضعف امر بني محمد واستأذنه اميرهم ابو العيش في الجهاد فأذن له وأمر ببناء القصور له في كل مرحلة من الجزيرة الى الثغر ، فكانت ثلاثين مرحلة ، فأجاز ابو العيش واستخلف على عمله أخاه الحسن ابن كنّون . وتلقاه الناصر بالمبرة وأجرى له ألف دينار في كل يوم وهلك شهيداً في مواقف الجهاد سنة ثلاث وأربعين .

ولما أغزا معد قائده جوهراً الكاتب الى المغرب واستنزل

(١) كذا ، وفي ب : نصل ، وفي نسخة أخرى مصل .

عماله ، وتحصَّن الحسن بن كنُّون منه بقلعة النسر معقلهم . وبعث اليـه بطاعته فلم يعرض له جوهر . ولما قفل من المغرب راجع الحسن طاعة الناصر الى ان هلك سنة خمسين ، فاستجد الحكم عزمه في سدِّ ثغور المغرب واحكام دعوتهم فيه . وشحذ لهـا عزائم أوليائهم مَن ملوك زناتة فكان بينهم وبين زيري وبُلكين ما ذكرناه . ثم اغزا مَعَدّ بلكين بن زيري المغرب سنة اثنتين وستين أولى غزواته ، فأثخن في زناتة وأوغل في ديار المغرب . وقام الحسن بن كنُّون بدعوة الشيعة ، ونقض طاعة المروانية ، فلما انصرف بُلكين أجاز الحكم عساكره الى العدوة مع وزيره محمد بن قاسم بن طملس سنة اثنتين وستين لقتـال الحسن بن كنُّون وبني محمد ، فكان الظهور والفلاح للحسن على عسكر الحكم .

وقتل قائده محمد بن طملس وخلقـاً كثيراً من عسكره وأوليائـه . ودخل فلُّهم الى سبتة ، واستصرخوا الحكم فبعث غالباً مولاه البعيد الصيت المعروف الشهامة ، وأمدَّه بكفاء ذلك من الاموال والجنود ، وأمره باستنزال الادارسة واجازتهم اليه وقال له : سر يا غالب مسير من لا اذن له في الرجوع إلّا حيّاً منصوراً ، أو ميتاً معذوراً . واتصل خبره بالحسن بن كنُّون فأفرج عن مدينة البصرة واحتمل منها أمواله وحرمه وذخيرته الى حجر النسر معقلهم القريب من سبتة ، ونازله غالب بقصر مصمودة

فاتصلت الحرب بينهم اياماً .

ثم بث غالب المال في رؤساء البربر من غمارة ومن معه من الجنود ففروا واسلموه ، وانحجز بقلعة حجر [1] النسر ، ونازله غالب ، أمده الحكم بعرب الدولة ورجال الثغور . وأجازهم مع وزيره صاحب الثغر الاعلى يحيى بن محمد بن هاشم التجيبي فيمن معه من أهل بيته وحشمه سنة ثلاث وستين ، فاجتمع مع غالب على القلعة واشتد الحصار على الحسن ، وطلب من غالب الامان فعقد له وتسلم الحصن من يده . ثم عطف على من بقي من الادارسة ببلاد الريف فأزعجهم وصيرهم اسوة ابن عمهم ، واستنزل جميع الادارسة من معاقلهم . وسار الى فاس فملكها واستعمل عليها محمد بن علي بن قشوش في عدوة القرويين ، وعبد الكريم بن ثعلبة الجذامي في عدوة الاندلس . وانصرف غالب الى قرطبة ومعه الحسن بن كنُّون وسائر ملوك الادارسة ، وقد مهد المغرب وفرق عماله في جهاته ، وقطع دعوة الشيعة ، وذلك سنة اربع وستين . وتلقاهم الحكم واركب الناس للقائهم . وكان يوم دخولهم الى قرطبة أحفل ايام الدولة .

وعفا عن الحسن بن كنُّون ووفّى له بالعهد ، وأجزل له ولرجاله العطاء والخلع والجعالات ، واوسع عليهم الجراية ، واسنى لهم الارزاق ورتّب من حاشيتهم في الديوان سبعماية من انجاد

(١) كذا ، وفي ب : جبل النسر .

عيسى بن أبي العيش بن ... بن القاسم بن ... بن ادريس بن ادريس

محمد بن عيسى بن أحمد

الحسن بن قاسم بن ابراهيم

هو من الادارسة بفاس بايع لعبيد الله على يد مصالة بن عبد الله

وكان الحسن هذا قد ثار في فاس من بعد يحيى ثم قلبه ابن أبي العافية ثم غزبه الحكم مع الادارسة الى مصر و بعثه الحكم فلك بامره وانتزعها منه المنصور ابن أبي عامر

المغاربة . وتجنّى عليه بعد ثلاث سنين بسؤاله من الحسن قطعة عنبر عظيمة تأدّت اليه من بعض سواحل عمله بالمغرب أيام ملكه ، فاتخذ منها أريكة يرتفقها ويتوسدها ، فسأله حملها اليه على ان يحكمه في رضاه ، فأبى عليه مع سعاية بني عمّه فيه عند الخليفة ، وسوء خلق الحسن ولجاجه ، فنكبه واستصفى ما لديه من قطعة العنبر وسواها .

واستقام امر المغرب للحكم وتظافر امراؤه على مدافعة بُلكّين ، وعقد الوزير المصحفي [1] لجعفر بن عليّ على المغرب ، واسترجع يحيى بن محمد بن هاشم . وغرّب الحسن بن كنّون والادارسة جميعاً الى المشرق استثقالاً لنفقاتهم . وشرط عليهم الا يعودوا فعبروا البحر من المُريّة سنة خمس وستين ، ونزلوا من جوار العزيز ابن معدّ بالقاهرة خير نزل ، وبالغ في الكرامة ، ووعد بالنصرة والترة .

ثم بعث الحسن بن كنون الى المغرب ، وكتب له إلى آل زيري بن مناد بالقيروان بالمظاهرة ، فلحق بالمغرب ودعا لنفسه . وبعث المنصور بن أبي عامر العساكر لمدافعته فغلبوه وتقبّضوا عليه ، واشخصوه الى الاندلس فقتل في طريقه سنة [2] كما

(١) كذا ، وفي نسخة : الوزير المنصوري .

(٢) كذا بياض بالأصل في جميع النسخ ، ولم نعثر في المراجع التي لدينا على السنة التي قتل بها .

ذكرناه في اخبارهم . وانقرض ملك الادارسة من المغرب أجمع إلى ان كان رجوع الامر لبني حمود منهم ببلاد غمارة وسبتة وطنجة كما نذكره إن شاء الله تعالى .

الخبر عن دولة بني حمود ومواليهم بسبتة وطنجة وتصاريف احوالهم واحوال غمارة من بعدهم

كان الادارسة لمّا اجلاهم الحكم المستنصر عن العدوة ألى الشرق ، ومحا أثرهم من سائر بلاد المغرب ، واستقامت غمارة على طاعة المروانية ، واذعنوا لجند الاندلسيّين ، ورجع الحسن بن كنّون لطلب أمرهم فهلك على يد المنصور بن أبي عامر فانقرض أمرهم ، وافترق الادارسة في القبائل وانتشروا في الأرض ، ولاذوا بالاختفاء الى أن خلعوا شارة ذلك النسب واستحالت صبغتهم منه الى البداوة . ولحق بالاندلس في جملة البرابرة من ولد عُمَر بن ادريس رجلان منهم ، وهما : عليّ والقاسم ابنا حمود بن ميمون بن أحمد بن علي بن عبيد الله ابن عمر بن ادريس ، فطار لهم ذكر في الشجاعة والاقدام ولما كانت الفتنة البربرّية بالاندلس بعد انقراض الدولة العامريّة ، ونصب البرابرة سليمان ابن الحكم ولقّبوه المستعين ، واختصّ به ابناء حمود هذان ، وأحسنوا الغَناء في ولايته ، حتى اذا

استولى على ملكه بقرطبة وعقد للمغاربة الولايات ، عقد لعليّ ابن حمُّود هذا على طنجة واعمال غمارة فنزلها وراجع عهده معهم فيها .

ثم انتقض ودعا لنفسه واجاز الى الاندلس ، وولي الخلافة بقرطبة كما ذكرناه فعقد على عمله بطنجة لابنه يحيى . ثم أجاز يحيى الى الاندلس بعد مهلك ابيه عليّ منازعاً لعمه القاسم ، واستقل اخوه ادريس من بعده بولاية طنجة وسائر اعمال ابيه بالعدوة من مواطن غمارة . ثم أجاز بعد مهلك اخيه يحيى بمالقة فاستدعى رجال دولتهم ، وعقد لحسن ابن اخيه يحيى على عملهم بسبتة وطنجة ، وانفذ نجا الخادم معه ليكون تحت نظره واستبداده . ولما هلك ادريس واعتزم ابن بقنة [1] على الاستبداد بمالقة اجاز نجا الخادم بحسن بن يحيى من طنجة فملك مالقة ورتّب امره في خلافته ورجع الى سبتة . وعقد له حسن على عملهم في مواطن غمارة ، حتى اذا هلك حسن اجاز نجا الى الأندلس يروم الاستبداد . واستخلف على العمل من وثق به من موالي الصقالبة ، فلم يزل الى نظرهم واحداً بعد آخر إلى ان استقلّ بسبته وطنجة من موالي بني حمُّود هؤلاء الحاجب سكوت البزغواطي ، كان عبداً للشيخ حدّاد من مواليهم اشتراه من سبي برغواطة في بعض ايام جهادهم . ثم صار الى عليّ بن حمود فاخذت النجابة بِضَبُعِهِ الى

(١) كذا ، وفي ب : ابن بقية .

ان استقلّ بأمرهم واقتعد كرسي عملهم بسَبْتَة وطَنْجَة ، واطاعته قبائل غمارة .

واتصلت ايامه الى ان كانت دولة المرابطين ، وتغلب يوسف ابن تاشفين على مغراوة بفاس . ونجا فلُّهم الى بلد الدمنة من آخر بسيط المغرب مما يلي بلاد غمارة . ونازلهم يوسف بن تاشفين سنة احدى وسبعين ، ودعا الحاجب سكوت الى مظاهرته عليهم ، فهمّ بالانحياش ومظاهرته على عَدُوِّه . ثم ثناه عن ذلك ابنه الفائل الرأي . فلمّا فرغ يوسف بن تاشفين من اهل الدمنة واوقع بهم وافتتح حصن علودان من حصون غمارة من ورائه ، وانقاد المغرب لحكمه ، صرف وجهه الى سكوت فجهَّز اليه العساكر وعقد عليها للقائد صالح بن عِمران من رجالات لمتونة فتباشرت الرعايا بمقدمهم وانثالوا عليهم . وبلغ الخبر الى الحاجب سكوت فاقسم ان لا يسمع احداً من رعيته هدير طبولهم ، ولحق هو بمدينة طنجة ثغر عمله . وقد كان عليها من قبله ابنه ضياء الدولة المعز ، وبرز للقائهم فالتقى الجمعان بظاهر طنجة ، وانكشفت عساكر سكوت ، وطحنت رحى المرابطين ، وسالت نفسه على ظباهم ، ودخلوا طنجة واستولوا عليها . ولحق ضياء الدولة بسبتة .

ولمّا تكالب الطاغية على بلاد الاندلس ، وبعث ابن عباد صريخه الى امير المسلمين يوسف بن تاشفين مستنجزاً وعده في جهاد الطاغية والذب عن المسلمين ، وكاتبه اهل الاندلس كافة

اهتزّ الى الجهاد ، وبعث ابنه المُعِزّ سنة ست وسبعين في عساكر المرابطين الى سبتة فرضة المجاز ، فنازلها برّاً ، واحاطت بها اساطيل ابن عبّاد بحراً ، واقتحموها عَنْوَةً . وتَقَبّضَ على ضياء الدولة ، واقتيد الى المعزّ فطالبه بالمال فاساء ايجابه فقتله لوقته ، وعثر على ذخائره وفيها خاتم يحيى بن علي بن حمود . وكتب الى ابيه بالفتح ، وانقرضت دولة آل حمود وامّحى أثر سلطانهم من بلاد غمارة ، واقاموا في طاعة لمتونة سائر ايامهم .

ولمّا نجم [1] المهدي بالمغرب واستفحل امر الموحدين بعد مهلكه تنقل خليفته عبد المؤمن في بلادهم في غزاته الكبرى لفتح المغرب سني سبع وثلاثين وما بعدها قبل استيلائه على مراكش كما نذكره في اخبارهم ، فوحدوا صفوفهم ، واتبعوا امره ، ونازلوا سبتة في عساكره . وامتنعت عليهم ، وتولى كِبرَ امتناعها قاضيهم عياض الطائر الذكر رئيسهم لذلك العهد بدينه وابوته وعلمه ومنصبه . ثم افتتحت بعد فتح مراكش سنة احدى واربعين فكانت لغمارة هؤلاء السابقة التي رُعِيَتْ لهم سائر أيام الدولة .

ولما فشل امر بني عبد المؤمن ، وذهبت ريحهم ، وكثر الثوار بالقاصية ، ثار فيهم محمد بن محمد الكتامي سنة خمس وعشرين . كان ابوه من قصر كُتامة مُنْقَبِضاً عن الناس ، وكان ينتحل

(١) يقال : « نجم في بني فلان شاعر أو فارس » إذا نبغ — قاموس .

السيميا ، ولقنه عنه ابنـه محمد هذا . وكان يلقّب أبا الطواجن فارتحل الى سبتة ونزل على بني سعيد ، وادعى صناعة الكيمياء فاتبعه الغوغاء . ثم ادّعى النبّوّة وشرع شرائع واظهر انواعاً من الشعوذة ، فكثر تابعه . ثم اطلعوا على خبثه ونبذوا اليه عهده . وزحفت عساكر سبتة اليه ففرّ عنها ، وقتله بعض البرابرة غيلةً .

ثم غلب بنو مَرين على بسائط المغرب وامصاره سني اربعين وستماية ، واستولوا على كرسي الأمر بمراكش سنة ثمان وستين ، فامتنع قبائل غمارة من طاعتهم واستعصوا عليهم ، واقاموا بمنجاة من الطاعة ، وعلى ثبج من الخلاف . وامتنعت سبتة من ورائهم على ملوك بني مَرين بسبب امتناعهم . وصار امرها الى الشورى ، واستبدّ بهـا الفقيه ابو القاسم العزفي من مشيختهم . كما نذكر ذلك كله ، الى ان وقع بين قبائل غمارة ورؤسائهم فتن وحروب ، ونزعت احدى الطائفتين الى طاعة السلطان بالمغرب من بني مَرين فأتوها طواعِيَةً .

ودخل الآخرون في الطاعـة تلوهم طوعاً أو كرهاً . فملك بنو مَرين امرهم ، واستعملوا عليهم ، وتخطّوا الى سبتـة من ورائهم فملكوها من أيدي العزفيين سنة تسع وعشرين وسبعماية على ما نذكره بعد عند ذكر دولتهم . وهم الآن عـلى احسن احوالهم من الاعتزاز والكثرة يؤتون طاعتهم وجبايتهم عند استقلال الدولة ، ويعرضون فيها عند التياثها بفشل او شغل بخارج ، فيجهز

البعوث اليهم من الحضرة حتى يستقيموا على الطاعة . ولهم بوعورة جبالهم عزٌّ ومنعة وجوار لمن لحق بهم من اعياص الملك ، ومستأمني الخوارج الى هذا العهد . ولبني يكم من بينهم الحظ الوافر من ذلك ، لاشراف جبلهم على سائرها وسمو بقاعة [1] الى مجاري السحب دونها وتوعر مسالكه بهبوب الرياح فيها . وهذا الجبل مطل على سبتة من غربيّها ورئيسه منهم وصاحب امره يوسف بن عمر وبنوه ، ولهم فيه عزة وثروة ، وقد اتخذوا به المصانع والغُروس وفرض لهم السلطان بديوان سبتة العطاء . واقطعهم ببسيط طنجة الضياع والفدن استئلافاً بهم وحسماً لزبون سائر غمارة بايناس طاعتهم ، ولله الخلق والامر بيده ملك السموات والارض .

الخبر عن اهل جبال درن بالمغرب الاقصى من بطون المصامدة وما كان لهم من الظهور والاحوال ومبادىء امورهم وتصاريفها

هذه الجبال بقاصية المغرب من أعظم جبال المعمور بما أعرق في الثرى اصلها وذهبت في السماء فروعها ، وملات الجو هيا كلها ، ومثلت سياجا على ريف المغرب سطورها تبتدىء من ساحل البحر المحيط عند اسفى وما اليها ، وتذهب في الشرق إلى غير نهاية .

(٢) كذا ، وفي نسخة : وسموه بقلاعه .

ويقال انها تنتهي الى قبلة برنيق من ارض برقة ، وهي في الجانب مما يلي مراكش قد ركب بعضها بعضاً متتالية على نسق من الصحراء الى التل .

يسير الراكب فيها معترضاً من تامسنا وسواحل مراكش الى بلاد السوس ودرعة من القبلة ثماني مراحل وازيد تفجرت فيها الأنهار ، وجلل الأرض خُمُرُ الشجراء ، وتكاثفت بينها ظلال الادواح . وزكت فيها مواد الزرع والضرع ، وانفسحت مسارح الحيوان ومراتع الصيد ، وطابت منابت الشجر ، ودرت افاويق الجباية يعمرها من قبائل المصامدة أمم لا يحصيهم إلا خالقهم ، قد اتخذوا المعاقل والحصون وشيدوا المباني والقصور واستغنوا بقطرهم منها عن اقطار العالم ، فرحل اليهم التجر من الآفاق ، واختلفت اليهم اهل النواحي والأمصار ، ولم يزالوا منذ أول الاسلام وما قبله معتمرين بتلك الجبال قد أوطنوا منها أقطاراً بل اقاليم تعددت فيها الممالك والعمالات بتعدد شعوبهم وقبائلهم ، وافترقت اسماؤها بافتراق احيائهم .

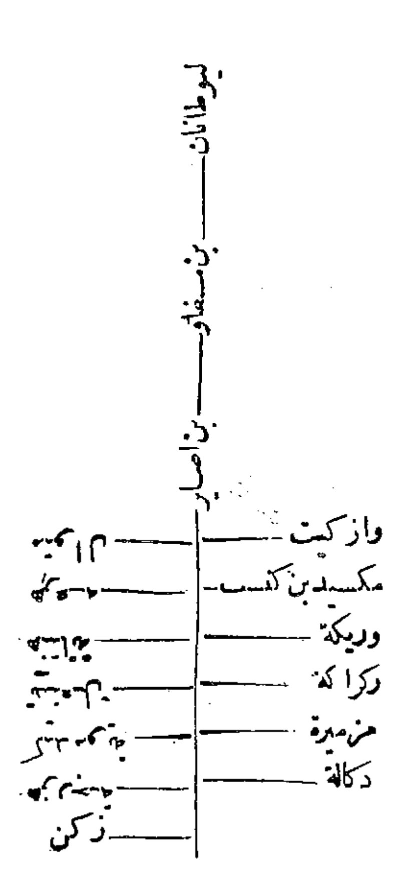
تنتهي ديارهم من هذه الجبال الى ثنية المعدن المعروفة ببني فازاز حيث تبتدىء مواطن صناكة ، ويحفون بهم كذلك من ناحية القبلة الى بلاد السوس . وقبائل هؤلاء المصامدة بهذه المواطن كثير فنهم : هرغة وهنتاتة وتينملل وكدميوة وكنفيسة ووريكة وركراكة وهزميرة ودكالة وحاحة واصادن وبنو

وازكيت [١] وبنو ماكر وايلانة ويقال هيلانة بالهاء . ويقالي ايضاً ان ايلان هو ابن بر ، أصهر المصامدة فكانوا خلفاءهم . ومن بطون أصادن مسفاوة وماغوس ، ومن مسفاوة دغاغة ويوطانان [٢] . ويقال ان غمارة ورهون وامول من اصادن والله اعلم .

ويقال أن من بطون حاحة زكن ووحص الظواعن الآن بأرض السوس احلافاً لذوي حسّان المتغلبين عليها من عرب المعقل . ومن بطون كنفيسة ايضاً قبيلة سكسيوة الموطنون بأمنع المعاقل من هذه الجبال يطل جبلهم على بسيط السوس من القبلة وعلى ساحل البحر المحيط من الغرب ، ولهم بنعة معقلهم ذلك اعتزاز على أهل جلدتهم حسبما نذكره بعد . وكان لهؤلاء المصامدة صدر الاسلام بهذه الجبال عدد وقوة وطاعة للدين ومخالفة لاخوانهم برغواطة في نحلة كفرهم . وكان من مشاهيرهم كسير [١] بن وسلاس بن شملال من اصادة ، وهو جد يحيى بن يحيى راوي الموطأ عن مالك . دخل الاندلس وشهد الفتح مع طارق ، في آخرين من مشاهيرهم استقروا بالاندلس ، وكان لاعقابهم بها ذكر في دولة الاموية . وكذلك كان منهم قبل

(١) كذا ، وفي ب : واركيت .
(٢) كذا ، وفي ب : بوطانان .
(١) كذا وفي ب : كثير .

الاسلام ملوك وامراء . ولهم مع لمتونة ملوك المغرب حروب وفتن سائر ايامهم ، حتى كان اجتماعهم على المهدي وقيامهم بدعوته فكانت لهم دولة عظيمة أدالت من لمتونة بالعدوتين ، ومن صنهاجة بافريقية حسبما هو مشهور ونأتي الآن بذكره إن شاء الله تعالى .



الخبر عن مبدأ امر المهدي ودعوته وما كان للموحدين القائمين بها على يد بني عبد المؤمن من السلطان والدولة بالعدوتين وافريقية وبداية ذلك وتصاريفه

لم يزل أمر هؤلاء المصامدة بجبال درن عظيماً وجماعتهم موفورة وبأسهم قوياً. وفي اخبار الفتح من حروبهم مع عُقْبة بن نافع، وموسى بن نُصَيْر حتى استقاموا على الاسلام ما هو معروف مذكور، الى ان اظلتهم دولة لمتونة فكان أمرهم فيها مستفحلاً، وشأنهم على أهل السلطان والدولة مهماً. حتى لقد اختطوا مدينة مراكش لنزلهم جوار مواطنهم من درن ليتمرسوا بهم، ويذللوا من صعابهم. وفي عنفوان تلك الدولة على عهد علي بن يوسف منها نجم امامهم العالم الشهير محمد بن تومَرت صاحب دولة الموحدين المشتهر بالمهدي، اصله من هرغة من بطون المصامدة الذين عددناهم يسمّى ابوه عبد الله. وتومَرت وكان يلقب في صغره ايضاً أمغار، وهو محمد بن عبد الله بن وُجَلّيد بن يامصال [١] بن حمزة بن عيسى فيما ذكره ابن رشيق وحققه ابن القطّان. وذكر بعض مؤرخي المغرب انه محمد بن تومَرت بن تيطاوين بن سافلا بن مسيغون بن ايكلديس بن خالد.

وزعم كثير من المؤرِخين ان نسبه في اهل البيت. وانه

(١) كذا وفي ب: تامصال.

محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن سفيان بن صفوان بن جابر بن عطاء بن رباح بن محمد من ولد سليمان بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي ابن أبي طالب أخي ادريس الأكبر الواقع نسب الكثير من بنيه في المصامدة واهل السوس. كذا ذكر ابن نخيل في سليمان هذا، وأنه لحق بالمغرب اثر اخيه ادريس، ونزل تلمسان وافترق ولده في المغرب. قال: فمن ولده كل طالبي بالسوس، وقيل بل هو من قرابة ادريس اللاحقين به الى المغرب، وان رباحاً الذي في عمود هذا النسب انما هو ابن يسار بن العبّاس بن محمد ابن الحسن وعلى الأمرين، فان نسبه الطالبي وقع في هرغة من قبائل المصامدة. ووشجت عروقه فيهم والتحم بعصبيتهم فلبس جلدتهم، وانتسب بنسبتهم وصار في عدادهم. وكان اهل بيته أهل نسك ورباط. وشبَّ محمد هذا قارئاً محبّاً للعلم، وكان يسمَّى اسافو، ومعناه الضياء لكثرة ما كان يسرج من القناديل بالمساجد لملازمتها. وارتحل في طلب العلم الى المشرق على رأس المائة الخامسة. ومرَّ بالاندلس، ودخل قرطبة، وهي إذ ذاك دار علم. ثم اجاز الى الاسكندرية وحجَّ. ودخل العراق ولقي جلّة العلماء يومئذٍ، وفحول النظار. وافاد عنه واسمع وكان يحدث نفسه بالدولة لقومه على يده لما كان الكهان والحزاء

يتحيَّنون ظهور دولة يومئذ بالمغرب ، ولقي فيما زعموا ابا حامد الغزالي ، وفاوضه بذات صدره في ذلك فأراده عليه لما كان فيه الاسلام يومئذٍ باقطار المغرب من اختلال الدولة ، وتقويض اركان السلطان الجامع للامة المقيم للملة بعد ان سأله عمن له من العصابة والقبائل التي تكون بها الاعتزاز والمنعة ، وبشأنها يتم امر الله في درك البغية وظهور الدعوة . وانطلق هذا الامام راجعاً الى المغرب بحراً منفجراً من العلم ، وشهاباً وارياً من الدين . وكان قد لقي بالمشرق ائمة الاشعرية من اهل السنة وأخذ عنهم واستحسن طريقهم في الانتصار للعقائد السَلَفِيّة ، والذب عنها بالحجج العقليّة الدافعة في صدور أهل البدعة . وذهب الى رأيهم في تأويل المتشابه من الآي والاحاديث ، بعد ان كان اهل المغرب بمعزل عن اتباعهم في التأويل والأخذ برأيهم فيه اقتداء بالسلف في ترك التاويل ، وامرار المتشابهات كما جاءت ، فطعن على اهل المغرب في ذلك وحملهم على القول بالتأويل ، والأخذ بمذاهب الأشعريّة في كافة العقائد ، وأعلن بامامتهم ووجوب تقليدهم ، وألف العقائد على رأيهم مثل المرشدة والتوحيد . وكان من رأيه القول بعصمة الامام على رأي الامامية من الشيعة . وألف في ذلك كتابه في الامامة الذي افتتحه بقوله : أعزّ ما يطلب . فصار هذا المفتتح لقباً على ذلك الكتاب ، واحتل بطرابلس اول بلاد المغرب مفتياً بمذهبه ذلك ، مظهراً

النكير على علماء المغرب في عدولهم عنه . واخذ نفسه بتدريس العلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما استطاع ، حتى لقد لقي بسبب ذلك اذايات في نفسه احتسبها من صالح اعماله . ولما دخل بجاية وبها يومئذ العزيز بن المنصور بن الناصر بن علناس ابن حماد من امراء صنهاجة . وكان من المترفين فأغلظ له ولأتباعه بالنكير . وتعرض يوماً لتغيير بعض المنكرات في الطرق فوقعت بسببها هيعة نكرها السلطان والخاصة وائتمروا به ، فخرج منها خائفاً ولحق بملالة على فرسخ منها وبها يومئذ بنو وريا كل من قبائل صنهاجة . وكان لهم اعتزاز ومنعة ، فآووه وأجاروه . وطالبهم السلطان صاحب بجاية باسلامه إليه ، فأبوا واسخطوه ، وأقام بينهم يدرس العلم أياماً . وكان يجلس اذا فرغ على صخرة بقارعة الطريق قريباً من ديار ملالة ، وهي لهذا العهد معروفة . وهنالك لقيه كبير صحابته عبد المؤمن بن علي حاجاً مع عمه فأعجب بعلمه ، واثنى عزمه عن وجهه ذلك ، واختص به ، وشمر للأخذ عنه . وارتحل المهدي الى المغرب وهو في جملته . ولحق بوانشريس . وصحبه منها البشير من جلة اصحابه . ثم لحق بتلمسان وقد تسامع الناس بخبره فأحضره القاضي بها ابن صاحب الصلاة ، ووبّخه على منتحله ذلك وخلافه لأهل قطره . وظنّ ان العذل يزعه عن ذلك ، فصمّ عن قبوله . واستمر على طريقه الى فاس ، ثم الى مكناسة ونهى بها عن بعض المناكير فأوقع به

الشرار من الغوغاء ، وأوجعوه ضرباً ، ولحق بمراكش ، وأقام بها آخذاً في شأنه . ولقي علي بن يوسف بالمسجد الجامع في صلاة الجمعة فوعظه وأغلظ له القول . ولقي ذات يوم الصورة اخت علي بن يوسف حاسرة قناعها على عادة قومها الملثمين في زي نسائهم فوبخها ، ودخلت على اخيها باكية لما نالها من تقريعه ، ففاوض الفقهاء في شأنه بما وصل اليه من شهرته . وكانوا ملئوا منه حسداً وحفيظةً لما كان ينتحل مذهب الأشعريّة في تأويل المتشابه ، وينكر عليهم جمودهم على مذهب السلف في امراره كما جاء . ويرى ان الجمهور لقنوه تجسيماً ، ويذهب الى تكفيرهم بذلك احد قولي الاشعرية في التكفير بمآل الرأي ، فأغروا الامير به واحضره للمناظرة معهم فكان له الفتح والظهور عليهم ، وخرج من مجلسه ونذر بالشر منهم فلحق من يومه باغمات ، وغيّر المناكير على عادته ، وأغرى به اهلها علي بن يوسف ، وطيروا اليه بخبره فخرج عنها هو وتلميذه الذين كانوا في صحابته . ودعا اسماعيل بن ايكيك من اصحابه مايتين من انجاد قومه ، وخرج به الى منجاة من جبال المصامدة . لحق اولاً بمسفيوة ، ثم بهنتاتة . ولقيه من أشياخهم عمر بن يحيى بن محمد بن وانودين بن علي ، وهو الشيخ ابو حفص ويعرف بيته بين هنتاتة ببني فاصكات .

وتقول نسابتهم : ان فاصكات هو جد وانودين ويقال لهنتاتة

بلسانهم ينتى فلذلك كان يعرف عمر بينتى وسيأتي الكلام في تحقيق نسبه عند ذكر دولتهم . ثم ارتحل المهدي عنهم الى ايكيلين من بلاد هَرْغَة فنزل على قومه وذلك سنة خمس عشرة وخمسماية . وبنى رابطة للعبادة ، واجتمعت اليه الطلبة والقبائل ، فاعلمهم المرشدة والتوحيد باللسان البربري . وشاع أمره في صحبته . واستدرك رئيس الفئة العلمية بمجلس الأمير علي بن يوسف ، وهو مالك بن وهيب ، اغراه به . وكان حزّاء ينظر في النجوم ، وكان الكهّان يتحدثون بأن ملكاً كائن بالمغرب لأمة من البربر ، ويتغير فيه شكل السكة لقران بين الكوكبين العلويّين من السيّارة ، يقتضي ذلك في احكامهم ، وكان الامير يتوقعها فقال له : احتفظ بالدولة من الرجل فانه صاحب القران .

والدرهم المربع في كلام سفساف بسجع سوقي يتناقل الناس نصه وهو : اجعل على رجله كبلا ، ليلا يسمعك طبلا . واظنه صاحب الدرهم المربع فطلبه علي بن يوسف فتفقده ، وسرح الخيالة في طلبه ففاتهم وداخل عامل السوس ، وهو أبو بكر بن محمد اللمتوني بمض هرغة في قتله ، ونذر بهم اخوانهم فنقلوا الامام الى معقل امتناعهم ، وقتلوا من داخل في امره . ثم دعا المصامدة الى بيعته على التوحيد ، وقتال المجسمين دونه سنة خمس عشرة وخمسماية فتقدم اليها رجالاتهم من العشرة وغيرهم . وكان فيهم من هِنْتاتَة ابو حفص عُمَر بْن يحيى وأبو يحيى بن يكيت ويوسف

ابن وانودين وابن يغمور ، ومن تينملل ابو حفص عمر بن علي اصناك ومحمد بن سليمان وعمر بن تافراكين وعبد الله بن ملويات .

واوعب قبيلة هرغة فدخلوا في أمره كلهم ، ثم دخل معهم كدميوة وكنفيسة . ولما كملت بيعته لقّبوه بالمهدي ، وكان لقبه قبلها الامام . وكان يسمي اصحابه الطلبة ، وأهل دعوته الموحدين . ولمّا تم له خمسون من اصحابه سمّاهم ايت الخمسين . وزحف اليهم عامل السوس ابو بكر بن محمد اللمتوني بمكانهم من هرغة ، فاستجاشوا بأخوانهم من هنتاتة وتينملل فاجتمعوا اليهم واوقعوا بعسكر لمتونة فكانت مقدمة الفتح . وكان الامام يعدهم بذلك فاستبصروا في أمره ، وتسابق كافتهم الى الدخول في دعوته ، وترددت عساكر لمتونة اليهم مدة بعد اخرى ففضّوهم . وانتقل لثلاث سنين من بيعته الى جبل تينملل فاوطنه ، وبنى داره ومسجده بينهم ، حوالي منبع وادي نفيس .

وقاتل من تخلّف عن بيعته من المصامدة حتى استقاموا فقاتل اولاً : هزرجة واوقع بهم مراراً ، ودانوا بالطاعة . ثم قاتل هسكورة ومعهم ابو درقة اللمتوني فغلبهم وقفل ، فاتبعه بنو وازكيت فاوقع بهم الموحدون واثخنوا فيهم قتلاً وأسراً . ثم غزا بلد عجدامة [1] وكان قد افتتحه وترك به الشيخ أبا محمد عطيّة من اصحابه فغدروا به وقتلوه فغزاهم واستباحهم . ورجع

(١) كذا وفي ب : غجدامة ، وفي نسخة أخرى عجزامه وفي نسخه : غجرامه .

الى تينمال واقام بها الى ان كان شأن البشير ، وميّز الموحِد من المنافق . وكانوا يسمون لمتونة الحشم فأعتزم على غزوهم، وجمع كافة أهل دعوته من المصامدة . وزحف اليهم فلقوه بكيك ، وهزمهم الموحدون واتبعوهم الى اغمات فلقيهم هنالك زحوف لمتونة مع بكو [1] بن علي بن يوسف ، وابراهيم بن تاعبّاست ، فهزمهم الموحدون . وقتل ابراهيم واتبعوهم الى مراكش ، فنزلوا البحيرة في زهاء اربعين الفاً كلهم رجلي [2] الا اربعماية فارس .

واحتفل علي بن يوسف في الاحتشاد وبرز اليهم لاربعين من نزولهم عليه من باب ايلان فهزمهم واثخن فيهم قتلاً وسبياً ، وفقد البشير من اصحابه . واستحرّ القتل في هيلانة ، وابلى عبدالمؤمن في ذلك اليوم أحسن البلاء . وكانت وفاة المهدي لأربعة أشهر بعدها . وكان يسمي اتباعه بالموحدين تعريضاً بلمتونة في أخذهم بالعدول عن التأويل وميلهم إلى التجسيم . وكان حصوراً لا يأتي النساء . وكان يلبس العباءة المرقّمة . وله قدم في التقشّف والعبادة ، ولم يحفظ عنه فلتة في البدعة [3] إلّا ما كان من وفاقه الامامية

(١) كذا وفي ب : نكو . وفي نسخة : مكر ، وفي نسخة : بكر .

(٢) كذا ، والأصح : رحالة أو رجال .

(٣) كذا ، وقد علق على هذه العبارة جناب العلامة الشيخ محمد جواد مغنية بقوله : « ليس القول بالعصمة بدعة ما دام القائلون بها يستندون الى الدليل . وقد استدل الامامية من الشيعة على عصمة الامام علي بما ثبت عن النبي (ص) : « علي مع الحق والحق مع علي » وبعصمة بقية الأئمة بحديث الثقلين : « كتاب الله والعترة » واستدلوا

من الشيعة في القول بالامام المعصوم .

الخبر عن دولة عبد المؤمن خليفة المهدي والخلفاء الاربعة من بيته ووصف لحالهم ومصائر امورهم

لما هلك المهدي سنة اثنتين وعشرين كما ذكرناه وقد عهد بامره من بعده لكبير صحابته عبدالمؤمن بن علي الكومي المقدّم ذكره ونسبه عند ذكر قومه ، فقبر بمسجده لصق داره من تينملل . وخشي اصحابه من افتراق الكلمة وما يتوقع من سخط المصامدة ولاية عبد المؤمن لكونه من غير جلدتهم ، فأرجأوا الامر الى ان تخالط بشاشة الدعوة قلوبهم ، وكتموا موته زعموا ثلاث سنين يموهون بمرضه ، ويقيمون سنّته في الصلاة والحزب الراتب . ويدخل صحابته الى البيت كأنه اختصهم بعبادته، فيجلسون حفافي قبره ويتفاوضون في شؤونهم بمحضر اخته زينب ، ثم يخرجون لانفاذ ما ابرموه ، ويتولاه عبد المؤمن بتسليمهم . حتى اذا استحكم امرهم ، وتمكنت الدعوة من نفوس كافتهم كشفوا حينئذ القناع عن حالهم ، وتمالأ من بقي من العشرة على تقديم عبدالمؤمن . وتولى كبر ذلك الشيخ ابو حفص ، وأراد هنتاتة

بالعقل ايضاً ، لان الغايه من وجود الامام ارشاد الناس الى الحق وردعهم عن الباطل، فلو جاز عليه الخطأ في الاحكام او المعصيه لكان كمن يزيل الخبث بخبث مثله . ومن اراد التفصيل فعليه بمراجعه كتاب «المراجعات للمرحوم شرف الدين» وكتاب «التجريد للشيخ الطوسي» وغيرهما من كتب الشيعة الاماميه في هذا الموضوع . »

وسائر المصامدة عليه فاظهروا للناس موت المهدي ، وعهده لصاحبه وانقياد بقية اصحابه لذلك .

وروى يحيى بن يغمور عن الامام انه يقول في دعـائه اثر صلواته : « اللهم بارك لي في الصاحب الأفضل » فرضي الـكافة وانقادوا واجمعوا على بيعته بمدينة تينملل سنة اربع وعشرين ، فقام بامر الموحدين وابعد في الغزوات فصبح تادلا ، واصـاب منهم . ثم غزا دَرْعَة واستولى عليها سنة ست وعشرين . ثم غزا تاشعبوت [1] وافتتحها وقتـل واليها ابا بكر بن مَرْزَوال ومن كان معه من قومه غمارة بني ونام [2] وبني مزردع .

ثم تسابق الناس الى دعوتهم افواجـاً ، وانتقض البرابر في سائر اقطار المغرب على لمتونة، وسرح علي بن يوسف ابنه تاشفين لقتالهم سنة ثلاث وثلاثين ، فجاءهم من ناحية ارض السوس ، واحتشد معه قبائل كزُّولة وجعلهم في مقدمته فلقيهم الموحدون باوائل جبلهم وهزموهم . ورجع تاشفين ولم يلق حرباً ، ودخل كزولة من بعدها في دعوة الموحدين . واجمع عبد المؤمن عـلى غزو بلاد المغرب ، فغزا غزاته الطويلة منذ سنة اربع وثلاثين الى سنة احدى واربعين ، ولما يراجـع فيها تينملل حتى انقضت بالفتح والاستيـلاء على المغربـين ، خرج اليهـا من تينملل ،

(١) كذا ، وفي ب : تاسيغموت ، وفي نسخه ت : تاسعون .

(٢) كذا ، وفي ب : وارتني . وفي نسخه : ونگار . وفي نسخه اخرى : وزار .

وخرج تاشفين بعساكره يحاذيه في البسيط ، والناس يفرون منه الى عبد المؤمن وهو ينتقل في الجبال في سعة من الفواكه للاكل، والحطب للدفء ، الى ان وصل الى جبال غمارة ، واشتعلت نار الفتنة والغلاء بالمغرب ، وامتنعت الرعايا من المغرم ، والح الطاغية على المسلمين بالعدوة .

وهلك خلال ذلك علي بن يوسف امير لمتونة وملك العدوتين سنة سبع وثلاثين وخمسماية ، وولي امرهم تاشفين ابنه وهو في غزاته هذه ، وقد احيط به . وحدث بعد موت ابيه فتنة بين لمتونة ومسوفه ، ففزع امراء مسوفة [1] مثل برّاز [2] بن محمد ويحيى بن تاكغت [3] ويحيى ابن اسحاق المعروف بانكمار ، وكان والي تلمسان . ولحقوا بعبد المؤمن فيمن اليهم من الجملة ، ودخلوا في دعوته ونبذ اليهم لمتونة العهد ، والى سائر مسوفة . واستمر عبد المؤمن على حاله ، فنازل سبتة وامتنعت عليه ، وتولى كبر دفاعه عنها القاضي عياض الشهير الذكر . كان رئيسها يومئذ بدينه وأبوّته ومنصبه . ولذلك سخطته الدولة آخر الأيام ، حتى مات مغربا عن سبتة بتادلا مستعملًا في خطة القضاء بالبادية وتمادى عبد المؤمن في غزاته الى جبال غياثة وبطوية فافتتحها ،

(١) كذا ، وفي ت : وفى نسخه بولاق مسوقه .
(٢) كذا ، وفي ب : يران ، وفى نسخه : بدران .
(٣) كذا وفي النسخه التونسيه ، وفي نسخه طبعه بولاق تاكستن .

ثم نزل ملوية فافتتح حصونها . ثم تخطى الى بلاد زناتة فأطاعته قبائل مديونة . وكان بعث اليهم عسكراً من الموحدين لنظر يوسف بن وانودين وابن يرمور [١] فخرج اليهم محمد بن يحيى ابن فانوا عامل تلمسان فيمن معه من عساكر لمتونة وزناتة فهزمهم الموحدون وقتل ابن فانوا [٢]. وانفض عسكر زناتة ، ورجعوا الى بلادهم .

وولى ابن تاشفين على تلمسان أبا بكر بن مزدلي ، ووصل الى عبد المؤمن بمكانه من الريف ابو بكر ابن ماخوخ ويوسف ابن يدّر امراء بني ومانوا ، فبعث معهم ابن يغمور وابن وانودين في عسكرهم من الموحدين ، فاثخنوا في بلاد بني عبد الواد وبني يلومي سبياً واسراً ، وأمدتهم عساكر لمتونة ومعهم الزبرتير قائد الروم فنزلوا منداس ، واجتمعت عليهم زناتة في بني يلومي وبني عبد الواد ، وشيخهم حمامة ابن مطهر ، وبني ينكاسن وبني ورسيفان وبني توجين ، فاوقعوا ببني ومانوا واستنقذوا غنائمهم من ايديهم . وقتلوا ابا بكر بن ماخوخ في ستماية من قومه . وتحصّن الموحدون وابن وانودين بجبال سيرات ، ولحق تاشفين بن ماخوخ بعبد المؤمن صريخاً على لمتونة وزناتة ، فارتحل معه الى تلمسان . ثم اجاز الى سيرات وقصد محلة لمتونة وزناتة ،

(١) كذا ، وفي ب : مرمور .
(٢) كذا ، وفي ب : فانوعا .

فاوقع بهم ورجع الى تلمسان فنزل ما بين الصخرتين من جبل بني ورنيد .

ونزل تاشفين بأصطَفْصِف ووصل مدده صنهاجة من قبل يحيى ابن العزيز صاحب بجاية لنظر طاهر بن كبّاب من قواده ، امدوا به تاشفين وقومه لعصبية الصنهاجيَّة . وفي يوم وصوله اشرف على معسكر الموحدين ، وكان يدل باقدام وبأس فزارى بلمتونة وأميرهم لقعودهم عن مناحزة الموحدين ، وقال :

إنما جئتكم لأُمكنكم من صاحبكم عبد المؤمن هذا ، وارجع الى قومي ، فامتعض تاشفين لكلمته واذن له في المناجزة ، فحمل على القوم فركبوا وصمموا للقائه ، فكان آخر العهد به وبعسكره . وكان تاشفين بعث من قبل ذلك قائده على الروم الزبرتير في في عسكر ضخم كما قلناه ، فأغار على بني سنوس ورناتة الذين كانوا في بسيطهم ، ورجع بالغنائم فاعترضه الموحدون من معسكر عبد المؤمن فقتلوهم ، وقتل الزبرتير وصلب .

ثم بعث بعثاً آخر الى بلاد بني ومانوا فلقيهم تاشفين بن ماخوخ ومن كان معه من الموحدين واوقعوا بهم . واعترضوا عسكر بجاية عند رجوعهم فنالوا منهم اعظم النيل . وتوالت هذه الوقائع على تاشفين فاجمع الرحلة الى وهران ، وبعث ابنه ابراهيم ولي عهده الى مراكش في جماعة من لمتونة ، وبعث كاتباً معه احمد بن عطية . ورحل هو الى وهران سنه تسع وثلاثين ،

واقام عليها شهراً ينتظر قائد اسطوله محمد بن ميمون الى ان وصله من المريّة بعشرة اساطيل ، فارساها قريباً من معسكره . وزحف عبد المؤمن من تلمسان وبعث في مقدمته الشيخ ابا حفص عمر بن يحيى . وبني ومانوا من زناتة فتقدموا الى بلاد بني يلومي وبني عبد الواد وبني ورسيفن وبني توجين واثخنوا فيهم حتى دخلوا في دعوتهم .

ووفد على عبد المؤمن برؤسائهم ، وكان منهم سيد الناس ابن امير الناس شيخ بني يلومي فتلقاهم بالقبول ، وسار في جموع الموحدين الى وهران ففجعوا لمتونة بمعسكرهم ففضُّوهم ، ولجأ تاشفين الى رابطة هنالك فاحدقوا بها واضرموا النيران حولها حتى غشيهم الليل ، فخرج تاشفين من الحصْنِ راكباً على فرسه فتردى من بعض حافات الجبل ، وهلك لسبع وعشرين من رمضان سنة تسع وثلاثين وخمسماية . وبعث برأسه الى تينملل . ولجأ فل العسكر الى وهران فانحصروا مع اهلها حتى جهدهم العطش ونزلوا جميعاً على حكم عبد المؤمن يوم الفطر من تلك السنَة . وبلغ خبر مقتل تاشفين الى تلمسان مع فلٍّ لمتونة ، وفيهم ابو بكر بن ويحى [1] وسير بن الحاج وعليّ بن فيلو ، في آخرين من اعيانهم ، ففرّ معهم من كان بها من لمتونة . وقدم عبد المؤمن فقتل من وجد بتاكرارت بعد ان كانوا بعثوا ستين من وجوههم ، فلقيهم

(١) كذ ، وفي ب : ابن نجي . وفي نسخة : ابن ولخف .

يصليتن من مشيخة بني عبد الواد فقتلهم جميعاً .

ولما وصل عبد المؤمن الى تلمسان استباح اهل تاكرارت لما كان اكثرهم من الحشم ، وعفا عن أهل تلمسان ، ورحل عنها لسبعة اشهر من فتحها بعد ان ولى عليها سليمان بن محمد بن وانودين ، وقيل يوسف بن وانودين . وفيما نقل بعض المؤرخين انه لم يزل محاصراً لتلمسان ، والفتوح ترد عليه ، وهنالك وصلته بيعة سجلماسة . ثم اعتزم على الرحيل الى المغرب ، وترك ابراهيم بن جامع محاصراً لتلمسان ، فقصد فاس سنة اربعين ، وقد تحصن بها يحيى الصحراوي . ولحق بها من فلّ تاشفين من تلمسان فنازلها عبد المؤمن ، وبعث عسكراً لحصار مكناسة ، ثم رحل في اتباعه ، وترك عسكراً من الموحدين على فاس ، وعليهم الشيخ ابو حفص وابو ابراهيم من صحابة المهدي العشرة فحاصروها سبعة اشهر .

ثم داخلهم ابن الجياني مشرف البلد ، وادخل الموحدين ليلاً ، وفر الصحراوي الى طنجة واجاز منها الى ابن غانية بالأندلس ، وبلغ خبر فاس الى عبد المؤمن وهو بمكانه من حصار مكناسة ، فرجع اليها وولى عليها ابراهيم بن جامع ، وولى على حصار مكناسة يحيى بن يغمور ، ورحل الى مراكش وكان ابراهيم ابن جامع لما افتتح تلمسان ارتحل الى عبد المؤمن وهو محاصر لفاس فاعترضه في طريقه المخضب بن عسكر امير بني مرين باكرسيف ونالوا منه ومن رفقته ، فكتب عبد المؤمن الى

يوسف بن وانودين بن عامل تلمسان ان يجهز اليهم العساكر ، فبعثها صحبة عبد الحق بن مَنْغفاد شيخ بني عبد الواد ، فاوقعوا ببني مرين ، وقتل المخضب اميرهم .

ولما ارتحل عبد المؤمن من فاس الى مراكش وصلته في طريقه بيعة اهل سبتة ، فولى عليهم يوسف بن مخلوف من مشيخة هِنتَاتة ، ومر بسلا فافتتحها بعد موافقة قليلة ، ونزل منها بدار ابن عشرة ، ثم تمادى الى مراكش . وسرح الشيخ ابا حفص لغزو برغواطة فاثخن فيهم ورجع . ولقيه في طريقه ووصلوا جميعاً الى مراكش وقد ضموا اليها جموع لمطة فاوقع بهم الموحدون واثخنوا فيهم قتلًا ، واكتسحوا اموالهم وظعائنهم . واقاموا على مراكش سبعة اشهر واميرهم اسحاق ابن علي بن يوسف بايعوه صبياً صغيراً عند بلوغ خبر ابيه . ولما طال عليهم الحصار وجهدهم الجوع برزوا الى مدافعة الموحدين فانهزموا وتتبعهم الموحدون بالقتل ، واقتحموا عليهم المدينة في اخريات شوال سنة احدى واربعين وقتل عامة الملثمين . ونجا اسحاق في جملته واعيان قومه الى القصبة حتي نزلوا على حكم الموحدين ، واحضر اسحاق بين يدي عبد المومن فقتله الموحدون بايديهم وتولى كِبَرَ ذلك ابو حفص بن واكاك منهم وامّحى اثر الملثمين واستولى الموحدون على جميع بلاد المغرب .

ثم خرج عليهم بناحية السوس ثائر من سوقة سلا يعرف

محمد بن عبد الله بن هود وتلقب بالهادي ، وظهر في رباط ماسة فاقبل اليه الشرار[1] من كل جانب ، وانصرفت اليه وجوه الاغمار من اهل الآفاق ، واخذ بدعوته اهل سجلماسه ودرعة وقبائل دكالة وركراكة وقبائل تامسنا وهوارة . وفشت ضلالته في جميع المغرب ، فسرح اليه عبد المؤمن عسكراً من الموحدين لنظر يحيى انكمار المسوفي النازع اليه من ايالة تاشفين بن علي . ولقي هذا الثائر المآسي ، ورجع منهزماً الى عبد المؤمن ، فسرح الشيخ اباء حفص عمر بن يحيى وأشياخ الموحدين ، واحتفل في الاستعداد فنهضوا الى رابطة ماسة . وبرز اليهم الثائر في نحو ستين الفاً من الرجال وسبعماية من الفرسان ، فهزمهم الموحدون وقتل داعيتهم في المعركة مع اكثر اتباعه ، وذلك في ذي الحجة سنة احدى واربعين . وكتب الشيخ ابو حفص بالفتح الى عبد المؤمن من انشاء ابي جعفر بن عطية الشهير الذكر ، كان ابوه ابو احمد كاتباً لعلي بن يوسف وابنه تاشفين ، وتحصل في قبضة الموحدين فعفا عنه عبد المؤمن .

(١) كذا في النسخة التونسية ، وفي النسخة المصرية : الفراد . والاصح الاشرار او الشردون .